baseera.net

معالم الحق

المنهج والتطبيق في دراسة ونقد روايات الشفاعة

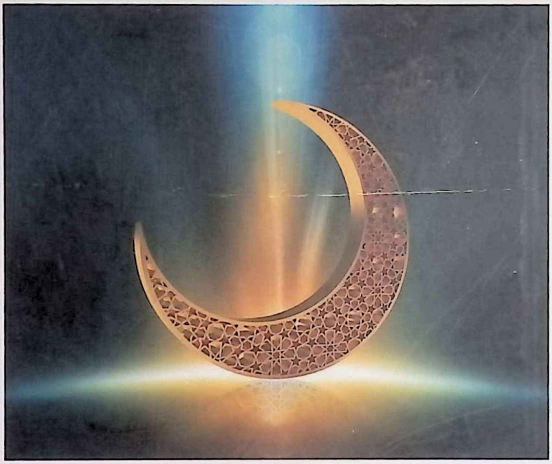

علي بن محمد بن عسكر الجري

مَعَالِمُ الحَقّ

جميع الحقوق محفوظة

baseera.net

منشورات موقع بصيرة الإلكتروني

الطبعة الثانية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

للتواصل وطلب الكميات
٩٨١٧٧٧٨٩ / ٩٥٥١٠٠٢٥

معالم الحق

المنهج والتطبيق في دراسة ونقد روايات الشفاعة

علي بن محمد بن عمر الجري

المقـدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والســلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد خلــق الله ﷻ الخلق أجمعين، وأعطى كل مخلــوق وظيفته وهيّأ له كل المقومات والطاقات التــي تعينه على أداء واجباتــه وفرض له الحقوق حتى يصل إلى الغاية التي خلقه لأجلها.

ولقد اختار الله جلّ وعلا الإنس لمهمة الأمانة التي تراجعت عن تحملها الجبال الراسيات؛ لأن تبعات هذه المهمة حساب وإحصاء وعد وجزاء على كل صغيرة وكبيرة يأتي بها الإنسان في مسيرة حياته الدنيوية.

فالشــارع الحكيم في كل تعاليمه يربط حياة البشر الدنيوية بما بيّنه لهم من حقائــق أخروية سيشــاهدونها واقعاً يوم يخرجون من هــذه الدنيا وعند اضمحلال الأولى وقدوم الآخرة بمشاهدها.

وسير البشــرية قاطبة إلى يوم القيامة أمر أثبته القرآن الكريم وأقام عليه حججاً عجزت عن ردها عقول البشــر، فكان على العاملين في هذه الدنيا ـ والحال هــذا ـ أن يكون مجال تنافســهم ومضمار تســابقهم تطبيق الأوامر الإلٰهية التي جاء بها القرآن وبيّنها رسول الله ﷺ في سُنّته الطاهرة.

فلا مجال للعقل في اختراع ما سيكون في يوم القيامة من أحداث، فعلى العقل التصديق والانقياد فقط ما دام يشاهد أمر النشأة الأولى واضحاً جلياً ودليلاً قوياً على قدرة الله تعالى في إعادة البشر بعد فنائهم وبعثهم ومحاسبتهم وتنفيذ ما عليهم وإعطائهم ما لهم من حسن الجزاء. وما على البشر إلا السمع والتصديق والاستعداد بالإيمان الخالص والأعمال الصالحة حتى يكون مآلهم ومحط رحالهم جنات الله الخالدة التي وعدها الله تعالى عباده المؤمنين العاملين.

فموضوع مصير الناس يوم القيامة قد تكفَّل الله تعالى ببيانه، ولم يأذن سبحانه وتعالى لعقول البشر لفرض تصورات عن أحداث ذلك اليوم الرهيب[1]. فمن وظائف الإنسان في هذه الحياة الدنيا السعي الدؤوب لأجل معرفة الحقيقة التي تكون عليها أحوال الخلائق يوم القيامة وما يعقب يوم الحشر من أحداث تؤول إليها الخلائق جمعاء. وسيصل الإنسان إلى المعرفة الصحيحة إذا اتبع الطرق المثلى والمناهج الصائبة في بحثه ودراساته؛ فمصادر العلم اليقيني عند المسلمين كفيلة ببيان ما أراد الله تعالى من عباده معرفته والعمل به ولأجله وهم في عالم الدنيا.

فالمعرفة الجلية عن حقائق المصير الأخروي ـ الذي هو أحد ركائز الرسالات السماوية للخلق ـ مطلب شرعي وفرض على كل مكلف، فلا يُقبل من الإنسان نظرة ضيقة المدى لا تتعدى أطر حياة الناس الدنيوية، ولا تُقبل معرفة لا تهيمن على سلوك الأفراد وقت أدائهم لوظائفهم في هذه الحياة. لهذا وجب ـ امتثالاً للقاعدة: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) ـ

---

(١) لهذا لا يشمل هذا البحث مناقشة الأدلة العقلية، لأن العقل تبع للشرع، ولأنه ليس للعقل مجال في تأصيل أمور الغيب، ولكن مجاله فهم النصوص من خلال ربط العلوم بعضها ببعض.

أن تنبعث في كيانات البشر كل المؤججات المثيرة والمحفزة للعقول الحية لأجل معرفة المناهج وتأصيلها وتطبيقها عند دراسة أحوال الآخرة ومصير الناس فيها، لأن الأمر جدّ خطير ولأنه قول واحد لا يقبل فيه تعدد الآراء والأفكار. فالسعيد بالحق هو العارف والمطبق لمناهج العلوم الصحيحة، وأما التارك للعلم الثابت والمتبع لآراء الناس فإن حظه الجهل بالحقيقة التي أرادها الله تعالى.

لقد منَّ الله تعالى على أمة محمد ﷺ بمنهج محكم تلجأ إليه في معرفة الحق ورد الأقوال المتعددة إلى الصواب الذي أنزله الله تعالى. وهذا المنهج لا تحدده النظرات المذهبية الفردية الضيقة بل هو الميزان الذي جاهد علماء الإسلام قاطبة[٢] في تبيانه لأجيال المسلمين عبر القرون، وأصبحت معرفته وتطبيقه أمراً واجباً على المسلمين قاطبة إذا أرادوا تحقيق وظيفتهم التي اؤتمنوا عليها بكل صدق وإخلاص.

فمن القواعد التي بيَّنتها كتب علماء الأمة، وكان واجباً علينا جميعاً تطبيقها هي ما ذكره الدكتور عصام أحمد البشير، حيث قال:

❑ «ولما كان الإسناد ضرورياً للحكم على كل حديث لذا نجد أن اهتمام المحدثين بالإسناد في المقام الأول وإن كان الحكم على الحديث لا يتوقف على صحة الإسناد وحده بل لا بد من توافر شروط أخرى ترجع إلى الراوي أو الرواية»[٣].

---

(٢) قال الدكتور عصام أحمد البشير في بيانه للجهود التي قام بها علماء الإسلام في تأصيل العلوم وترتيبها: «وشأن المصطلحات يستقر بعد الاستقرار التام، والكشف لوجوه المسالك ومناهج الاستدلال، وترتيبها وفق قواعد منضبطة، وأصول محكمة، تمثل المعيار الذي يحتكم إليه، والمسار الذي يعول عليه في صياغات محددة الدلالة، بيِّنة القسمات واضحة المعالم» (أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥).

(٣) أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٧.

❑ «أما المهمة التي يتصدى لها الناقد فهي جمع الأحاديث وفحصها ونقدها بعد تتبع أحوال ناقليها ورواتها. فيقوم بجمع طرق الروايات وأسانيدها ودراستها وبيان ما فيها من علة واختلاف. مستعيناً بدراسة حال الراوي من عدالة وضبط يستخلص من ذلك الحكم على الحديث»[٤].

وقال الدكتور وهبة الزحيلي مؤكداً على هذا المنهج الصائب: ـ

❑ «ولا أطيل في قواعد نقد سند الحديث، فمجاله علم مصطلح الحديث، ذلك العلم مع أصول الفقه لا نظير لهما في تاريخ العلوم وأصول العلوم عند أمم الدنيا غير المسلمين. وقد عُني المسلمون بضبط الحديث والتأكد من نقله بضوابط كثيرة، منها: اشتراط كون الراوي عدلاً (ملتزماً أحكام الشريعة وآداب المروءة)، ضابطاً (حافظاً ذا قدرة ذهنية لا تكاد تخطئ)، سامعاً للحديث عن الراوي العدل الضابط في كل السلسلة إلى أن يصل إلى الصحابي، أو ناقلاً الحديث بطرق أخرى كالسماع في القوة والتثبت»[٥].

وقال عبد المنجي السيد أمين:

❑ «واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والثقاة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم، والمعاندين من أهل البدع»[٦].

فهذه الأسس والقواعد التي أشار إليها الدكتور عصام البشير والدكتور وهبة الزحيلي وعبد المنجي السيد أمين أصل من أصول الكتابة والبحث في الإسلام فلا ينبغي لنا تجاوزها عند الدراسة والتحقيق.

---

(٤) أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص٧.

(٥) قراءة وضوابط في فهم الحديث النبوي، ص٢٢.

(٦) الفرار من النار، ص٦٥٦.

ومما جاءت به الرسالات السماوية، على أصحابها صلوات الله وسلامه، أن من جاء يوم القيامة بغير عقيدة الإسلام فقد استوجب النار، وهذا حكم لا خلاف حوله بين المسلمين، فكل كافر فالنار هي مآله. والمسلم الذي جاء إلى القيامة وقد ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة وسلم من كبائر الذنوب، فقد وعده الله تعالى جنة عرضها السماوات والأرض.

وأما من حضر يوم القيامة بذنب كبير، وقد استوجب بسبب تلك المعصية الكبيرة دخول النار، فهو الشخص الذي تنازعت حول مستقبله بعد العرض الأكبر أفهام الناس.

- فمن الناس من قال: إنه قد تشمله شفاعة لا يدخل بسببها النار.

- ومن الناس من قال: إنه يدخل النار ثم سيكون مآله في نهاية المطاف الجنة.

- ومن الناس من قال: إن في يوم الحشر وبعد العرض على الله تنطلق الجموع إما إلى جنة خالدة لا خروج منها أو إلى نار خالدة دائمة.

قال الثعالبي في معرض ذكره لأحوال الناس يوم القيامة: «النَّاسُ أربعةُ أصْنَافٍ: كَافِرٌ مات على كُفْره، فهذا مُخَلَّد في النَّار بإجمَاع، ومُؤْمِنٌ مُحْسِنٌ لَمْ يُذْنِبْ قطُّ، وماتَ علَى ذلك فهذا في الجنة مَخْتُومٌ علَيْه حَسَبَ الخَبَرِ من الله تعالَى بإجماع، وتَائِبٌ مَاتَ علَى توبتِهِ، فهو عنْدَ أَهْلِ السُّنَّة وجمهورِ فُقَهَاء الأُمَّة لَاحِقٌ بالمُؤْمِنِ المُحْسِنِ، إلَّا أنَّ قانُونَ المتكلِّمين أنَّه في المَشيئَةِ، ومُذْنِبٌ مَاتَ قَبْلَ تَوْبَتِهِ، فهذا هو موضعُ الخلَافِ»[٧].

---

(٧) تفسير الثعالبي، ١/ ٣٥٢.

وهذا التقسيم للناس يوم القيامة قد ذكره أيضاً ابن عطية[٨]، والإمام الرازي[٩]، والدكتور مسلم الوهيبي[١٠] وغيرهم.

فالخلاف الذي أشار إليه الثعالبي حول مصير أصحاب الكبائر من الذنوب في الآخرة لا مبرر له؛ فحكم أصحاب الكبائر في الدنيا والآخرة قد بيّنه الشارع الحكيم، فهو حكم واحد لا يجوز تجاوزه إلى غيره من الأقوال. ومعرفة الحكم الذي حدده الشرع إنما يتم بتتبع كل الأدلة ودراستها وعرض الروايات على المنهاج الصائب والميزان العادل.

والمنهج المتبع في دراسة هذه القضية من شأنه ألا يحابي أحداً، فهو قوي الدلالة وصادق في الحكم؛ لهذا فلا يمكن أن تتسرب من خلاله خيوط الخلاف.

ويبقى العنصر الثالث وهم أصحاب الأقوال المتعددة الذين جاء من صوبهم هذا الخلاف الذي أشار إليه الثعالبي في تفسيره.

ولقد لعبت الروايات دوراً ظاهراً جلياً في تأسيس القول بالشفاعة لأهل الكبائر والخروج من النار، وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على تلك الروايات وساروا بها عبر القرون الماضية مع اعتراف بعضهم بعدم وجود آيات من كتاب الله تعالى تدلُّ على ما ذهبوا إليه من قول، فقد قال الشيخ

---

(٨) تفسير ابن عطية، ص٤٤٤، من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

(٩) تفسير الرازي، ٣/ ١٣٩. قال الرازي: «واعلم أن هذه المسألة من معظمات المسائل، ولنذكرها هٰهنا فنقول: اختلف أهل القبلة في وعيد أصحاب الكبائر...».

(١٠) قال الدكتور مسلم الوهيبي: «والشفاعة المختلف فيها بين علماء الإسلام أيضاً نوعان هما: الشفاعة لقوم من عصاة الموحدين استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع ﷺ لهم أن لا يدخلوها. الشفاعة في من دخلها من أهل التوحيد، من أمة محمد ﷺ أن يخرجوا منها». (الفكر العقدي عند الإباضية، ص٣٢٧).

المراغي: «وإذاً فليس في القرآن الكريم نص قاطع في ثبوتها ولكن جاء في السُّنَّة الصحيحة ما يؤيد وقوعها كقوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فمن كذب بها لم ينلها**»»[١١].

ومما يزيد الرغبة في مواصلة البحث والكتابة في هذا الموضوع هو أن قضية الشفاعة لأهل الكبائر والخروج من النار قد جرَّت الأمة الإسلامية إلى هوة سحيقة عميقة لا أمل في الخروج منها ودعاة (الصفح عن أهل الكبائر) يصرخون في آذان الناس ليل نهار ويبلغونهم روايات كثيرة لا وزن لها في ميزان الإسلام العادل. فكان الواجب قولاً يسكت دعاة الروايات المروجة (للشفاعة لأهل الكبائر) ويحث المسلمين قاطبة إلى تطبيق أسس مناهجهم في كل مناشط الحياة.

والحالة التي عليها أمتنا اليوم أجَّجت في وجدان الغيورين من أبنائها براكين الأسى والحسرة على ما صارت إليه بعد أن كانت قائدة للأمم، وجعلتهم ينادون بأعلى صوت بالحلول الناجعة للأمراض التي عطلت هذه الأمة عن القيام بوظيفتها في هذه الحياة. فقد قال محمد محمود الصواف: «ولكن من الواجب علينا معشر المسلمين، ونحن في هذه المرحلة الحاسمة الخطيرة من تاريخ حياتنا، أن نبدأ نحن بتغيير جذري جوهري في نفوسنا، وفي أخلاقنا، وأن يكون ذلك التغيير عاماً وشاملاً بالنسبة للخاصة والعامة، وأن يكون على أساس مدروس، وخطة محكمة لكي نتقي أسباب الانحلال والضعف من جهة، ونأخذ بأسباب القوة والعزة من جهة أخرى.

وأسباب القوة ليست في فوضى الأخلاق، ولا في التحلل من الآداب، ولا في التشكيك في المثل والقيم، ولا في تقليد الشرق والغرب، ولا في استيراد المبادئ من هنا أو هناك.

---

(١١) تفسير المراغي، ١/ ٩٧ – ٩٨.

وإنما هي في الأصول الخالدة، والمبادئ الكريمة السـائدة التي جاء بها الإسلام، وأعز بها أولئك الأمجاد من سالف أمتنا العزيزة»(١٢).

فهذا الحل الذي ينادي به الشيخ محمد محمود الصواف لن يكون له أي قبول في أوساط من يروّج لأحاديث الشفاعة ويؤمّل العصاة بشفاعة تنجيهم من عذاب النار.

فالخطوة الأولى: ـ لكي نطبق أقوال الشيخ محمد محمود الصواف ـ هي بيـان منزلة الروايـات التي وجهت الأمـة إلى هذه الفوضـى في الأخلاق والتحلل من الآداب.

وتساءل الشيخ محمد محمود الصواف ـ كما تساءل غيره ـ عن الأسباب التي أدت بهذه الأمة إلى ما هي عليه اليوم: «والفوضى السياسية، والفكرية، والأخلاقية، والاجتماعية ما بالها عشعشت في ديارنا حتى غدونا وكأننا لسنا أبناء أولئك الأمجاد، الذين رفعوا علـم الجهاد، وفتحوا البلاد، وقادوا العباد إلى شـاطئ الأمن والسـلامة والإسـلام، حتى أصبح لهم الأمر، والسيادة، والسياسـة في أكثر من ربع المعمورة، وغدا حكمنـا يتردد في ثلاث قارات في الكرة الأرضيـة؟ وإذا أمرنا أصاخت الدنيا لأمرنـا، وإذا نادينا تجاوبت أرجاء الأرض لندائنا، وإذا دعونا أمنت الإنسانية لدعائنا...»(١٣).

وتسـاءل أيضاً: «فما دهانا يا ترى حتى قلبت لنا الأيـام ظهر المجن؟، وتفرقنا أيدي سـبأ، وتداعت علينا الأمم كما تتداعـى الذئاب وتعوي على الفريسة، وطمع فينا من لا يدفع عن نفسه، وسلط علينا الأشرار، وتحكم فينا الفجار، وهُنّا على الله، وقد اجتبانا من بين الأمم ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٨]،

---

(١٢) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٦٤.

(١٣) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٢٣.

وهُنًا على النـاس بل وهُنًا حتى على أنفسـنا وأهلينا؟. فمـا هي الدواعي، والعوامل، والخطوب التـي أوصلتنا إلى هذا المنحدر السـحيق؟ وطوّحت بأمتنا حتى جعلتها شلواً ممزقاً ونهباً مقسماً بين الأمم؟»[١٤].

وبعد هذه التسـاؤلات عن الأمراض التي قادت أمتنـا إلى ما هي عليه اليوم بيّن الشيخ محمد الصواف السبب الأساس، حيث قال: «فلما تركنا أمر ربنا، وخالفنا قواعد ديننا، وتنكبنا الطريق المستقيم الذي رسمه الله لنا، وخط لنا خطوطه واضحة بينة قوية، وأمرنا بالسـير فيه وسـلوكه، لما سلكنا هذا السـبيل المعوج. صرنا إلـى ما صرنا إليه مـن الفرقة، والشـتات، والذل، والهـوان، وهل فـي الدنيا والآخرة شـر وداء وبـلاء إلا وسـببه الذنوب، والمعاصي، وترك الأوامر، والنواهي؟»[١٥].

وقد اشتكى الإمام القرطبي قبل الشيخ الصواف بقرون متطاولة: «فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحلَّ بنا بل لم يبق من الإسـلام إلا ذكره، ولا من الدِّين إلّا رَسْـمُه لظهور الفسـاد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى اسـتولى العدوّ شـرقاً وغرباً براً وبحراً، وعَمّت الفتن وعظُمت المحَن ولا عاصم إلا من رحِم»[١٦].

فعلينا بعد أن عرفنا الداء وظهور آثاره في جسـم هذه الأمة أن نعمل في جد واجتهاد لبيان حال الروايات والأقوال التي ركـن إليها الجم الغفير من أتباع هذه الأمة واستمرؤوا بسببها الفرقة والشتات والذل والهوان، وهذه هي أُولى الخطوات في مسيرة الإصلاح الذي يدعو إليه المخلصون من أبناء هذه الأمة.

---

(١٤) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٢٤.

(١٥) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٢٦.

(١٦) تفسير القرطبي، ٣/ ١٦٧.

وأمر التأليف في الساحة الإسلامية قد اشتغلت بشأنه عقول العلماء عبر القرون الماضية، فبجانب اهتمامهم في تأصيل العلوم المتبعة في عرض حقائق هذا الدين، فهم قد بيّنوا المجالات التي ينبغي ألا تخرج عنها أقلام الكتاب.

قال الإمام نور الدين السالمي: «ثم إن التأليف على سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء مما عليه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه.

وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمسة فوائد: استنباط شيء كان معطلاً، أو جمعه إن كان مفرقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم وتأليف، أو إسقاط حشو وتطويل»[١٧].

وقال ابن خلدون موضحاً أحد الأسباب الداعية للتأليف: «... **وثالثها: أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده، إذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه، فيودع ذلك الكتاب ليقف على بيان ذلك**»[١٨].

وحينما يُقدم أي أحد على نقد ما يراه غلطاً وخطأ فعليه أن يتقيد بالقيود التي تجعله عارضاً للعلم وآدابه.

---

(١٧) معارج الآمال، ١/ ١٤١.

(١٨) مقدمة ابن خلدون، ص ٧٣١، فصل في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها.

قال الشيخ السعدي: «... بل يدخل في عموم هذا، الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبيِّن ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه، كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع، يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير»[١٩].

وقال العلامة ابن القيم: «ثم ذكر حجج الآخرين والجواب عن حجج هؤلاء على عادة أهل العلم والدين في إنصاف مخالفيهم، والبحث معهم، ولم يسلك طريق جاهل ظالم متعد، يبرك على ركبتيه، ويُفَجِّر عينيه، ويصول بمنصبه لا بعلمه، وبسوء قصده لا بحسن فهمه، ويقول: القول بهذه المسألة كفر، يوجب ضرب العنق، ليبهت خصمه، ويمنعه عن بسط لسانه، والجري معه في ميدانه، والله تعالى عند لسان كل قائل، وهو له يوم الوقوف بين يديه عما قاله سائل»[٢٠].

وقال الإمام القرطبي: «وفي الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلّم قول من خالفه وإن لم يأخذ به، حتى يعرف فساد قوله، ويعلم كيف يردّ عليه؛ لأن الله تعالى أعلم النبيّ ﷺ وأصحابه قول من خالفهم من أهل زمانهم؛ ليعرفوا فساد قولهم»[٢١].

ومما يدفعنا إلى الكتابة هو: أن الكثير من المؤلفين، الذين تناولوا الحديث عن القضايا التي تجاذبتها أفهام المسلمين، لم يتقيدوا بهذه الأخلاق الإسلامية النيرة التي ذكرها الشيخ عبدالرحمٰن السعدي، والعلامة ابن القيم والإمام القرطبي.

---

(١٩) تفسير السعدي، ص٨٧٤، من تفسير الآية ٣ من سورة المطففين.

(٢٠) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/ ٣٦١-٣٦٢.

(٢١) تفسير القرطبي، ٧/٦٣ من تفسير الآية ١٣٩ من سورة الأنعام.

فأولئك الكتَّاب جعلوا مسألة (الشفاعة لأهل الكبائر) دليلاً في ذاتها؛ فسعوا إلى النظر إلى الناس من خلال هذه الفكرة، وتمثلوا كل الأخلاق الرديئة التي نهى عنها علماء الأمة عند التحاور والتناظر وتمييز الآراء بعضها عن بعض، ونسبوا إلى الإباضية الأكاذيب والأباطيل[٢٢] في محاولة يائسة منهم لإسكات برهان الحق الدامغ، وأنى لهم ذلك؟!.

فمن أخلاق الإباضية ـ وهم دائماً يسعون إلى وحدة هذه الأمة الكريمة ـ نصرة المظلوم، ورد الظالم، وهم في كل أحوالهم يرفعون راية العلم ـ الذي أصل مناهجه علماء المسلمين عبر القرون الماضية ـ بالدعوة إليه والتطبيق لأسسه وقواعده لأجل أن يعيش أفراد هذه الأمة في هذه الحياة الدنيا على أسس من العلم والمعرفة، ولأجل أن يكونوا على علم يقيني ثابت في عقائدهم عن الآخرة.

فأكاذيب أولئك الكتَّاب لن تخيف أحداً من طلبة الحق والصواب، بل هي عار على كاتبيها وسمّ زعاف لمن صدق بها واستمرأها، وسيدرك

---

(٢٢) قال الدكتور طاهر محمود محمد يعقوب بعد أن أشار إلى قول الإباضية في مصير أصحاب الكبائر في الآخرة: «... وراحوا يكفرون أهل الإسلام ويستبيحون دماءهم وأموالهم بهذا التعصب العاري من الحجة والبرهان». (أسباب الخطأ في التفسير، ٦٥١/٢).

أولاً: هذا كذب على الإباضية، فحسبنا الله ونعم الوكيل. وكتب الإباضية، ومسلكهم منذ القرون الأولى من تاريخ الإسلام إلى الآن خير دليل على فساد هذا البهتان والافتراء.

ثانياً: على الدكتور أن يعلم أن عقيدة الخلود في النار هي الرادعة لمعتقديها عن الكذب على المسلمين، والرادعة لهم عن سفك دماء المسلمين، والرادعة لهم عن استباحة أموالهم.

ثالثاً: على الدكتور أن يعلم أن حججه وبراهينه هي من صنع عقائد اليهود، ومن أقوال الكذابين والضعفاء والمدلسين، كما سيتبيَّن في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

الجميع ـ إن شاء الله تعالى ـ ومن خلال هذا البحث أن ما قال به الإباضية في مسألة الشفاعة يوم القيامة هو قول أظهرت حججه وبراهينه علوم الأمة التي تحارب المذهبية والتعصب والكذب والبهتان.

ومما يزيد الشعور بالواجب تجاه تتبع روايات الشفاعة والخروج من النار وعرضها على الميزان الحق هو ما رصدناه من دعوات موجهة للإباضية لكي ينبروا لبيان ما هم عليه من عقيدة حول مصير عصاة المسلمين يوم القيامة، فقد قال العلامة ابن عاشور: « ... ولا عجب أعجب من مرور الأزمان على مثل قولة الخوارج والإباضية والمعتزلة ولا ينبري من حذاق علمائهم من يهذب المراد أو يؤول قول قدمائه ذلك التأويل المعتاد، وكأني بوميض **فطنة نبهائهم أخذ يلوح من خِلل الرماد**»[٢٣].

وكذلك دعوة العلامة الشوكاني كل قارئ إلى تتبع الروايات ومعرفة أحوالها في ميزان الأمة حيث قال في مقدمة تفسيره: «وقد أذكر الحديث معزواً إلى رواية من غير بيان حال الإسناد؛ لأني أجده في الأصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي وغيرهم، **ويبعد كل البعد أن يعلموا في الحديث ضعفاً ولا يبينونه، ولا ينبغي أن يقال فيما أطلقوه إنهم قد علموا ثبوته**، فإن من الجائز أن ينقلوه من دون كشف عن حال الإسناد، بل هذا هو الذي يغلب به الظن؛ لأنهم لو كشفوا عنه فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك، كما يقع منهم كثير التصريح بالصحة والحسن، **فمن وجد الأصول التي يروون عنها ويعزون ما في تفاسيرهم إليها فلينظر في أسانيدها موفقاً إن شاء الله**»[٢٤].

---

(٢٣) تفسير ابن عاشور، ١/ ٢٧٩ - ٢٨٠ من تفسير الآية ٨ من سورة البقرة

(٢٤) تفسير الشوكاني، ١/ ٧١.

والتطبيق للمناهج الإسلامية ـ التي لا تتغير بتوالي الأيام والدهور ـ أمر واجب على الأفراد والجماعات والشعوب لكي يقوم الإنسان خير قيام بوظيفته وهو في وسط أبناء جيله، ولكي تنتقل العقائد والمبادئ والأخلاق من جيل إلى جيل من غير أن تتأثر بتطاول الأزمنة وتباعد الأمكنة.

إن هذا البحث استجابة لدعوات علماء الأمة الإسلامية الذين نادوا في أوساط أبنائها بمعرفة وتطبيق الضوابط والأسس عند عرض الأدلة المتبعة في تلقي العقائد.

وأدعو الله جلّ وعلا أن يوفق المسلمين كافة إلى تطبيق مناهجهم في كل مناشط الحياة لكي تبقى صفوفهم متراصة ملتحمة تسعد بوحدتهم واستقامتهم الإنسانية والكون من حولهم.

وقد جاءت مادة هذا البحث معروضة في ثلاثة فصول وخاتمة:

فالفصل الأول: قراءات منهجية في الروايات والأقوال التي جاءت عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

والفصل الثاني: قراءات منهجية في الروايات والأقوال التي اعتمد عليها القائلون بالشفاعة لأهل الكبائر عند تفسيرهم لآيات من كتاب الله تعالى.

والفصل الثالث: قراءات منهجية في الروايات والأقوال التي اعتمد عليها القائلون بعدم الشفاعة لأهل الكبائر عند تفسيرهم لآيات من كتاب الله تعالى.

وأدعو الله تعالى أن يتقبل مني هذا البحث، وأدعوه جلَّ وعلا أن يوفق أبناء أمة محمد ﷺ إلى الإستقامة في الدين والعمل بما وجب عليهم وترك كل ما من شأنه فساد الآخرة والدنيا.

وصلّى الله وسلّم على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

علي بن محمد بن عامر الحجري
ولاية بدية ـ سلطنة عُمان

الفصل الأول

قراءات في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ
وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

[النساء: ٤٨]

تمهيد

لقد دعا العلامة ابن عاشور إلى التعمق في دراسة هذه الآية من خلال قراءات منهجية للأدلة الأخرى الواردة في كتاب الله تعالى وفي سُنَّة رسوله المصطفى ﷺ، حيث قال ابن عاشور: «... وعندي أنّ هذه الآية، إن كانت مراداً بها الإعلام بأحوال مغفرة الذنوب فهي آية اقتصر فيها على بيان المقصود، وهو تهويل شأن الإشراك، وأجمل ما عداه إجمالاً عجيباً، بأن أدخلت صورةُ كلّها في قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] المقتضي مغفرةً لفريق مبْهم ومؤاخذة لِفريق مبهم. والحوالة في بيان هذا المجمل على الأدلّة الأخرى المستقرَاة من الكتاب والسُّنَّة... ولكنّها نزلت بعدَ معظم القرآن، فتعيّن أنّها تنظر إلى كلّ ما تقدّمها، وبذلك يستغني جميعُ طوائف المسلمين عن التعسّف في تأويلها كلّ بما يساعد نحلته، وتصبح صالحة لمحامل الجميع، والمرجع في تأويلها إلى الأدلّة المبيّنة»[٢٥].

وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]: «وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة»[٢٦].

---

(٢٥) تفسير ابن عاشور، ٤/١٥٢ - ١٥٣.

(٢٦) تفسير القرطبي، ٥/١٥٩.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: «من المتشابه الذي قد تكلم العلماء فيه»[٢٧]، ثم ذكر ثلاثة أقوال: ـ

❑ «قد أبانت هذه الآية أن كل صاحبِ كبيرةٍ ففي مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شِرْكاً بالله تعالى»[٢٨].

❑ «وقال بعضهم: قد بيَّن الله تعالى ذلك بقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فاعلم أنه يشاء أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر ولا يغفرها لمن أتى الكبائر»[٢٩].

❑ «وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه الآية ناسخةٌ لِلّتِي في آخر «الفرقان». قال زيد بن ثابت: نزلت سورة «النساء» بعد «الفرقان» بستة أشهر، والصحيح أن لا نسخ؛ لأن النسخ في الأخبار يستحيل»[٣٠].

وأوضح ابن عاشور معنى قول الإمام القرطبي: «فهذا من المتشابه الذي تكلّم العلماء فيه»، حيث قال ابن عاشور: «وهو يريد أنّ ظاهرها يقتضي أموراً مشكلة: ـ

الأول: أنّه يقتضي أنّ الله قد يغفر الكفر الذي ليس بشرك ككفر اليهود.

الثاني: أنّه يغفر لمرتكب الذنوب ولو لم يتب.

---

(٢٧) تفسير القرطبي، ١٥٩/٥.

(٢٨) تفسير القرطبي، ١٥٩/٥، نقلًا من تفسير الإمام الطبري، ١٢٦/٥. ونحو هذا القول ذكره الشوكاني (تفسير الشوكاني ١/ ٧٦٠)، وابن كثير (تفسير ابن كثير ٣٠٨/٢).

(٢٩) تفسير القرطبي، ١٥٩/٥.

(٣٠) تفسير القرطبي، ١٥٩/٥.

الثالث: أنّه قد لا يغفر للكافـر بعد إيمانه وللمذنب بعد توبته، لأنّه وَكَل الغفران إلى المشـيئة، وهي تلاقي الوقـوع والانتفاء. وكلّ هـذه الثلاثة قد جاءت الأدلّة المتظافـرة على خلافها، واتّفقت الأمّة علـى مخالفة ظاهرها، فكانت الآية من المتشابه عند جميع المسلمين»(٣١).

* * *

ولقد ظهرت أساليب وطرق القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر واضحة عند تفسـيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة ٤٨].

ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة ٢٥٤].

فالقارئ لهاتين الآيتين الكريمتين يجد أن كل كلمة هي دعوة إلى الجد في العمل ودعوة إلى تقوى الله تعالـى والحذر من يوم القيامة الذي لا ينفع فيه أحد أحداً.

هذه الكلمات المعدودة هي الضياء والنور الذي يشـق الإنسان به طريقه المملوء بالصعاب وهو في طريقه إلى دار النعيم.

إنها آيات عظيمة خاطبت الثقلين محسنهم ومسيئهم ولم تخصص قوماً دون قوم، ولكن حينما يلتفت الإنسـان إلى روايات جاءت بمعنى العفو في يوم القيامة عن أصحـاب الكبائر من غير توبة، فإن الأقلام تلجأ إلى التوفيق بين هاتين الآيتين الكريمتيـن الواضحتين وبين الروايات التي لا حجة فيها؛ لضعف أسانيدها أو متونها أو لعدم صراحتها في الموضوع.

---

(٣١) تفسير ابن عاشور، ٤/ ١٥١.

قال الإمام الطبري: «وهذه الآية وإن كان مخرجها عاماً في التلاوة، فإن المراد بها خاص في التأويل لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي». وأنه قال: «لَيْسَ مِنْ نَبِيّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ دَعْوَةً، وَإِنِّي إِخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً». فقد تبيَّن بذلك أن الله جلَّ ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين بشفاعة نبينا محمد ﷺ لهم عن كثير من عقوبة إجرامهم بينه وبينهم، وأن قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله ﷻ»(٣٢).

وقال الإمام الطبري أيضاً: «وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص. وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض...»(٣٣).

فهذا القول الذي سطَّره الإمام الطبري هو القاعدة التي بنى عليها القائلون بالشفاعة لأهل الكبائر تفاسيرهم وأقوالهم عبر القرون الماضية. فهم يرون أن مخرج الآيتين ودلالتهما عام يشمل الثقلين، ولكن بسبب الروايات صار التخصيص ليشمل فقط من مات على كفره.

وهاتان الروايتان اللتان ذكرهما الإمام الطبري هنا تمثلان نوعين من الروايات الكثيرة التي اعتمد عليهن المدافعون عن فكرة العفو عن أصحاب الكبائر يوم القيامة إما قبل دخولهم النار أو بعد نيلهم نصيباً من العذاب.

---

(٣٢) تفسير الطبري، ٢٦٨/١.

(٣٣) تفسير الطبري، ٣/٣، من تفسير الآية ٢٥٤ من سورة البقرة.

النوع الأول: الروايات الضعيفة من جانب السند أو الضعيفة من جانب المتن، وهذا النوع تمثله هنا الرواية التي جاء فيها: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

النوع الثاني: روايات ليست نصاً صريحاً في موضوع العفو عن أصحاب الفواحش والكبائر، ولكن مثلت مع القائلين بالعفو عن أصحاب الكبائر دليلاً لكون ذكر (الشفاعة) جاء ضمن كلماتها. وهذا النوع تمثله الرواية الثانية التي ذكرها الإمام الطبري هنا.

وقال الإمام القرطبي عند تفسيره للآية ٤٨ من سورة البقرة: «والأخبار متظاهرة بأن من كان من العصاة المذنبين الموحّدين من أمم النبيين هم الذين تنالهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيّين والشهداء والصالحين. وقد تمسّك القاضي عليهم في الردّ بشيئين: **أحدهما**: الأخبار الكثيرة التي تواترت في المعنى. **والثاني**: الإجماع من السلف على تلقّي هذه الأخبار بالقبول؛ ولم يَبْدُ من أحد منهم في عصر من الأعصار نكير»[٣٤].

فالإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة لم يكلف نفسه عناء التحقيق في جميع الروايات والأقوال التي استثنت عصاة المسلمين من الحكم العام الذي نطقت به هذه الآية الكريمة، بل أخذ بتلك الروايات كغيره، ولو أنه رجع إلى أقوال علماء الجرح والتعديل ونظر نظرة فاحصة في متون تلك الروايات لوصل بإذن الله تعالى إلى يقين ثابت أن الأخبار التي قال عنها «متظاهرة» لا تثبت معتقداً أبداً.

والملاحظ أن الإمام القرطبي لم يطبق في تفسيره ولا في كتاب (التذكرة) دعوته لجميع الناس حين قال لهم: «وإنما على الناس أن ينظروا في أديانهم

---

(٣٤) تفسير القرطبي، ١/٢٥٧-٢٥٨.

نظرهم في أموالهم، وهم لا يأخذون في البيع ديناراً معيباً، وإنما يختارون السالم الطيب، كذلك لا يؤخذ من الروايات عن النبيّ ﷺ إلا ما صحّ عن النبيّ ﷺ سنده، لئلا يدخل في حيِّز الكذب على رسول الله ﷺ، فبينما هو يطلب الفضل إذا به قد أصاب النقص، بل ربما أصاب الخسران المبين»[٣٥].

والملاحظة التي يدركها القارئ لموضوع الشفاعة في كتب التفسير والحديث وعلوم الرجال واللغة أن المسألة لم تتوقف عند رأيين: ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر أو نفيها، بحيث يسعى أصحاب الرأيين إلى إثبات ما أيده الدليل القاطع وإلى محو كل ما بني على الضعيف من الأقوال، وتكون بعدها عقول أفراد هذه الأمة طيِّعة لما ظهر دليله ومبتعدة عن كل فكرة لا أصل لها في مصادر العقيدة عند المسلمين.

لقد خرجت مسألة الشفاعة لأهل الكبائر من مائدة العلم، إلى دائرة الدعاوى والتناظر بـ«لعل» التي لا تثبت أي معتقد.

فها هو الإمام الرازي يصوّر لنا جانباً من جوانب أساليبه التي استعان بها في مناظراته التي طرحها في تفسيره، حيث قال: «وأما الأحاديث فهي دالة على أن محمداً ﷺ لا يشفع لبعض الناس ولا يشفع في بعض مواطن القيامة، وذلك لا يدل على أنه لا يشفع لأحد البتة من أصحاب الكبائر، ولا أنه يمتنع من الشفاعة في جميع المواطن. والذي نحققه أنه تعالى بيّن أن أحداً من الشافعين لا يشفع إلا بإذن الله، فلعلَّ الرسول لم يكن مأذوناً في بعض المواضع وبعض الأوقات، فلا يشفع في ذلك المكان ولا في ذلك الزمان، ثم يصير مأذوناً في موضع آخر وفي وقت آخر في الشفاعة فيشفع هناك والله أعلم»[٣٦].

(٣٥) تفسير القرطبي، ١٤/١٥١.
(٣٦) تفسير الرازي، ٣/٦٦.

وفي هذا البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ سنقوم بعرض تلك الأخبار التي اعتمد عليها القرطبي والرازي وغيرهما على منهاج علماء الأمة الإسلامية، وحينها سنعلم أن القضية هي قضية تطبيق المنهج الذي دعا إليه القرطبي والرازي وغيرهما من علماء المسلمين.

وفي هذا الفصل من هذا البحث نعرض المحاور التي دار حولها كلام المفسرين وعلماء الأمة الإسلامية عند تفسيرهم لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

ونعرض محاور هذا الفصل في أربعة أقسام تحوي المواضيع الآتية:

ـ مناقشة رواية: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» من جانب السند ومضمون المتن حسب قواعد علم الحديث الشريف.

ـ وذكر آيات قرآنية كريمة تبيّن منزلة أصحاب الكبائر في ميزان الله يوم القيامة.

ـ وذكر روايات صحيحة عن رسول الله ﷺ فيها بيان حال أهل الكبائر يوم القيامة.

ـ وعرض روايات جاء فيها العفو عن أصحاب الكبائر يوم القيامة على منهاج الجرح والتعديل.

ـ وذكر الأسباب التي ينبغي للإنسان الإتيان بها لأجل نيل مغفرة الله تعالى.

ـ وذكر الترابط الوثيق بين التوبة والمغفرة كما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة وأقوال علماء الأمة.

ـ ونقل أقوال علمــاء الأمة حول معنى المشــيئة الإلٰهيَّة وربط تصرفات البشر بها.

ـ وذكر بعــض من الذنوب التي تجاوز الله عنها لأمة الإســلام حســب مشيئته سبحانه وتعالى.

رواية: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) في ميزان الإسلام

جاءت هذه الرواية في كتب الحديث منسوبة إلى أنس بن مالك، وجابر بن عبدالله، وابن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبي الدرداء، وأم سلمة، وأبي موسى الأشعري، وأسماء بنت عميس ﷺ.

فهذه الرواية التي جاء فيها: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» أخرجها الحاكم، والترمذي، والبيهقي، وابن حبان، والحارث، وأبو يعلى، والبخاري في التاريخ الكبير، والطيالسي، والشهاب، وأبو داود، والإمام أحمد، والطبراني، وعبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، وابن ماجه، والبغدادي، حسب ما سيأتي تفصيله.

وذكر هذه الرواية واحتج بها: الطبري(٣٧)، والقرطبي(٣٨)، وابن كثير(٣٩)، والنسفي(٤٠)، والشوكاني(٤١)، والرازي(٤٢)،

---

(٣٧) تفسير الطبري، ١/٢٦٨.

(٣٨) تفسير القرطبي، ٥/١٠٦.

(٣٩) تفسير ابن كثير، ٢/٢٦٨، ٣١٣، ٥/٥٨٣.

(٤٠) تفسير النسفي، ١/٤٧.

(٤١) تفسير الشوكاني، ٣/٥٥٦، من تفسير الآية ٢٨ من سورة الأنبياء. و١/٧٦١، من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

(٤٢) تفسير الرازي، ٣/٦٢، ٣٢/١٣٠.

والسيوطي[٤٣]، والبروسوي[٤٤]، وابن تيمية[٤٥]، وابن القيم[٤٦]، وابن حجر[٤٧]، والمباركفوري[٤٨]، والعظيم أبادي[٤٩]، وعلي القاري[٥٠]، والحيدري[٥١] وغيرهم.

رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك:

❑ جاءت هذه الرواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك من طريق

---

(٤٣) الدر المنثور، ٢/٣٠٢، و٤/٥٦٩.

(٤٤) تفسير روح البيان، ١/١٢٧، ٥/١٤، ١٩٢، ٧/٣٤٩، ٩/٢٤٨.

(٤٥) مجموع الفتاوى، ٧/٢٧٥-٢٧٦. ومما قاله ابن تيمية في وصفه لهذه الرواية الضعيفة: «السبب السادس: شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وقوله ﷺ: «خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة؛ وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثر؛ أترونها للمتقين؟ لا. ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين».

وقال ابن تيمية في موضع آخر من (مجموع الفتاوى): «فالرجل الذي معه شيء من الإيمان، وله كبائر قد يدخل النار، ثم يخرج منها: إما بشفاعة النبي ﷺ وإما بغير ذلك؛ كما قال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (مجموع الفتاوى، ٧/٣٦٥).

(٤٦) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ١٣/٧١.

(٤٧) فتح الباري، ١٣/٢٥٠.

(٤٨) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٧/١٢٧.

(٤٩) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/٧١-٧٢.

(٥٠) مرقاة المفاتيح، ١٠/٢٧٠.

(٥١) من الروايات التي ذكرها الحيدري: «إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي» و«إن لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً» (الشفاعة، ص١٣٣).

«معمر عن ثابت» عند الحاكم[٥٢]، والترمذي[٥٣]، والبيهقي[٥٤]، وابن حبان[٥٥].

هذه الطريق لهذه الرواية ضعيفة بسبب رواية معمر بن راشد عن ثابت البناني، فقد قال ابن حجر: «... قال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا وما عمل في حديث الأعمش شيئاً. وقال يحيى: وحديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام»[٥٦].

❑ وجاءت هذه الرواية عن أنس بن مالك من طريق يزيد الرقاشي عند الحارث[٥٧]، وأبي يعلى[٥٨].

---

(٥٢) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٢٢٨، ١/ ١٣٩. وقال أبو عبد الله الحاكم هنا: «فإن هذه الشفاعة فيها قمع المبتدعة المفرقة بين الشفاعة لأهل الصغائر والكبائر. وله شاهد بهذا اللفظ عن قتادة، وأشعث بن جابر الحداني».
المتتبع لروايات الحاكم في موضوع الشفاعة لأهل الكبائر يجدها ضعيفة على رغم حكم الحاكم بصحتها، وقد ذكر هذه الحقيقة الألوسي حيث قال عند ذكره لرواية أخرى صححها الحاكم: «وهو في غاية البعد، ولم أر من صحح الخبر عن البراء رضي الله عنه سوى الحاكم ـ وتصحيحه لا يوثق به ـ» (تفسير الألوسي، ١/ ٤٧٤، من تفسير الآية ١٩٥ من سورة البقرة).

(٥٣) سنن الترمذي، الرواية: ٢٤٣٥، ص٥٧٩، قال الترمذي: «حَدَّثنا العَبَّاسُ العَنْبَرِيُّ، حدثنا عَبْدُالرَّزَاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن ثَابِتٍ، عن أَنَسٍ، قال: قال رَسُولُ الله: «شَفَاعَتِي لِأهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

(٥٤) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٦١٤٠، ١٢/ ١٠.

(٥٥) صحيح ابن حبان، الرواية: ٦٤٦٨، ١٤/ ٣٨٧.

(٥٦) تهذيب التهذيب، ت: ٧١٢٦، ١٠/ ٢١٩ - ٢٢١.

(٥٧) مسند الحارث، الرواية: ١١٥٣، ٢/ ١٠٠٩ ـ حدثنا عبدالله بن عون ثنا أبو عبيدة ثنا أبو عبدالله عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

(٥٨) مسند أبي يعلى، الرواية: ٤١٠٨، والرواية: ٤١١٨.

قـال ابن حجـر: «يزيد بـن أبـان الرقاشـي، أبو عمـرو البصري... ضعيف»[٥٩].

❑ وجاءت هذه الرواية منسـوبة إلى أنس من طريق محمد بن عبيد الله العصري عند الطبراني في الأوسـط[٦٠]، والبخاري[٦١] في (التاريخ الكبير)، وأبي يعلى[٦٢].

محمد بن عبيد الله العصري:

قال ابن حجـر: «قال ابنُ حِبَّان: لا يجوز الاحتجـاج به، ولا الاعتبـار بـما يرويه، إلا عند الوفـاق»[٦٣].

وقال ابن أبي حاتم: «... سـمعت أبا زرعة وسـئل عن محمد بن ثابت العصري فقال: ليس بقوي، حدثنا عبدالرحمٰن قال: سألت أبي عن محمد بن ثابت العصري فقال: هو بصري يكتب حديثه وليس بقوي»[٦٤].

---

(٥٩) تقريب التهذيب، ت: ٧٧١١، ٢/ ٣٢٠.

(٦٠) المعجم الأوسـط، الروايـة: ٨٥١٨، ٦/ ٢٠٥. نـص الرواية: «حدثنا معـاذ، قال: نا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: نا محمد بن عبيد الله قال: نا ثابت عن أنس قال: قال رسـول الله ﷺ: «شـفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». لم يروه عـن محمد بن عبيد الله العمري إلا المقدمي».

(٦١) التاريخ الكبير، ١/ ١٧٠، قال الإمام البخاري: «محمد بن عبيد الله العصري سـمع ثابتاً عن أنس عن النبي ﷺ: «شـفاعتي لأهل الكبائر» سـمع منه محمد المقدمي». وفي هذا القول الذي ذكره الإمام البخاري تصحيح لنسب محمد بن عبيد الله.

(٦٢) مسـند أبي يعلى، الرواية: ٣٢٨٧. «حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا محمد بن ثابت بن عبيد الله العصري حدثنا ثابت عن أنس قال رسول الله ﷺ ...».

(٦٣) لسـان الميزان، ت: ٧٥٤٩، ٥/ ٢٤٧-٢٤٨. ومما قاله ابن حجر: «والظاهر أن اسم أبيه عبيد الله، مصغراً»، إذ جاء اسمه في الترجمة: «محمد بن عبدالله العصري».

(٦٤) الجرح والتعديل، ت: ١٢٠٥، ٧/ ٢١٧.

❑ وجاءت هذه الرواية منسـوبة إلى أنس بن مالك مـن طريق الحكم أبي عثمان عند الطيالسي[٦٥].

الحكم أبو عثمان هو الحكم بن عطية العيشـي، قال عنه ابن حجر في التقريب: «صدوق له أوهام»[٦٦].

وقال فـي التهذيب: «... قـال أحمد: كان عندي صالـح الحديث، حتى وجدت له حديثاً أخطأ فيه. وقال المـروذي، عن أحمد: حدث بمناكير، كأنه ضعفه...»[٦٧].

❑ وجاءت هذه الرواية أيضاً عند الحاكم[٦٨] من طريق «... عمر بن سعيد الأبح عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك...».

هذه الرواية ضعيفة وذلك لورودها من قبل عمر بن حماد[٦٩] بن سـعيد الأبح.

---

(٦٥) مسند الطيالسي، الرواية: ٢٠٢٧، ٢/٤٨٦. حدثنا أبو داود قال: حدثنا الحكم أبو عثمان عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي».

(٦٦) تقريب التهذيب، ت: ١٤٦٠، ١/٢٣٢.

(٦٧) تهذيب التهذيب، ت: ١٥٣٠، ٢/٣٩١.

(٦٨) المسـتدرك على الصحيحين، الروايـة: ٢٢٩، ١/١٤٠. قال الحاكـم: «حدّثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا الحسن بن سهل بن عبدالعزيز المجوز والعباس بن الفضل الأسفاطي قالا، ثنا الخليل بن عمر بن إبراهيم، ثنا عمر بن سـعيد الأبح عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسـول الله: «الشَّفاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبائِرِ مِنْ أُمَّتي». فبجانب عمر بن حماد بن سعيد الأبح فإن هذه الرواية جاءت كذلك من طريق سعيد بن أبي عروبة الذي قد تُكلم فيه، وكذلك من طريق قتادة المدلس وقد عنعن هنا.

(٦٩) قال ابن حجر: «وعمر بن سـعيد (البصري) هذا هو؛ عمر بن حماد بن سـعيد (لسـان الميـزان، ت١٧٢٧/ ٦٠٧٨، ٤/ ٣٥٤-٣٥٥). فـي الأصل «عمر بن حماد بن سـعد» والصحيح «بن سعيد».

قـال ابن حجر: «عن سـعيد بن أبي عروبـة. قال ابن حبّـان: كان ممن يخطىء كثيراً، حتى اسـتحق الترك. وقال ابن عدي: منكـرُ الحديث.... قال البخاري: منكر الحديث»[٧٠].

❑ وجاءت هذه الرواية منسوبة إلى أنس بن مالك من طريق أبي جناب وزياد النميري عند أبي يعلى[٧١]، والشهاب[٧٢]، والإمام البخاري في التاريخ الكبير[٧٣].

أبو جناب هو يحيى بن أبي حية الكلبي الكوفي:

قال ابن حجر: «قال ابن سـعد: كان ضعيفاً في الحديث... وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيـى القطان يضعفه... وقال عبد الله بـن أحمد عن أبـيه: أحاديثه مناكير... وقال عبـد الله الدورقي عن ابن معين: ليس به بأس، إلا أنه كان يدلس...»[٧٤].

وأما زياد بن عبد الله النميري:

فقد قال عنه ابن حجر: «... قال أبو حاتـم: يكتب حديثه، ولا يحتـج به. وقال الآجري: سألت أبـا داود عنه فضعفه... وذكره ابن حبـان فـي الضعفـاء أيضاً، وقال: منكر الـحديث، يروي عن أنس أشـياء لا تشبه حديث الثقات، تركه ابن معين»[٧٥].

(٧٠) لسان الميزان، ت: ١٦٩٨/ ٩، ٦٠٤٩، ٤/ ٣٤٥.

(٧١) مسند أبي يعلى، الرواية: ٤٣٠٧.

(٧٢) مسند الشهاب، الرواية: ٢٣٧.

(٧٣) التاريخ الكبير، ٧/ ١٢٥.

(٧٤) تهذيب التهذيب، ت: ٧٨٥٧، ١١/ ١٧٧ - ١٧٨.

(٧٥) تهذيب التهذيب، ت: ٢١٧٤، ٣/ ٣٣٠ - ٣٣١.

❑ وجاءت هـذه الرواية أيضاً من طريـق «بسـطام بن حـريث عن أشـعـث الحـداني عـن أنـس» عنـد أبـي داود[٧٦]، والحاكـم[٧٧]، والبيهقـي[٧٨]، والإمام أحمد[٧٩]، والشهاب[٨٠]، والإمام البخاري في التاريخ الكبير[٨١].

اختلف علماء الجرح والتعديل في أشـعث الحداني فقد قال ابن حجر في فتح الباري: «مختلف فيه»[٨٢].

وقال بدر الدين العيني: «... واختلف فيه، فقال الدارقطني: يعتبر به، ووثقـه النسـائي وليس له فـي البخـاري إلا هـذا الموضـع تعليقـاً ومتابعـة»[٨٣].

وأما بسطام بن حريث فقد قال عنه الذهبي: «مجهول الحال»[٨٤].

من هذا فلا يصـح الاعتماد على هـذه الرواية التي جـاءت من طريق مجهول الحال وشخص اختلف فيه علماء الجرح.

❑ وجـاءت هذه الرواية منسـوبة إلـى أنس بن مالك من طريـق عروة بن

---

(٧٦) سنن أبي داود، الرواية: ٤٧٣٩، ص٧٤٦.
(٧٧) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٢٣٠، ١/ ١٤٠.
(٧٨) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ٢١٢٣٤، ١٥/ ٢٤٩.
(٧٩) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٣٢٥٤، ص ٩٣٠.
(٨٠) مسند الشهاب، الرواية: ٢٣٦.
(٨١) التاريخ الكبير، الرواية: ٢/ ١٢٦.
(٨٢) فتح الباري، ١١/ ٢٥٦.
(٨٣) عمدة القاري، ٢١/ ٣٢١.
(٨٤) ميزان الاعتدال، ت: ١١٧٠، ١/ ٣٠٩.

مـروان العرقي[٨٥] عند الطبراني[٨٦]،[٨٧]، وعبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان[٨٨].

عروة بن مروان العرقي:

قال ابن حجر: «... وقال الدارقطني: كان أمياً، ليس بالقوي في الحديث...»[٨٩].

❑ وجاءت هذه الرواية منسـوبة إلى أنس من طريق روح بن المسـيب أبي رجاء الكلبي عند الطبراني[٩٠]،[٩١].

روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي:

قال ابن حجر: «... قال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة. وقال ابن مَعِيْنٍ: صويلح. وقال ابن حِبّـان: يروي الموضوعات عن الثِّقـات، لا تحل الرواية عنه... وقال أبو حَاتِمٍ الرّازي: هو صالح، ليس بالقوي...»[٩٢].

* * *

(٨٥) جاء في سند الرواية «الرقي» والصواب «العرقي» كما هو موضح في (لسان الميزان، ت: ٥٦٠٤، ٤/ ١٨٩)

(٨٦) المعجم الكبير، الرواية: ٧٤٩. سند الرواية: «حدثنا خير بن عرفة المصري، ثنا عروة بن مروان الرقي، ثنا ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن أنس...».

(٨٧) المعجم الصغير، الرواية: ٤٣٩، ١/ ١٧٦.

(٨٨) طبقات المحدثين بأصفهان، الرواية: ٨٨٣، ٢/ ١٥٩. قال ابن حيان: «حدثني أبو مسـلم نوح بن منصـور، قال: ثنـا يونس بن عبدالأعلـى، قال: ثنا عـروة العرقـي، قال: ثنا ابن المبارك، عن عاصم الأحول، عن أنس بن مالك، قال: قال رسـول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

(٨٩) لسان الميزان، ت: ٥٦٠٤، ٤/ ١٨٩ - ١٩٠.

(٩٠) المعجم الأوسـط، الرواية: ٩١٧٧، ٦/ ٣٩٣. سـند الرواية: «... حدثنا مورع بن عبدالله أبو ذهل المصيصي، نا الحسـن بن عيسـى الحربي، ثنا روح بن المسـيب، عن يزيد الرشك، عن أنس بن مالك...».

(٩١) المعجم الصغير، الرواية: ١٠٧٣، ٢/ ٣٨٧.

(٩٢) لسان الميزان، ت: ٣٤٠٩، ٢/ ٥٧٧.

رواية منسوبة إلى الصحابي جابر بن عبد الله:

☐ وقد نسبت هذه الرواية إلى الصحابي جابر بن عبد الله من طريق عمرو بن أبي سلمة وزهير بن محمد كما جاء ذلك عند الحاكم[٩٣]، وابن حبان[٩٤].

عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبو حفص الدمشقي:

قال ابن حجر[٩٥]: «... قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ضعيف، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال العقيلي: في حديثه وهم... وقال الساجي: ضعيف، وقال أحمد: روى عن زهير أحاديث بواطيل...».

زهير بن محمد التميمي، أبو المنذر الخراساني المروزي لم يسلم من التضعيف.

فقد قال ابن حجر: «... قال البخاري: ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح. وقال الأثرم عن أحمد في رواية الشاميين عن زهير: يروون عنه مناكير... وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بالقوي. وقال في موضع آخر ليس به بأس، وعند عمرو بن أبي سلمة ـ يعني التنيسي ـ عنه مناكير... وقال الحاكم أبو أحمد: في حديثه بعض المناكير...»[٩٦].

---

(٩٣) المستدرك على الصحيحين، الرواية٢٣١، ١/ ١٤٠.

(٩٤) صحيح ابن حبان، الرواية: ٦٤٦٧، ١٤/ ٣٨٦.

(٩٥) تهذيب التهذيب، ت: ٥٢٣٥، ٨/ ٣٧-٣٨.

(٩٦) تهذيب التهذيب، ت: ٢١٣٤، ٣/ ٣٠٨-٣٠٩.

وقد روى عنه هنا عمرو بن أبي سلمة وهو شامي دمشقي، فروايته عنه بها المناكير كما قال الإمام البخاري.

❑ وجاءت هذه الرواية أيضاً من طريق «الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد العنبري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر» عند الحاكم[٩٧].

هذه الرواية ضعيفة لورودها من طريق الوليد بن مسلم بالعنعنة وهو مدلس تدليس التسوية[٩٨].

قال أبو الفداء عبدالله القاضي محقق (كتاب الضعفاء والمتروكين) لابن الجوزي: «... والوليد كان ثقة إلا أنه كان كثير التدليس فإذا قال:[٩٩] حدثنا أخبرنا، أنبأنا، فروايته صحيحة وإذا قال: قال، عن، حدث، أخبر فلا تقبل روايته»[١٠٠].

❑ وجاءت هذه الرواية عند ابن ماجه[١٠١] من طريق «... الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر...»، وهذا السند فيه الوليد بن مسلم الدمشقي المدلس تدليس التسوية وزهير بن محمد صاحب المناكير كما تبيَّن.

---

(٩٧) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٣٤٤٢، ٢/٤١٤.

(٩٨) تقريب التهذيب، ت: ٧٤٨٣، ٢/٢٨٩.

(٩٩) في الأصل: «كثير التدليس فإذا فإذا حدثنا».

(١٠٠) كتاب الضعفاء والمتروكين، ت: ٣٦٧١، ٣/ هامش ص١٨٧.

(١٠١) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٣١٠، ص٦٩٩، قال ابن ماجه: «حدّثنا عَبْدُالرَّحْمنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ. حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ. حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»».

❑ وجاءت هذه الرواية منسوبة إلى جابر بن عبدالله من طريق محمد بن ثابت عند الترمذي[١٠٢]، والحاكم[١٠٣]، والطيالسي[١٠٤].

قال ابن حجر: «محمد بن ثابت بن أسلم البناني، البصري، ضعيف»[١٠٥].

***

رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عباس:

❑ وجاءت هذه الرواية منسوبة إلى الصحابي ابن عباس من طريق ابن جريج بالعنعنة وعطاء بن السائب عند الطبراني في المعجم الكبير[١٠٦]، والمعجم الأوسط[١٠٧].

فابن جريج هو: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المكي.

(١٠٢) سنن الترمذي، الرواية: ٢٤٣٦، ص٥٧٩، قال الترمذي: «حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ بَشَّارٍ، أَخْبَرنَا أَبُو دَاودَ الطَّيَالِسِيُّ، عن محمد بنِ ثَابِتٍ البُنَانِيُّ، عن جَعْفَرِ بنِ مُحمَّدٍ، عن أَبِيهِ، عن جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله، قال: قال رَسُولُ الله: «شَفَاعَتِي لِاهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».
قالَ محمَّدُ بنُ عَلِيّ: فَقَالَ لِي جَابِرٌ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ فَمَا لَهُ وَلِلشَّفَاعَةِ.
قال أبو عِيسَى: هذا حديثٌ حسن غريبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ يُستغربُ من حديثِ جعفر بنِ مُحمدٍ».

(١٠٣) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٢٣٢، ١/ ١٤٠.

(١٠٤) مسند الطيالسي، الرواية: ١٦٧٠، ٢/ ٣١٣.

(١٠٥) تقريب التهذيب، ت: ٥٧٨٥، ٢/ ٦٠.

(١٠٦) المعجم الكبير، الرواية: ١١٤٥٤. نص الرواية: «حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبدالرحمن بن معاوية العتبي قالا: ثنا أبو الطاهر بن السرح قال: ثنا موسى بن عبدالرحمن الصنعاني حدثني ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد».

(١٠٧) المعجم الأوسط، الرواية: ٤٧١٣، ٣/ ٣١٩.

«فقيه الحجاز مشهور بالعلم والثبت، كثير الحديث، وصفه النسائي وغيره بالتدليس. قال الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح»(١٠٨).

وأما عطاء فهو: ابن السائب بن مالك الثقفي أبو السائب.

قال ابن حجر: «... قال أبو طالب عن أحمد: من سمع منه قديماً فسماعه صحيح، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء. سمع منه قديماً سفيان وشعبة... وقال أبو حاتم: كان محله الصدق قبل أن يختلط، صالح، مستقيم الحديث ثم بآخره تغير حفظه، في حفظه تخاليط كثيرة...وقال عبد الحق: سماع ابن جريج منه بعد الاختلاط...»(١٠٩).

❑ وجاءت رواية أخرى عند الإمام الطبري منسوبة إلى الصحابي ابن عباس.

قال الإمام الطبري: «حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨] فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فحرّم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته، فلم يؤيسهم من المغفرة»

أخرج هذه الرواية الإمام الطبري(١١٠).

---

(١٠٨) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٨٣، ص ٩٥.

(١٠٩) تهذيب التهذيب، ت: ٤٧٥٤، ٧/ ١٧٧ - ١٨٠.

(١١٠) تفسير الطبري، ٤/ ٣٠٤.

وذكرها واحتج بها السيوطي[١١١]، والشوكاني[١١٢]، وابن الجوزي[١١٣].

هذه الرواية المنسوبة إلى ابن عباس ضعيفة لورودها من قِبَل علي بن أبي طلحة الهاشمي، ومعاوية بن صالح الحضرمي، وعبدالله بن صالح الجهني.

علي بن أبي طلحة الهاشمي:

قال ابن حجر[١١٤]: «قال الميموني عن أحمد: له أشياء منكرات، وهو من أهل حمص... وقال دحيم: لم يسمع التفسير من ابن عباس...».

ومعاوية بن صالح الحضرمي:

فقد اختصر ابن حجر القول فيه بقوله: «صدوق له أوهام»[١١٥].

وأما عبدالله بن صالح بن محمد الجهني، فقد قال عنه ابن حجر: «صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة»[١١٦].

* * *

رواية منسوبة إلى الصحابي أبي الدرداء:

❑ وجاءت هذه الرواية عند البغدادي[١١٧] منسوبة إلى أبي الدرداء من

---

(١١١) الدر المنثور، ٢/ ٢٣٣.

(١١٢) تفسير الشوكاني، ١/ ٧٦١ من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

(١١٣) تفسير ابن الجوزي، ١/ ٣٨٤.

(١١٤) تهذيب التهذيب، ت: ٤٩٢٦، ٧/ ٢٨٨.

(١١٥) تقريب التهذيب، ت: ٦٧٨٦، ٢/ ١٩٦.

(١١٦) تقريب التهذيب، ت: ٣٣٩٩، ١/ ٥٠١.

(١١٧) تاريخ بغداد، ١/ ٤٣٣. قال البغدادي: «أَخْبَرَنَا الأَزْهَري والقَاضي أبو العَلَاء مُحَمَّد بن علي. =

طريق محمد بن سنان الشيزري صاحب المناكير[١١٨]، والحسن بن عبدالرحمن بن زريق وإبراهيم بن حيان بن طلحة اللذين لم أجد من ذكرهما في كتب التراجم التي بين يدي.

❃ ❃ ❃

رواية منسوبة إلى الصحابية أم سلمة:

❏ وجاءت هذه الرواية عند اللالكائي[١١٩] منسوبة إلى أم سلمة من طريق عمرو بن مخرم أبي قتادة الذي يروي البواطيل[١٢٠]، وقد قال ابن عدي بعد أن ذكر هذه الرواية: «وهذا عن ابن عيينة عن يونس بن عبيد باطل لا يرويه إلا عمرو بن مخرم هذا، وهذا الإسناد الثاني أيضاً، وبهذا الحديث غير محفوظ أيضاً»[١٢١].

❃ ❃ ❃

= قالا: أنبأنا أبو الفَتْح مُحَمد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن الطرسوسي قال: نبأنا الحَسَن بن عَبْد الرَّحمَن بن زريق بحمص قال: نبأنا مُحَمَّد بن سنان الشيزري قال: نبأنا إبراهِيم بن حيان بن طلحة قال: نبأنا شُعبة عن الحَكَم عن عَبْد الرَّحْمَن بن أبي ليلى عن أَبي الدرداء. قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي». قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أَبي الدرداء»».

(١١٨) لسان الميزان، ت: ٧٤٥٧، ٥/٢١٩.

(١١٩) قال اللالكائي: «أنا محمد بن عمر بن محمد بن حميد، قال: نا محمد بن عبيد الله بن العلاء الكاتب، قال: نا أحمد بن الهيثم، قال: نا عمرو بن مخرم، قال: نا ابن عيينة، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، قالت: قال لي النبي ﷺ: «اعملي ولا تتكلي، فإن شفاعتي للهالكين من أمتي» (شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة، الرواية: ٢٠٨٢، المجلد ٢/١٥١).

(١٢٠) الكامل في ضعفاء الرجال، ت: ١٣١٧، ٦/٢٦١.

(١٢١) الكامل في ضعفاء الرجال، ٦/٢٦١.

رواية منسوبة إلى الصحابي أبي موسى الأشعري:

❑ وقد نسبت هذه الرواية إلى الصحابي أبي موسى الأشعري عند ابن ماجه[١٢٢] من طريق أبي بدر شجاع بن الوليد بن قيس السكوني.

قال ابن حجر في التقريب: «صدوق ورع، له أوهام»[١٢٣].

وقال في التهذيب: «... قال وكيع: سمعت سفيان يقول: ليس بالكوفة أعبد منه... وقال أحمد بن حنبل: كنت مع يحيى بن معين فلقي أبا بدر فقال له: اتق الله يا شيخ، وانظر هذه الأحاديث، لا يكون ابنك يعطيك. قال أبو عبدالله: فاستحييت وتنحيت ناحية. وقال المروزي: فقلت لأحمد: ثقة هو؟ قال: أرجو أن يكون صدوقاً... وقال أبو حاتم: عبدالله بن بكر السهمي أحب إلي منه وهو شيخ ليس بالمتين لا يحتج بحديثه. وقال مطين:...كان ورعاً، كثير الصلاة... وقال أبو زرعة: لا بأس به... وقال أبو حاتم:... شجاع لين الحديث...»[١٢٤].

فأبو بدر وإن كان ثقة ولا بأس به في نفسه، إلا أنه ليّن في الحديث ولا يحتج بروايته.

❃ ❃ ❃

---

(١٢٢) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٣١١، ص٦٩٩، قال ابن ماجه: «حدّثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَدْرٍ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى. أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ».
وجاءت هذه الرواية أيضاً في مسند الإمام أحمد ولكن في سندها رجل مجهول؛ «حدثنا عبدالله ثنا أبي ثنا معمر بن سليمان الرقى أبو عبدالله ثنا زياد بن خيثمة عن علي بن النعمان بن قراد عن رجل عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال: ...». (مسند الإمام أحمد: الرواية: ٥٤٥٢)

(١٢٣) تقريب التهذيب، ت: ٢٧٥٨، ١/ ٤١٣.

(١٢٤) تهذيب التهذيب، ت: ٢٨٤٥، ٤/ ٢٨٥-٢٨٦.

رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عمر

❑ وجاءت هذه الرواية أيضاً عند أبي يعلى[١٢٥]، والطبراني في الأوسط[١٢٦]، وابن عبدالبر[١٢٧]، والبزار[١٢٨]، والبيهقي[١٢٩]، وابن أبي عاصم[١٣٠]، واللالكائي[١٣١]، منسوبة إلى الصحابي ابن عمر، وهي لا حجة فيها لورودها من قبل حرب بن سريج المنقري.

حَرْبُ بنُ سُرَيْج بن المُنذِر المِنقَرِي، أبو سُفْيَان البَصْرِي البَزّار:

قال ابن حجر: «قال أبو الوليد الطيالسي: كان جارنا، لم يكن به بأس، ولم أسمع منه. وقال أحمد: ليس به بأس. وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ينكر عن الثقات، ليس بقوي. وقال ابن عدي: ليس بكثير الحديث، وكل حديثه غريب وأفراد، وأرجو أنه لا بأس به... وقال البخاري: فيه نظر. وقال ابن حبان: يخطىء كثيراً حتى خرج عن حدّ الاحتجاج به إذا انفرد. وقال الدارقطني: صالح»[١٣٢].

---

(١٢٥) قال أبو يعلى: «حدثنا شيبان حدثنا حرب بن سريج المنقري حدثنا أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ قال: إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي. قال: فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ثم نطقنا بعد ورجونا» (مسند أبي يعلى، الرواية: ٥٨١٧).
وذكر هذه الرواية الضعيفة واحتج بها ابن كثير (تفسير ابن كثير، ٢/٣١٣)، والألوسي (تفسير الألوسي، ٣/٥٢)، والسيوطي(الدر المنثور، ٢/٣٠٢).

(١٢٦) المعجم الأوسط، الرواية: ٥٩٤٢، ٤/٢٦٦.

(١٢٧) التمهيد، ٧/٤٦ – ٤٧.

(١٢٨) مسند البزار، الرواية: ٥٨٤٠.

(١٢٩) الاعتقاد للبيهقي، ١/٣٠٥.

(١٣٠) السُّنَّة لابن أبي عاصم، الرواية: ٨٥٤، ١/٥٧٢.

(١٣١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، الرواية: ٢٠٠١، المجلد ٢/١٢٨.

(١٣٢) تهذيب التهذيب، ت: ١٢٣٢، ٢/٢٠٧.

وقال ابن حجر عنه في التقريب: «صدوق يخطئ»[١٣٣]

وقال ابن عدي: «ولحرب بن سريج أحاديث غير ما ذكرت وليس هو بكثير الحديث وكأن حديثه غرائب وإفرادات وأرجو أنه لا بأس به»[١٣٤].

من أقوال علماء الجرح والتعديل ندرك أن حرب بن سريج ليس بقوي ويخطئ في الرواية وإن كان في نفسه صالحاً لا بأس به.

❑ وجاء عند الطبري[١٣٥] رواية أخرى منسوبة إلى الصحابي ابن عمر.

قال الإمام الطبري: «حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا الهيثم بن حماد، قال: ثنا بكر بن عبدالله المزني، عن ابن عمر، قال: كنا معشر أصحاب النبيّ ﷺ لا نشكّ في قاتل النفس، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فأمسكنا عن الشهادة».

وذكر هذه الرواية واحتج بها السيوطي[١٣٦]، والرازي[١٣٧]، والسمرقندي[١٣٨]، والخازن[١٣٩]، وابن كثير[١٤٠].

هذه الرواية ضعيفة لورودها من قبل الهيثم بن حماد المجهول، فقد قال عنه الإمام الذهبي: «لا يعرف»[١٤١].

(١٣٣) تقريب التهذيب، ت: ١١٦٨، ١/ ١٩٣.
(١٣٤) الكامل في ضعفاء الرجال، ٣/ ٣٣٧.
(١٣٥) تفسير الطبري، ٥/ ١٢٦.
(١٣٦) الدر المنثور، ٢/ ٣٠٢.
(١٣٧) تفسير الرازي، ١٠/ ١١٢.
(١٣٨) تفسير السمرقندي، ١/ ٣٥٩.
(١٣٩) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.
(١٤٠) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣١٢.
(١٤١) ميزان الاعتدال، ت: ٩٢٩٧، ٤/ ٣٢١.

❑ وجاء عند ابن أبي حاتم[١٤٢] رواية أخرى منسوبة إلى ابن عمر، وهي لا حجة فيها لورودها من قبل صالح بن بشير بن وادع أبي بشر المري.

قال الحافظ ابن حجر: «... قال عبد الله بن علي بن المديني: ضعفه أبي جدّاً. وقال محمد بن عثمان بن أبي ثابت عن علي: ليس بشيء ضعيف ضعيف. وقال عمرو بن علي: ضعيف الحديث، يحدث بأحاديث مناكير عن قوم ثقات... وقال البخاري: منكر الحديث... وقال النسائي: ضعيف الحديث له أحاديث مناكير... وقال أبو أحمد الحاكم ليس بالقوي عندهم... وقال الدارقطني: ضعيف»[١٤٣].

❑ وجاء عند الإمام الطبري[١٤٤] رواية أخرى منسوبة إلى ابن عمر وهي ضعيفة لورودها من قبل عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبي حفص الدمشقي[١٤٥].

---

(١٤٢) قال ابن أبي حاتم: «حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحمٰن المقري، حدثنا عبد الله بن عاصم، حدثنا صالح يعني المري، أبو بشر عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا لا نشك فيمن أوجب الله له النار في الكتاب، حتى نزلت علينا هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ قال: فلما سمعناها كففنا عن الشهادة وأرجينا الأمور إلى الله ﷻ». (تفسير ابن أبي حاتم الرازي، الرواية: ٥٤٦٠، المجلد٣/٥٢).
وذكر هذه الرواية واحتج بها الإمام ابن كثير (تفسير ابن كثير ٢/٣١٢ - ٣١٣).

(١٤٣) تهذيب التهذيب، ت: ٢٩٤٣، ٤/٣٤٧-٣٤٨.

(١٤٤) قال الطبري في تفسيره: «حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: ثنا أبو معاذ الخراساني، عن مقاتل بن حيان، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول: إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة، حتى نزلت هذه الآية: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر والفواحش، قال: فكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا: قد هلك، حتى نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له». (وجاءت هذه الرواية عند تفسير الآية ٥٣ من سورة الزمر، ٢٤/١٦).

(١٤٥) انظر: ص٣٩ من هذا البحث.

❑ وجاءت رواية أخرى في كتب التفسير[١٤٦] منسوبة إلى الصحابي ابن عمر وهي ضعيفة وذلك بسبب ورودها من قبل المسيب بن شريك أبي سعيد التميمي الشقري الكوفي.

قال الذهبي: «قال يحيى: ليس بشيء. وقال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال مسلم وجماعة: متروك. وقال الدارقطني: ضعيف»[١٤٧].

❃ ❃ ❃

رواية منسوبة إلى الصحابية أسماء بنت عميس:

❑ وجاء عند ابن عبدالبر رواية أخرى منسوبة إلى الصحابية أسماء بنت عميس[١٤٨].

وتلك الرواية ضعيفة بسبب وجود حفص بن عمر بن ميمون في سندها. فقد قال ابن حجر عنه في التقريب: «ضعيف»[١٤٩].

---

(١٤٦) جاء عند الثعلبي: «المسيب بن شريك، عن مطرف بن الشخير قال: قال ابن عمر: كنّا على عهد رسول الله ﷺ إذا مات الرجل منّا على كبيرة شهدنا أنّه من أهل النار، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فأمسكنا عن الشهادات». (تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء)، وانظر: (تفسير أبي حيان الأندلسي، ٣/ ٢٨٠). و(تفسير البغوي، ١/ ٣٤٩). و(تفسير الخازن، من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء). و(تفسير الرازي، ١٠/ ١١٢). و(تفسير السمرقندي، ١/ ٣٥٩).

(١٤٧) ميزان الاعتدال، ت: ٨٥٤٤، ٤/ ١١٤.

(١٤٨) قال ابن عبدالبر: «حدثني أحمد بن محمد، حدثنا أحمد بن الفضل، حدثنا الحسن بن علي الرافقي، حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم، حدثنا حفص بن عمر بن ميمون القرشي، حدثنا ثور بن يزيد، عن هشام بن عروة، عن أسماء بنت عميس، أنها قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، فقال لها رسول الله ﷺ: «إذن تخمشك النار، فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه النار» (التمهيد، ٧/ ٤٦)

(١٤٩) تقريب التهذيب، ت: ١٤٢٦، ١/ ٢٢٨.

أقوال حول الرواية التي فيها: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي):

قال (صاحب عون المعبود): «**لأهل الكبائر من أمتي**»؛ أي: الذين استوجبوا النار بذنوبهم الكبائر فلا يدخلون بها النار، وأخرج بها من أدخلته كبائر ذنوبه النار ممن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. كذا في السراج المنير»[١٥٠].

فمن قراءاتنا حول هذه الرواية يظهر الآتي: -

أولاً: من كل ما سبق ذكره يتبيَّن لنا عدم ثبوت أي طريق من طرق هذه الرواية، وقد سجل هذه الحقيقة ابن كثير حيث قال: «وقد روى ابن مردويه من طرق عن أنس وعن جابر مرفوعاً: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف، إلا ما رواه عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» فإنه إسناد صحيح على شرط الشيخين. وفي الصحيح شاهد لمعناه وهو قوله ﷺ بعد ذكر الشفاعة: «**أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للخاطئين المتلوثين**»[١٥١].

الطريق التي أشار إلى صحتها ابن كثير - والتي جاءت من طريق «معمر عن ثابت» - ضعيفة كما تبيَّن[١٥٢].

وأما الرواية التي فيها: «أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للخاطئين المتلوثين»، فهي ضعيفة[١٥٣] فلا يصح نسبتها إلى الرسول ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١٥٠) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/ ٧١.

(١٥١) تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٦٨.

(١٥٢) انظر ص٣٣ من هذا البحث.

(١٥٣) انظر ص٤٥ من هذا البحث.

ثانياً: أما إخراج من أدخلته كبائر ذنوبه النار من النار، فهي فكرة ضعيفة مبنيَّة على روايات أسقطها منهاج الأمة الإسلامية. كما سيتبيَّن في هذا البحث إن شاء الله رب العالمين.

ثالثاً: قال الحاكم بعد أن ذكر هذه الرواية: «فإن هذه الشفاعة فيها قمع المبتدعة المفرقة بين الشفاعة لأهل الصغائر والكبائر. وله شاهد بهذا اللفظ عن قتادة، وأشعث بن جابر الحداني»(١٥٤).

لقد تبيَّن ضعف جميع الطرق التي حملت لنا هذه الرواية، فمن التحامل على منهج الأمة العادل وصف المتمسكين والمطبقين لقواعد العلوم الإسلامية بالابتداع في الدين.

رابعاً: قال الإمام الرازي بعد أن ذكر الرواية التي فيها «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»: «واعلم أن الإنصاف أنه لا يمكن التمسك في مثل هذه المسألة بهذا الخبر وحده، ولكن بمجموع الأخبار الواردة في باب الشفاعة»(١٥٥).

فمجموع الأخبار التي سجلتها الكتب حول الشفاعة لأهل الكبائر والتي أشار إليها الإمام الرازي هنا لا تُثبت معتقداً وذلك لضعف طرقها ولتناقض مدلولاتها مع العقيدة الإسلامية المبنية على ظواهر الآيات والصحيح الثابت من سُنَّة الرسول ﷺ، كما سيتبيَّن في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

* * *

خامساً: كون أصحاب الكبائر قد لا يدخلون النار فكرة لا أساس لها، وقد أقرَّ ابن القيم بهذه الحقيقة حيث قال: «ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس: أحدهما: في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها. وهذا

---

(١٥٤) المستدرك على الصحيحين، ١/ ١٤٠.

(١٥٥) تفسير الرازي، ٣/ ٦٣.

النوع لم أقف إلى الآن علـى حديث يدل عليه. وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول، فلا يدخلون. فلم أظفر فيه بنص»[١٥٦].

وهذا القول الذي ذكره ابن القيم هنا فيه تصويب لقول الشيخ القرضاوي الذي بالغ في ذكر الشـفاعة للمذنبين من غير ذكر لأي دليل يصح الاعتماد عليه، حيث قال فضيلة الشـيخ القرضاوي: «ليست الشفاعة كلها فيمن دخل النار مدة ثم أخرج منها، بل جلّ الشفاعة فيمن استحقوا أن يدخلوا النار فترة من الزمن، ثم شَفَّع الله فيهم الشافعين المقبولين، فقبل الله شفاعتهم، ونجوا من دخول النار.

فماذا يقول الدكتـور[١٥٧] في هؤلاء، وهم لا تنطبـق عليهم الآيات التي ذكرها؟»[١٥٨].

وقال فضيلته أيضاً: «والشفاعة الأخرى الثابتة بنصوص القرآن والحديث، هي الشفاعة للمذنبين، والمراد بالمذنبين: هم أهل الكبائر، سواء كانت هذه الكبائر فعل محظور كأكل الربا، وشـرب الخمر، والزنى أم ترك مأمور، مثل ترك الصلاة، ومنع الزكاة، والإفطار بلا عذر في شهر رمضان»[١٥٩].

---

(١٥٦) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ١٣/ ٧٧-٧٨.

(١٥٧) المقصود هنا: هو الدكتور مصطفى محمود صاحب كتاب (الشفاعة).

(١٥٨) الشـفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، ص٣٤. ومما قاله فضيلة الشـيخ القرضاوي أيضاً: «فقد ركب المعتزلة متن الشـطط، حين اجترؤوا علـى رد الأحاديث الصحيحة المسـتفيضة في إثبات الشـفاعة في الآخرة للرسـول عليه الصلاة والسلام، ولإخوانه الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين، في عصاة الموحدين، فيكرمهم الله تعالى بفضله ورحمته وشفاعة الشـافعين، فلا يدخلون النار أصلاً، أو يدخلونها ويخرجون منها بعد حين، ويكون مصيرهم إلى الجنة...». (الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، ص٤٥)

(١٥٩) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، ص٢٢.

كنا نتمنى من فضيلة الشـيخ الدكتور يوسـف القرضـاوي ذكر الآيات الكريمة والروايات الصحيحة المستفيضة ـ حسب قوله ـ والتي تثبت أقواله هذه والتي لم يظفر فيها بنص العلامـة ابن القيم. والروايات(١٦٠) التي ذكرها الشيخ القرضاوي لا دليل فيها وذلك لضعفها أو عدم صراحتها في موضوع الشـفاعة للمذنبين والعصاة وإن قـال هو بـ«قوة ثبوتهـا، ووضوح دلالتها، واستفاضتها عند علماء الأمة»(١٦١).

---

(١٦٠) الأحاديـث التي ذكرها الشـيخ القرضاوي (الشـفاعة في الآخرة بيـن النقل والعقل، ص٤٦ - ٤٧) قد ذكرناها في مواضعها من هذا البحث: ـ

«يخرج قوم من النار بشـفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين»، (انظر: ص٣٠٩ وما بعدها من هذا البحث).

«يخرج من النار قوم بالشـفاعة كأنهم الثعارير»، (انظر: هامش ص٢٩٥ وما بعدها من هذا البحث).

«يدخل الجنة بشـفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم»، (انظر: ص١٠٦ وما بعدها من هذا البحث).

«يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»، (انظر: ص١٠٦ وما بعدها من هذا البحث).

«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه».

هذه الرواية دعوة من رسول الله ﷺ إلى الإيمان الخالص الذي به ينال المسلم حظه من الشفاعة الكبرى يوم القيامة. (انظر: ص٢٩٥ وما بعدها من هذا البحث).

«لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله، أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ليس في هذه الرواية وعد لأصحاب الكبائر بشـفاعة الخروج من نار جهنم أو التجاوز عن ذنوبهم. هذه الرواية تشرحها وتبيِّن معناها رواية الشفاعة العظمى (انظر: ص٢٩٥ وما بعدها من هذا البحث).

«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار يخرج أقواماً قد امتحشوا ـ أي احترقوا ـ فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة...». هذه الرواية لم تسلم من نقد سـندها ومتنها (انظر ص٢٨٠ وما بعدها من هذا البحث).

(١٦١) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، ص٤٧.

ولعمر الحق فإن قول الشيخ القرضاوي حول الشفاعة الذي ذكره هنا ينقضه قوله الذي سطره في كتاب (التوبة إلى الله) في حق أحد من أصحاب الكبائر، حيث قال هناك: «فانظر إلى هذا الوعيد الهائل البالغ لهؤلاء الكاتمين، الذي يتضمن العذاب المادي: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]، والعذاب المعنوي: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٤] والخسران في صفقتهم، فقد ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، وما ذلك إلا لأنهم أضلوا عباد الله بكتمانهم الشهادة بالحق ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

من أجل هذا كانت التوبة[١٦٢] مطلوبة طلباً مؤكداً من هؤلاء حتى ينجوا من هذا العذاب، ومن لعنة الله ولعنة اللاعنين، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٥٩، ١٦٠].

---

(١٦٢) ومما قاله الشيخ الدكتور القرضاوي: «إن علم التوبة: علم مهم، بل ضروري، والحاجة إليه ماسة، وخصوصاً في عصرنا، وقد غرق الناس في الذنوب والخطايا، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، وتكاثرت عليهم المغريات بالشر، والمعوقات عن الخير، وتكالبت على صدهم عن سبيل الله، وإغرائهم بسبل الشيطان وسائل جهنمية، وأجهزة جبارة، تُقرأ وتُسمع وتُشاهد، وتؤثر بالصوت وبالصورة وبالنغم واللحن، وبالتمثيل والتهويل، وتعاونت على ذلك شياطين الإنس والجن، وأعداء الداخل والخارج، وساعد على ذلك الأنفس الأمارة بالسوء، وركونها إلى الدنيا، ونسيانها للموت، وللحساب، وللجنة والنار، وغفلتها عن ربها وخالقها الواحد القهار، فلا عجب إذا أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وفرطوا في حدود الله، وحقوق الناس، واستمرؤوا أكل أموال الناس بالباطل، ولم يبالوا بما كسبوا من مال: أكان من حلال أم من حرام» في الطريق إلى الله (٤ ـ التوبة إلى الله)، ص٨.

فاشترط في قبول توبتهم: أن يصلحوا ما أفسدوه، ويبيِّنوا ما كتموه.

وإذا كان هـذا جرم من كتم الحـق، فما بالكم بجرم من (شـوه الحق) وحاول أن يجعله في صـورة الباطل، ليصد الناس عنـه، ويزين لهم ضده، بلسانه أو بقلمه؟

لا ريـب أن جرمه أعظم، وذنبه أشـد خطراً، وهو ما يقـع فيه كثير من الكاتبين والمؤلفيـن والصحفيين والإذاعيين والفنانيـن والخطباء، وأمثالهم ممن يصنعون عقول الناس، وميولهم واتجاهاتهم.

ولا تصـح توبة هؤلاء بمجـرد الندم والعـزم، بل لا بـد أن (يصلحوا ويبيِّنوا)، لقد أفسـدوا كثيراً من العقول والضمائر، وضلَّلوا كثيراً من الناس، فعليهـم أن يزيلوا أسـباب هذا الإفسـاد من كتـب أو أشـرطة أو (أفلام) ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فإن لم يستطيعوا برئوا منها علانية في الصحف وغيرها من وسـائل الإعلام الممكنـة، وعليهم أن يبيِّنـوا بوضوح: موقفهم الجديد ورجوعهم عما كانوا عليه من قبل، في شجاعة ويقين[(١٦٣)]»[(١٦٤)].

فمن متطلبات المنهج: الوقوف أمام أصحاب الكبائر بفكر واحد لا يتغير مع امتداد الزمن وتباين المواقف والمناسـبات. فهؤلاء الذين يكتمون الحق ويشوِّهونه، حالهم هو حال من سعى في أرض الله فساداً من أصحاب الكبائر الأخرى، فلماذا إذاً لا يعرض الشـيخ القرضاوي عليهم الشفاعة وقد عرضها على غيرهم من العصاة بدخول الجنة قبل العذاب أو بعده؟.

وهذا التباين في الآراء ـ حتى ولو من كاتب واحد ـ منشـؤه التمسـك

(١٦٣) ومما قاله الشيخ القرضاوي في (الهامش ١ ص ٢٤ من كتاب التوبة) ما نصه: «كما فعل ذلك الدكتور مصطفى محمود والأستاذ خالد محمد خالد وآخرون ممن هداهم الله».

(١٦٤) في الطريق إلى الله (٤ ـ التوبة إلى الله)، ص ٢٣ ـ ٢٤.

بالمنهج تارة وعدم الرجوع إليه تارة أخرى. فكلما طبق أي كاتب المنهج المستقيم وصل إلى الحقيقة التي ذكرها الشيخ القرضاوي في جزاء الكاتمين للحق، وكلما ثقلت كفة الانتماءات المذهبية عند أي كاتب وصل إلى اعتماد روايات لا وزن لها في ميزان الأمة كما هو الحال في قضية الشفاعة لأهل الكبائر.

وكنا نتمنى من الدكتور القرضاوي أن يجعل قوله الذي سطره في كتاب (التوبة إلى الله) منهجاً ينطلق به في جميع كتبه، حيث قال هناك: «ولقد كان عمدتي ومرجعي الأول: كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، ثم ما جاء عن سلف الأمة. **وقد اجتهدت ألا أعتمد على حديث ضعيف في حكم أو توجيه**، وأن أبيِّن من أخرج الحديث ودرجته باختصار، فما لم يكن صحيحاً ولا حسناً لا آخذ به، ولو كان في الترغيب والترهيب، وإذا ذكرته فللاستئناس لا غير، أو أكون ناقلاً له عن غيري، مبيِّناً ضعفه غالباً»(١٦٥).

ومن المؤكد حقاً أن الشيخ القرضاوي لم يجهد نفسه في تتبع الروايات الواردة في الشفاعة لأهل الكبائر، بل أخذ بروايات ضعيفة لا وزن لها في ميزان الأمة العادل، وبروايات ليست نصاً في الشفاعة للمذنبين.

ولو طبق الدكتور القرضاوي المنهاج الذي أشار إليه في كتابه (التوبة إلى الله) على روايات الشفاعة لأهل الكبائر لوصل ـ بإذن الله تعالى ـ إلى يقين لا يخالطه شك أنه لا شفاعة لمن انتقل إلى الدار الآخرة بذنوب لم تمحها توبة نصوح مقبولة عند الله تعالى.

وكنا نتمنى من الشيخ الدكتور القرضاوي أن يتذكر قوله الذي سطره في صفحة أخرى من صفحات مؤلفاته حيث قال: «ألا ما أحوج الناس إلى نذير

(١٦٥) في الطريق إلى الله (٤ ـ التوبة إلى الله)، ص٩ ـ ١٠.

يصرخ فيهم: أن أفيقــوا من ســكرتكم، وانتبهوا من رقدتكــم، وثوبوا إلى رشــدكم، وتوبوا إلى ربكم، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم»(١٦٦).

فأين صرخات الدكتور القرضاوي التي يحتاجها أكلة الربى والزناة وأهل الخمــور لكي يفيقوا من ســكرتهم؟!. أم أنه يرى أن أصحــاب هذه الكبائر لا ينبغي تعكير صفو حياتهم بصرخات المنقذين وبأيدي المسعفين؟!.

أو لماذا يريد أن يصرخ فيهم وهو يرى لجلِّهم الشــفاعة والســلامة من العذاب قبل الدخول في النار؟!.

ونحن نسأل فضيلة الشــيخ الدكتور القرضاوي ـ حفظه الله تعالى ـ عن فائدة الأمر بالمعــروف والنهي عن المنكــر إذا كان جل أصحــاب الكبائر سيدخلون الجنة من غير عذاب في النار؟.

أليس قوله حول الشــفاعة لأهل الكبائر خلل كبير ينبغي له ولعلماء المسلمين رده بجهد لا يكل ولا يمل؟، كيف لا وهو القائل: «وأمتنا اليوم ـ إلا من رحم ربك ـ لا تأمر بالمعروف، ولا تنهى عن المنكر، بل فقدت حســها وميزانها، فرأت المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، بل بات فيها مــن يأمر بالمنكــر وينهى عــن المعروف، وغشــيتها فتنة تــذر الحليم حيران»(١٦٧).

نعم لقد فقدت أمة الإسلام في هذا العصر حســها، وصار ميزانها جائراً وظالماً حينما راجت في الأوساط فكرة الشفاعة لأهل الكبائر.

فمن ذا الذي سيترك المعاصي إذا كان مصيره الجنة مع التائبين؟!!.

---

(١٦٦) في الطريق إلى الله (٤ ـ التوبة إلى الله)، ص٨.

(١٦٧) أين الخلل؟، ص٥.

وفكرة «الشفاعة لأهل الكبائر» خلل كبير، وأثرها في حياة الناس ظاهر وقد بيّنه الشيخ القرضاوي بقوله: «الخلل في كلٍّ منّا، حيث يؤمن بالله ولا يطيع أمره. ويحب رسول الله ولا يتبع نهجه، ويريد الجنة ولا يسعى لها سعيها. ويخاف النار ويسلك سبيل أهلها، ويفخر بالانتساب إلى الإسلام ولا يعمل لنصرته»[١٦٨].

وما بحثي هذا إلا استجابة لما دعا إليه فضيلة الشيخ القرضاوي لأفراد هذه الأمة للتعمق في فهم عقيدتهم من خلال القراءة والفهم والتطبيق حيث قال فضيلته في مواضع عديدة: ـ

- «والعجب من أمة أول آية نزلت في كتابها: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ لا تحسن أن تقرأ، وإذا قرأت لا تحسن أن تفهم، وإذا فهمت لا تحسن أن تعمل، وإذا عملت لا تحسن أن تستمر!!»[١٦٩].
- «وينبغي للحركة الإسلامية أن تقف بين الحين والحين مع نفسها للتقويم والمراجعة، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مراً، والنقد وإن كان موجعاً، كما كان عمر ﷺ يقول: «رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوب نفسي»»[١٧٠].
- «ولكني أوافق كل الموافقة أن يكون لأهل الفكر حقهم في الاجتهاد، وهم مأجورون عليه، أصابوا أم أخطأوا وأنكر كل الإنكار مصادرة حقهم في حرية الرأي. كما أنكر الاتهام والتشنيع لمجرد إبداء رأي مخالف للمعهود. فرب رأي يرفض اليوم من الأكثرية، يغدو هو الرأي المقبول والسائد بعد مدة من الزمان»[١٧١].

---

(١٦٨) أين الخلل؟ ص٨٤.

(١٦٩) أين الخلل؟ ص٩.

(١٧٠) أين الخلل؟ ص٣١.

(١٧١) أين الخلل؟ ص٥٨.

- «والقضية خليقة أن تفرد بالعناية، وأن يمنحها رجال الفكر الإسلامي بعض وقتهم وجهدهم. وأحسب أني ممن ساهم فيها من قبل ببعض ما كتبت من كتب ومقالات. ولكن الجهد فيها ينبغي أن يستمر ولا يتوقف»[١٧٢].

فعلى رجال الفكر الإسلامي في هذا الوقت وفي كل وقت الالتزام التام بضوابط المناهج عند عرض حقائق هذا الشرع. فالقراءة المنهجية كفيلة بربط أجيال المسلمين بتعاليم دينهم، وربط سعيهم الدنيوي بمصيرهم الأخروي من غير اضطراب في الفكر.

ولله الحمد والمنة فقد سرت على المنهج الذي أشار إليه فضيلة الشيخ القرضاوي فكانت الحصيلة دعوة إلى التمسك بأهداب هذا الدين، وعدم الركون إلى فكرة **«الشفاعة لأهل الكبائر»** التي لا أصل لها في شرع الله تعالى.

ومن الأسباب التي جعلت فكرة **«الشفاعة لأهل الكبائر»** تتبختر في مشيها وانتشارها في أوساط المسلمين عبر القرون هي التي ذكرها الشيخ القرضاوي عند وصفه لحال الأمة الإسلامية، حيث قال: «إن طاقاتنا العقلية معطلة، لأننا نقلد ولا نجتهد، نحاكي ولا نبدع، ننقل ولا نبتكر، نحفظ ولا نفكر؛ أي: نستخدم تفكير غيرنا، ولا نفكر نحن لأنفسنا، سواء أكان ذلك الغير أسلافنا من الماضين، أم غيرنا من الحاضرين»[١٧٣].

وقال أيضاً: «ومن آفات الحركة الإسلامية غلبة الناحية العاطفية على الناحية العقلية العلمية»[١٧٤].

---

(١٧٢) أين الخلل؟، ص ٣.

(١٧٣) أين الخلل؟، ص ٧.

(١٧٤) أين الخلل؟، ص ٤٠.

نعم لقد عطلت الطاقات العقليــة، وكثر التقليد الأعمى، وغلبت العاطفة على المناهــج العلمية فكانت النتيجة أن انتشــرت روايات الشــفاعة لأهل الكبائر كالســرطان في أوســاط المجتمعات الإســلامية. فالحل لهذا الخلل العظيم هو تطبيق المناهج الإســلامية، وما أيسره وأسهله وأنجعه وأنفعه من ترياق.

✽ ✽ ✽

رواية: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) عذر أهل الفساد:

فهذه الرواية على ما فيها من ضعف استعان بمدلولها الفاسد أناس لأجل التمادي في بحبوحة الفســاد والإصرار على العيــش في وحل الذنوب. وقد تنبه ابن الجوزي إلى الآثار السيئة التي تنشئها هذه الرواية في قلوب العصاة من أفراد هذه الأمة حيث قال في كتــاب (تلبيس إبليس)(١٧٥): «... ومنهم من يقول: الرب كريم العفو واسع الرجاء من الدين، فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء، وهذا الــذي أهلك عامة المذنبين... ولقد دخلــوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له: تب إلى الله ﷻ. فقال: إياي تخوفون، حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشــي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»، أفترى لا أكون منهم.

قال المصنف رحمه الله: وخطأ هذا الرجل من وجهين:

أحدهما: أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب.

والثاني: أنه نســي أن الرحمــة إنما تكون للتائــب كما قال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

(١٧٥) تلبيس إبليس، ص ٣٤٥-٣٤٦.

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهذا التلبيس هو الذي يهلك عامة العوام، وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة».

وقال ابن الجوزي في مكان آخر من كتابه: «واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها، فمن أسبابها التوبة من الزلل، كما أنّ من رجا أن يحصد زرع، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، يعني: أن الرجاء بهؤلاء يليق، **وأما المصرّون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني»**[١٧٦].

وقال ابن الجوزي أيضاً في كتاب (صيد الخاطر): «وعموم العوام يبارزون بالذنوب اعتماداً على العفو وينسون العقاب. ومنهم من يعتمد: أني من أهل السُنَّة، أو أن لي حسنات قد تنفع، وكل هذا لقوة الجهل. فينبغي للإنسان أن يبالغ في معرفة الدليل ولا يساكن شبهته، ولا يثق بعلم نفسه نسأل الله السلامة من جميع الآفات»[١٧٧].

وقال ابن الجوزي أيضاً: «وقد انخرط جماعة ممن يتسم بالعلم في سلك المعاصي، لتحصيل أغراضهم العاجلة فما نفعهم العلم. ورأينا خلقاً من المتزهدين خالفوا لنيل أغراضهم؛ وهذا لأن الدنيا فخ والناس كالعصافير، والعصفور يريد الحبة وينسى الخنق. قد نسي أكثر الخلق مآلهم؛ ميلاً إلى عاجل لذاتهم، فأقبلوا يسامرون الهوى ولا يلتفتون إلى مشاورة العقل. فلقد باعوا بلذة يسيرة خيراً كثيراً، واستحقوا بشهوات

---

(١٧٦) تلبيس إبليس، ص٣٢٣.

(١٧٧) صيد الخاطر، ص٤١٧ - ٤١٨.

مرذولة عذاباً عظيماً. فإذا نزل بأحدهم الموت قال: ليتني لم أكن، ليتني كنت تراباً، فيقال له ألآن؟»(١٧٨).

وقال ابن القيم: «والفرق بين الرجاء والتمني أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز. والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ فطوى سبحانه بساط الرجاء إلا عن هؤلاء، وقال المغترون: إن الذين ضيعوا أوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما أسخطه وتجنبوا ما يرضيه، أولئك يرجون رحمته، وليس هذا ببدع من غرور النفس والشيطان لهم»(١٧٩).

وقال الحيدري: «وبذلك يتضح أنه لا ينبغي للإنسان المؤمن أن يمني نفسه بالعفو والمغفرة والشفاعة ونحوها من غير عمل يرجو به الخلاص والنجاة.

(قيل للإمام جعفر الصادق ﷺ: إن قوماً يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء يترجحون في الأماني ـ أي: مالت بهم عن الاستقامة ـ ، ليسوا راجين، إن من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه)»(١٨٠).

قال السيد عبدالحسين دستغيب: «... إذن يتضح أن لا خوف لدى الذي لا يفر من المعصية. ويتضح أن الذي لا يسعى ولا يجد في تحصيل أسباب

---

(١٧٨) صيد الخاطر، ٤١٤ ـ ٤١٥.

(١٧٩) الروح، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩. وانظر كذلك ما كتبه ابن القيم عن التمني والرجاء في كتاب (مدارك السالكين، ٢/ ٤٤ ـ ٤٥).

(١٨٠) الشفاعة، ص١٩٢، نقلًا من (الأصول من الكافي ٢/ ٦٨، الحديث ٥).

المغفرة ليس آملاً بالرحمة الإلهية، وهذه الجملة التي يقولها أيضاً: (الله كريم) أجراها الشيطان على لسانه فغرّه»[١٨١].

وقال الدكتور محمد راتب النابلسي: «فأكثر الناس يقول: لا تدقق فالله غفور رحيم، وهذا رجاء أبله... فالتفاؤل والرجاء دون توبة ودون استقامة تفاؤل أبله أحمق...»[١٨٢].

وقال محمد محمود الصواف: «بعض المذنبين من الناس إن كلّمته ناصحاً، أو زاجراً له عن الآثام رد عليك بأن رحمة الله واسعة، ونحن معتمدون على رحمة الله، وكرمه، وعفوه، وإحسانه، ونسي هذا المسكين أنه قد أهمل أمر الله، ونهيه وضيعهما فيما ضيع من أمور دينه، وغفل هذا المسكين من أن الله ﷻ كما أنه واسع المغفرة فهو تبارك وتعالى، شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند والمكابر.

قال معروف الكرخي: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عضو منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء، فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي.

وسأل رجل الحسن، فقال: يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟ فقال: والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف»[١٨٣].

---

(١٨١) الذنوب الكبيرة، ١/ ٩٦.

(١٨٢) موسوعة أسماء الله الحسنى، ١/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(١٨٣) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٤٣ - ٤٤.

فهذه الأقوال التي ذكرها ابن الجوزي، وابن القيم، والحيدري، والسيد عبدالحسين دستغيب، والدكتور النابلسي، ومحمد محمود الصواف هي القول الصائب؛ فعلى المتلبسين بأدران الذنوب التوبة والإنابة وترك الأماني المهلكة(١٨٤).

وهذا الالتفات من جانب هؤلاء العلماء فيه رد للفكرة الباطلة التي يتعلق بها أهل الكبائر السائرون إلى الآخرة من غير توبة. وفيه كذلك تصحيح لأقوال الكثير من العلماء الذين روَّجوا لهذه الرواية، وأمَّلوا العصاة بغفران الذنوب من غير توبة(١٨٥) وإنابة إلى الله تعالى.

قال الدكتور مصطفى محمود ـ في حواره مع الذين أصرّوا على فكرة الشفاعة لأهل الذنوب من غير توبة ـ : «وهل يريد الغاضبون والعاتبون أن يفعلوا ما يشاؤون من الذنوب والخطايا ويسترسلوا في ذنوبهم وآثامهم وشرورهم إلى آخر العمر ثم يموتوا دون توبة ويلفظوا أنفاسهم دون ندم ثم يريدون ساعة البعث أن يستقدموا رسولهم ليشفع لهم.. فإذا قلنا لهم: ضيعتم فرصتكم الوحيدة في التوبة في حياتكم.. ضجوا واحتجّوا ورمونا بالجهل

---

(١٨٤) ومن العجائب التي ذكرت عن أبي نواس ما جاء في كتاب (الوافي بالوفيات): «وقال عبدالله بن صالح الهاشمي: حدثني من أثق به، قال: رأيت أبا نواس في النوم، وهو في نعمة كبيرة، فقلت له: أبا نواس. قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأعطاني هذه النعمة. قلت: ومم ذاك وأنت كنت مخلطاً؟ فقال: إليك عني، جاء بعض الصالحين إلى المقابر في ليلةٍ من الليالي، فبسط رداءه، وصفَّ قدميه، وصلى ركعتين لأهل المقابر، قرأ فيهما ألفي مرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وجعل ثوابها لأهل المقابر؛ فغفر الله لأهل المقابر عن آخرهم، فدخلت أنا في جملتهم» (الوافي بالوفيات، ترجمة أبي نواس الحَسن بن هانىء بن عبدالأوّل بن الصَّبَّاح، أبو عليّ الحَكَمِيّ).

والله المستعان، كيف أصبحت هذه الرؤى دليلاً لكسب المغفرة لمن مات على ذنوبه؟!.

(١٨٥) انظر بعضاً من أقوالهم في ص١٧٣ من هذا البحث.

وجاؤوا بعشرات الأحاديث لعشرات من الرواة يقولون هذا وذاك من عجيب القول»[١٨٦].

وقـال الدكتـور مصطفى محمـود أيضاً: «وأنـا أعجب مـن الرافضين والمسـتنكرين فأنا مثلهم من أهل الذنوب ومحتاج لقشة أتعلق بها في هذا اليوم الذي تشـيب من هوله الولدان، ولكني لا أستطيع أن أخدع نفسي ولا أسـتطيع أن أحرّف معاني الآيـات القرآنية لأخرج منها بمـا يرتاح له قلبي ويشفي فزعي، فإن الحق أحق بأن يقال وأولى بأن يتبع وإن كان لا يصادف الهوى»[١٨٧].

وقال ابن عاشور: «وفي «صحيح البخاري» عن وهب بن منبه وكان كثير الوعظ للناس فقيـل له، إنك بوعظك تقنط الناس فقـال: «أأنا أقدر أن أقنط النـاس والله يقول: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمـر: ٥٣] ولكنكـم تُحبـون أن تُبشَّـروا بالجنـة علـى مسـاوي أعمالكم»...»[١٨٨].

وقد تنتقل نفوس العصاة مـن مرحلة اقتراف الذنوب على خوف ووجل وتأنيب للنفس الأمارة بالسـوء، إلى مرحلة يحس فيها العصاة بالنشـوة من كثرة ذنوبهم؛ لأنها حسب تصوراتهم المنحرفة سوف تضاعف حسناتهم بعدد سيئاتهم، ويعتمدون في ذلك على الضعيف من الأقوال.

فقد جاء عند الحاكم: «حدّثنا أبو العباس السـياري، ثنا أبو الموجه، ثنا عبدان قال: فأخبرنـي الفضل بن موسـى، عن أبي العنبس، عـن أبيه، عن

---

(١٨٦) الشفاعة، ص ٧٠ - ٧١.

(١٨٧) الشفاعة، ص ٧٤.

(١٨٨) تفسير ابن عاشور، ٢٤/ ٢٠١.

أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوام لَوْ أَكْثَروا مِنَ السَّيِّئاتِ»، قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ بَدَّلَ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ». أبو العنبس هذا سعيد بن كثير وإسناده صحيح ولم يخرجاه».

أخرج هذه الرواية الضعيفة الحاكم[١٨٩]، والثعلبي[١٩٠].

الإسلام يحارب هذه الأفكار التي جاءت في هذه الرواية، والدعوة الإسلامية مبنية على التطهر من أدران الذنوب بأنواعها لا الاستزادة منها والإصرار عليها.

وقد نقد متن هذه الرواية العلامة ابن القيم حيث قال في كتاب (طريق الهجرتين): «وأما حديث أبي هريرة فلا يثبت مثله، ومن أبو العنبس، ومن أبوه حتى يقبل منهما تفردهما بمثل هذا الأمر الجليل؟ وكيف يصح مثل هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، مع شدة حرصه على التنفير من السيئات، وتقبيح أهلها، وذمهم وعيبهم، والإخبار بأنها تنقص الحسنات وتضادها؟ فكيف يصح عنه ﷺ أنه يقول: «يتمنين أقوام أنهم أكثروا منها»؟ ثم كيف تمني المرء إكثاره منها، مع سوء عاقبتها، وسوء مغبتها؟ وإنما يتمنى الإكثار من الطاعات؟»[١٩١].

وقال الشيخ الشعراوي في وصفه لحال من أخذ بهذه الرواية: «...حتى وصل الحال ببعضهم أنْ يستكثر من السيئة طمعاً في أن تُبدَّل حسنات، لكن مَنْ يضمن له أن يعيش إلى أنْ يتوب، أو أنه إنْ تاب قَبِل الله منه؟»[١٩٢].

(١٨٩) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٧٦٤٣، ٤/ ٢٨١.
(١٩٠) تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ٧٠ من سورة الفرقان.
(١٩١) طريق الهجرتين، ص٢٧٩.
(١٩٢) تفسير الشعراوي، ١٧/ ١٠٥١٦. من تفسير الآية ٧٠ من سورة الفرقان.

وما كان لهذه الرواية أن تجد محلاً في نفوس المسـلمين لو أنهم علموا علم اليقين ـ بناء على الثابت من الأدلة ـ أن الذنوب الكبيرة مطية إلى النار الخالدة إذا أصرَّ أصحابها على الركوب عليها، وأن الشـفاعة للعصاة ليست مما يدعو إليه الإسـلام، وأن كل الروايات التي بُنيت عليها فكرة الشـفاعة لأهل الكبائر لا تقوم بها حجة في منهج الإسـلام، «وما أجدر العاقل بأخذ الحيطة وعدم الاغترار بهذه الأماني التي تشـبَّث بها أهل الكتاب، وحذَّر الله هذه الأمة من التشبث بها كما تشبثوا حيث قال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء ١٢٣]»[١٩٣].

ولم تقف رواية (شـفاعتي لأهل الكبائر) الضعيفة عنـد حدود الأماني والتمنيات فـي عالم العصاة والمصرّين، بل أثرت في رسـم سـبل معوجة لبعض من علماء التفسير الذين أخذوا بها وبغيرها من الروايات الضعيفة عند تفسيرهم لآيات الله الظاهرة الواضحة.

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: [البقرة: ٤٨].

«وهذه الآية وإن كان مخرجها عاماً فـي التلاوة، فإن الـمراد بها خاص فـي التأويـل لتظاهر الأخبـار عن رسـول الله ﷺ أنه قال: «شَـفَـاعَتِـي لأَهْلِ الكَبَـائِرِ مِنْ أُمّتـي».

وأنه قال: «لَـيْسَ مِنْ نبِـيّ إِلّا وَقَدْ أُعْطِيَ دَعْـوَةً، وَإِنّـي إِخْتَبَأْتُ دَعْوَتِـي شَـفَـاعَةً لامَّتـي، وَهِيَ نائلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ لا يُشْـرِكُ بـاللهِ شَيْئا». فقد

(١٩٣) الحق الدامغ، ص٢٠٢.

تبيَّن بذلك أن الله جلَّ ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين بشفاعة نبينا محمد ﷺ لهم عن كثير من عقوبة إجرامهم بينه وبينهم، وأن قوله: «وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ» إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله ﷻ»(١٩٤).

فمع اعتراف الإمام الطبري بعموم معنى الآية الكريمة إلا إنه استعان بهذه الرواية الضعيفة لأجل استثناء أهل الكبائر من هذا الوعيد الإلٰهي.

وهذا القول الذي ذهب إليه الإمام الطبري(١٩٥) وغيره هنا يرده القرآن الكريم ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ ، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

والمفسرون ـ ومنهم الإمام الطبري ـ سجلوا بأوضح عبارة أن الإنسان مؤاخذ بأعماله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فلا محاباة لأحد في ميزان الله العادل.

قال الطبري: «... أن كل من عمل سوءاً صغيراً أو كبيراً من مؤمن أو كافر، جوزي به. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لعموم الآية كل عامل سوء، من غير أن يخص أو يستثنى منهم أحد، فهي على عمومها إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول ﷺ»(١٩٦).

---

(١٩٤) تفسير الطبري، ١/٢٦٨.

(١٩٥) أقول هنا نفس العبارة التي قالها ابن العربي في كتابه (أحكام القرآن، ص٤٣٦) في حق الإمام الطبري: «... يَا لَهَا هَفْوَةٌ مِنْ عَالِمٍ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنِّي لَأَعْجَبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّ الَّذِي أَجْرَأَهُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُصَرِّحَ بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْهُ، هُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ...» (وانظر أيضاً تفسير القرطبي، ٥/١١٣).

(١٩٦) تفسير الطبري، ٥/٢٩٣.

وقال الشوكاني: «قوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] قيل: المراد بالسوء: الشرك، وظاهر الآية أعمّ من ذلك، فكلّ من عمل سوءاً؛ أي: سوء كان فهو مجزي به من غير فرق بين المسلم والكافر. وفي هذه الجملة ما ترجف له القلوب من الوعيد الشديد، وقد كان لها في صدور المسلمين عند نزولها موقع عظيم كما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة، قال: لما نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسدّدوا، في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها**»»[١٩٧].

وقال سيد قطب: «ثم يعقب السياق بقاعدة الإسلام الكبرى في العمل والجزاء.. إن ميزان الثواب والعقاب ليس موكولاً إلى الأماني. إنه يرجع إلى أصل ثابت، وسُنَّة لا تتخلف، وقانون لا يحابى. قانون تستوي أمامه الأمم ـ فليس أحد يمت إلى الله سبحانه بنسب ولا صهر ـ وليس أحد تخرق له القاعدة، وتخالف من أجله السنة، ويعطل لحسابه القانون.. إن صاحب السوء مجزى بالسوء؛ وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة. ولا محاباة في هذا ولا مماراة...

على أية حال لقد كانت هذه حلقة في إنشاء التصور الإيماني الصحيح عن العمل والجزاء. ذات أهمية كبرى في استقامة التصور من ناحية، واستقامة الواقع العملي من ناحية أخرى. ولقد هزَّت هذه الآية كيانهم، ورجفت لها نفوسهم، لأنهم كانوا يأخذون الأمر جداً. ويعرفون صدق وعد الله حقاً. ويعيشون هذا الوعد ويعيشون الآخرة وهم بعد في الدنيا»[١٩٨].

---

(١٩٧) تفسير الشوكاني، ١/ ٨٢١، من تفسير الآية ١٢٣ من سورة النساء.

(١٩٨) في ظلال القرآن، المجلد ٢/ ٧٦٢ - ٧٦٣.

وقال محمد محمود الصـواف: «وكلنا يعلم كذلك أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، فالعزيز اليوم بطاعته لله ذليل غداً بعصيانه إن هو عصاه. ومن سلك طريقاً إلى الله سلك الله به طريقاً إلى العز والرفعة والعلياء، وسلك به طريقاً إلى الحياة الرغيدة، والعيش الهنيء الطيب»(١٩٩).

وقال ابن كثيـر: «ولهذا قال تعالـى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] أي: ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله سـبحانه، واتباع ما شـرعه على ألسنة الرسل الكرام، ولهذا قال بعده: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾»(٢٠٠).

وقال محمد محمود الصواف: «ومن سنن الله الثابتة: أنه من سلك طريق الله واتبع دين الله، فقد فاز، ونجا، وسـاد، وقـاد، وإن كان عبداً زنجياً. ومن ترك هداية الله وسـلك طريق الشـيطان فقد حبط عمله، وهلك وضلّ ضلالاً بعيداً، وإن كان سـيداً قرشياً. تلك سُـنَّة الله، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً، ولن تجد لسُنَّة الله تحويلاً. وأنه ما نزل عذاب إلا بذنب ولا ارتفع إلا بتوبة»(٢٠١).

وقال الشـيخ ابن عثيمين ـ حينما تجرد من التبعات المذهبية وركن إلى كتاب الله تعالـى ـ : «وأما الظلم في الأعراض فيشـتمل الاعتداء على الغير بالزنى واللواط والقذف وما أشـبه ذلك. وكل الظلم بأنواعه محرم ولن يجد الظالم من ينصره أمام الله تعالى. قـال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]؛ أي أنه يوم القيامة لا يجـد الظالم حميماً؛ أي: صديقاً ينجيه من عذاب الله ولا يجد شفيعاً يشفع له فيطاع لأنه منبوذ بظلمه

(١٩٩) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٢٥.

(٢٠٠) تفسير ابن كثير، ٢/٣٩٧.

(٢٠١) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، ص٦.

وغشمه وعدوانه، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]»[٢٠٢].

فهذا القول البليغ الذي خطّته أنامل الشيخ ابن عثيمين مرتكز على آيات الله تعالى، وهو الحق الذي يرد الأفكار المذهبية الضعيفة المدعية للشفاعة لأصحاب الذنوب الكبيرة الذين خرجوا من هذه الدنيا من غير توبة مقبولة.

وقول الحق ـ الذي ذكره الشيخ ابن عثيمين حينما تجرد من الإملاءات المذهبية ـ فيه رد قوي على المروِّجين لـ(فكرة الشفاعة لأهل الكبائر) في هذا العصر من أمثال أبي الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي الذي قال: «فالعصاة الذين سيشفع فيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويخرجهم من النار، هم أصحاب كبار الذنوب كالقتل، والزنا، واللواط، والشرب، والسرقة، وأكل مال اليتيم، والتعامل بالربا، والدياثة، والسحر، والقذف، والحكم بغير ما أنزل الله، والكذب، وهجران المسلم، والغيبة، والنميمة، والكهانة، والعرافة، والمكس، وأمثال هذه القاذورات العظيمة، فأصحاب ذلك هم المخرجون من النار بشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وغيره من الشفعاء»[٢٠٣].

ليس لأقوال أبي الفتوح هنا أي اعتبار في ميزان الإسلام، والدليل هو الحق الذي جاء به القرآن الكريم وسُنَّة الرسول ﷺ الصحيحة. والحمد لله رب العالمين.

* * *

(٢٠٢) شرح الكبائر، ص ١٦١.

(٢٠٣) الشفاعة وأنواعها في السُّنَّة المطهرة، ص ٤٧.

آيات قرآنية تبيِّن مصير العصاة في الآخرة:

والذي ينبغي عرضه هنا أدلة أخرى من كتاب الله تعالى تثبت ما ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين من قول في حق الظالمين من أفراد هذه الأمة، وترد كلام أبي الفتوح الذي نقلناه عنهما أعلاه.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور ١٩]، ما يدحض أقوال القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر إن ماتوا على ذنوبهم.

قال الإمام الطبري: «إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدّقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم، لهم عَذَابٌ أليمٌ يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحدّ الذي جعله الله حدًّا لرامي المحصَنات والمحصَنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مُصِرّاً على ذلك غير تائب»(٢٠٤).

وقال الإمام الرازي: «والأقرب أن المراد بهذا العذاب ما استحقوه بإفكهم وهو الحد واللعن والذم. فأما عذاب الآخرة فلا شك أنه في القبر عذابه وفي القيامة عذاب النار...

المسألة الخامسة: الآية تدل على أن العزم على الذنب العظيم عظيم، وأن إرادة الفسق فسق، لأنه تعالى علّق الوعيد بمحبة إشاعة الفاحشة»(٢٠٥).

* * *

(٢٠٤) تفسير الطبري، ١٨/ ١٠٠.

(٢٠٥) تفسير الرازي، ٢٣/ ١٧٦.

﴾الوعيد الشديد لكل مطفف دليل قاطع على فساد فكرة العفو عن أصحاب الكبائر إذا ماتوا على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين ١-٦].

قال الشوكاني: «والمراد بالويل هنا: شـدّة العذاب، أو نفس العذاب، أو الشرّ الشديد، أو هو واد في جهنم»(٢٠٦).

وقال ابن عطية: «﴿وَيْلٌ﴾ معناه: الثبور والحزن والشقاء الأدوم»(٢٠٧).

وقـال ابن كثير: «ثم قـال تعالى: متوعداً لهـم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: ما يخاف أولئك مـن البعث والقيام بين يدي من يعلم السـرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟»(٢٠٨).

وقال الشـيخ السـعدي: «﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب وعقـاب... وإذا كان هذا الوعيد على الذين يبخسـون الناس بالمكيال والميـزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً وسـرقة، أولى بهذا الوعيد مـن المطففين... ثم توعـد تعالى المطففين وتعجب من حالهم وإقامتهـم على ما هم عليه، فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فالذي جرأهم على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا بـه، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك، وتابوا منه»(٢٠٩).

❁ ❁ ❁

---

(٢٠٦) تفسير الشوكاني، ٥/ ٥٣٠، من تفسير الآية ١ من سورة المطففين.

(٢٠٧) تفسير ابن عطية، ص١٩٥٦، من تفسير الآية ١ من سورة المطففين.

(٢٠٨) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٣٧.

(٢٠٩) تفسير السعدي، ص٨٧٤ - ٨٧٥، من تفسر الآيات ١ - ٦ من سورة المطففين.

والله جلَّ وعلا العادل في حكمه يخاطب عباده المؤمنين محذراً لهم سوء العاقبة إن هم أكلوا أموالهم بالباطل وسفكوا دماءهم عدواناً وظلماً، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۞ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

لم يعد الله تعالى المؤمنين إن هم عصوه بالشفاعة أو بالخروج من النار بعد أن يدخلوها.

قال الطبري عند تفسيره لهذه الآية: «﴿وَظُلۡمٗا﴾ يعني: فعلاً منه ذلك بغير ما أذن الله به، وركوباً منه ما قد نهاه الله عنه. وقوله: ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗا﴾ يقول: فسوف نورده ناراً يصلى بها فيحترق فيها»(٢١٠).

وقال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾ أي: ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه، معتدياً فيه، ظالماً في تعاطيه، أي: عالماً بتحريمه، متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗا﴾ الآية، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد»(٢١١).

* * *

وخاطب رب العزة والجلال عباده بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤].

---

(٢١٠) تفسير الطبري، ٥/ ٣٦.

(٢١١) تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٥٥.

قال الحافظ ابن حجر: «قولـه: وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ (الآية) فيه تلميح إلى تقوية قول من قال من الصحابة وغيرهم: إن الآيـة عامة في حق الكفـار والمؤمنين، خلافـاً لمن زعم أنها خاصة بالكفار... وفي تلاوة النبي ﷺ الآيـة دلالة على أنها نزلت في مانعي الزكاة، وهو قول أكثر أهل العلم بالتفسير»(٢١٢).

وقال الإمـام الطبري: «يعنـي بقوله: هي خاصة وعامـة: هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤدّ زكاة ماله منهم، وعامة في أهل الكتاب، لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا»(٢١٣).

وقال القرطبي: «... وقال أبو ذرّ وغيـره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين. وهو الصحيح»(٢١٤).

❃ ❃ ❃

وتوعَّد الله تعالى الآكلين لأموال اليتامى ظلماً بالنار المسعرة حيث قال في كتابـه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا﴾ [النساء ١٠].

قال الألوسـي عند تفسـيره لهذه الآية الكريمة: «وظاهـر الآية أن هذا الحكم عام لكل من يأكل مال اليتيم مؤمناً كان أو مشركاً»(٢١٥).

وقال الشيخ السعدي: «فـ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا﴾ أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوه في بطونهم ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ

---

(٢١٢) فتح الباري، ٤/١٢ - ١٥.
(٢١٣) تفسير الطبري، ١٢١/١٠.
(٢١٤) تفسير القرطبي، ٧٩/٨.
(٢١٥) تفسير الألوسي، ٤٢٦/٢.

سَعِيرًا﴾ أي: ناراً محرقـة متوقدة، وهذا أعظم وعيـد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر، نسأل الله العافية»[٢١٦].

فليس بعد هذا الوعيد الإلٰهي في حق أكلة أموال اليتامى أي ملجأ سوى التوبـة والإنابة ورد الحقوق إلـى أهلها. فحكم الله هـو النافذ في أصحاب الكبائر ولن تغنيهم الروايات الضعيفة المعارضة لهذا الحكم الذي قاله رب الآخرة والأولى.

والرواية التي ذكرها الإمـام الطبري[٢١٧] عن ابن زيـد والتي حمل فيها معنى الآية على أهل الشـرك هي رواية باطلة لا تقوم بها حجة لورودها من قبل رواية ابن وهب عن ابن زيد[٢١٨].

❋ ❋ ❋

ولقد بيَّن المولى جلَّ وعلا حكمه العادل في حق الطاعنين في أعراض المؤمنات حيث قال في كتابـه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور ٢٣].

قـال الإمـام الطبـري: «يقـول تعـالـى ذكـره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بـالفـاحشـة ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعنـي: العفيفـات ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عـن الفواحش ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بـالله ورسـوله، وما جـاء به من عنـد الله، ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(٢١٦) تفسير السعدي، ص١٤٨، من تفسير الآية ١٠ من سورة النساء.

(٢١٧) تفسير الطبري، ٢٧٣/٤. قال الطبري: «حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فـي قولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ قال: قال أبـي: إن هذه لأهل الشـرك حين كانـوا لا يورثونهم، ويأكلون أموالهم».

(٢١٨) انظر: ص٣٩٩ من هذا البحث.

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يقول: أُبْعِدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة. ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك عذاب جهنم... فكلّ رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جلّ ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته، فإن الله دلّ باستثنائه بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [آل عمران: ٨٩] على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأيّ صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية، وعلى أن قوله: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣] معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا»(٢١٩).

فلعنة الله على أصحاب هذه الكبيرة في الدنيا والآخرة، ولهم من الله عذاب عظيم إذا لم يتطهروا بتوبة نصوح.

فليحذر أصحاب الكبائر من وساوس الشيطان الذي لا يفتأ يزخرف الأباطيل ويلهي عن التوبة النصوح.

❋ ❋ ❋

والله جلّ في علاه بيّن عاقبة المصرّين على ذنوبهم من أفراد هذه الأمة، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

قال الطبري: «وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب، أو لمزه إياه، أو سخريته منه، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه»(٢٢٠).

---

(٢١٩) تفسير الطبري، ١٨/١٠٣-١٠٥.

(٢٢٠) تفسير الطبري، ٢٦/١٣٤.

وقال الشوكاني: «﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ عما نهى الله عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لارتكابهم ما نهى الله عنه، وامتناعهم من التوبة، فظلموا من لقبوه، وظلمهم أنفسهم بما لزمها من الإثم»(٢٢١).

قال أبو السعود: «... ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضعِ العصيانِ موضعَ الطاعةِ وتعريضِ النفسِ للعذابِ»(٢٢٢).

وقال الشيخ السعدي: «﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهذا هو الواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله والاستغفار، والمدح له مقابلة على ذمه. ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثَمَّ قسم ثالث غيرهما»(٢٢٣).

❃ ❃ ❃

وأمر الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].

قال القرطبي: «أي: حسناتكم بالمعاصي؛ قاله الحسن. وقال الزُّهْري: بالكبائر. ابن جريج: بالرياء والسمعة وقال مقاتل والثُّمَالِيّ: بالمَنّ؛ وهو خطاب لمن كان يمنّ على النبي ﷺ بإسلامه. وكله متقارب، وقول الحسن يجمعه. وفيه إشارة إلى أن الكبائر تحبط الطاعات، والمعاصي تخرج عن الإيمان... وعن أبي العالية كانوا يرون أنه لا يضر مع الإسلام ذنب؛ حتى نزلت هذه الآية فخافوا الكبائر أن تحبط الأعمال»(٢٢٤).

---

(٢٢١) تفسير الشوكاني، ٨٦/٥، من تفسير الآية ١١ من سورة الحجرات.

(٢٢٢) تفسير أبي السعود، ١١٧/٦.

(٢٢٣) تفسير السعدي، ص٧٦٧، من تفسير الآية ١١ من سورة الحجرات.

(٢٢٤) تفسير القرطبي، ١٦٨/١٦.

وقال الشوكاني: «والظاهر النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كائناً ما كان من غير تخصيص بنوع معين»(٢٢٥).

وقال ابن عاشور: «وكان بعض السلف يخشى أن يكون ارتكاب الفواحش مبطلاً لثواب الأعمال الصالحة ويحمل هذه الآية على ذلك»(٢٢٦).

* * *

والله الرؤوف الرحيم أمر عبده ورسوله ﷺ أن ينذر المؤمنين من ويلات يوم الحشر، يوم لا ينفعهم أحد إن لم يتقوا الله تعالى في هذه الدنيا، حيث قال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

قال الطبري: «﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ علماً منهم بأن ذلك كائن فهم مصدّقون بوعد الله ووعيده، عاملون بما يرضي الله، دائمون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله. ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ ﴾ أي: ليس لهم من عذاب الله إن عذّبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه. ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم، فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه»(٢٢٧).

* * *

والله العدل لم يحاب في حكمه أحداً ولو كان فرداً من أفراد أطهر بيت عرفته الإنسانية، حيث قال سبحانه وهو يخاطب نساء الرسول ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ

(٢٢٥) تفسير الشوكاني، ٥/ ٥٤، من تفسير الآية ٣٣ من سورة محمد.
(٢٢٦) تفسير ابن عاشور، ٢٦/ ١٠٧، من تفسير الآية ٣٣ من سورة محمد.
(٢٢٧) تفسير الطبري، ٧/ ٢٠٠.

ﭐلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، فلم يعدهن الله جل وعلا بالشفاعة والنجاة من العذاب إن هن أقدمن ـ وحاشاهن ـ على الفواحش، ولكن هو القانون النافذ على الجميع من غير محاباة لأحد.

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «لذلك بدأ الحق سبحانه التوجيه لنساء النبي بقوله: ﴿مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ...﴾ [الأحزاب: ٣٠] لكن الفاحشة أمر مستبعد، فكيف يتوقع منتهى الذنوب من نساء رسول الله؟ قالوا: ولم لا، وقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ...﴾ [الزمر: ٦٥]. ومعلوم أن رسول الله ليس مظنة الوقوع في الشرك، إذن: فالمعنى، يا محمد ليس اصطفاؤك يعني أنك فوق المحاسبة، كذلك الحال بالنسبة لنسائه: إنْ فعلَتْ إحداكن فاحشة، فسوف نضاعف لها العذاب، ولن نستر عليها لمكانتها من رسول الله، فإياكُنَّ أنْ تظننَّ أن هذه المكانة ستشفع لكُنَّ، وإلا دخلتْ المسألة في نطاق: إذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد، وإذا سرق الشريف تركوه. إذن: منزلة الواحدة منكُنَّ ليست في كونها مجرد زوجة لرسول الله، إنما منزلتها بمدى التزامها بأوامر الله»(٢٢٨).

❃ ❃ ❃

وأي شفاعة يرجوها العصاة المصرون على ذنوبهم والرسول ﷺ يأمره ربه أن يقول للعالمين: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأنعام: ١٥]؟.

قال الشوكاني: «أي: إن عصيته بعبادة غيره أو مخالفة أمره أو نهيه.

---

(٢٢٨) تفسير الشعراوي، ١٩/ ١٢٠١٠، من تفسير الآية ٣٠ من سورة الأحزاب.

والخوف: توقــع المكروه؛ وقيل: هو هنــا بمعنى العلــم؛ أي: إني أعلم إن عصيت ربي أن لي عذاباً عظيماً»(٢٢٩).

وقال الألوســي: «أي: بمخالفة أمره ونهيه أيُّ عصيــان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أوَّلياً»(٢٣٠).

ولقد بلغ الرسول ﷺ حكم الله النافذ على الرسل عليهم السلام وغيرهم إن هم عصوا أوامر الله تعالى، ولم يذكر شــفاعة ولا عفواً بل ذكر عذاباً في يوم عظيم.

فهذه الآية فيها الكفاية للرد على المروجين للروايات الضعيفة والأفكار الخاطئة التي جُعل منها معاليق لأوهام وأماني العصاة من أتباع هذه الأمة.

❀ ❀ ❀

ولقد لعن الله ســبحانه وتعالى الكاتمين للعلم النافع ولم يعدهم شفاعة ولا رحمة، فقــد قــال ســبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

قال الإمام الطبري: «وهذه الآية وإن كانت نزلت فــي خاصّ من الناس، فإنها معنــيّ بها كل كاتــم علــماً فــرض الله تعالــى بــيانه للناس. وذلك نظير الــخبر الذي رُوي عن رســول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سُــئِلَ عَنْ عِلْــمٍ يَعْلَــمُهُ فَكَتَــمَهُ، أُلْــجِمَ يَوْمَ الْقِــيَامَةِ بِلِــجَامٍ مِنْ نَارٍ»»(٢٣١).

---

(٢٢٩) تفسير الشوكاني، ٢/١٤٧، من تفسير الآية ١٥ من سورة الأنعام.

(٢٣٠) تفسير الألوسي، ٤/١٠٥.

(٢٣١) تفسير الطبري، ٢/٥٣.

وقال الشوكاني: «وفي هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يقادر قدره، فإن من لعنه الله، ولعنــه كل من يتأتى منه اللعن من عباده قد بلغ من الشــقاوة، والخسران إلى الغاية التي لا تلحق، ولا يدرك كنهها»(٢٣٢).

وقال الشــيخ الســعدي: «فالكاتم لما أنزل الله مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمســها ويعميهــا، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد»(٢٣٣).

وقال الإمام الرازي عند تفســير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٥]: «**المسألة الثالثة**: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية وإن نزلت في اليهود لكنها عامة في حق كل من كتم شــيئاً من باب الدين يجب إظهاره **فتصلح لأن يتمسك بها القاطعون بوعيد أصحاب الكبائر** والله اعلم»(٢٣٤).

نشــكر الإمام الرازي على هــذه الكلمات، ولكننا نتســائل: أوليس من الأولى له أن يتمسك بها كذلك؟.

فالكاتم لحكم الله تعالى الذي أنزله في كتابــه الكريم هو من أصحاب الكبائر وقد لعنه الله تعالى، وأخبر الله أن لعنه متكرر على ألسنة اللاعنين.

فأيُّ وعيد أشد من هذا الوعيد؟.

---

(٢٣٢) تفسير الشوكاني، ٣٠٢/١، من تفسير الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

(٢٣٣) تفسير السعدي، ص٦٢، من تفسير الآية ١٥٩ من سورة البقرة.

(٢٣٤) تفسير الرازي، ٢٦/٥.

وأين موقع الشفاعة المزعومة لأصحاب هذه الكبيرة هنا؟.

وهذه الآية تصلح لجميـــع أصحاب الكبائر، فكان علــى الإمام الرازي وغيره الأخذ بها وترك كل ما خالفها من روايات ضعيفة.

❀ ❀ ❀

فهذه الآيـــات الكريمة تخاطب المجتمع المســـلم وتبيِّــن له مصير من خالف أمر الله وتعـــدى حدوده، فليس للروايات الضعيفــة أيُّ وزن أمام هذا البيان الذي ينبغي للمســـلمين ترجمته في واقع حياتهـــم من غير ركون إلى الأماني الزائفة والأقوال الباطلة.

وقد بيَّن ابن عاشـــور الداء الذي انتقل إلى جسم هذه الأمة من موروثات الأمم السابقة، حيث قال: «أي إنّهم فعلوا ما فعلوا بسبب زعمهم أنّهم في أمان من العذاب إلّا أياماً قليلـــة، فانعدَم اكتراثهم باتّباع الحق؛ لأنّ اعتقادهم النجاة من عذاب الله علـــى كل حالٍ جَرّأهم على ارتكاب مثـــل هذا الإعراض. وهذا الاعتقاد مع بطلانه مؤذن أيضاً بســـفالة همّتهم الدينية، فكانوا لا ينافسون في تزكية الأنفس. وعبر عن الاعتقاد بالقول دلالة علـــى أنّ هذا الاعتقاد لا دليل عليه وأنّه قول مفترى مدلّس، وهذه العقيدة عقيدة اليهود، كما تقدم في البقرة.

وقولـــه: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمـــران: ٢٤] أي: ما تقوّلوه علـــى الدّين وأدخلوه فيـــه، فلذلك أتي بفي الدالـــة على الظرفية المجازية. ومـــن جملة ما كانـــوا يفترونه قولهـــم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْـــدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وكانوا أيضاً يزعمـــون أنّ الله وعد يعقوب ألّا يعذّب أبناءه».

وقد أخبر الله تعالى عن مفاسد هذا الغرور والافتراء بإيقاعها في الضلال الدائم، لأنّ المخالفة إذا لم تكن عن غرور فالإقلاع عنها مرجوّ، أما المغرور

فلا يترقّب منه إقلاع. وقد ابتلي المسلمون بغرور كثير في تفاريع دينهم وافتراءات من الموضوعات عادت على مقاصد الدين وقواعد الشريعة بالإبطال، وتفصيل ذلك في غير هذا المجال»[٢٣٥].

وقال سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى: «وبهذا تعلم أخي القارئ أن القول بتحول الفجار من العذاب إلى الثواب ما هو إلا أثر من آثار الغزو اليهودي للفكر الإسلامي، وقد تنبه لذلك العلامة الجليل السيد محمد رشيد رضا، فقال في مقدمة تفسيره لسورة البقرة من المنار: (القاعدة السادسة أن الجزاء على الإيمان والعمل معاً لأن الدين إيمان وعمل، ومن الغرور أن يظن المنتمي إلى دين نبي من الأنبياء أنه ينجو من الخلود في النار بمجرد الانتماء، والشاهد عليه ما حكاه الله لنا عن بني اسرائيل من غرورهم بدينهم، وما رد به عليهم حتى لا نتبع سننهم فيه...)»[٢٣٦].

فهذا الكلام الذي قاله ابن عاشور هنا هو تفسير قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقال الإمام الطبري: «فتأويل الكلام إذن: فتبدّل من بعدهم بَدَلُ سوْء، ورثوا كتاب الله: تعلّموه، وضيّعوا العمل به فخالفوا حكمه، يُرْشَوْنَ في حكم الله، فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الأدنى، يعني

(٢٣٥) تفسير ابن عاشور، ٣/٦٦.
(٢٣٦) الحق الدامغ، ص ١٩٠.

بـالأدنى: الأقرب من الآجل الأبعد، ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سـيغفر لنا ذنوبنا تـمنياً علـى الله الأبـاطيـل»[٢٣٧].

❊ ❊ ❊

فعلى المسلمين ترك الأماني الباطلة واتباع آيات الله تعالى التي خاطبت الرسول ﷺ وأهل بيته والمسلمين، ففي هذا النجاة في الآخرة والدنيا.

قـال ابن القيم: «والأمانـي الباطلة هـي رؤوس أمـوال المفاليس، بها يقطعون أوقاتهم ويلتذون بها، كالتذاذ من زال عقله بالمسكر، أو بالخيالات الباطلة. وفي الحديث المرفوع «الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسـه هواها، وتمنى على الله الأماني». ولا يرضى بالأماني عن الحقائق إلا ذوو النفوس الدنيئة الساقطة»[٢٣٨].

وقال الزمخشـري: «... يقال لأصحاب الأعراف: ادخلـوا الجنة، وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفونهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون.

وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال، وأن التقدم والتأخر على حسبها، وأن أحداً لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل، ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه، وليرغب السـامعون في حال السـابقين ويحرصـوا على إحراز قصبتهم، وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشرّ، فيرتدع المسيء عن إساءته، ويزيد المحسن في إحسانه. وليعلم أنّ العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملاً»[٢٣٩].

❊ ❊ ❊

(٢٣٧) تفسير الطبري، ٩/ ١٠٥.

(٢٣٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٣/ ١١٤ - ١١٥.

(٢٣٩) الكشاف، ٢/ ٨١، من تفسير الآية ٤٩ من سورة الأعراف.

رواياتٌ تُثبت أن الإنسان مؤاخذ بأعماله:

إن الناظر فـي الروايات الواردة عن الرسـول ﷺ فـي موضوع تحميل النفس العاملة تبعات أعمالها يدرك تمام الإدراك أن فكرة الشفاعة للمتلبسين بالذنوب يوم القيامة لا أصـل لها وتناقضها نصائح الرسـول ﷺ لأهل بيته وأصحابه وكافة المسلمين إلى يوم القيامة.

وإليك أخي القارئ هذه الطائفة من أقوال الرسول ﷺ: -

• روى الإمام مسلم[٢٤٠]: «وحدّثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيِّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَـنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْـرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ حِينَ أُنْـزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً. يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً»».

في هذه الرواية لم يعد الرسـول ﷺ أهل بيته الكرام الشـفاعة بل أعلن لهم كما أعلن لغيرهم أنه لا يغني عنهم شيئاً يوم القيامة.

❀ ❀ ❀

• وروى الإمام مسـلم: «وحدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُـولُ اللهِ ذَاتَ يَوْمٍ. فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّـمَ أَمْرَهُ. ثُمَّ قَالَ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ

(٢٤٠) صحيح مسلم، الرواية: ٢٠٦، ص ١٤٤.

يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ. يَقُولُ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَـيْئاً. قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ. فَيَقُولُ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً. قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ شَـاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ. يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَـيْئاً. قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، على رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ. فَيَقُولُ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَـيْئاً. قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُـمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ. فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً. قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ. فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً. قَدْ أَبْلَغْتُكَ»».

أخرج هذه الرواية الإمام مسـلم[٢٤١]، وابن حبـان[٢٤٢]، وأبو يعلى[٢٤٣]، والبيهقي[٢٤٤]، وابن راهويه[٢٤٥].

فالرســول ﷺ في هذه الرواية وغيرها يعلـن لـكل غاصـب ومتأثل لمال حرام أنه لا يملك له يوم القيامة من شـيء أمام العدالة الإلٰهيَّة؛ فلا شـفاعة ولا محاولة إغاثة، فقد صدق النذير ووقـع الحكم وجوزي كل بعمله.

❃ ❃ ❃

---

(٢٤١) صحيح مسلم، الرواية: ١٨٣١، ص٨٢٦.

(٢٤٢) صحيح ابن حبان، الرواية: ٤٨٤٧ و٤٨٤٨، ١١/١٨٢ - ١٨٥.

(٢٤٣) مسند أبي يعلى، الرواية: ٦٠٨٨، والرواية: ٦١٠٣.

(٢٤٤) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٨٥٧٩، ١٣/٤٠٨.

(٢٤٥) مسند إسحاق بن راهويه، ١/١١٦ - ١١٧.

• وروى الطبراني[٢٤٦]: «حدثنا أحمد بن عمرو الخلال المكي ثنا يعقوب بن حميد ح وحدثنا محمد بن العباس الأخرم الأصبهاني ثنا عبدالوهاب بن عبدالحكيم الوراق قالا: ثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه**»».

فالرسول الكريم ﷺ يحذِّر أمته من صغائر الذنوب التي إذا تراكمت على أصحابها فستكون مهلكة لهم، والعياذ بالله.

❃ ❃ ❃

• وروى أبو يعلى[٢٤٧]: «حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمر بن محمد عن عبدالله بن يسار عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، والديوث، والمرأة المترجلة، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة فثنى العاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»».

وأخرج هذه الرواية الحاكم[٢٤٨]، والبيهقي[٢٤٩]، والطبراني[٢٥٠]،[٢٥١]، والإمام أحمد[٢٥٢].

---

(٢٤٦) المعجم الكبير، الرواية: ٥٨٧٢.
(٢٤٧) مسند أبي يعلى، الرواية: ٥٥٥٩.
(٢٤٨) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٢٤٤، ١/ ١٤٤.
(٢٤٩) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ٢١٤٩١، ١٥/ ٣٣٣.
(٢٥٠) المعجم الكبير، الرواية: ١٣١٨٠.
(٢٥١) المعجم الأوسط، الرواية: ٢٤٤٣، ٢/ ٤٣.
(٢٥٢) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٦١٨٠، ص ٤٧٢.

في هذه الرواية لم يعد الرسـول ﷺ أصحاب هذه الذنوب بالشفاعة، بل توعدهم بعدم دخول الجنة وعدم رحمة الله تعالـى لهم. وكفى بهذا الإنذار رادعاً لأهل الكبائر وإسكاتاً للمروجين لفكرة الشفاعة في أوساط العصاة.

❁ ❁ ❁

• وروى الإمـام البخـاري: «حدَّثنا عبـدُ الرَّحمٰنِ بنُ المُبـارَكِ حدثنا حماد بنُ زيدٍ حدثنا أيوبُ ويُونُس عنِ الحسَـنِ عـنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ قال: ذَهبتُ لأنْصُرَ هذا الرَّجُلَ، فلَقِيَنـي أبو بَكرةَ فقال: أينَ تُريدُ؟ قلتُ: أنصُرُ هذا الرَّجُلَ: قال: ارْجِعْ، فإنّي سَـمِعْتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا الْتقَى المُسْلِمان بسَيْفَيْهما فالْقاتِلُ والمقتولُ في النار. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ هذا القاتِلُ، فما بالُ المقتول؟ قال: إنه كان حَريصاً على قتلِ صاحبِه**»».

أخرج هـذه الرواية الإمـام البخـاري[٢٥٣]، والإمـام مسـلم[٢٥٤]، وأبـو داود[٢٥٥]، والنسائي[٢٥٦]، وابن ماجه[٢٥٧]، والإمام أحمد[٢٥٨]، وابن حبان[٢٥٩]، والبيهقي[٢٦٠]، وغيرهم.

وهذه كبيرة أخرى من كبائر الذنوب بيَّن الرسـول ﷺ حكم فاعلها يوم القيامة ولم يبشره بشفاعة.

❁ ❁ ❁

---

(٢٥٣) صحيح البخاري، الرواية: ٣١، ص٣١. والرواية: ٦٨٧٥، ٦/١٢١٥. والرواية: ٧٠٨٣، ص١٢٥٢ - ١٢٥٣.

(٢٥٤) صحيح مسلم، الرواية: ٢٨٨٨، ص١٢١٠ - ١٢١١.

(٢٥٥) سنن أبي داود، الرواية: ٤٢٦٨، ص٦٦٩.

(٢٥٦) سنن النسائي الكبرى، الروايات: ٣٥٨٣ - ٣٥٨٩، ٢/٣١٥ - ٣١٦.

(٢٥٧) سنن ابن ماجه، الروايات: ٣٩٦٣ - ٣٩٦٥، ص٦٣٩.

(٢٥٨) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢٠٧١١، ص١٤٩٨، والرواية: ٢٠٧٩٣، ص١٥٠٤.

(٢٥٩) صحيح ابن حبان، الرواية: ٥٩٤٥، ١٣/٢٧٣. والرواية: ٥٩٨١، ١٣/٣١٩.

(٢٦٠) سنن البيهقي الكبرى، الروايات: ١٧١٣٠ - ١٧١٣١، ١٢/٣٦٦ - ٣٦٧.

• وروى الإمام مسلم: «حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»».

أخرج هذه الرواية الإمام مسلم(٢٦١)، والترمذي(٢٦٢)، والإمام أحمد(٢٦٣)، وابن حبان(٢٦٤)، والبيهقي(٢٦٥)، وأبو يعلى(٢٦٦).

❁ ❁ ❁

• وجاء في صحيح مسلم: «حدّثنا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ. جَمِيعاً عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ. قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْعَلَاءُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ مَوْلَى الْحُرَقَةِ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبٍ السَّلَمِيِّ عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»».

---

(٢٦١) صحيح مسلم، الرواية: ٢٥٨١، ص١١٠٢.

(٢٦٢) سنن الترمذي، الرواية: ٢٤١٨، ص٥٧٤ - ٥٧٥.

(٢٦٣) مسند الإمام أحمد، الروايات: ٨٠١٦، و٨٣٩٥، و٨٨٢٩.

(٢٦٤) صحيح ابن حبان، الرواية: ٧٣٥٩، ١٦/٣٥٩. والرواية: ٤٤١١، ١٠/٢٥٩ - ٢٦٠.

(٢٦٥) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١١٥٩٢، ٨/٤٩٠.

(٢٦٦) مسند أبي يعلى، الرواية: ٦٥٠٤.

أخرج هــذه الرواية الإمام مســلم[٢٦٧]، وابن حبــان[٢٦٨]، والدارمي[٢٦٩]، وغيرهم.

❁ ❁ ❁

• وجاء عند الإمام مسلم[٢٧٠]: «حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ خَرَشَــةَ بْنِ الحُرِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَــنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُــولُ اللهِ ثَــلَاثَ مِرَارٍ. قَــالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِــرُوا، مَــنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحلف الكاذب**»».

وأخرج هذه الرواية كذلك ابن حبان[٢٧١]، وأبو داود[٢٧٢]، والترمذي[٢٧٣]، وابن ماجــه[٢٧٤]، والدارمــي[٢٧٥]، والطيالســي[٢٧٦]، وابن أبي شــيبة[٢٧٧]، وغيرهم.

❁ ❁ ❁

---

(٢٦٧) صحيح مسلم، ١٣٧، ص١٠٩.

(٢٦٨) صحيح ابن حبان، الرواية: ٥٠٨٧، ١١/ ٤٨٣.

(٢٦٩) سنن الدارمي، ٢/ ٢٦٦.

(٢٧٠) صحيح مسلم، الرواية: ١٠٦، ص٩٨.

(٢٧١) صحيح ابن حبان، الرواية: ٤٩٠٧، ١١/ ٢٧٢.

(٢٧٢) سنن أبي داود، الرواية: ٤٠٨٧، ص٦٤٣.

(٢٧٣) سنن الترمذي، الرواية: ١٢١١، ص٣١٦.

(٢٧٤) سنن ابن ماجه، الرواية: ٢٢٠٨، ص٣٥٣.

(٢٧٥) سنن الدارمي، ٢/ ٢٦٧.

(٢٧٦) مسند الطيالسي، الرواية: ٤٦٧، ١/ ٢٤٣.

(٢٧٧) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٢٢٣٣٣، ٦/ ٢٥١.

• وجاء عند الإمام البخاري: «حدّثني بِشْـرُ بنُ مَرْحومٍ حدَّثنا يحيى بنُ سُلَيمٍ عن إِسـماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ عن أبي هريرةَ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «قال اللهُ: ثلاثـةٌ أنا خَصمُهمْ يومَ القِيَامـةِ: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غَدَر، ورجلٌ باعَ حُرّاً فأكلَ ثمَنَهُ، ورجلٌ اسـتأجَرَ أجِيراً فاسْـتوفى منهُ ولم يُعطِهِ أجرَه»».

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري[٢٧٨]، وابن حبـان[٢٧٩]، والبيهقي[٢٨٠]، وابن ماجه[٢٨١]، وأبو يعلى[٢٨٢]، وغيرهم.

❊ ❊ ❊

• وجاء عند الإمام مسـلم: «حدّثنا أَبُـو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَـيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَفَّانُ. حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ، ح وَحَدَّثَنِي إِسْـحَـقُ بْنُ مَنْصُـورٍ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا حَبَّانُ بْنُ هِـلَالٍ. حَدَّثَنَا أَبَانٌ. حَدَّثَنَا يَحْيَى: أَنَّ زَيْـداً حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْـرِ الْجَاهِلِيَّـةِ لا يَتْرُكُونَهُـنَّ: الْفَخْرُ فِـي الأَحْسَـابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْـقَـاءُ بِالنُّجُـومِ، وَالنِّيَـاحَـةُ». وَقَـالَ: «النَّـائِحَةُ إِذَا لَـمْ تَـتُـبْ قَبْـلَ مَوْتِهَا، تُـقَـامُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَب»».

---

(٢٧٨) صحيح البخاري، الرواية: ٢٢٢٧، ص٣٨٤، والرواية: ٢٢٧٠، ص٣٩٣.

(٢٧٩) صحيح ابن حبان، الرواية: ٧٣٣٩، ١٦/٣٣٣.

(٢٨٠) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١١١١٩، ٨/ ٣٢٠، والرواية: ١١٧٥٢، ٩/ ٤٢.

(٢٨١) سنن ابن ماجه، الرواية: ٢٤٤٢، ص٣٩١.

(٢٨٢) مسند أبي يعلى، الرواية: ٦٥٧٦.

أخرج هذه الرواية الإمام مسلم[٢٨٣]، والإمام أحمد[٢٨٤]، وابن حبان[٢٨٥]، والبيهقي[٢٨٦]، وأبو يعلى[٢٨٧]، والطبراني[٢٨٨]، وابن أبي شيبة[٢٨٩]، وعبد الرزاق[٢٩٠]، والحاكم[٢٩١].

أصحاب هذه الكبائر لم يبشرهم الرسول ﷺ بالشفاعة، بل حذرهم من القطران وبئس المصير.

❀ ❀ ❀

• وروى الإمام البخاري: «حدَّثنا محمدُ بن يوسفَ حدَّثنا سفيانُ عن منصورٍ عن إبراهيمَ عن عَلقمَةَ عن عبدِ الله قال: **«لَعَنَ اللهُ الواشِماتِ والموتشماتِ والمتَنَمِّصاتِ والمتفَلِّجات للحُسْن، المغيِّراتِ خَلقَ الله...»**.

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري[٢٩٢]، والإمام مسلم[٢٩٣]، وأبو داود[٢٩٤]،

---

(٢٨٣) صحيح مسلم، الرواية: ٩٣٤، ص٣٩٨.

(٢٨٤) مسند الإمام أحمد، الروايات: ٢٣٢٩١، ٢٣٢٩٢، و٢٣٣٠٠.

(٢٨٥) صحيح ابن حبان، الرواية: ٣١٤٣، ٧/ ٤١٣.

(٢٨٦) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ٧١٤١، ٥/ ٤٢٠.

(٢٨٧) مسند أبو يعلى، الرواية: ١٥٧٧.

(٢٨٨) المعجم الكبير، الرواية: ٣٤٢٥.

(٢٨٩) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ١٢٠٦٠، ٣/ ٢٦٤.

(٢٩٠) مصنف عبد الرزاق، الرواية: ٦٦٩٠، ٣/ ٢٣٧.

(٢٩١) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ١٤١٣، ١/ ٥٣٩.

(٢٩٢) صحيح البخاري، الرواية: ٤٨٨٦، ص٨٩٣. وكذلك الرواية: ٥٩٣١، ص١٠٧٠، والرواية: ٥٩٣٩، ص١٠٧١، والرواية: ٥٩٤٣، ص١٠٧٢، والرواية: ٥٩٤٨، ص١٠٧٢.

(٢٩٣) صحيح مسلم، الرواية: ٢١٢٤، ص٩٤٦.

(٢٩٤) سنن أبي داود، الرواية: ٤١٦٨، ص٦٥٤.

والترمذي[٢٩٥]، والنسائي[٢٩٦]، والإمام أحمد[٢٩٧]، وابن حبان[٢٩٨]، والبيهقي[٢٩٩]، وأبو يعلى[٣٠٠]، والطبراني[٣٠١]، والطيالسي[٣٠٢]، وابن الجعد[٣٠٣]، وابن أبي شيبة[٣٠٤].

❃ ❃ ❃

• وذكر الإمام النووي في (رياض الصالحين)[٣٠٥] تحت باب «جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين» جملة من أصحاب الكبائر ممن لعنهم الرسول ﷺ، حيث قال الإمام النووي: «وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»، وأنه لعن آكل الربا، وأنه لعن المصورين،... وأنه قال: «لعن الله من لعن والديه»...».

❃ ❃ ❃

• وذكر عكاشة عبدالمنان الطيبي في كتابه (هؤلاء لعنهم الله) مجموعة من المسلمين العصاة الذين طردهم الله تعالى في الدنيا والآخرة من

---

(٢٩٥) سنن الترمذي، الرواية: ١٧٥٩، ص ٤٤٠، والرواية: ٢٧٨٣، ص ٦٥١.

(٢٩٦) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ٩٣٧٦، ٥/ ٤٢١، والرواية: ٩٣٧٨، ٥/ ٤٢١.

(٢٩٧) مسند الإمام أحمد، الروايات: ٤١٢٩، و٤٢٢٩، و٤٣٤٣، و٤٣٤٤، و٤٤٣٤.

(٢٩٨) صحيح ابن حبان، الرواية: ٥٥٠٥، ١٢/ ٣١٥، والرواية: ٥٥٠٤، ١٢/ ٣١٣- ٣١٤.

(٢٩٩) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٥٠٨١، ١١/ ١٧٣ - ١٧٤.

(٣٠٠) مسند أبي يعلى، الرواية: ٥١٤٤.

(٣٠١) المعجم الكبير، الرواية: ١٠٣٠٩، والرواية: ٧٥٩٥.

(٣٠٢) مسند الطيالسي، الرواية: ١٨٢٦، ٢/ ٣٨٨.

(٣٠٣) مسند ابن الجعد، الرواية: ٧٣٨.

(٣٠٤) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٢٠٩٧٣، ٦/ ٧٦.

(٣٠٥) رياض الصالحين، ص ٩٢٩ - ٩٣٠.

رحمته[٣٠٦]. وهذا الكتاب قيّم في بابه لما فيه من بيان لمنزلة العصاة عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة، والقارئ لهذا الكتاب يدرك تمام الإدراك أن فكرة العفو عن أصحاب الكبائر من المسلمين من غير توبة زنيم لا أصل لها في مصادر الشريعة في الإسلام.

* * *

وقال السيد عبدالحسين دستغيب: «قال الرسول ﷺ: «**للزاني ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث منها في الآخرة... وأما التي في الآخرة فسخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار**»»[٣٠٧].

وقال السيد عبدالحسين دستغيب: «وعنه ﷺ: «**لا ينال شفاعتي غداً من أخر الصلاة المفروضة بعد وقتها**»[٣٠٨].

وقال السيد عبدالحسين دستغيب: «وعنه ﷺ: «**من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما وكان المغتاب خالداً في النار وبئس المصير**»»[٣٠٩].

* * *

فأصحاب الكبائر لم يبشرهم الرسول ﷺ بالشفاعة والتجاوز عن الذنوب بل أعلن في وجوههم اللعنة والطرد من رحمة الله إن لم يتوبوا إلى ربهم توبة تطهرهم قبل الممات.

---

(٣٠٦) قال عكاشة عبدالمنان عند تعريفه اللغوي لكلمة (لعن): «وقد قال الراغب في (المفردات): اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره». (هؤلاء لعنهم الله، ص ٥).

(٣٠٧) الذنوب الكبيرة، ١/ ١٦٤، نقلًا عن فروع الكافي ٥/ ٥٤١، باب الزاني، ح ٣.

(٣٠٨) الذنوب الكبيرة، ٢/ ١٦٠. نقلًا عن وسائل الشيعة ص ٨١، ح ١٣.

(٣٠٩) الذنوب الكبيرة، ٢/ ٢٣٠، نقلًا عن المكاسب، ١/ باب الغيبة، ص ١١٣.

وهــذه الروايات عــن رســول الله ﷺ، التــي ذكرناها هنــا وغيرها من الروايات، تنطــق بالأحكام الآتية في حق من عمــل كبائر الذنوب ولم يتب منها: ـ

- «النائحة إذا لم تتــب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها ســربال من قطران ودرع من جرب».
- «... لا يدخلون الجنة و... لا ينظر الله إليهم يوم القيامة».
- «من تردى من جبل فقتل نفســه فهو في نار جهنــم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبدا».
- «من تحســى سما فقتل نفسه فســمه في يده يتحســاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا».
- «من قتل نفســه بحديدة فحديدته في يده يجأ بهــا في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً».
- «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».
- «لعن الله الواشمات والموتشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله».
- «لا يدخل الجنة قتات».
- «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».
- «أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة».
- «فالجنة عليه حرام».
- «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

- «حرم الله عليه الجنة».
- «لم يدخل معهم الجنة».
- «فليتبوأ مقعده من النار».
- «ثم طرح في النار».
- «آيس من رحمة الله».

❁ ❁ ❁

وجميع أئمة الإسلام وعلمائه[٣١٠] حينما خاطبوا المسلمين بروح الإسلام حذروهم أيما تحذير من الوقوع في مزالق الكبائر، واستحثوا المذنبين إلى الإنابة والرجوع إلى الله قبل الممات وفوات الأوان. وهذا مما يدل على أن رواية «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» ـ وإن اشتهرت وانتشرت في أوساط المسلمين ـ فهي سراب بقيعة لا وجود لها في ميادين العلم والعمل التي أساسها آيات الله البينات والثابت الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ.

وأئمة آل البيت عليهم السلام هم من أشد الناس حرصاً على التمسك بأهداب هذا الدين وقد جاء عنهم التحذير من الوقوع في معاطب الزلل، وصرحوا بأبلغ عبارة أن لا شفاعة يوم القيامة لمن جاء ذلك اليوم بذنوب من غير توبة مقبولة عند الله تعالى. والروايات الآتية فيها المنهج الذي ينبغي لنا تطبيقه والعمل به ولأجله: ـ

(٣١٠) قال ابن القيم: «وأما الذوق الواجب فتناول الطعام والشراب عند الإضطرار إليه، وخوف الموت، فإن تركه حتى مات مات عاصياً قاتلاً لنفسه، قال الإمام أحمد وطاووس: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات، دخل النار». (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ١٨٤).

• قال ابن الجعد في الرواية الصحيحة عـن الإمام علي كرم الله تعالى وجهه: «حدثنا علي، أنا شـعبة، عـن قتادة قال: سـمعت أبا العالية قال: قال علي ﷺ: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، فأما اللذان في النار فرجل جار متعمداً فهو في النار، ورجل اجتهد، فأخطأ فهو في النار، أما الذي في الجنة فرجل اجتهد، فأصاب الحق فهو في الجنة. قال قتادة: فقلت لأبي العالية: ما ذنب هذا الـذي اجتهد، فأخطأ؟ قال: ذنبه أن لا يكون قاضياً إذا لم يعلم»[٣١١].

• قال الحيدري: «عن الإمام علي بن موسـى الرضـا ﷺ عن أبيه عن جده عن أبي جعفـر الباقر عليهم السـلام أنه قال لخيثمة: «أبلغ شـيعتنا أنا لا نغني من الله شيئاً، وأبلغ شـيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلا بالعمل، وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس يوم القيامة حسرة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره، وأبلغ شيعتنا أنهم إذا قاموا بما أمروا أنهم هم الفائزون يوم القيامة»»[٣١٢].

• وقال السـيد عبدالحسـين دسـتغيب: «وقال أيضـاً ﷺ: «**لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته فلا يرد علي الحوض لا والله ولا ينال شفاعتي من شرب المسكر لا يرد علي الحوض لا والله**»»[٣١٣].

---

(٣١١) مسـند ابن الجعد، الرواية: ٨٢٣. وجاءت هذه الرواية أيضاً في مصنف ابن أبي شـيبة (الرواية: ١٨٧٠٧، ٥/ ٣٥٥): «حدثنا أبو بكر قال: حدثنا شبابة بن سوار عن شعبة عن قتادة قال: سـمعت رفيعاً أبا العالية قال قال علي:...». هذه الرواية رأي الإمام علي كرم الله وجهه.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: «وفي السُـنن: القضاة ثلاثة: قاض في الجنة، وقاضيان في النار، رجل علم الحق وقضى به فهو فـي الجنة، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار». (تفسير ابن كثير، ٤/٥٧٧).

(٣١٢) الشفاعة، ص١٧٩.

(٣١٣) الذنوب الكبيرة، ١/ ٢٠٣، نقلًا عن وسائل الشيعة، ١٧/ ٢٦١، باب ١٥، ح١١.

• وقال السيد عبدالحسين دستغيب أيضاً: «عن الإمام الباقر عليه السلام: ما من رجل يشهد بشهادة زور على مال رجل مسلم ليقطعه إلا كتب الله له مكانه صكاً إلى النار»[٣١٤].

• وقال السيد كمال الحيدري: «قال ابن أبي عمير: فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى به؟.

فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك ويذم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «كفى بالندم توبة». وقال: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً»، والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

فقلت له: يابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً، والمصرّ لا يغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار»»[٣١٥].

---

(٣١٤) الذنوب الكبيرة، ١/ ٢٧١، نقلاً عن الكافي ٣٨٣/٧، باب شهد الزور، ح١.

(٣١٥) الشفاعة، ص٢٤٣، وعلق الحيدري على هذه الرواية بقوله: «وقوله عليه السلام: «ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة» ليس المراد التوبة المصطلحة لأنها بنفسها شفيعة منجية كما سيأتي، وإنما المقصود الرجوع إلى الله تعالى وإلى الدين فيكون مرضياً مستحقاً للشفاعة» (الشفاعة، ص ٢٤٤).

- قال السيد عبدالحسين دستغيب: «هناك بعض الذنوب الكبيرة يحرم صاحبها من الشفاعة وهذا ما صرحت به بعض الروايات، كالاستخفاف بالصلاة، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: لا تنال شفاعتنا من استخف بصلاته»[٣١٦].

- وقال السيد عبدالحسين دستغيب أيضاً: «وفي صحيحة أبي ولاد: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من قتل نفسه متعمداً فهو في نار جهنم خالداً فيها»[٣١٧].

- وقال السيد عبدالحسين دستغيب أيضاً: «أي: تتفرق أعمالهم الحسنة لانعدام الورع ولارتكابهم الحرام كالغبار في الهواء فلا تعود لهما أيُّ قيمة. يقول العلامة المجلسي في شرح الحديث: يدل هذا الحديث على حبط الطاعات والعبادات وزوالها بسبب المعصية»[٣١٨].

- وقال السيد عبدالحسين دستغيب أيضاً: «الشفاعة توجب الأمل لا الغرور:

يتضح مما مر أن موضوع الشفاعة لا يسبب الغرور والجرأة على المعصية، بل هو سبب لقوة الرجاء، ويشجع الشخص على التوبة والإنابة بأن يسعى للوصول إلى الدرجات الرفيعة عن طريق التوبة والإنابة والأعمال الصالحة على أمل شفاعة أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام قاصداً مقامات قرب رب العالمين»[٣١٩].

---

(٣١٦) الذنوب الكبيرة، ١/ ٢٠، نقلًا عن بحار الأنوار: المجلد ٣ باب الشفاعة.

(٣١٧) الذنوب الكبيرة، ١/ ١٠٤، نقلًا عن الوسائل: ١٣/١٩، باب ٥، ح١.

(٣١٨) الذنوب الكبيرة، ١/ ١٧.

(٣١٩) الذنوب الكبيرة، ١/ ٢٢.

فهذه الأقوال التي نقلناها عن الإمام علـي كرم الله وجهه وعن الإمامين الصادق والرضا تردُّ كل كتابات القائلين بالشـفاعة لأهل الكبائر، وتبيّن في سطور قليلة الحقيقة التي أظهرتها الروايات الصحيحة في حق من انتقل إلى الدار الآخرة بذنوب من غير توبة نصوح وإنابة إلى الله تعالى.

وبعد عرض رواية «شـفاعتي لأهل الكبائر من أمتـي» على منهج الأمة الإسلامية تبيّن لنا ضعف طرقها، ومناقضة متنها لما جاءت به آيات الله تعالى البينات ولما ثبت عن الرسـول ﷺ. وقد صرح الشـيخ المراغي في تفسيره بعدم ثبوت الشـفاعة لأهل الكبائر في القرآن الكريم حيث قال: «وإذاً فليس في القرآن الكريم نص قاطع في ثبوتها...»[٣٢٠].

فالتصور أن لأهل الكبائر شـفاعة لم يأت من طريق صحيحة تبنى عليها عقيدة ويؤسـس فوقها منهج حياة. فعلى العصاة الندم والإقلاع والعزم على عدم الرجوع إلى المعاصي ورد المظالم إلى أهلها، فعندئذ يُخلص الإنسـان في الدعـاء راجياً من الله تعالى قبول توبته وتسـديد خطـاه في ما بقي من حياته.

وفي القسمين الآتيين من هذا الفصل سنعرض إن شاء الله تعالى روايات أخرى احتج بها القائلون بالشفاعة لأهل الكبائر على منهاج الأمة الإسلامية العادل، والله المعين والموفق إلى كل خير.

(٣٢٠) تفسير المراغي، ١/ ٩٧ - ٩٨. وتتمة أقوال المراغي: «... ولكن جاء في السُنَّة الصحيحة ما يؤيد وقوعها كقوله ﷺ «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فمن كذب بها لم ينلها»»، هذه الرواية التي أشار إليها الشـيخ المراغي لا تقوم بها حجة لضعف طرقها كما تبيّن في هذا البحث.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

قال ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾: «ثم أخبر تعالى أن شفاعة الشافعين لا تنفعهم فتقرر من ذلك أن ثم شافعين، وفي صحة هذا المعنى أحاديث:...»(٣٢١).

وقال ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: - «ومعنى ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] أي: ليست ثم - وليس المعنى أنه يشفع فيهم أحد فيرد، وإنما نفى أن تكون ثم شفاعة على أحد ما هي في الدنيا، وأما الشفاعة التي هي في تعجيل الحساب فليست بنافعة لهؤلاء

---

(٣٢١) تفسير ابن عطية، ص١٩٢١، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر.

الكفرة في خاصتهم، وأما الأخيرة التي هي بإذن من الله تعالى في أهل المعاصي من المؤمنين فهي بعد أن أخذ العقاب حقه، وليس لهؤلاء المتوعدين من الكفار منها شيء»[٣٢٢].

هذه الآيات صريحة في نفي منفعة الشفاعة، وليس فيها دليل على إثبات الشفاعة لأي أحد. وذكر أنواع الشفاعات، وحصر المنتفعين بها في الآخرة اعتماداً على هذه الآيات إنما هو قفز بالأفكار بعيداً عن المدلولات الواضحة التي سجلتها هذه الآيات من التحذير من هول يوم القيامة الذي لا يقبل فيه فداء ولا يجازى فيه أحد عن أحد.

فليس هنا ذكر للشفاعة التي أُريد منها تعجيل الحساب، وليس هنا ذكر للشفاعة التي بمعنى إخراج أهل المعاصي من المسلمين من النار.

ولقد اعتمد ابن عطية هنا على مفهوم المخالفة وعلى روايات ضعيفة لأجل إثبات الشفاعة وإخراج العصاة من النار. وبالنظر في مدى صلاحية (مفهوم المخالفة) في إثبات المعتقدات، وبالنظر في حال الروايات التي ذكرها ابن عطية وغيره عند تفسير هذه الآيات الكريمة، نعرف أن هذه الآيات ليس فيها ما يشير إلى الشفاعة للعصاة من هذه الأمة.

ما مدى حجية مفهوم المخالفة؟

فهذا الأسلوب الذي اعتمده ابن عطية وغيره هنا في إثبات الشفاعة للعصاة يسمى عند الأصوليين بـ(مفهوم المخالفة) وهو ضعيف في الاستدلال، ولا يقوى لإثبات أمر عقدي، أو حكم فقهي.

وقد ذكر ابن عطية نفسه المنهج المتبع في التعامل مع (مفهوم المخالفة)، فقد قال في مواضع من تفسيره: ـ

---

(٣٢٢) تفسير ابن عطية، ص ١٣٠، من تفسير الآية ١٢٣ من سورة البقرة.

• «... وفي هذه الألفاظ التي لرسول الله ﷺ رفض إلزام دليل الخطاب، وذلك أن دليل الخطـاب يقتضي أن الزيادة على السبعين يغفر معها، فقال رسـول الله ﷺ «ولو علمت» فجعل ذلك مما لا يعلمه، ومما ينبغي أن يتعلم ويطلـب علمه مـن الله ﷻ، ففي هـذا حجة عظيمـة للقـول برفض دليل الخطاب»(٣٢٣).

• وقال أيضاً: «... واعلم أنه لا يغفر لهم دون حد في الاستغفار، وفي قول النبي ﷺ: «لو علمت أني لو زدت غفر لهم» نص على رفض دليل الخطاب»(٣٢٤).

• وقال في موضع آخر: «والفسق: الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة، كلها مظنة للكذب وموضع تثبت وتبيُّن، وتأنس القائلون بقبول خبر الواحد بما يقتضيه دليل خطاب هذه الآية، لأنه يقتضي أن غير الفاسـق إذا جاء بنبإ أن يعمل بحسـبه، وهذا ليس باسـتدلال قوي وليـس هذا موضع الكلام على مسألة خبر الواحد»(٣٢٥).

• وقال الإمام الـرازي: «وثالثها: هب أن قولـه: ﴿أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] يفيد التناهي، لكن دلالة هذا على الخروج دلالة المفهوم، والمنطوق دل على أنهم لا يخرجون. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] ولا شك أن المنطوق راجح»(٣٢٦).

---

(٣٢٣) تفسير ابن عطية، ص٨٦٨، من تفسير الآية ٨٠ من سورة التوبة.

(٣٢٤) تفسـير ابن عطية، ص ١٨٦٠ - ١٨٦١، من تفسـير الآية ٦ من سـورة المنافقون. قال ابن عطية قبل هـذه العبارة: «وفي حديث آخر: «لو علمت أني إن زدت على السـبعين غفر لهم لزدت»، فكأنه عليه الصلاة والسـلام رجا أن هذا الحد ليس على جهة الحتم جملة، بل على أن ما يجاوزه يخرج عن حكمـه، فلما فعل ابن أُبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله تعالى عليهم في هذه السورة...».

(٣٢٥) تفسير ابن عطية، ص١٧٤٢ - ١٧٤٣، من تفسير الآية ٦ من سورة الحجرات.

(٣٢٦) تفسير الرازي، ٣١/ ١٥.

وضرب الشيخ الشنقيطي الأمثلة التالية في توضيح معنى هذا المصطلح ومدى حجيته عند جمهور العلماء، حيث قال: ـ

- «... ولو سلمنا تسليماً جدلياً أن مثل هذه الآية[٣٢٧] يدخل في مفهوم اللقب، فجماهير العلماء على أن مفهوم اللقب لا عبرة به، وربما كان اعتباره كفراً كما لو اعتبر معتبر مفهوم اللقب في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ فقال: يفهم من مفهوم لقبه أن غير محمد ﷺ لم يكن رسول الله، فهذا كفر بإجماع المسلمين. فالتحقيق أن اعتبار مفهوم اللقب لا دليل عليه شرعاً ولا لغة ولا عقلاً، سواء كان اسم جنس، أو اسم عين، أو اسم جمع أو غير ذلك. فقولك: جاء زيد لا يفهم منه عدم مجيء عمرو. وقولك: رأيت أسداً، لا يفهم منه عدم رؤيتك لغير الأسد»[٣٢٨].

- «... الثاني: أن مفهوم التربة مفهوم لقب، وهو لا يعتبر عند جماهير العلماء، وهو الحق كما هو معلوم في الأصول»[٣٢٩].

- «... وأجيب من قبل الجمهور بأن مفهوم اللقب ليس بحجة...»[٣٣٠].

- «وإذا علمت ذلك فاعلم أن تخصيصه من يسبح له فيها بالرجال في قوله ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] يدل بمفهومه على أن النساء يسبحن له في بيوتهن لا في المساجد، وقد يظهر للناظر أن مفهوم قوله: رجال مفهوم لقب، والتحقيق عند الأصوليين أنه لا يحتج به»[٣٣١].

---

(٣٢٧) الآية التي يفسرها الشيخ الشنقيطي هنا هي الآية ٣١ من سورة الأحقاف.

(٣٢٨) تفسير الشنقيطي، ٧/ ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣٢٩) تفسير الشنقيطي، ٢/ ٣١، من تفسير الآية ٦ من سورة المائدة.

(٣٣٠) تفسير الشنقيطي، ٢/ ٣١.

(٣٣١) تفسير الشنقيطي، ٦/ ١٥٥.

فهذه الأقـوال وغيرها - من الأقوال التي قالهـا ابن عطية وغيره - تثبت عـدم اعتبار (مفهـوم المخالفـة) في الاحتجـاج[٣٣٢]، وتحكـم بخطأ قول ابن عطية حين قـال: «فتقرر من ذلك أن ثم شـافعين»، وقولـه أيضاً: «وأما الأخيرة التي هـي بإذن من الله تعالى في أهل المعاصـي من المؤمنين فهي بعد أن أخذ العقاب حقه»، فالآيات لا يفهم منها ثبوت شـفاعة لأحد، وهذا هو الحق الذي علينا الأخذ به.

الروايات التي احتج بها ابن عطية وغيره:

- وأشـار ابن عطية إلى روايات اعتبرها مؤيدة لما ذهب إليه، فقد ذكر الرواية الضعيفة التي فيها: «... فلا يبقى في النار من كان له إيمان»[٣٣٣].
- وذكر ابن عطية[٣٣٤] رواية منسـوبة إلى الحسـن البصـري[٣٣٥] وهي ضعيفة لورودها من قبل سعيد بن بشير الضعيف[٣٣٦] عن قتادة.

---

(٣٣٢) لمزيد من العلم حول (مفهوم المخالفة) راجع كتاب (طلعة الشمس) للإمام نور الدين السالمي رحمه الله، (١/ ٥٢٦ وما بعدها).

(٣٣٣) تفسـير ابن عطية، ص ١٩٢١، من تفسير الآية ٤٨ من سـورة المدثر. هذا النص الذي ذكره ابن عطية هنا جزء من رواية طويلة ذكرها ابن أبي شـيبة (مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٣٣٤٢٦، ٨/ ٦٧٨)، والحاكم (المسـتدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٥١٩، ٤/ ٥٤١ - ٥٤٣)، والطبراني(المعجم الكبير، الرواية: ٩٧٦١).
وهذه الرواية ضعيفة لورودها من قبل أبي الزعراء عبدالله بن هانئ الكندي الراوي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. (انظر: ص ٢٢٥ من هذا البحث)

(٣٣٤) تفسير ابن عطية، ص ١٩٢١، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر.

(٣٣٥) قال الإمام الطبري: «حدثنا بشـر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سـعيد، عن قتادة ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثـر: ٤٨] تعلمن أن الله يشـفع المؤمنين يوم القيامة. ذُكر لنـا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إنَّ مِنْ أُمَّتِي رجُلاً يُدْخِلُ اللهُ بِشَـفاعَتِهِ الجَنَّةَ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيم». قال الحسن: أكثر من ربيعة ومضر، كنا نحدّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته».(تفسر الطبري، ٢٩/ ١٦٧)

(٣٣٦) تقريب التهذيب، ت: ٢٢٨٣، ١/ ٣٤٩.

• وذكر الثعلبي(٣٣٧) رواية منقطعة الإسناد منسوبة إلى الحسن البصري، وهي لا تقوم بها حجة لورودها من قبل ابن فنجويه الذي قال عنه الذهبي: «... قال شيرويه في (تاريخه): كان ثقة صدوقاً، كثير الرواية للمناكير، حسن الخط، كثير التصانيف...»(٣٣٨). ولورودها كذلك من قبل أحمد بن جعفر بن حمدان الدنوري الذي «اختلّ في آخر عمره»(٣٣٩).

• وذكر الثعلبي رواية(٣٤٠) جاء فيها: «**من أمتي من سيدخل الله بشفاعته الجنة أكثر من مضر**».

وأخرج هذه الرواية أيضاً ابن ماجه(٣٤١)، وابن أبي شيبة(٣٤٢)، والحاكم(٣٤٣)،

---

(٣٣٧) قال الثعلبي: «وأخبرنا ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حمدان قال: حدّثنا ابن ماهان قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدّثنا حماد قال: حدّثنا ثابت عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: (**يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة أي ربي عبدك فلان سقاني شربة من الماء في الدنيا فشفّعني فيه، فيقول اذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس النار حتى يخرجه منها**).
وبإسناد عن حماد عن خالد الحذاء عن عبد الله ابن شفيق عن رجل من بني تميم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ليشفعن رجل من أمتي لأكثر من بني تميم**) «تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر».

(٣٣٨) سير أعلام النبلاء، ١٧/ ٣٨٤.

(٣٣٩) انظر ص ٣١١ من هذا البحث.

(٣٤٠) قال الثعلبي: «وأخبرنا الحسن قال: حدّثنا عمر بن نوح البجلي قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدّثنا عبد الله بن عمر قال: حدّثنا أبو معاوية قال: حدّثنا داود بن أبي هند عن عبد الله بن قيس الأسدي عن الحرث بن أقشن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من أمتي من سيدخل الله بشفاعته الجنة أكثر من مضر**). «تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر».

(٣٤١) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٣٢٣، ص ٧٠١.

(٣٤٢) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٢٧٤٣٧، ٧/ ٤٢٣.

(٣٤٣) المستدرك، الرواية: ٢٣٩، ١/ ١٤٣، والرواية: ٨٧٥٢، ٤/ ٦٣٥.

وأبو يعلى[٣٤٤]، وعبد بن حميد[٣٤٥]، وابن أبي عاصم[٣٤٦]، والطبراني في الكبير[٣٤٧]، وابن خزيمة[٣٤٨].

هذه الرواية التي أخرجها الثعلبي وغيره ضعيفة وذلك بسبب جهالة عبدالله بن قيس الأسدي النخعي، فقد قال ابن حجر في التهذيب: «قال علي بن المديني: عبدالله بن قيس الذي روى عنه داود بن أبي هند سمع الحارث بن وقيش، وعنه داود بن أبي هند مجهول لم يرو عنه غير داود، ليس إسناده بالصافي»[٣٤٩].

- وأخرج الترمذي رواية منسوبة إلى أبي سعيد الخدري من طريق عطية العوفي الضعيف[٣٥٠].

قال الترمذي: «حدَّثنا أبو عمار الحُسَيْنُ بنُ حُرَيْثٍ، أخبرنا الْفَضْلُ بنُ مُوسَى، عن زَكَرِيَّا بنِ أَبي زَائِدَةَ، عن عَطِيَّةَ، عن أَبي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ الله قالَ: **«إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلفِئَامِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ»**».

أخرج هذه الرواية الترمذي[٣٥١]، وابن خزيمة[٣٥٢]، والإمام أحمد[٣٥٣].

---

(٣٤٤) مسند أبي يعلى، الرواية: ١٥٨١.

(٣٤٥) منتخب عبد بن حميد، الرواية: ٤٤٣، ص ١٦٤.

(٣٤٦) الآحاد والمثاني، (ذكر الحرث بن أقش الأسدي ﷺ)، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٣٤٧) المعجم الكبير، الرواية: ٣٣٦٠.

(٣٤٨) كتاب التوحيد، الرواية: ٤٧١، ٢/ ٧٤٢.

(٣٤٩) تهذيب التهذيب، ت: ٣٦٦٢، ٥/ ٣٢٣.

(٣٥٠) انظر: ص ٢٤١ من هذا البحث.

(٣٥١) سنن الترمذي، الرواية: ٢٤٣٩، ص ٥٧٩.

(٣٥٢) كتاب التوحيد، الرواية: ٤٧٥ - ٤٧٦، ٢/ ٧٤٦ - ٧٤٧.

(٣٥٣) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١١١٦٥، والرواية: ١١٦٢٧.

واحتج بها الألوسي[٣٥٤].

• وأخرج الطبري[٣٥٥] رواية جاء فيها: «لا يبقى في النار إلا أربعة أو ذو الأربعة...»، وقد نسبت تلك الرواية إلى عبد الله بن مسعود.

وذكرها واحتج بها البروسوي[٣٥٦]، والبغوي[٣٥٧]، والثعلبي[٣٥٨]، والخازن[٣٥٩]، واللالكائي[٣٦٠].

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب أبي الزعراء[٣٦١] الراوي عن ابن مسعود.

• وجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ رواية تذكر خروج أناس من نار جهنم وهي رواية ضعيفة لورودها من قبل رجل مجهول بين الوليد بن مسلم وأبي الزبير.

فقد أورد البغوي[٣٦٢] في تفسيره: «أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا محمد بن

---

(٣٥٤) تفسير الألوسي، ٨/ ٤٥٣.

(٣٥٥) قال الإمام الطبري (٢٩/ ١٦٧): «حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عمي وإسماعيل بن أبي خالد، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، قال: قال عبد الله: لا يبقى في النار إلا أربعة أو ذو الأربعة. الشكّ من أبي جعفر الطبري ثم يتلو: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤١ ـ ٤٦]».

(٣٥٦) تفسير روح البيان، ١٠/ ٢٤١.

(٣٥٧) تفسير البغوي، ٤/ ٣٨٧.

(٣٥٨) تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر.

(٣٥٩) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر.

(٣٦٠) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنّة والجماعة، الرواية: ٢٠١١، ٢/ ١٣٠.

(٣٦١) انظر: ص ٢٢٥ من هذا البحث.

(٣٦٢) تفسير البغوي، ٣/ ٣٣٤.

الحســن اليقطيني أخبرنا أحمد بن عبدالله يزيد العقيلي حدثنا صفوان بن صالــح حدثنا الوليد بن مســلم حدثنا من ســمع أبا الزبير يقول: أشــهد لســمعت جابر بن عبدالله يقول: سمعت رســول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرجل ليقول في الجنة ما فعــل صديقي فلان؟ وصديقه فــي الجحيم فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾**. قال الحســن: اســتكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة».

وقد ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن الجوزي(٣٦٣)، والبروسوي(٣٦٤).

وجاءت رواية أخرى منسوبة إلى أنس بن مالك:

قال ابن ماجه(٣٦٥): «حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَــاشِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْــنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ: «**يُصَفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفــاً» وَقَــالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: أَهْــلُ الْجَنَّــةِ. فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّــارِ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا فُــلَانُ أَمَــا تَذْكُرُ يَــوْمَ اسْتَسْــقَيْتَ فَسَقَيْتُكَ شَــرْبَــةً؟ قَالَ: فَيَشْــفَعُ لَهُ. وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فَيَقُــولُ: أَمَا تَذْكُــرُ يَوْمَ نَاوَلْتُـــكَ طَهُوراً؟ فَيَشْــفَعُ لَهُ». قَــالَ ابْــنُ نُمَيْرٍ: «وَيَقُــولُ: يَا فُلَانُ أَمَــا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي فِي حَاجَةِ كَذَا وَكَذَا، فَذَهَبْتُ لَكَ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ**».

---

(٣٦٣) تفسير ابن الجوزي، ٣/ ٣٤٣.

(٣٦٤) تفسير روح البيان، ٦/ ٢٩٠.

(٣٦٥) سنن ابن ماجه، الرواية: ٣٦٨٥، ص٥٩٣ - ٥٩٤.

ذكر هذه الرواية واحتج بها القرطبي[٣٦٦]، والمنذري[٣٦٧]، والثعالبي[٣٦٨]، والبغوي[٣٦٩].

هــذه الرواية المنســوبة إلــى أنس بــن مالــك ضعيفة بســبب عنعنة الأعمش[٣٧٠]، وضعف يزيد الرقاشي[٣٧١].

- وجاءت هذه الرواية المنســوبة إلى أنس بن مالك عند أبي يعلى[٣٧٢] من طريق علي بن أبي سارة الشيباني الضعيف[٣٧٣].

فبســبب ضعف دلالة مفهوم المخالفة، وبســبب ضعف الروايات التي ذكرت أن ثَم شــفاعة للعصاة يوم القيامة يتبيَّن لنا عــدم صحة قول القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين.

فهذا هو الحق الذي أقرَّته مناهج الأمة الإســلامية العادلة التي لا تحابي أحداً.

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(٣٦٦) تفسير القرطبي، ٣/ ١٧٩.

(٣٦٧) الترغيب والترهيب، الرواية: ٢٥، ٢/ ٥٠.

(٣٦٨) تفسير الثعالبي، ٣/ ٨٦-٨٧، من تفسير الآية ٣٠ من سورة فاطر.

(٣٦٩) تفسير البغوي، ٤/ ٣٨٧، من تفسير الآية ٤٨ من سورة المدثر.

(٣٧٠) انظر: ص٢٥٧ من هذا البحث.

(٣٧١) قال ابن حجر في تقريــب التهذيب (ت: ٧٧١١، ٢/ ٣٢٠): «يزيد بن أبان الرقاشــي، أبو عمرو البصري... ضعيف».

(٣٧٢) مســند أبي يعلى، الرواية: ٣٤٩٣، قال أبو يعلى: «حدثنا روح بــن عبدالمؤمن حدثنا علي ابن أبي سارة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:...».

(٣٧٣) تهذيب التهذيب، ت: ٤٩٠٦، ٧/ ٢٧٦.

روايات أُستعين بها في تأييد فكرة الشفاعة لأهل الكبائر

وفي هذا القسم نذكر روايات أخرى جاءت عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وقد تكررت تلك الروايات عند القائلين بـ(فكرة الشفاعة لأهل الكبائر) من غير توبة قبل الممات.

الرواية التي فيها: (الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله).

جاءت هذه الرواية في كتب الحديث منسوبة إلى أم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وسلمان الفارسي، وأبي هريرة ﷺ، ومنسوبة كذلك إلى قتادة والحسن البصري.

جاءت هذه الرواية في مسند الإمام أحمد، وعند الحاكم، وابن أبي حاتم، والطيالسي، والبزار، والطبراني، وعبدالرزاق، كما سيأتي تفصيله.

وذكر هذه الرواية واحتج بها الإمام ابن كثير(٣٧٤)، والسيوطي(٣٧٥)، وغيرهما.

* * *

(٣٧٤) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٠٨.

(٣٧٥) الدر المنثور، ٢/ ٣٠٣.

رواية منسوبة إلى أم المؤمنين عائشة ﵂:

• جاء في مسند الإمام أحمد: «حدثنا يزيد. قال: أخبرنا صدقة بن موسى، قال: حدثنا أبو عمران الجوني، عن يزيد بن بابَنوس، عن عائشة،قالت: قال رسول الله ﷺ:

«الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله ﷿: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»».

أخرج هذه الرواية الإمام أحمد[٣٧٦]، والحاكم[٣٧٧]، وابن أبي حاتم[٣٧٨].

جاءت هذه الرواية من طريق صدقة بن موسى الدقيقي البصري الضعيف.

قال ابن حجر: «... قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ليس حديثه بشيء وقال ابن معين أيضاً وأبو داود والنسائي والدولابي: ضعيف... وقال الترمذي: ليس عندهم بذاك القوي... وقال أبو حاتم: ليِّن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بقوي. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم... وقال الساجي: ضعيف الحديث»[٣٧٩].

❊ ❊ ❊

---

(٣٧٦) مسند الإمام أحمد الرواية: ٢٦٥٥٩، ص١٩٣٦.

(٣٧٧) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٧١٧، ٤/ ٦١٩.

(٣٧٨) تفسير ابن أبي حاتم، الرواية: ٦٦٧٨، ٣/ ٢٤٢، من تفسير الآية ٧٢ من سورة المائدة.

(٣٧٩) تهذيب التهذيب، ت: ٣٠١٧، ٤/ ٣٨٣.

رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك:

- وجاء عند البزار[٣٨٠] رواية أخرى منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك من طريق زياد بن عبد الله النميري، الذي ضعفه علماء الجرح والتعديل، فقد قال عنه الحافظ ابن حجر: «ضعيف»[٣٨١].
- وجاءت هذه الرواية أيضاً منسوبة إلى أنس بن مالك عند الطيالسي[٣٨٢] من طريق الربيع بن صبيح ويزيد الرقاشي الضعيفين.

الربيع بن صبيح السعدي

قال الحافظ ابن حجر في التهذيب: «... قال عفان بن مسلم: أحاديثه كلها مقلوبة... وقال ابن أبي خيثمة: عن ابن معين ضعيف الحديث. وقال ابن سعد والنسائي: ضعيف... وقال يعقوب بن شيبة: رجل صالح صدوق ثقة ضعيف جداً... وقال ابن أبي شيبة عن ابن المديني: هو عندنا صالح وليس بالقوي... وقال الساجي: ضعيف الحديث، أحسبه كان يهم، وكان عبداً صالحاً... وقال الفلاس: ليس بالقوي...»[٣٨٣].

---

(٣٨٠) مسند البزار، الرواية: ٦٤٩٣. قال البزار: «وبإسناده [حدثنا أحمد بن مالك القشيري،نا زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري، عن أنس] عن النبي ﷺ قال: «الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره وظلم لا يتركه الله؛ فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وقال الله ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من بعض»».

(٣٨١) تقريب التهذيب، ت: ٢٠٩٣، ١/ ٣٢٢.

(٣٨٢) مسند الطيالسي، الرواية: ٢١٠٩، ٢/ ٥٣٢ ـ «حدثنا أبو داود قال: حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يتركه فيقص الله بعضهم من بعض»».

(٣٨٣) تهذيب التهذيب، ت: ١٩٧٤، ٣/ ٢٢١ - ٢٢٢.

وقال عنه في التقريب: «صدوق، سيئ الحفظ، وكان عابداً مجاهداً»[٣٨٤].

يزيد بن أبان الرقاشي... البصري:

قال الحافظ ابن حجر في التهذيب: «قال ابن سعد: كان ضعيفاً قدرياً... وقال شعبة: لأن أقطع الطريق أحب إلي من أن أروي عن يزيد... وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: لأن أزني أحب إلي من أن أحدث عن يزيد الرقاشي... وقال أبو داود عن أحمد: لا يكتب حديث يزيد... وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: رجل صالح وليس حديثه بشيء... وقال النسائي والحاكم أبو أحمد: متروك الحديث وقال النسائي أيضاً: ليس بثقة...»[٣٨٥].

* * *

رواية منسوبة إلى الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه:

- وجاءت هذه الرواية أيضاً منسوبة إلى الصحابي سلمان الفارسي عند الطبراني[٣٨٦] في المعجمين الصغير والكبير من طريق يزيد بن سفيان بن عبيدالله بن رواحة البصري الضعيف.

---

(٣٨٤) تقريب التهذيب، ت: ١٩٠٠، ١/ ٢٩٥.

(٣٨٥) تهذيب التهذيب، ت: ٨٠٠٥، ١١/ ٢٦٨-٢٦٩.

(٣٨٦) المعجم الصغير، الرواية: ٩٦، ١/ ٦٩-٧٠. وأيضاً انظر: (المعجم الكبير، الرواية: ٦١٣٣).
قال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمران أبو موسى السوسي ببغداد حدثنا أبو الربيع عبيدالله بن محمد الحارثي حدثنا يزيد بن سفيان بن عبيد الله بن رواحة البصري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذنب لا يغفر، وذنب لا يترك، وذنب يغفر، فأما الذنب الذي لا يغفر فالإشراك بالله، وأما الذنب الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، وأما الذنب الذي يغفر فذنب العبد بينه وبين الله تعالى».
لم يروه عن سليمان التيمي إلا يزيد بن سفيان تفرد به أبو الربيع. (المعجم الصغير، الرواية: ٩٦، ١/ ٦٩-٧٠). =

قال أبو حاتم: «يروى عن سليمان التيمي بنسخة مقلوبة، روى عنه عبيدالله بن محمد الحارثي، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد لكثرة خطئه ومخالفته الثقات في الروايات»[٣٨٧].

* * *

رواية منسوبة إلى الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه :

• وأورد الطبراني في المعجم الأوسط[٣٨٨] هذه الرواية منسوبة إلى الصحابي أبي هريرة من طريق طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي المتروك.

قال الحافظ ابن حجر: «... قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبدالرحمٰن لا يحدثان عنه، وقال أحمد: لا شيء متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء ضعيف، وقال الجوزجاني: غير مرضي في حديثه، وقال أبو حاتم: ليس بقوي ليِّن عندهم. وقال البخاري: ليس بشيء كان يحيى بن معين

= وقال الطبراني: «وبإسناده (يعني: حدثنا عبدان بن أحمد، ثنا أبو الربيع الحارثي، ثنا يزيد بن سفيان بن عبدالله بن رواحة، ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان) قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذنب لا يغفر وذنب لا يترك وذنب يغفر، فأما الذي لا يغفر فالشرك بالله وأما الذي يغفر فذنب بينه وبين الله ﷻ وأما الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً**». (المعجم الكبير، الرواية: ٦١٣٣)».

(٣٨٧) كتاب المجروحين، ٣/ ١٠١.

(٣٨٨) المعجم الأوسط، الرواية: ٧٥٩٥، ٥/ ٣٥٦-٣٥٧.

قال الطبراني: «حدثنا محمد بن أحمد بن الوليد نا أحمد بن شيبان الرملي، نا عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**ذنب يغفر وذنب لا يغفر وذنب يجازى به، فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله وأما الذنب الذي يغفر فعملك فيما بينك وبين ربك وأما الذي تجازى به فظلمك أخاك**».

سيئ الرأي فيه. وقال أبو داود: ضعيف. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أيضا: ليس بثقة... وقال البزار: ليس بالقوي وليس بالحافظ... وقال ابن المديني: ضعيف ليس بشيء. وقال أبو زرعة والعجلي والدارقطني ضعيف...»[٣٨٩].

❉ ❉ ❉

رواية منسوبة إلى الحسن أو قتادة أو كليهما:

- وأورد عبد الرزاق[٣٩٠] هذه الرواية من طريق معمر عن قتادة بن دعامة العراقي أو الحسن البصري.

رواية معمر بن راشد عن العراقيين ضعيفة، قال ابن حجر: «... قال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا وما عمل في حديث الأعمش شيئاً. وقال يحيى: وحديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام»[٣٩١].

❉ ❉ ❉

(٣٨٩) تهذيب التهذيب، ت: ٣١٣١، ٥/ ٢٢-٢٣.

(٣٩٠) مصنف عبد الرزاق (الرواية: ٢٠٢٧٦، ١١/ ٨٣). قال عبد الرزاق: «أخبرنا معمر عن قتادة أو الحسن - أو كليهما قال: - الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم الناس بعضهم بعضاً، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه».

(٣٩١) تهذيب التهذيب، ت: ٧١٢٦، ١٠/ ٢١٩-٢٢١.

الروايــة التــي فيها: (من قــرأ القــرآن وحفظـه أدخلـه الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجب النار):

• قــال ابن ماجه: «حدّثنــا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَــعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْــنِ دِينَارٍ الْحِمْصِــيُّ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَــرْبٍ، عَنْ أَبِي عُمَــرَ، عَنْ كَثِيرِ بْــنِ زَاذَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حَمْزَةَ، عَــنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ: **«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ»**».

أخرج هــذه الرواية الضعيفــة ابن ماجــه[٣٩٢]، والترمــذي[٣٩٣]، والإمام أحمد[٣٩٤]، والطبراني[٣٩٥] من طريق كثير بن زاذان النخعي الكوفي المجهول.

قال ابن حجر: «... قال عثمان بن ســعيد عن ابن معيــن: لا أعرفه وقال ابن أبي حاتم عن أبيه وأبي زرعة شيخ مجهول... وقال الأزدي: فيه نظر»[٣٩٦].

• وأورد أبو يعلى في مســنده[٣٩٧]: «حدثنا محمد بن بحر حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثنا الأزور بن غالب البصري عن ثابت البناني وسليمان التيمي عن أنس بن مالك، قال رســول الله ﷺ: **«إن لله في كل يوم جمعة ست مائة ألف عتيق يعتقهم من النار قال أحدهما في حديثه: كلهم قد استوجبوا النار»**».

---

(٣٩٢) سنن ابن ماجه، الرواية: ٢١٦، ص٤٨.

(٣٩٣) سنن الترمذي، الرواية: ٢٩٠٥، ص ٦٧٥.

(٣٩٤) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٢٦٨ والرواية: ١٢٧٨.

(٣٩٥) المعجم الأوســط، الرواية: ٥١٣٠، ٤/ ٣٧-٣٨، وجاءت هذه الرواية في المعجم الأوسط أيضاً (الروايــة: ٥٢٥٨، ٤/ ٧٤) من طريق عنعنــة أبي الزبير عن جابر بــن عبدالله. وقال (محقق المعجم الأوسط) عند حديثه عن سند الرواية: ٥٢٥٨: «إسناده ضعيف فيه: سلم بن سالم، أجمعوا على ضعفه، وقال ابن الجوزي: قد اتفق المحدثون على تضعيف رواياته».

(٣٩٦) تهذيب التهذيب، ت: ٥٨٢٩، ٨/ ٣٥٩.

(٣٩٧) مســند أبي يعلى، الرواية: ٣٤٣٧. وانظر كذلك الرواية: ٣٤٣٨ حيث جاءت من طريق محمد بن بحر.

هذه الرواية لا يحتج بها لورودها من قبل الأزور بن غالب البصري، قال محمد بن حبان أبو حاتم التميمي: «... كان قليل الحديث إلا أنه روى ـ على قلته ـ عن الثقات ما لم يتابع عليه من المناكير فكأنه كان يخطئ وهو لا يعلم حتى صار ممن لا يحتج به إذا انفرد، روى عن سليمان التيمي وثابت عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «إن لله ﷻ في كل يوم ستمائة ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار ثناه الحسين بن عبدالله القطان بالرقة ثنا عمرو بن هشام الحراني ثنا يحيى بن سليم عن الأزور بن غالب، هذا متن باطل لا أصل له»[٣٩٨].

وكذلك لورودها من قبل يحيى بن سليم الطائفي، قال ابن حجر: «صدوق سيئ الحفظ»[٣٩٩].

وكذلك لورودها من قبل محمد بن بحر الهجيمي، قال ابن حجر «قال العقيلي: بصري منكر الحديث، كثير الوهم. وقال ابن حبان: سقط الاحتجاج به»[٤٠٠].

• وجاء نحو هذه الرواية عند أبي يعلى[٤٠١] أيضاً من طريق عبدالواحد بن زيد الذي قال عنه النسائي: «متروك الحديث»[٤٠٢].

❃ ❃ ❃

(٣٩٨) كتاب المجروحين، ١/ ١٧٨.

(٣٩٩) تقريب التهذيب، ت: ٧٥٩٠، ٢/ ٣٠٤.

(٤٠٠) لسان الميزان، ت: ٧٠٧٨، ٥/ ١٠٢.

(٤٠١) مسند أبي يعلى، الرواية: ٣٤٨٧. جاءت الرواية بهذا السند: «حدثنا عبدالله بن عبدالصمد حدثنا أبي عبدالصمد بن علي عن عوام البصري عن عبدالواحد بن زيد عن ثابت عن أنس: قال رسول الله ﷺ: «إن يوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة إلا ولله فيها ست مائة عتيق من النار قال: ثم خرجنا من عنده فدخلنا على الحسن فذكرنا له حديث ثابت فقال: سمعته وزاد فيه كلهم قد استوجب النار»».

(٤٠٢) ضعفاء النسائي، ت: ٣٧٠.

الرواية التي فيها: (الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا):

- أخرج الطبراني في الأوسط: «حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال: نا عبد الجبار بن عاصم قال: نا بقية بن الوليد قال: نا إسماعيل الكندي عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣] «**الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا**».

أخرج هذه الرواية الطبراني[٤٠٣]، وابن أبي عاصم[٤٠٤]، وابن أبي حاتم[٤٠٥].

قال الطبراني بعد أن ذكر هذه الرواية: «لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا إسماعيل الكندي تفرد به بقية».

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب بقية بن الوليد المدلس تدليس التسوية.

قال أحمد محمد شاكر: «... منها تدليس التسوية، وهو أن يسقط غير شيخه لضعفه أو صغره، فيصير الحديث ثقة عن ثقة، فيحكم له بالصحة، وفيه تغرير شديد، وممن اشتهر بذلك: بقية بن الوليد،... وهذا التدليس أفحش أنواع التدليس مطلقاً وشرها»[٤٠٦].

---

(٤٠٣) المعجم الأوسط، الرواية: ٥٧٧٠، ٤/ ٢١٨.

(٤٠٤) السُّنَّة لابن أبي عاصم، الرواية: ٨٧٢، ١/ ٥٨٥. قال محقق الكتاب: «إسناده ضعيف. فيه إسماعيل بن عبد الله الكندي».

(٤٠٥) تفسير ابن أبي حاتم، الرواية: ٦٣٥٤، ٣/ ١٩٣، من تفسير الآية ١٧٣ من سورة النساء.

(٤٠٦) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، هامش ص٤٦.

وعند النظر في سند هذه الرواية نجد بقية بن الوليد يرويها كالآتي: «... نا إسماعيل الكندي عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله...».

وبما أن بقية بن الوليد المدلس تدليس التسوية لم يصرح بالسماع في جميع الطبقات لهذا يحكم على هذه الرواية المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود ﷺ بالضعف.

* * *

الرواية التي فيها: (وإن الرجل ليجر إلى النار... فيقول: أرسلوا عبدي):

- أخرج الإمام الطبري في تفسيره: «حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: ثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض فيقول لها الرّحمٰن ما لك؟ فتقول: إنه ليستجير مني، فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول: يا رب ما كان هذا الظن بك فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك قال فيقول: أرسلوا عبدي».

أخرج هذه الرواية الضعيفة الإمام الطبري(٤٠٧)، والإمام أحمد في كتاب الزهد(٤٠٨)، وابن أبي نعيم(٤٠٩).

هذه الرواية ضعيفة لورودها من قبل عبيد الله بن موسى وأبي يحيى القتات.

---

(٤٠٧) تفسير الإمام الطبري، ١٨/ ١٨٧.

(٤٠٨) الزهد، ص٤٥٢، حيث جاءت الرواية بهذا السند: «حدثنا عبد الله حدثني يوسف الصفار حدثنا أبو بكر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد قال: ...».

(٤٠٩) حلية الأولياء، ٣/ ٣٣٣.

عبيدالله بن موسى بن أبي المختار:

قال ابن حجر: «قال الميموني ذُكر عند أحمد عبيدالله بن موسى فرأيته كالمنكر له وقال: كان صاحب تخليط وحدث بأحاديث سوء، قيل له: فابن فضيل؟ قال: كان أستر منه، وأما هو فأخرج تلك الأحاديث الردية...

قال الجوزجاني: وعبيدالله بن موسى أغلى وأسوأ مذهباً وأروى للعجائب. وقال الحاكم: سمعت قاسم بن قاسم السياري، سمعت أبا مسلم البغدادي الحافظ يقول: عبيدالله بن موسى من المتروكين، تركه أحمد...

قال أحمد: روى مناكير وقد رأيته بمكة فأعرضت عنه وقد سمعت منه قديماً...»(٤١٠).

أبو يحيى القتات الكوفي الكناني:

قال ابن حجر: «... قال عبدالله بن أحمد عن أبيه كان شريك يضعف أبا يحيى القتات وقال الأثرم عن أحمد: روى عنه إسرائيل أحاديث كثيرة مناكير جداً... وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: وفي حديثه بعض ما فيه إلا أنه يكتب حديثه...»(٤١١).

❃ ❃ ❃

الرواية التي فيها: «قالَ: يا رَبّ فَإنّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قالَ اللهُ ﷻ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ».

• قال الحاكم: «حدّثنا أبو منصور محمد بن القاسم العتكي، ثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أنس القرشي، ثنا عبدالله بن بكر السهمي،

(٤١٠) تهذيب التهذيب، ت: ٤٥٠٦، ٧/ ٤٦ - ٤٧.

(٤١١) تهذيب التهذيب، ت: ٨٧٩٢، ١٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩.

أنبأ عباد بن شيبة الحبطي، عن سعيد بن أنس، عن أنس بن مالك ﷺ قال: بينا رسول الله جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رَجلانِ مِنْ أُمّتي جَثَيا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ فقالَ أَحَدُهُما: يا رَبِّ خُذْ لي مَظْلَمَتي مِنْ أَخي، فقالَ الله تَبارَكَ وَتَعالَى لِلطّالِبِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخيكَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَناتِهِ شَيْءٌ؟ قال: يا رَبِّ فَلْيَحْمِل مِنْ أَوْزاري»، قال: وفاضت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال: «إِنّ ذاكَ الْيَوْمَ عظيمٌ يَحْتاجُ النّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزارِهِمْ، فقالَ الله تَعالَى للطّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانظُرْ في الْجِنانِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: يا رَبّ أَرَى مَدائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصوراً مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لأَيِّ نَبيّ هذا أَوْ لأَيِّ صِدّيقٍ هذا أَوْ لأَيِّ شَهيدٍ هذا؟ قال: هذا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَن، قالَ: يا رَبّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذلِكَ؟ قالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ، قال: بِماذا؟ قالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخيكَ، قالَ: يا رَبّ فَإِنّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قالَ الله ﷻ: فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»، فقال رسول الله عند ذلك: «اتّقوا الله وَأَصْلِحوا ذاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ الله تَعالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

أخرج هذه الرواية الحاكم[(٤١٢)]، وابن أبي الدنيا[(٤١٣)].

هذه الرواية ضعيفة لوجود عباد بن شيبة الحبطي في سندها. فقد قال ابن حجر: «... ضعيف وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به من المناكير»[(٤١٤)].

❃ ❃ ❃

(٤١٢) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٧١٨، ٤/ ٦٢٠.

(٤١٣) حسن الظن بالله، الرواية: ١١٨.

(٤١٤) لسان الميزان، ت: ٤٤٠٢، ٣/ ٢٩٠.

الرواية التي جاء فيها: (... إن لي ابن أخ لا ينتهي عن حرام):

- جاء عند الطبراني[٤١٥] رواية منسوبة إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري من طريق واصل بن السائب الرقاشي الضعيف.

قال الطبراني في المعجم الكبير: «ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا أحمد بن جناب المصيصي، ثنا عيسى بن يونس، عن واصل بن السائب، عن أبي سورة، عن أبي أيوب، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن حرام قال: ما دينه؟ قال يصلي ويوحد الله. قال: **فاستوهب منه دينه فإن أبى فابتعه منه. فطلب ذلك الرجل منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه فأنزل الله** ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]».

وذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٤١٦]، والسيوطي[٤١٧].

هذه الرواية ضعيفة بسبب واصل بن السائب الرقاشي.

قال ابن حجر: «... قال أبو داود عن يحيى بن معين ليس بشيء وقال أبو بكر بن أبي شيبه: ضعيف، وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث...، وقال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث...، وقال يعقوب بن سفيان والساجي: منكر الحديث، وقال الأزدي: متروك الحديث، وقال يعقوب أيضا والدارقطني وابن حبان: ضعيف، وقال البزار: حدّث بالكوفة أحاديث لم يتابع عليها وهو ليّن»[٤١٨].

❃ ❃ ❃

(٤١٥) المعجم الكبير، الرواية: ٤٠٦٣.

(٤١٦) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣١١.

(٤١٧) الدر المنثور، ٢/ ٣٠٢.

(٤١٨) تهذيب التهذيب، ت: ٧٧٠٢، ١١/ ٩٢.

الرواية التي جاء فيها: (... من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً)

- جاءت رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عباس عند الطبراني[٤١٩] من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان الضعيف.

قال الطبراني: «حدثنا أبو شيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهاني، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: **من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً**»».

ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٤٢٠]، والسيوطي[٤٢١].

هذه الرواية ضعيفة لوجود إبراهيم بن الحكم بن أبان في سندها.

قال الحافظ ابن حجر: «... قال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ضعيف ليس بشيء. ومرة: لا شيء. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه. وقال أبو زرعة: ليس بالقوي، وهو ضعيف. وقال الجوزجاني، والأزدي: ساقط. وقال محمد بن أسد الخشني: أملى علينا إبراهيم بن الحكم بن أبان من كتابه الذي لم نشك أنه سماعه، وهو ضعيف عند أصحابنا، فذكر حديثاً. وقال عباس بن عبدالعظيم: كانت هذه الأحاديث في كتبه مرسلة، ليس فيها ابن عباس، ولا أبو هريرة؛ يعني: أحاديث أبيه عن عكرمة. وقال ابن عدي: وبلاؤه ما ذكروه أنه كان يوصل المراسيل عن أبيه،

---

(٤١٩) المعجم الكبير، الرواية: ١١٦١٥، ١١/ ٢٤١.

(٤٢٠) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣١٢.

(٤٢١) الدر المنثور، ٢/ ٣٠٣-٣٠٤.

وعامة ما يرويه لا يتابع عليه... وقال الدارقطني: ضعيف. قال الآجري: سألت أبا داود عنه فقال: لا أحدث عنه. وذكره الفسوي في باب من يرغب عن الرواية عنهم، وقال أيضاً: لا يختلفون في ضعفه. وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم. وقال العقيلي: ليس بشيء ولا بثقة»[٤٢٢].

- وجاءت رواية منسوبة إلى عبدالله بن عمرو عند الطبري في (تهذيب الآثار)[٤٢٣] من طريق رواية أبي أحمد محمد بن عبدالله بن الزبير الزبيري الكوفي عن سفيان الثوري، وهي لا تثبت، فقد قال ابن حجر: «قال حنبل بن إسحاق عن أحمد بن حنبل كان كثير الخطأ في حديث سفيان»[٤٢٤].

وتلك الرواية لا تثبت كذلك لوجود رجل مجهول بين ابن عمرو ومسروق.

- وهذه الرواية المنسوبة إلى ابن عمرو جاءت أيضاً عند الطبري في (تهذيب الآثار)[٤٢٥] من طريق لا تثبت. فقد وردت من طريق معاوية بن هشام

---

(٤٢٢) تهذيب التهذيب، ت: ١٨٠، ١/ ١٠٥.

(٤٢٣) تهذيب الآثار، الرواية: ٩٤٠، ٢/ ٦٣٠. قال الإمام الطبري: «حدثنا نصر بن علي الجهضمي، ويحيى بن داود الواسطي، قال نصر: أخبرنا أبو أحمد، وقال يحيى: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، قال: نزل على مسروق ضيف، فقال: سمعت عبدالله بن عمرو، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ولم يضره معه خطيئة، كما لو لقيه وهو يشرك به دخل النار، ولم ينفعه معه عمل»**».

(٤٢٤) تهذيب التهذيب، ت: ٦٢٩٥، ٩/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(٤٢٥) تهذيب الآثار، الرواية: ٩٤١، ٢/ ٦٣١. قال الطبري: «حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا معاوية يعني ابن هشام، عن سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، قال: نزل شيخ على مسروق من أهل المدينة، فحدثه عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من لقي الله لا يشرك به شيئاً لم يضره معه خطيئة، كما أنه لو لقيه يشرك به شيئاً لم تنفعه معه حسنة، قال: فقالت قمير: لا تحدثوا بهذا شبابكم»**».

الأزدي. قال ابن حجـر: «قال عثمان الدارمي عن ابن معيـن: صالح وليس بذاك... قال عثمان بن أبـي شيبة: معاوية بن هشام رجل صدق وليس بحجة. وقال الساجي: صدوق يهم. قال أحمد بن حنبل: هو كثير الخطأ»[٤٢٦].

وكذلك لا تثبت لوجود رجل مجهول في سندها بين مسروق وعبدالله بن عمرو.

❊ ❊ ❊

الروايـة التـي فيهـا: (... دَعَـوْتُ اللّه يَـوْمَ عَرَفَـةَ أنْ يَغْفِـرَ لأمَّتِـي ذُنُوبَها، فأجابَنِـي أنْ قَدْ غَفَرْتُ...)

- رواية منسوبة إلى العباس بن مرداس الســلمي من طريق عبدالله بن كنانة بن العباس الأسلمي وأبيه.

قال الإمام الطبري[٤٢٧]: «حدثنـي إسماعيـل بن سيف العجلـي، قال: ثنا عبدالقاهر بن الســريّ الســلمي، قال: ثنا ابن كنانة، ويكنى أبـا كنانة، عن أبـيه، عن العبـاس بن مرداس السلـمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَعَوْتُ اللهَ يَوْمَ عَرَفَةَ أنْ يَغْفِرَ لأمَّتِـي ذُنُوبَهـا، فأجابَنِـي أنْ قَدْ غَفَرْتُ، إلَّا ذُنُوبَها بَـيْنَها وَبَـيْنَ خَـلْقِـي، فأعَــدْت الدُّعاءَ يَوْمَئِذٍ، فَلَـمْ أُجَبْ بِشَـيْءٍ، فَلَـمَّا كانَ غَدَاةَ الـمُزْدَلفة قلْتُ: يا رَبّ إنَّكَ قادرٌ أنْ تُعَوِّضَ هَذَا الـمَظْلُومَ منْ ظُلامَتِهِ، وتَغْفِرَ لِهَذَا الظَّالِـمِ، فأجَابِنِـي أنْ قَدْ غَفَرْتُ**» قال: فضحك رسول الله ﷺ، قال: فقلنا: يا رسول الله رأيناك تضحك فـي يوم لـم تكن تضحك فـيه؟ قال: «**ضحكت مِنْ عَدُوّ اللهِ إبْلِـيسَ لَـمَّا سَـمِعَ بِـمَا سَـمِعَ إذَا هُوَ يَدْعُو بـالْوَيْـلِ وَالثُّبُورِ، وَيَضَعُ التُّرَابَ علـى رأسِهِ**»».

(٤٢٦) تهذيب التهذيب، ت: ٧٠٨٨، ١٠/ ١٩٨.

(٤٢٧) تفسير الطبري، ٢/ ٢٩٤.

هذه الرواية لا تقوم بها حجة وذلك لورودها من قبل عبد الله بن كنانة بن العباس بن مرداس السلمي، فقد قال عنه البخاري: «لم يصح حديثه»[٤٢٨].

ولورودها كذلك من قبل كِنَانَة بنُ عَبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَمِي، فقد قال عنه ابن حجر: «روى عن أبيه أن النبي دعا لأمته عشية عرفة. وعنه: ابنه عبد الله. قال البخاري: لا يصح... وقال في كتاب الضعفاء: حديثه منكر جداً، لا أدري التخليط منه أو من ابنه، ومن أيّهما كان فهو ساقط الاحتجاج به»[٤٢٩].

• وجاء نحو هذه الرواية أيضاً عند الإمام الطبري[٤٣٠] منسوبة إلى الصحابي ابن عمر من طريق بشار بن بكير الحنفي الذي لم أعثر له على ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي.

* * *

(٤٢٨) ميزان الاعتدال، ت: ٤٥٢٤، ٢/ ٤٧٤.

(٤٢٩) تهذيب التهذيب، ت: ٥٨٩٢، ٨/ ٣٩١.

(٤٣٠) قال الطبري: «حدثني مسلم بن حاتم الأنصاري، قال: ثنا بشار بن بكير الحنفي، قالا: ثنا عبد العزيز بن أبي روّاد عن نافع، عن ابن عمر، قال: خطبنا رسول الله ﷺ عشية عرفة، فقال: «أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ تَطَوَّل عَلَيْكُمْ فِي مَقامِكُمْ هَذَا، فَقَبِلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ، وأعطَى مُحْسِنَكُمْ ما سَأَلَ، وَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ إلّا التَّبِعاتِ فِيما بَيْنَكُمْ أفِيضُوا على اسْمِ اللهِ» فلما كان غداة جمع قال: «أيُّها النَّاسِ إنَّ اللهَ قَدْ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي مَقامِكُمْ هَذَا، فَقَبِلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ، وَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، والتَّبِعاتِ بَيْنَكُمْ عَوَّضَها مِنْ عِنْدِهِ أفِيضُوا على اسْمِ اللهِ» فقال أصحابه: يا رسول الله أفضت بنا بالأمس كئيبا حزينا، وأفضت بنا اليوم فرحا مسرورا قال رسول الله ﷺ: «إنّي سألْتُ رَبِّي بالأمْسِ شَيْئا لَمْ يَجُدْ لي بِهِ، سألْتُه التَّبِعات فأبى عليّ، فَلَمَّا كانَ اليَوْمُ أتاني جِبْرِيلُ قال: إنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ ويَقُول التَّبِعاتُ ضَمِنْتُ عِوَضَها مِنْ عِنْدِي»». (تفسير الطبري، ٢/ ٢٩٥)

الرواية التي فيها: (أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ في الآخِرَةِ):

❑ جاءت هذه الرواية منسوبة إلى الصحابي أبي موسى الأشعري.

• قال أبو داود: «حدثنا عُثْمانُ بنُ أبي شَيْبَةَ قالَ: أخبرنا كَثِيرُ بنُ هِشَامٍ أخبرنا المَسْعُودِيُّ عن سَعِيدِ بنِ أبي بُرْدَةَ عن أبِيهِ عن أبِي مُوسَى، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ في الآخِرَةِ، عَذَابُهَا في الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ**»».

أخرج هذه الرواية أبو داود[٤٣١]، والحاكم[٤٣٢]، والإمام أحمد[٤٣٣]، وعبد بن حميد[٤٣٤].

هذه الرواية لا حجة فيها لورودها من قبل عبدالرحمٰن بن عبدالله بن عتبة المسعودي الذي اختلط في آخر عمره.

قال ابن حجر في التهذيب: «وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: سماع وكيع من المسعودي قديم وأبو نعيم أيضاً، وإنما اختلط المسعودي ببغداد، ومن سمع منه بالكوفة والبصرة فسماعه جيد... وقال ابن نمير: كان ثقة واختلط بآخره، سمع منه ابن مهدي ويزيد بن هارون أحاديث مختلطة... وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، إلا أنه اختلط في آخر عمره، ورواية المتقدمين عنه صحيحة... وقال ابن عمار: كان ثبتاً قبل أن يختلط، ومن سمع منه ببغداد فسماعه ضعيف. وقال العجلي: ثقة، إلا أنه تغير بآخره. وقال

---

(٤٣١) سنن أبي داود، الرواية: ٤٢٧٨، ص ٦٧٠.

(٤٣٢) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٣٧٢، ٤/ ٤٩١.

(٤٣٣) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٩٩١٤، والرواية: ١٩٩٩٠.

(٤٣٤) مسند عبد بن حميد، الرواية: ٥٣٦، ص ١٩٠.

ابن خراش نحـو ذلك. وقال ابن حبـان: اختلط حديثه فلم يتميز فاستحق الترك»[٤٣٥].

فعلينا عدم الأخذ بما جـاء في هذه الرواية لأن المسـعودي قد وصف بالاختـلاط، وليس هناك ما يثبت أن أداءه لهـذه الرواية كان قبل الاختلاط. والراجح أنه أدى هذه الرواية بعد الاختـلاط لأن تلميذه في هذه الرواية هو كثير بن هشـام الكلابي الرقي نزيل بغداد. وقد قـال الحافظ ابن حجر عن المسعودي: «صدوق اختلط قبل موته، وضابطه: أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط»[٤٣٦].

- وجاءت هذه الرواية أيضاً عند أبي يعلى[٤٣٧] منسوبة إلى أبي موسى الأشعري من طريق يحيى بن يمان[٤٣٨] وأبي هشام الرفاعي الضعيفين.

فأبو هشـام الرفاعي هو: محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة بن سماعة العجلي.

قـال ابن حجر: «قال البخـاري: رأيتهـم مجتمعين علـى ضعفه، وقال النسـائي: ضعيف... وقال أبو حاتم الرازي سـألت بن نميـر عنه فقال: كان أضعفنا طلبـاً وأكثرنا غرائـب... وقال ابن أبي حاتم: سـألت أبي عنه فقال: ضعيف يتكلمون فيه... وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم»[٤٣٩].

---

(٤٣٥) تهذيب التهذيب، ت: ٤٠٥٩، ٦/ ١٩١ - ١٩٢.

(٤٣٦) تقريب التهذيب، ت: ٣٩٣٣، ١/ ٥٧٨.

(٤٣٧) مسند أبي يعلى، الرواية: ٧٢٧٨، قال أبو يعلى: «حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا يحيى بن يمان حدثنا حرملة بن قيس عن أبي بردة عن أبي موسـى قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والقتل»».

(٤٣٨) انظر ص٢٤٦ من هذا البحث.

(٤٣٩) تهذيب التهذيب، ت: ٦٦٩٧، ٩/ ٤٥٣ - ٤٥٤.

❑ وجاء نحو هذه الرواية عند ابن ماجه(٤٤٠) منسوبة إلى أنس بن مالك، وهي ضعيفة لا تقوم بها حجة لورودها من طريق كثير بن سليم الضبي الضعيف(٤٤١).

• وجاء عند الطبراني(٤٤٢) رواية أخرى منسوبة إلى أنس بن مالك من طريق أحمد بن طاهر بن حرملة بن يحيى التجيبي الكذاب(٤٤٣).

❑ وجاءت هذه الرواية عند الحاكم(٤٤٤) منسوبة إلى أحد الصحابة، وهي ضعيفة لا تقوم بها حجة لورودها من قبل رجل مجهول بين أبي بردة

---

(٤٤٠) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٢٩٢، ص٦٩٥. قال ابن ماجه: «حدّثنا جُبَارَةُ بْنُ الْمُغَلِّسِ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إِنَّ هذِهِ الأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ. عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَيُقَالُ: هذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ»».

(٤٤١) تقريب التهذيب، ت: ٥٦٣٠، ٣٨/٢.

(٤٤٢) المعجم الأوسط، الرواية: ١٨٧٩، ٥٠٩/١. قال الطبراني: «حدثنا أحمد بن طاهر قال: نا جدي حرملة بن يحيى، قال: نا حماد بن زياد البصري، قال: نا حميد الطويل ـ وكان جاراً لنا ـ قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمتي أمة مرحومة متاب عليها تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها ذنوبها باستغفار المؤمنين لها».
لم يرو هذا الحديث عن حميد إلا حماد بن زياد تفرد به حرملة.

(٤٤٣) لسان الميزان، ت: ٦٠٠، ٢٠١/١.

(٤٤٤) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٧٦٤٩، ٢٨٣/٤. قال الحاكم: «حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبدالجبار، ثنا محمد بن فضيل بن غزوان، ثنا صدقة بن المثنى، ثنا رباح بن الحارث عن أبي بردة قال: بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجباً فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ: مما تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد ونبيهم واحد ودعوتهم واحدة وحجهم واحد وغزوهم واحد يستحل بعضهم قتل بعض قال: فلا تعجب فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

والصحابي، وكذلك بسبب أحمد بن عبدالجبار بن محمد العطاردي أبي عمر الكوفي. فقد قال عنه ابن حجر: «ضعيف وسماعه للسيرة صحيح»(٤٤٥).

• وجاءت هذه الرواية عند الطبراني في الأوسط(٤٤٦) منسوبة إلى أبي هريرة من طريق سعيد بن مسلمة الأموي الضعيف(٤٤٧).

فهذه الرواية الضعيفة السند والمتن ليس لها أي وزن في الفكر الإسلامي النظيف، وقد رد ما تحمله من معاني كل من الثعالبي والعظيم آبادي: -

قال الثعالبي: «وهذا الحديثُ ليس هو علَى عمومه في جميعِ الأمَّة؛ لثبوت نُفُوذِ الوعيدِ في طائفةٍ من العُصَاة»(٤٤٨).

وقال العظيم آبادي: «وقال المظهر: هذا حديث مشكل لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته ﷺ سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره، فقد وردت الأحاديث بتعذيب مرتكب الكبيرة اللَّهُمَّ إلا أن يؤوَّل بأن المراد بالأمة هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه. وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ... والذهاب إلى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام وهذه الرحمة هي المشار إليها بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] انتهى»(٤٤٩).

---

(٤٤٥) تقريب التهذيب، ت: ٦٤، ١/ ٣٩.

(٤٤٦) المعجم الأوسط، الرواية: ٦٩٠٩، ٥/ ١٥٨. قال الطبراني: «حدثنا محمد بن علي بن حبيب الطرائفي الرقي: ثنا علي بن ميمون الرقي: ثنا سعيد بن مسلمة الأموي، عن سعد بن طارق، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة، قد رفع عنهم العذاب، إلا عذابهم أنفسهم بأيديهم»».

(٤٤٧) تقريب التهذيب، ت: ٢٤٠٢، ١/ ٣٦٤.

(٤٤٨) تفسير الثعالبي، ١/ ٢٨٠.

(٤٤٩) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١١/ ٣٥٩.

فعلى العصاة من أفراد هذه الأمة الحذر من هذه الرواية وأمثالها، فالحق واضح وقد بيّنه كتاب الله تعالى وبيّنته سنّة رسول الله ﷺ الصحيحة.

***

الرواية التي فيها: (... دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار...):

قال الإمام مسلم:

«حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَـيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَـامَة عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ ﷻ إِلَى كُلِّ مُسْـلِمٍ، يَهُودِيًّـا أَوْ نَصْرَانِيًّا. فَيَقُولُ: هَـذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»».

أخرج هذه الرواية الإمام مسلم(٤٥٠)، وعبد بن حميد(٤٥١).

هذه الرواية والروايات السابقة تهدم في نفوس الآخذين بها روح الخوف من هول يوم القيامة وتزيـن لحملة النفوس الضعيفة الدعة والسـكون إلى ملذات الدنيا.

فكيف تنهض الهمم وهناك وعود بالشفاعة لأهل الكبائر؟.

وكيف تسعى النفوس إلى تقوى الله وهناك من يعدها بالفداء؟.

ومهما يكن من أمر، ومهما تكن من دعوة رائجة ومنتشـرة، فإن الإسلام أقام مبادئه وقيمه على مناهج سـوية تسعد بها الإنسـانية في الدنيا وتهدي

---

(٤٥٠) صحيح مسلم، الرواية: ٢٧٦٧، ص ١١٦٥.

(٤٥١) مسند عبد بن حميد، الرواية: ٥٣٧، ص ١٩٠.

العابديــن لله إلى جنة عالية عرضها الســماوات والأرض. فعلى الراغبين في نيل الجنة تجنب سفاسف الأمور والإعراض عن هذه المعاني التي تعرضها هذه الرواية والروايات السابقة.

هذه الرواية لم تسلم من جانب السند، وأما متنها فقد حُمل على معاني توافق جوهر الإسلام الحنيف.

ففي ســند هذه الرواية طلحة بــن يحيى بن طلحة بن عبيــد الله التيمي المدنــي نزيــل الكوفة، فقــد قال عنــه ابن حجــر: «صــدوق يخطىء من السادسة»[٤٥٢].

وقال النسائي: «ليس بالقوي»[٤٥٣].

- **وجاءت هذه الرواية أيضاً عند الإمام مسلم من طريق أخرى:** «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان بن مسلم حدثنا همام حدثنا قتادة أن عوناً وســعيد بن أبي بردة حدثاه أنهما شــهدا أبا بردة يحدث عمر بن عبدالعزيز عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ...» ثم ذكر نحو الرواية السابقة...

أخرج هذه الرواية الإمام مسلم[٤٥٤] والإمام أحمد[٤٥٥]، والطيالسي[٤٥٦]، مــن طريق همام بــن يحيى بن دينار الــذي ضعف حفظه علمــاء الجرح والتعديل[٤٥٧].

(٤٥٢) تقريب التهذيب، ت: ٣٠٤٧، ١/ ٤٥٢.
(٤٥٣) ضعفاء النسائي، ت: ٣١٧.
(٤٥٤) صحيح مسلم، الرواية: ٢٧٦٧، ص١١٦٥ - ١١٦٦.
(٤٥٥) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٩٧١٤، والرواية: ١٩٧١٥، والرواية: ١٩٧٨٩.
(٤٥٦) مسند الطيالسي، الرواية: ٤٩٩، ١/ ٢٦٢.
(٤٥٧) انظر: ص٣٠٩ من هذا البحث.

• **وجاءت هذه الرواية أيضاً عند الإمام مسلم من طريق أخرى:** «حدثنا محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي رواد حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي عن غيلان بن جرير عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ...» ثم ذكر نحو الرواية السابقة.

جاءت هذه الرواية عند الإمام مسلم[٤٥٨]، الحاكم[٤٥٩].

هذه الطريق لهذه الرواية لا يعتمد عليها في ترسيخ العقائد، فقد جاءت من طريق شداد أبي طلحة الراسبي، وحرمي بن عمارة بن أبي حفصة.

شداد بن سعيد أبو طلحة الراسبي البصري، قال عنه ابن حجر: «صدوق يخطىء»[٤٦٠].

وأما حرمي بن عمارة بن أبي حفصة فقد قال عنه ابن حجر: «صدوق يهم»[٤٦١].

• **وجاءت هذه الرواية أيضاً في مسند الإمام أحمد[٤٦٢] من طريق النضر بن إسماعيل القاص.**

قال ابن حجر: «قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: لم يكن يحفظ الإسناد... وقال الأثرم عن أحمد: قد كتبنا عنه ليس بقوي يعتبر بحديثه... وقال الدوري وغيره عن ابن معين: ليس بشيء... وقال أبو زرعة والنسائي:

---

(٤٥٨) صحيح مسلم، الرواية: ٢٧٦٧، ص١١٦٦.

(٤٥٩) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٧٦٤٤، ٤/ ٢٨١.

(٤٦٠) تقريب التهذيب، ت: ٢٧٦٣، ١/ ٤١٣.

(٤٦١) تقريب التهذيب، ت: ١١٨٢، ١/ ١٩٥.

(٤٦٢) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٩٨٢٩. سند الرواية هو: «حدثنا أبو المغيرة وهو النضر بن إسماعيل يعني: القاص، ثنا بريد عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ...».

ليس بالقوي... قال ابن حبان: فحش خطؤه وكثر وهمه فاستحق الترك وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم، وقال الساجي: عنده مناكير...»[٤٦٣].

- **وجاءت هذه الرواية الضعيفة أيضاً عند الطبراني[٤٦٤] منسوبة إلى أبي موسى من طريق عنعنة الوليد بن مسلم المدلس تدليس التسوية[٤٦٥].**

- **وجاءت هذه الرواية أيضاً عند الطبراني[٤٦٦] من طريق عبدالملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي المختلف فيه، مع ذكرهم لتغير حفظه في آخر عمره.**

قال ابن حجر: «وقال علي بن الحسن الهسنجاني عن أحمد: عبدالملك مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته، ما أرى له خمسمائة حديث، وقد غلط في كثير منها. وقال إسحاق بن منصور: ضعفه أحمد جداً... وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: مخلط. وقال العجلي: يقال له ابن القبطية، كان على الكوفة، وهو صالح الحديث، روى أكثر من مائة حديث، تغيَّر حفظه قبل موته... وقال النسائي: ليس به بأس»[٤٦٧].

---

(٤٦٣) تهذيب التهذيب، ت: ٧٤٤٩، ١٠/٣٨٨ – ٣٨٩.

(٤٦٤) مسند الشاميين، الرواية: ٤٦٧، قال الطبراني: «حدثنا إبراهيم بن دحيم الدمشقي، ثنا أبي، ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن نصر بن علقمة أن أبا موسى كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أمتي أمة مرحومة جعل الله عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة أعطى الله كل إنسان من أمتي إنساناً من أهل الأديان يقال: دونك فداؤك من النار**».

(٤٦٥) انظر: ص ٤٠ من هذا البحث.

(٤٦٦) المعجم الأوسط، الرواية: ١، ١/٩. قال الطبراني: «حدثنا أحمد بن عبدالوهاب بن نجدة الحوطي قال: حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، قال: حدثنا سعيد بن يزيد بن ذي عصوان عن عبدالملك بن عمير عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ...» ثم ذكر نحو الرواية السابقة.

(٤٦٧) تهذيب التهذيب، ت: ٤٣٥٢، ٦/٣٥٩ – ٣٦٠.

- وجاءت هذه الرواية المنسوبة إلى أبي موسى عند الطبراني[٤٦٨] من طريق جعفر بن الحارث الواسطي، أبي الأشهب الضعيف.

قال ابن حجر في التهذيب: «قال عباس الدوري عن ابن معين: ليس حديثه بشيء. وفي موضع آخر: ليس بثقة. وقال النسائي: ضعيف.وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وقال أبو حاتم: شيخ، ليس بحديثه بأس. وقال أبو زرعة: لا بأس به عندي... وقال العقيلي: منكر الحديث، في حفظه شيء، يكتب حديثه، قاله البخاري. وقال أبو داود: بلغني عن ابن معين أنه ضعّفه»[٤٦٩].

وقال ابن حجر عنه في التقريب: «صدوق كثير الخطأ»[٤٧٠].

وشراح الحديث لم يأخذوا بظاهر هذه الرواية بل حملوا معناها على ما يوافق الفكر الإسلامي الطاهر، فقد قال الإمام النووي: «ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة: (لكل أحد منزل فى الجنة، ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره). ومعنى فكاكك من النار: أنك كنت معرضاً لدخول النار، وهذا فكاكك؛ لأن الله تعالى قدر لها عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم، وذنوبهم، صاروا في معنى الفكاك للمسلمين.

---

(٤٦٨) المعجم الأوسط، الرواية: ٢٢٥٧، ١/ ٦١٤. قال الطبراني: «حدثنا أحمد بن يزيد السجستاني قال: نا يحيى بن يحيى النيسابوري قال: نا إسماعيل بن عياش عن جعفر بن الحارث عن عروة بن عبد الله بن قشير عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجلاً من اليهود والنصارى فيقال: يا مسلم هذا فداؤك من النار»».

(٤٦٩) تهذيب التهذيب، ت: ٩٩٠، ٢/ ٨٠.

(٤٧٠) تقريب التهذيب، ت ٩٣٨، ١/ ١٦١.

وأما رواية: (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب). فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود، والنصارى مثلها بكفرهم، وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم، لا بذنوب المسلمين. ولا بد من هذا التأويل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقوله: ويضعها، مجاز، والمراد: يضع عليهم مثلها بذنوبهم، كما ذكرناه»[٤٧١].

من هذا الشرح الذي قاله الإمام النووي ومن تلك الأقوال التي ذكرها علماء الجرح والتعديل في حق رجال طرق هذه الرواية يتبيَّن لنا أن القول بفداء الموحدين باليهود والنصارى لا أساس له في عقيدة الإسلام.

فالآيات القرآنية تثبت أن كل نفس ستجازى يوم القيامة عما كسبته ولن تحمل أي نفس أثقال غيرها، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

❊ ❊ ❊

الرواية التي جاء فيها: (...، قام رجل فقال: والشرك يا نبيّ الله...):

- جاء عند الإمام الطبري رواية منسوبة إلى الصحابي عبد الله بن عمر من طريق أبي جعفر عيسى بن أبي عيسى ماهان.

قال الإمام الطبري[٤٧٢]: «حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ثني محبر، عن عبد الله بن عمر، أنه

(٤٧١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٧/ ٨٧ – ٨٨. وجاء نحو هذا القول في رياض الصالحين، الرواية: ٤٣٢، ص ٣٣٨ – ٣٣٩.
(٤٧٢) تفسير الطبري، ٥/ ١٢٥.

قال: لما نزلت: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣]... الآية، قام رجل فقال: والشرك يا نبيّ الله. فكره ذلك النبيّ ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]».

وذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٤٧٣]، والسيوطي[٤٧٤].

رواية أبي جعفر عيسى بن أبي عيسى ماهان عن الربيع بن أنس مضطربة، فقد قال ابن حبان في ترجمة الربيع بن أنس بن زياد البكري: «والناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن فيها اضطراب كثير»[٤٧٥].

وأما أبو جعفر عيسى بن أبي عيسى نفسه فلم يسلم من التضعيف، فقد قال الحافظ ابن حجر: «... قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ليس بقوي في الحديث... وقال ابن أبي مريم عن ابن معين: يكتب حديثه ولكنه يخطىء. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: صالح، وقال الدوري عن ابن معين: ثقة وهو يغلط فيما يروي عن مغيرة... وقال عمرو بن علي: فيه ضعف وهو من أهل الصدق سيئ الحفظ... وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن خراش صدوق سيئ الحفظ... وقال ابن حبان: كان ينفرد عن المشاهير بالمناكير لا يعجبني الاحتجاج بحديثه إلا فيما وافق الثقات...»[٤٧٦].

* * *

(٤٧٣) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣١٣.
(٤٧٤) الدر المنثور، ٢/ ٣٠٢.
(٤٧٥) ثقات ابن حبان، ت: ٢٦٦٦، ٤/ ٢٢٨.
(٤٧٦) تهذيب التهذيب، ت: ٨٣٤٧، ١٢/ ٤٩ – ٥٠.

الرواية التي فيها: (... ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار):

- **رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك:**

قال أبو يعلى: «حدثنا هدبة حدثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار**».

أخرج هذه الرواية أبو يعلى[٤٧٧]، والطبراني[٤٧٨].

قال الطبراني بعد أن ذكر هذه الرواية: «لم يرو هذين الحديثين إلا سهل بن أبي حزم تفرد بهما هدبة».

ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٤٧٩]، والسيوطي[٤٨٠]، والألوسي[٤٨١]، والبروسوي[٤٨٢]، والقرطبي[٤٨٣]، والثعلبي[٤٨٤].

والناظر في سند هذه الرواية يجدها لا تقوم بها حجة لورودها من قبل سهيل بن أبي حزم الضعيف.

---

(٤٧٧) مسند أبي يعلى، الرواية: ٣٣١٩.

(٤٧٨) المعجم الأوسط، الرواية: ٨٥١٦، ٦/ ٢٠٤.

(٤٧٩) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣١٢.

(٤٨٠) الدر المنثور، ٢/ ٣٠٣.

(٤٨١) تفسير الألوسي، ٣/ ١١٢. قال الألوسي: «والأصل في هذا على ما قال الواحدي: إن الله عز وجل يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد، وبهذا وردت السنّة ففي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **من وعده الله تعالى على عمله ثواباً فهو منجزه له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار**».

(٤٨٢) تفسير روح البيان، ٥/ ٣٤٠.

(٤٨٣) تفسير القرطبي، ٤/ ٢٠٢.

(٤٨٤) تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ١٩٤ من سورة آل عمران.

فقد قال ابن حجر: «قال حرب عن أحمد: روى أحاديث منكرة. وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: صالح. وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، يتكلمون فيه. وقال مرة: ليس بالقوي عندهم. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به... وقال النسائي: ليس بالقوي»(٤٨٥).

❊ ❊ ❊

- **رواية منسوبة إلى الصحابي جابر بن عبد الله:**

قال ابن أبي الدنيا: «حدثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعور، حدثنا معتمر بن سليمان، حدثني علي بن صالح، عن موسى بن عبيدة، عن أخيه، عن جابر بن عبد الله، أن نبي الله ﷺ قال: «**لا تزال المغفرة تحل بالعبد ما لم يرفع الحجاب**»، قيل: يا نبي الله، وما الحجاب؟ قال: «**الشرك به، وما من نفس تلقاه لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة من الله، إن شاء غفر لها، وإن شاء عذبها**»، ثم قال: لا أعلم إلا أن نبي الله قرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]»(٤٨٦).

وأخرج هذه الرواية أيضاً ابن أبي حاتم(٤٨٧).

وهذه الرواية ضعيفة لورودها من قبل مُوسَى بن عُبَيْدَة بن نَشِيط بن عَمْرو بن الحَارِث الرَّبَذِي.

قال ابن حجر: «قال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد: كنا نتقي حديث موسى بن عبيدة تلك الأيام، ثم كان بمكة فلم نأته... وقال البخاري: قال أحمد: منكر الحديث... وقال أبو داود عن أحمد: ليس بشيء... وقال عباس عن ابن معين: لا يحتج بحديثه... وقال أبو يعلى عن

---

(٤٨٥) تهذيب التهذيب، ت: ٢٧٦٥، ٤/ ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٤٨٦) حسن الظن بالله، الرواية: ٥٦.

(٤٨٧) تفسير ابن أبي حاتم، الرواية: ٥٤٥٩، المجلد ٣/ ٥٢.

ابن معين: ليس بشيء. وقال علي بن المديني: موسى بن عبيدة ضعيف الحديث، حدث بأحاديث مناكير. وقال أبو زرعة: ليس بقوي الأحاديث. وقال أبو حاتم: منكر الحديث... وقال الترمذي: يضعف. وقال النسائي: ضعيف. وقال مرة: ليس بثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث وليس بحجة... وقال ابن قانع: فيه ضعف. وقال ابن حبان: ضعيف»[٤٨٨].

* * *

- **رواية منسوبة إلى الصحابي أبي ذر:**

قال ابن حبان: «أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان، قال: حدثنا الوليد بن عتبة، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن أسامة بن سلمان، قال: حدثنا أبو ذر، عن رسول الله ﷺ، قال: **«إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب»** قيل: وما يقع الحجاب؟ قال: **«أن تموت النفس وهي مشركة»**».

أخرج هذه الرواية ابن حبان[٤٨٩]، الحاكم[٤٩٠]، والإمام أحمد[٤٩١]، والطبراني[٤٩٢].

هذه الرواية ضعيفة لا حجة فيها لورودها من قبل عبد الرّحمٰن بن ثابت بن ثوبان العنسي الدمشقي.

---

(٤٨٨) تهذيب التهذيب، ت: ٧٣١٠، ١٠/٣١٨ - ٣٢٠.

(٤٨٩) صحيح ابن حبان، الرواية: ٦٢٦، ٢/٣٩٣.

(٤٩٠) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٧٦٦٠، ٤/٢٨٦.

(٤٩١) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢١٨٥٥، والرواية: ٢١٨٥٦، والرواية: ٢١٨٥٧.

(٤٩٢) مسند الشاميين، الرواية: ١٩٥.

قال ابن حجر: «قال الأثرم عن أحمد: أحاديثه مناكير. وقال محمد بن الوراق عن أحمد: لم يكن بالقوي في الحديث ... وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: لا شيء ... وقال النسائي: ضعيف. وقال مرة: ليس بالقوي. وقال مرة: ليس بثقة»[٤٩٣].

***

• **رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عباس:**

قال الإمام الطبري[٤٩٤]: «حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه، فإن عاد لم يحكم عليه، وكان ذلك إلى الله ﷻ، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه. ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]...».

هذه الرواية المنسوبة إلى ابن عباس ضعيفة لا تقوم بها حجة لورودها من قبل يحيى بن طلحة اليربوعي[٤٩٥].

وجاء عند الطبري[٤٩٦]: «حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ [المائدة: ٩٥] قال: إن قتله متعمداً أو ناسياً حكم عليه، وإن عاد متعمداً عجلت له العقوبة، إلا أن يعفو الله».

---

(٤٩٣) تهذيب التهذيب، ت: ٣٩٥٥، ٦/ ١٣٧ – ١٣٨.

(٤٩٤) تفسير الطبري، ٧/ ٦٠.

(٤٩٥) قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ت: ٧٦٠٠، ٢/ ٣٠٦): «لين الحديث».

(٤٩٦) تفسير الطبري، ٧/ ٤٢.

هذه الروايــة ضعيفة لا تقوم بها حجة وذلــك لورودها من قِبَل علي بن أبي طلحــة الهاشــمي[٤٩٧]، ومعاوية بن صالح الحضرمــي[٤٩٨]، وعبد الله بن صالح الجهني[٤٩٩].

❃ ❃ ❃

فكرة إخلاف الله وعيده في الميزان:

ولقد اســتعان القائلون بفكرة جواز أن يخلف الله وعيده بهذه الروايات الضعيفة التي ذكرناها ســابقاً، وبهذا ندرك أن هذه الفكرة باطلة لا وزن لها في الفكر الإسلامي الطاهر.

وقد اســتعان القائلون بهذه الفكــرة الباطلة ببيت من الشــعر، فقد قال القرطبي: «والعرب تذمّ بالمخالفة في الوعد وتمدح بذلك في الوعيد؛ حتى قال قائلهم:

ولا يرهَبُ ابن العمّ ما عِشتُ صَوْلَتِي ... ولا أخْتَفِــي مــن خَشْــيَة المتَهَدِّدِ
وإنِّــي متــى أوْعدتُــه أو وعدتــه ... لَمخْلِفُ إيْعادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي»[٥٠٠]

وقد رد ابن حزم على الآخذين بهذا البيت حيث قال: «وقد ادعى قوم أن إخلاف الوعيد حسن عند العرب، وأنشدوا:

وإنِّــي وإنْ أوْعَدْتُــهُ أو وَعَدْتُــه ... لمُخْلِــفُ إيعادي ومُنْجِــزُ موْعدي

قال أبو محمد: وهذا لا شيء، قد جعل فخر صبي أحمق كافر حجة على الله تعالى والعرب تفخر بالظلم. قال الراجز:

---

(٤٩٧) انظر: ص٤٣ من هذا البحث.

(٤٩٨) قال ابن حجر في (تقريب التهذيب، ت: ٦٧٨٦، ١٩٦/٢): «صدوق له أوهام».

(٤٩٩) قال ابن حجر في (تقريب التهذيــب، ت: ٣٣٩٩، ٥٠١/١): «صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة».

(٥٠٠) تفسير القرطبي، ٢٠٢/٤.

أحيا أباه هاشم بن حرمله يَرَى الملوك حوله مغربله

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له»[٥٠١]

وفكرة احتمال إخلاف الله وعيده لم تلق التأييد في أوساط القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر، وقد سجل العلماء ما يناقض هذه الفكرة في كثير من كتبهم: -

- قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] أي: لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده، فلا إله إلا هو ولا رب سواه»[٥٠٢].

- وقال ابن كثير أيضاً: «الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها»[٥٠٣].

- وقال الإمام الطبري: «فكان الكسائي والفرّاء يقولان: لا تكاد العرب توقع «ربّ» على مستقبل، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم: ربما فعلت كذا، وربما جاءني أخوك. قالا: وجاء في القرآن مع المستقبل: ربما يودّ، وإنما جاز ذلك لأن ما كان في القرآن من وعد ووعيد وما فيه، فهو حقّ كأنه عيان...»[٥٠٤].

- وقال الشوكاني: «﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: ٥٥] لا يتخلف فما وعد به من الخير وأوعد به من الشرّ فهو كائن لا محالة»[٥٠٥].

---

(٥٠١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ٤٥.

(٥٠٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٥١.

(٥٠٣) تفسير ابن كثير، ٧/ ٩٩.

(٥٠٤) تفسير الطبري، ١٤/ ٢.

(٥٠٥) تفسير الشوكاني، ٤/ ٣٢٢، من تفسير الآية ٣٤ من سورة لقمان.

• وقال الألوسي: «﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ قيل بالثواب والعقاب على تغليب الوعد على الوعيد أو هو بمعناه اللغوي ﴿حَقٌّ﴾ ثابت متحقق لا يخلف، وعدم إخلاف الوعد بالثواب مما لا كلام فيه، وأما عدم إخلاف الوعد بالعقاب ففيه كلام والحق أنه لا يخلف أيضاً»[٥٠٦].

• وقال الرازي: «المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٨٠] يدل على أنه سبحانه وتعالى منزه عن الكذب وعده ووعيده...»[٥٠٧].

• وقال الرازي أيضاً: «... لأن الوعيد قسم من أقسام الخبر، فاذا جوز على الله الخلف فيه فقد جوز الكذب على الله، وهذا خطأ عظيم، بل يقرب من أن يكون كفراً، فإن العقلاء أجمعوا على أنه تعالى منزه عن الكذب، ولأنه إذا جوز الكذب على الله في الوعيد لأجل ما قال: إن الخلف في الوعيد كرم، فلم لا يجوز الخلف في القصص والأخبار لغرض المصلحة، ومعلوم أن فتح هذا الباب يفضي إلى الطعن في القرآن وكل الشريعة»[٥٠٨].

• وقال أبو حيان الأندلسي: «وفي قوله: ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ دليل على أن الله لا يخلف وعده. واختلف في الوعيد، فذهب الجمهور إلى أنه لا يخلفه، كما لا يخلف وعده»[٥٠٩].

• وقال القمي النيسابوري: «﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر أنقص النقائص. فإن قيل: هب أن الخلف في

---

(٥٠٦) تفسير الألوسي، ١١/١٠٥.

(٥٠٧) تفسير الرازي، ٣/١٣٧.

(٥٠٨) تفسير الرازي، ١٠/٢١٠ – ٢١١.

(٥٠٩) تفسير أبي حيان الأندلسي، ١/٤٤٥.

الوعد لؤم ونقيصة، لكنه في الوعيد كرم ولطف. قلنا: الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوّزه كامل، ولعل للكرم طريقاً آخر سوى هذا فتأمل»[٥١٠].

• وقال ابن تيمية: «قد ثبت في صحيح مسلم وغيره، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار من أمتي لم أرهما بعد: نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهن مثل أسنمة البخت، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها. ورجال معهم سياط مثل أذناب البقر، يضربون بها عباد الله**»، ومن زعم أن هذا الحديث ليس بصحيح بما فيه من الوعيد الشديد، فإنه جاهل ضال عن الشرع يستحق العقوبة التي تردعه، وأمثاله من الجهال الذين يعترضون على الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ. والأحاديث الصحيحة في «الوعيد» كثيرة مثل قوله: «**من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يجد رائحة الجنة**[٥١١]، **وريحها يوجد من مسيرة أربعين خريفاً**»، ومثل قوله الذي في الصحيح: «**لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر**». قيل: يا رسول الله! الرجل يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، أفمن الكبر ذاك؟ فقال: «**لا، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**».

---

(٥١٠) تفسير غرائب القرآن، ١/٣١٨ – ٣١٩، من تفسير الآية ٨٠ من سورة البقرة.

(٥١١) قال الشوكاني: «... ورائحة الجنة نسيمها الطيب، وهذا كناية عن عدم دخول من قتل معاهداً الجنة، لأنه إذا لم يشم نسيمها وهو يوجد من مسيرة أربعين عاماً لم يدخلها... والحديثان اشتملا على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد لدلالتهما على تخليده في النار، وعدم خروجه عنها وتحريم الجنة عليه، مع أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم في قاتل المسلم هل يخلد فيها أم يخرج عنها؟... وأما قاتل المعاهد فالحديثان مصرحان بأنه لا يجد رائحة الجنة وذلك مستلزم لعدم دخولها أبداً، وهذان الحديثان وأمثالهما ينبغي أن يخصص بهما عموم الأحاديث القاضية بخروج الموحدين من النار ودخولهم الجنة بعد ذلك». (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ص١٤٠٩).

علينا أن نعلم ـ حسب منهج الأمة الإسلامية ـ أنه لا يوجد حديث صحيح صريح فيه ذكر خروج عصاة المسلمين من نار جهنم كما سيتبيّن في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

و«**بطر الحق**» جحده، و«**غمط الناس**» احتقارهم، وازدراؤهم. ومثل قوله في الحديث الصحيح: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وفقير مختال**».

وفي القرآن من آيات الوعيد ما شاء الله...

وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين، **أن «الوعيد» في الكتاب والسُّنَّة لأهل الكبائر موجود**. ولكن الوعيد الموجود في الكتاب والسُّنَّة قد بيَّن الله في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ **أنه لا يلحق التائب** بقوله: «﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، **أي: لمن تاب**. وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، **فهذا في حق من لم يتب**، فالشرك لا يغفر، وما دون الشرك إن شاء الله غفره، وإن شاء عاقب عليه»(٥١٢).

والمشيئة التي أشار إليها ابن تيمية هنا قد أوضح معناها في موضع آخر من (مجموع الفتاوى) حيث قال هناك: «فمن سبقت له من الله الحسنى: **فلا بد أن يصير مؤمناً تقياً**، فمن لم يكن من المؤمنين لم يسبق له من الله حسنى، **ولكن إذا سبقت للعبد من الله سابقة استعمله بالعمل الذي يصل به إلى تلك السابقة**، كمن سبق له من الله أن يولد له ولد. فلا بد أن يطأ امرأة يحبلها، فإن الله سبحانه قدر الأسباب والمسببات، فسبق منه هذا وهذا؛ **فمن ظن أن أحداً سبق له من الله حسنى بلا سبب فقد ضل**، بل هو سبحانه ميسر الأسباب والمسببات، وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا»(٥١٣).

---

(٥١٢) مجموع الفتاوى، ١١/٢٩٦ – ٢٩٧.

(٥١٣) مجموع الفتاوى، ٨/١٣٣ – ١٣٤.

وقد بيَّن ابن الجوزي في كلمات معدودة بليغة هذه القاعدة التي ذكرها العلامـة ابن تيمية، حيث قـال ابن الجـوزي: «وبعد هذا، فالمـراد موفق، والمطلوب معان. وإذا أرادك لأمر هيأك له»[٥١٤].

وقال في موضع آخر: «تفكرت في سـبب هداية من يهتدي، وانتباه من يتيقظ من رقـاد غفلته، فوجدت السـبب الأكبـر اختيار الحـق ﷻ لذلك الشخص، كما قيل، إذا أرادك لأمر هيأك له»[٥١٥].

فمن سلك سبيل التوبة فقد أخذ بأسـباب المغفرة، وقد وعد الله تعالى التائبين بغفران ذنوبهم إن هم أخلصوا لله في أعمالهم.

فالروايات التي ذكرت الشـفاعة لأهـل الكبائر لا وزن لهـا في ميادين العلم. وأما فكرة إخلاف الله وعيده فهي من التخريصات التي لا يجوز نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى.

والقسـم الآتي من هـذا الفصل فيه زيادة بيـان لما أشـار إليه العلامة ابن تيمية هنا. والله الموفق إلى كل خير.

---

(٥١٤) صيـد الخاطر، ص ٢٧٤. قال المحققـان هنا: «أي: الذي يريده الله بجـواره يوفقه إلى العمل الصالح و(المطلوب) أي: الذي يطلبه الله سبحانه ليكون من عباده الصالحين».

(٥١٥) صيد الخاطر، ص ٣١٨.

المغفرة والمشيئة الإلهيّة

فحينما سمع المسلمون قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أخذوا في البحث عن الذين عناهم الله تعالى بهذا الاستثناء، وقاموا بذكر الأفراد الذين يشملهم هذا الاستثناء، وجاؤوا بأدلتهم للتدليل على صواب أقوالهم، وهذا منهج اتبعوه مع كل آية أو رواية فيها ذكر المستثنى والمستثنى منه في جميع كتاباتهم التي ازدهرت بها المكتبة الإسلامية عبر القرون الماضية. فكان القول الصحيح هو الذي أيدته الأدلة الثابتة التي لا تحوم حولها الشكوك.

وفي هذا القسم نعتمد على المنهج الإسلامي الذي طبقه علماء الأمة في معرفة المعنى الصحيح لقوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ المنزل في الآية ٤٨ والآية ١١٦ من سورة النساء.

ويُعرض هذا القسم في ثلاثة عناصر: ـ

١ ـ الحكم الإلٰهي الوارد في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله المصطفى ﷺ لأجل غفران ذنوب العباد.

٢ ـ اشتراط التوبة لأجل المغفرة أمر نادى به علماء المسلمين حينما تجردوا من التبعات المذهبية.

٣ ـ ذنوب تجاوز الله عنها وغفرها.

* * *

العنصر الأول: أسباب المغفرة كما جاء في حكم الله تعالى:

جاء ذكر المشــيئة في آيات من كتاب الله تعالى لبيان أن نواميس الكون وقوانينه محكومة بالإذن الإلٰهي لها للتفاعل والتجاوب مع اختيارات البشــر وتوجهاتهم إذا هم أخذوا بالأسباب.

قال الإمام الطبري عند تفســير قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبــوت: ٢١]: «فيعــذّب مــن يشــاء منهــم علـى ما أســلف من جرمه فـي أيام حياته، ويرحم من يشاء منهم مـمن تاب وآمن وعمل صالـحاً»(٥١٦).

وقال الإمام الطبري: «﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٢] يقول: فإن الله ذو عفو عــن ذنوبكم إذا تبتم منهــا، رحيم بكم أن يعاقبكم عليهــا بعد التوبة، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رســول الله ﷺ قبل أن تقدّمــوا بين يدي نجواكم إياه صدقة»(٥١٧).

وقال ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١]: «المعنى: ييســر من يشاء لأعمال من حق عليه العذاب، وييسر من يشاء لأعمال من سبقت له السعادة، فيتعلق الثواب والعقاب بالاكتساب المقترن بالاختراع الذي لله تبارك وتعالى في أعمال العبيد»(٥١٨).

هذه الأقوال التي ســطرها الإمام الطبري وابن عطيــة تفتح لنا الأبواب لتتبع كتب التفسير التي فســرت الآيات التي ربطت بين المشيئة الإلٰهيّة وما وُعد به البشر من ثواب وما تُوعد به الإنسان من عقاب.

---

(٥١٦) تفسير الطبري، ٢٠/ ١٣٩.

(٥١٧) تفسير الطبري، ٢٨/ ٢١.

(٥١٨) تفسير ابن عطية، ص١٤٥٩.

والآيات القرآنية تثبت أن نتائج سـلوك البشر في حياتهم تطبيق للقانون الإلٰهي في ربط النتائج بالمقدمات، وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة في كتابه العزيز في آيات كثيرة ذكر فيها المشيئة، حيث قال جلَّ وعلا: ـ

❖ ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

❖ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

❖ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤].

❖ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

❖ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

❖ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

* * *

بيان العلماء لهذا الحكم الإلهي:

• قال ابن كثير: «﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: إذا أراد أمراً قيَّض له أسباباً وقدره ويسره ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بمصالح عباده، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده»(٥١٩).

(٥١٩) تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٠. وقال ابن كثير في موضع آخر: «... ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ =

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾: «أي: يجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي: لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] وقال هٰهنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] وهذا استثناء منقطع، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال... وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾»(٥٢٠) [الزمر: ٥٣].

- وقال الإمام الرازي: «إلا أنه تعالى لطيف فإذا أراد حصول شيء سهَّل أسبابه فحصل وإن كان في غاية البعد عن الحصول»(٥٢١).

- وقال الألوسي: «وحاصله أن اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور المدبر لها والمسهل لصعابها، ولنفوذ مشيئته سبحانه فإذا أراد شيئاً سهَّل أسبابه أطلق عليه جل شأنه اللطيف لأن ما يلطف يسهل نفوذه»(٥٢٢).

= يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: ويهدي إليه من أناب إلى الله، ورجع إليه واستعان به وتضرع لديه» (تفسير ابن كثير، ٤/ ٨٩).

(٥٢٠) تفسير ابن كثير، ٦/ ٤٥٧ - ٤٥٩.

(٥٢١) تفسير الرازي، ١٨/ ١٧٨.

(٥٢٢) تفسير الألوسي، ٧/ ٥٨.

• وقال أبو السعود: «﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٤] إضلالَه أي: يخلق فيه الضلالَ لمباشرة أسبابِه المؤدية إليه أو يخذله ولا يلطُف به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الإلطاف. ﴿وَيَهۡدِي﴾ بالتوفيق ومنح الإلطاف ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هدايتَه لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق»(٥٢٣).

• وقال ابن تيمية: «وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] فمن سبقت له من الله الحسنى: فلا بد أن يصير مؤمناً تقياً، فمن لم يكن من المؤمنين لم يسبق له من الله حسنى، ولكن إذا سبقت للعبد من الله سابقة استعمله بالعمل الذي يصل به إلى تلك السابقة، كمن سبق له من الله أن يولد له ولد. فلا بد أن يطأ امرأة يحبلها، فإن الله سبحانه قدر الأسباب والمسببات، فسبق منه هذا وهذا؛ فمن ظن أن أحداً سبق له من الله حسنى بلا سبب فقد ضل، بل هو سبحانه ميسر الأسباب والمسببات، وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا»(٥٢٤).

• وقال سيد قطب: «ووراء ذلك كله مشيئة الله.. المشيئة الطليقة التي قضت أن يكون هذا الخلق المسمى بالإنسان على هذا الاستعداد المزدوج للهدى والضلال، عن اختيار وحكمة، لا عن اقتضاء أو إلزام.. وكذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم. بمشيئته تلك، التي تعين من يجاهد، وتضل من يعاند. ولا تظلم أحداً من العباد.. إن اتجاه الإنسان إلى طلب الهدى، أو اتجاهه إلى الضلال، كلاهما ينشأ من خلقته التي فطره الله عليها

---

(٥٢٣) تفسير أبي السعود، ج٣/ ص٤٧١، وانظر نحو هذا القول عند الألوسي في تفسيره (ج٧/ ص١٧٧): «﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله أي: يخلق فيه الضلال لوجود أسبابه المؤدية إليه فيه، وقيل: يخذله فلا يلطف به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الإلطاف ﴿وَيَهۡدِي﴾ يخلق الهداية أو يمنح الألطاف ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هدايته لما فيه من الأسباب المؤدية إلى ذلك».

(٥٢٤) مجموع الفتاوى، ٨/ ١٣٣ – ١٣٤.

بمشيئته. فهذا الاتجاه وذاك مخلوق ابتداء بمشيئة الله. والنتائج التي تترتب على هذا الاتجاه وذاك من الاهتداء والضلال إنما ينشئها الله بمشيئته كذلك. فالمشيئة فاعلة ومطلقة. والحساب والجزاء إنما يقومان على اتجاه الإنسان الذي يملكه، وإن كان الاستعداد للاتجاه المزدوج هو في الأصل من مشيئة الله»[٥٢٥].

• وقال الطباطبائي: «ولما لم يؤمن أن يتوهموا منه أن الأمر يدور مدار مشيئة جزافية غير منتظمة أشار إلى دفعه بتبديل قولنا: ويهدي إليه من يشاء من قوله: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ فبيّن أن الأمر إلى مشيئة الله تعالى جارية على سُنّة دائمة ونظام متقن مستمر وذلك أنه تعالى يشاء هداية من أناب ورجع إليه ويضل من أعرض ولم ينب»[٥٢٦].

• وقال الطبرسي: «﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلاً ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: ويعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبي المؤمنين إن مات قبل التوبة عدلاً ويدلّ عليه مفسراً قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] ولولا ذلك لكنا نجوز العفو على الجميع عقلاً.

---

(٥٢٥) في ظلال القرآن، المجلد ٢/ ص ١٠٨١. وقال سيد قطب في موضع آخر (المجلد ١/ ص ٣١٢ - ٣١٣): «وفي الوقت ذاته يقرر القرآن حقيقة أخرى: أن من أراد الهداية وسعى لها سعيها وجاهد فيها فإن الله لا يحرمه منها، بل يعينه عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ليطمئن كل من يتجه إلى هدى الله أن مشيئة الله ستقسم له الهدى وتؤتيه الحكمة، وتمنحه ذلك الخير الكثير». وقال سيد قطب أيضاً: (المجلد ٤/ ص ٢٠٦٠): «﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.. فالله يهدي من ينيبون إليه. فالإنابة إلى الله هي التي جعلتهم أهلاً لهداه. والمفهوم إذن أن الذين لا ينيبون هم الذين يستأهلون الضلال، فيضلهم الله. فهو استعداد القلب للهدى وسعيه إليه وطلبه، أما القلوب التي لا تتحرك إليه فهو عنها بعيد».

(٥٢٦) تفسير الطباطبائي، ١١/ ٣٥٥، من تفسير الآية ٢٧ من سورة الرعد.

وقيل: إنما أبهم الله الأمر بالتعذيب والمغفرة فلم يبيّن من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يأمن من عذاب الله تعالى ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»(٥٢٧).

• وقال ابن عاشور: «وأما آية سورة الإنسان فقد ذيلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] أي: فهو بعلمه وحكمته ينوط مشيئته لهم الاستقامة بمواضع صلاحيتهم لها فيفيد أن من لم يشأ أن يتخذ إلى ربه سبيلاً قد حرمه الله تعالى من مشيئته الخير بعلمه وحكمته كناية عن شقائهم»(٥٢٨).

وقال ابن عاشور: «وصفهم بالتقوى وبالتوجّه إلى الله تعالى بطلب المغفرة. ومعنى القول هنا الكلامُ المطابق للواقع في الخبرِ، والجاري على فرط الرغبة في الدعاء، في قولهم: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ إلخ، وإنّما يجري كذلك إذا سعى الداعي في وسائل الإجابة وترقّبها بأسبابها التي ترشد إليها التقوى، **فلا يُجازَى هذا الجزاءَ من قال ذلك بفمه ولم يعمل له**»(٥٢٩).

وقال ابن عاشور أيضاً: «ومعنى ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤] على هذا الكنايةُ عن مشيئة هديْه إياهم الذي هو سبب الرحمة، أو مشيئة تركهم وشأنَهم. وهذا أحسن ما تفسر به هذه الآية ويبيّن موقعها، وما قيل غيره أراه لا يلتئم... فلما ناط الرحمة بأسبابها والعذابَ بأسبابه، بحكمته وعدله، عُلم أن معنى مشيئته الرحمة أو التعذيب هو مشيئة إيجاد أسبابهما...»(٥٣٠).

---

(٥٢٧) تفسير الطبرسي، ٣١١/٢، من تفسير الآية ١٢٩ من سورة آل عمران.

(٥٢٨) تفسير ابن عاشور، ١٤٨/٣٠، من تفسير الآية ٢٩ من سورة التكوير.

(٥٢٩) تفسير ابن عاشور، ٤٢/٣، من تفسير الآية ١٦ من سورة آل عمران.

(٥٣٠) تفسير ابن عاشور، ١٠٧/١٤، من تفسير الآية ٥٤ من سورة الإسراء.

وقال ابن عاشــور: «...كان المعنى: لا مشــيئة لكم في الحقيقــة إلّا تبعاً لمشيئة الله... وقد حصل من صدر هذه الآية ونهايتها ثبوت مشيئتين: إحداهما: مشــيئة العباد، والأخرى: مشــيئة الله، وقد جمعتهما هذه الآيــة فكانت أصلاً للجمع بين متعارض الآيات القرآنية المقتضي بعضُها بانفرادِهِ نَوْطَ التكاليف بمشــيئة العبــاد وثوابَهم وعقابهــم على الأفعال التي شــاؤوها لأنفســهم، والمقتضي بعضُها الآخر مشــيئةً للـه في أفعال عبــاده... وبهذا بطل مذهب الجبرية لأن الآية أثبتت مشــيئة للناس وجعلت مشــيئة الله شــرطاً فيها لأن الاستثناء في قوة الشــرط، فللإنسان مشــيئته لا محالة. وأما مذهب المعتزلة فغير بعيد من قول الأشــعري إلّا في العبــارة بالخَلْق أو بالكســب، وعبارة الأشعري أرشَــق وأعلق بالأدب مع الله الخالِق، وإلّا في تحقيق معنى مشيئة الله، والفرق بينها وبين الأمر أو عدم الفرق وتفصيله في علم الكلام»[٥٣١].

وقال ابن عاشــور: «ومعنى إســناد الهدى والإضلال إلى الله راجع إلى مراتب تأثــر المخاطبين بالقرآن وعــدم تأثرهم بحيث كان القرآن مســتوفياً لأســباب اهتداء الناس به فكانوا منهم من اهتدى بــه ومنهم من ضل عنه... والمعنى: إن ذلك لنقص في الضالّ لا في الكتاب الذي من شأنه الهدى»[٥٣٢].

- وقــال الألوســي: «﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ تعالــى ﴿مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله لصرف اختياره حسب اســتعداده الســيء إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله تعالى الناطقة بالهدى ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته لصرف اختياره حسب استعداده الحســن عند مشــاهدة تلك الآيات إلى جانب الهدى لا إضــلالاً وهداية أدنى منهما»[٥٣٣].

---

(٥٣١) تفسير ابن عاشور، ٢٩/ ٣٨٢ـ٣٨٤، من تفسير الآية ٣٠ من سورة الإنسان.

(٥٣٢) تفسير ابن عاشور، ٢٤/ ٧٢ـ٧٣، من تفسير الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٥٣٣) تفسير الألوسي، ١٥/ ١٤٢.

• وقال الشيخ السعدي: «فيغفر لمن يشاء، وهو المنيب إلى ربه، الأواب إليه ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]. ويعذب من يشاء، وهو المصرّ على المعاصي، في باطنه وظاهره»(٥٣٤).

وقال الشيخ السعدي أيضاً: «﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت: ٢١] أي: هو المنفرد بالحكم الجزائي، وهو: إثابة الطائعين، ورحمتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم»(٥٣٥).

• قال الشوكاني: «﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت: ٢١] أي: هو سبحانه بعد النشأة الآخرة يعذب من يشاء تعذيبه، وهم الكفار، والعصاة، ويرحم من يشاء رحمته، وهم المؤمنون به المصدّقون لرسله العاملون بأوامره، ونواهيه»(٥٣٦).

• وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١] أي: يطهر من يشاء من الإثم بالتوبة والغفران، فالمعنى: وقد شئت أن أتوب عليكم»(٥٣٧).

• وقال النسفي: «﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ من علم منه اختيار الضلالة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٩٣] من علم منه اختيار الهداية»(٥٣٨).

---

(٥٣٤) تفسير السعدي، ١/ ٣٥١، النسخة التي حققها محمد زهري النجار، ونشرتها عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. وجاء في النسخة التي حققها عبدالرحمن بن معلا اللويحق، والتي نشرتها دار ابن حزم (ص١٠٣)، ما نصه: «﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهو لمن أتى بأسباب المغفرة، ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره»، وقد قام عبدالرّحمٰن بن معلا بإضافة ما اختلفت فيه النسختان في ص٩١٦ من النسخة التي نشرتها دار ابن حزم.

(٥٣٥) تفسير السعدي، ص٥٩٩، من تفسير الآية ٢١ من سورة العنكبوت.

(٥٣٦) تفسير الشوكاني، ٤/ ٢٦٠، من تفسير الآية ٢١ من سورة العنكبوت.

(٥٣٧) تفسير ابن الجوزي، ٣/ ٢٨٦، من تفسير الآية ٢١ من سورة النور.

(٥٣٨) تفسير النسفي، ٢/ ٢٩٨.

• وقال الشيخ الشعراوي: «والحق سبحانه وتعالى حين يتكلم عن المشيئة يقول: ﴿لَّوۡ نَشَآءُ﴾ ويحدد أسباب المشيئة وهو قوله: ﴿أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾، وهكذا نعلم أن المشيئة ليست مشيئة ربنا فقط لا، بل هي أيضاً مشيئة العباد الذين ميَّزهم بالاختيار...»(٥٣٩).

• وبيَّن لنا الشيخ الشعراوي هذه الحقيقة الإيمانية في مثال يمر به كل متعلم، حيث قال: «... لأن معنى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣]. أي: يحكم على هذا من خلال عمله بالضلال، ويحكم على هذا من خلال عمله بالهداية، مثل ما يحدث عندنا في لجان الامتحان، فلا نقول: اللجنة أنجحت فلاناً وأرسبت فلاناً، فليست هذه مهمتها، بل مهمتها أن تنظر أوراق الإجابة، ومن خلالها تحكم اللجنة بنجاح هذا وإخفاق ذاك»(٥٤٠).

• وقال ابن القيم: «﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ولم يقل: فإنك عزيز حكيم؛ لأن المقام مقام استعطاف وتعريض بالدعاء، أي: إن تغفر لهم وترحمهم بأن توفقهم للرجوع من الشرك إلى التوحيد ومن المعصية إلى الطاعة كما في الحديث: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»»(٥٤١).

فهذه الآيات الكريمة التي ذكرناها هنا، وأقوال العلماء التي جاءت مفسرة لها تبيِّن لنا أن الألطاف الإلهيَّة تتدخل في حياة العباد لأجل تنفيذ مشيئة الله في الخلق، فمن أراد الله تعالى العفو عنه والمغفرة له ألهمه أسبابهما ووفقه لطلبهما وأعانه على أداء ما به ينالهما.

---

(٥٣٩) تفسير الشعراوي، ٧/ ٤٢٦٥. من تفسير الآية ١٠٠ من سورة الأعراف.
(٥٤٠) تفسير الشعراوي، ١٣/ ٨١٨٦، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النحل.
(٥٤١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٨٢.

وبهذه الحقيقة الإيمانية نفهم حديث المصطفى ﷺ حينما بايع الصحابة ﷺ: «**«بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك»**[٥٤٢].

وأسباب المغفرة قد حددها الشارع الحكيم، فعلى الناس معرفة الأسباب والأخذ بها والاستعانة بالله جلّ وعلا في أداء ما وجب عليهم.

فليس أمام أصحاب الكبائر إلا باب التوبة النصوح فهي السبب المؤدي إلى المغفرة، وما عدا هذا الباب أماني لم ينزل الله بها من سلطان.

قال الإمام الرازي بعد أن تجرد من الأقوال الضعيفة، وتخلى عن التبعات المذهبية الموروثة، وأطلق قلمه ليمشي خلف آيات الله تعالى البينات: «**المسألة الأولى: أن في الآية**[٥٤٣] أعظم تحذير عن المعاصي وأقوى ترغيب في تلافي الإنسان ما يكون منه من المعصية بالتوبة لأنه إذا تصور أنه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا خلاص له إلا بالطاعة، فإذا كان لا يأمن كل ساعة من التقصير في العبادة، ومن فوت التوبة من حيث إنه لا يقين له في البقاء صار حذراً خائفاً في كل حال، والآية وإن كانت في بني إسرائيل فهي في المعنى

(٥٤٢) صحيح البخاري، الرواية: ١٨، ص٢٩. وأخرج هذه الرواية أيضاً الإمام مسلم، (صحيح مسلم، الرواية: ١٧٠٩، ص٧٦٧).

(٥٤٣) قال الإمام الرازي هذا القول عند تفسيره للآية ٤٨ من سورة البقرة.

مخاطبة للكل لأن الوصف الذي ذكر فيها وصف لليوم وذلك يعم كل من يحضر في ذلك اليوم»[٥٤٤].

* * *

أنبياء الله تعالى عليهم السلام أخذوا بأسباب المغفرة:

والباب السالك إلى المغفرة قد عرفه الأنبياء ودخلوا منه لنيل رضوان الله تعالى، وقد سجل القرآن الكريم دعاءهم. ولم يرد عن أيٍّ من أنبياء الله تعالى أن العصاة سينالون الغفران من غير توبة نصوح.

قال الله تعالى في ذكره لدعاء عباده الأنبياء: ـ

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].
- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].
- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
- ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].
- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].
- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

---

(٥٤٤) تفسير الرازي، ٣/ ٥٥.

❖ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

❖ ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

❖ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

❖ ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

❖ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

❖ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

❖ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

❖ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٦].

فقول الله تعالى بيان واضح أن المسـير إلى غفران الذنوب لا بد أن يمر من باب التوبة والإنابة إلى الله تعالى، وهذا هو الحق الذي ينبغي لنا اعتقاده

والسعي به في هذه الحياة الدنيا كما فعل أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام. وقد أقر بهذه الحقيقة المفسرون: ـ

• قال الطبري: «﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ يا محمدُ وسله أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن من خان مالاً لغيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ يقول: إن الله لم يزل يصفح عن ذنوب عباده المؤمنين بتركه عقوبتهم عليها، إذا استغفروه منها، رحيماً بهم، فافعل ذلك أنت يا محمد، يغفر الله لك»(٥٤٥).

• وقال ابن عاشور: «والأمرُ باستغفار الله جرى على أسلوب توجيه الخطاب إلى الرسول، فالمراد بالأمر غيره، أرشدهم إلى ما هو أنفع لهم وهو استغفار الله ممّا اقترفوه، أو أراد: واستغفر الله للخائنين ليلهمهم إلى التوبة ببركة استغفارك لهم فذلك أجدر من دفاع المدافعين عنهم»(٥٤٦).

❀ ❀ ❀

في حكم الله تعالى: المغفرة لمن آمن وخشي وعمل الصالحات:

وفكرة احتمال مغفرة ذنوب العصاة من غير توبة ليس لها دليل في مصادر العقيدة عند المسلمين، وكل الأدلة القرآنية تربط بين المسلك الصالح الذي يسير عليه الإنسان ـ مع التوبة من الذنوب ـ وبين المغفرة التي يسعى الإنسان لتحصيلها يوم القيامة.

• قال الإمام ابن كثير: «﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥] وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها... قال الله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا

---

(٥٤٥) تفسير الطبري، ٥/ ٢٦٤ – ٢٦٥.

(٥٤٦) تفسير ابن عاشور، ٤/ ٢٤٨، من تفسير الآية ١٠٦ من سورة النساء.

﴿عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأحقاف: ١٦] أي: هـؤلاء المتصفون بمـا ذكرنا، التائبون إلـى الله تعالى المنيبون إليه، المسـتدركون ما فات بالتوبة والاسـتغفار، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل»[٥٤٧].

• وقال الإمام ابن كثير عند تفسـيره لقولـه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الملك ١٢]: «يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكفّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالـى بأنه له مغفـرة وأجر كبير أي؛ تكفَّـر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل»[٥٤٨].

• وقال الإمام ابن كثير عند تفسـير قولـه تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمـر ٥٣]: ـ «هذه الآية الكريمـة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنهـا وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشـرك لا يغفر لمن لم يتب منه... فهذه الأحاديث كلهـا دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمـة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبـة: ١٠٤] وقـال ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾» [النساء: ١١٠][٥٤٩].

---

(٥٤٧) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٨٢.

(٥٤٨) تفسير ابن كثير، ٧/ ٧١.

(٥٤٩) تفسير ابن كثير، ٦/ ١٠٠ – ١٠١.

• وقال الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ وبادروا وسابقوا إلى مغفرة من ربكم، يعني: إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها...

وأما قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ فإنه يعني: إن الجنة التي عرضها كعرض السمٰوات والأرضين السبع أعدها الله للمتقين، الذين اتقوا الله، فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم، فلم يتعدّوا حدوده، ولم يقصروا في واجب حقه عليهم فيضيعوه»(٥٥٠).

• وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إن الذين يخافون ربهم بالغيب: يقول: وهم لم يروْه ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ يقول: لهم عفو من الله عن ذنوبهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ يقول: وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل»(٥٥١).

فمن الأقوال التي قالها الإمام ابن كثير والإمام الطبري ندرك أن المغفرة لا بد من المسارعة لأجلها بفعل الطاعات والبعد عن المنكرات والخوف من الله جلّ وعلا في السر والعلن. وهذه الأقوال تبطل فكرة احتمال غفران الذنوب من غير توبة وإنابة.

والآيات القرآنية الآتية تكشف لنا هذا الترابط بين سعي الإنسان الصالح والمغفرة: ـ

❖ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].

---

(٥٥٠) تفسير الطبري، ٤/ ٩١ – ٩٣.

(٥٥١) تفسير الطبري، ٢٩/ ٦.

❖ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

❖ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

❖ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

❖ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

❖ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

❖ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

❖ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

❊ ❊ ❊

السُنَّة النبويَّة دعوة إلى فعل الصالحات لأجل نيل المغفرة:

• قال الإمام مسلم[٥٥٢]: «حدّثنا عَبْـدُ اللهِ بْنُ عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ بْنِ بَهْرَامَ الدَّارِمِيُّ. حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ الدِّمَشْقِيَّ. حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

(٥٥٢) صحيح مسلم، الرواية: ٢٥٧٧، ص ١١٠١.

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِـي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَـنِ النَّبِيِّ. فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي. وَجَعَلْتُـهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً. فَلَا تَظَالَمُـوا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَـالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْـتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُـمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْـتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً. فَاسْـتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ. مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَـيْئاً. يَا عِبَادِي لَـوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ. مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَـيْئاً. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَـكُمْ وَجِنَّكُـمْ. قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي. فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ. مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ. ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا. فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»».

• وقال الإمام مسلم(٥٥٣): «حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَـقَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ أَنَّـهُ كَانَ يَدْعُو بِهَـذَا الدُّعَـاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِـي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي. وَإِسْـرَافِي فِي أَمْرِي. وَمَا أَنْتَ أَعْلَـمُ بِهِ مِنِّي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِـي جِدِّي وَهَزْلِي. وَخَطَئِي وعَمْدِي. وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»».

---

(٥٥٣) صحيح مسلم، الرواية: ٢٧١٩، ص١١٤٨.

• وقال الإمام البخاري[٥٥٤]: «حدّثنا قُتَيبةُ بنُ سـعيدٍ قال: حدَّثنا الليثُ عن يزيدَ بـنِ أبي حبيبٍ عن أبي الخيرِ عن عبدِ اللهِ بـنِ عمرٍو عن أبي بكرٍ الصدّيق ﷺ أنه قال لرسـولِ اللهِ ﷺ: علِّمني دُعاءً أَدعو بهِ في صلاتي، قال: قُل: **اللّهمَّ إِني ظَلَمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلّا أنتَ، فاغفِرْ لي مَغفِرةً من عِندكَ، وارحمني إِنك أَنتَ الغفور الرَّحيم**».

وهذه الروايات التي نقلناها من صحيح مسـلم وصحيح البخاري تشرح الرواية الأخرى التي جاءت عند الإمام مسـلم[٥٥٥] من طريق أبي أيوب ﷺ حيث قال: «سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقاً يُذْنِبُونَ، يَغْفِرُ لَهُمْ**»».

وهذه الروايـات فيها الدعوة إلـى التوبة والإنابة إلـى الله تعالى وعدم القنـوط من رحمة الله؛ فإن الله التـواب يقبل من أقبل إليـه، وليس في هذه الروايات ولا غيرها وعد للمذنبين بالمغفرة إذا أصروا على ذنوبهم.

• قال محمـد عبدالرؤوف المناوي: «لو أن العبـاد لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ثم يغفر لهم وهو الغفور الرحيم)... وقال الطيبي: في الحديث... مستجلب للتوبة والاستغفار الذي هو موقع محبة الله عز ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وفي الحديث: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار**» وفيه «**لله أشـد فرحاً بتوبة عبـده المؤمن**» وسـره إظهـار صفة الكـرم والحلم والغفران...»[٥٥٦].

• وقال المباركفوري أبو العلا: «لـولا أنكم تذنبون» أي: أيها المؤمنون «لخلق الله خلقاً» أي: قوماً آخرين من جنسـكم أو من غيركم «يذنبون فيغفر

---

(٥٥٤) صحيح البخاري، ٨٣٤، ص ١٦٠.

(٥٥٥) صحيح مسلم، الرواية: ٢٧٤٨، ص١١٥٨.

(٥٥٦) فيض القدير، شرح الرواية: ٧٣٩٩، ٥/٣٨٨.

لهم» وفي رواية مسلم: لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم. قال الطيبي: ليس في الحديث تسلية للمنهمكين في الذنوب كما يتوهمه أهل الغرة بالله تعالى فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب بل بيان لعفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين ليرغبوا في التوبة، والمعنى المراد من الحديث: هو أن الله كما أحب أن يعطي المحسنين أحب أن يتجاوز عن المسيئين، وقد دل على ذلك غير واحد من أسمائه الغفار الحليم التواب العفو»(٥٥٧).

• وقال ابن علان الصديقي: «(فاستغفروني أغفر لكم) أصل الغفر: الستر فغفر الذنب: ستره ومحو أثره وأمن عاقبته، وحكمة التوطئة لما بعد الفاء بما قبلها بيان أن غير المعصوم والمحفوظ لا ينفك غالباً عن المعصية، فحينئذٍ يلزمه أن يجدد لكل ذنب ولو صغيرة توبة وهي المرادة هنا من الاستغفار»(٥٥٨).

• وقال علي القاري: «... أي إن فعلت أضعاف ما كنت تفعل ثم استغفرت عنه غفرت لك فإني أغفر الذنوب جميعاً، ما دمت عنها مستغفراً إياها وليس معناه: فليعمل ما شاء إذا كان بالوصف السابق، كما يتبادر فإنه يتضمن الأمر بالمعصية والتوبة وهو لا يصح فتأمل»(٥٥٩).

• وقال الحافظ ابن حجر: «وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران، ١٣٥] فيه إشارة إلى أن من شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب، وإلا فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب»(٥٦٠).

(٥٥٧) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٩/ ٥٢٣.
(٥٥٨) دليل الفالحين، ١/ ٢٨٣.
(٥٥٩) مرقاة المفاتيح، ٣/ ٣٦٨.
(٥٦٠) فتح الباري، ١٢/ ٣٧٦.

• وذكر ابن عبدالبر سبباً من الأسباب التي جرفت العصاة إلى الإصرار على الذنوب، حيث قال: «وقال بعض المنتمين إلى العلم من أهل عصرنا: إن الكبائر والصغائر يكفرها الصلاة والطهارة، واحتج بظاهر حديث الصنابحي هذا[٥٦١]، وبمثله من الآثار، وبقوله: «فما ترون ذلك يبقي من ذنوبه» وما أشبه ذلك. وهذا جهل بيّن، وموافقة للمرجئة فيما ذهبوا إليه من ذلك، وكيف يجوز لذي لبّ أن يحمل هذه الآثار على عمومها وهو يسمع قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] وقوله تبارك تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] في آي كثيرة من كتابه. ولو كانت الطهارة والصلاة وأعمال البر مكفرة للكبائر، والمتطهر المصلي غير ذاكر لذنبه الموبق ولا قاصد إليه ولا حضره في حينه ذلك أنه نادم عليه ولا خطرت خطيئته المحيطة به بباله لما كان لأمر الله ﷻ بالتوبة معنى، ولكان كل من توضأ وصلى يشهد له بالجنة بأثر سلامه من الصلاة، وإن ارتكب قبلها ما شاء من الموبقات الكبائر، وهذا لا يقوله أحد ممن له فهم صحيح، وقد أجمع المسلمون أن التوبة على المذنب فرض والفروض لا يصح أداء شيء منها إلا بقصد ونيّة واعتقاد أن لا عودة، فأما أن يصلي وهو غير ذاكر لما ارتكب من الكبائر، ولا نادم على ذلك فمحال، وقد

---

(٥٦١) الحديث الذي أشار إليه ابن عبدالبر هو: «مالك، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله الصنابحي: أن رسول الله ﷺ، قال: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ رَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رأسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ»». (التمهيد، ٢/ ١٧٤).

قال رسـول الله ﷺ: «الندم توبة» وقال ﷺ: «الصلـوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفـارة لما بينهـن ما اجتنبت الكبائر»... وهـذا يبيّن لك ما ذكرنا ويوضـح لك أن الصغائر تكفر بالصلوات الخمس لمن اجتنب الكبائر، فيكـون على هذا معنى قـول الله ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]ـ الصغائر ـ بالصلاة والصوم والحج وأداء الفرائض وأعمال البر. وإن لـم تجتنبوا الكبائر ولم تتوبوا منها لم تنتفعوا بتكفيـر الصغائر إذا واقعتم الموبقات المهلكات والله أعلم»[٥٦٢].

• وقال محمد عبد الرؤوف المناوي: «قال رجل للقرطبي: أريد أن أعطي الله عهداً أن لا أعصيه أبداً، قال: ومن أعظم الآن جرماً منك وأنت تتألى على الله أن لا ينفذ فيك قضاؤه وقدره إنما على العبد أن يتوب كلما أذنب»[٥٦٣].

وقال السيد عبد الحسين دستغيب:

• «عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شـيء من معاصيه». ودلالة هذا الحديث

---

(٥٦٢) التمهيد، ٢/ ١٨١ – ١٨٣. تتمة قول ابن عبد البر هنا هو الآتي: «وهذا كله قبل الموت، فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله: إن شـاء غفر له وإن شـاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهـو أهل العفو وأهـل المغفرة، وإن تاب قبـل الموت وقبل حضوره ومعاينتـه، وندم واعتقد أن لا يعود، واسـتغفر ووجـل، كان كمن لم يذنب، وبهذا كله الآثار الصحاح عن السـلف قد جاءت، وعليه جماعة علماء المسلمين... وقد كنت أرغب بنفسـي عن الكلام في هذا الباب لولا قول ذلك القائل وخشيت أن يغتر به جاهل، فـينهمك فـي الموبقـات اتكالاً على أنها تكفرها الصلوات الخمس، دون الندم عليها، والاسـتغفار والتوبة منها ـ والله أعلم ـ ونسأله العصمة والتوفيق». قضية المغفرة والمشيئة هي إحدى عناصر هذا القسم من هذا البحث.

(٥٦٣) فيض القدير، شرح الرواية: ٥٧١٧، ٥/ ٤٣٦.

على كبر ذنب الإصرار أيضاً واضحة لأن المعصية الصغيرة تغتفر مع ترك الكبائر وأداء الواجبات كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ أما كيف تمنع قبول العبادات؟ فذلك لأن الإصرار على الذنب من الكبائر وهو ما يمنع قبول العبادات»[٥٦٤].

• «وفي الرواية الحسنة عن ابن أبي عمير عن الإمام الباقر عليه السلام يقول عليه السلام: (ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا أنه ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة ومن لم يندم عليها كان مصراً والمصر لا يغفر له لأنه غير مؤمن لعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم)»[٥٦٥].

فالأحاديث الصحيحة المروية عن الرسول ﷺ كلها دعوة إلى تجنب الذنوب وما يقرب إليها، وهي دعوة كذلك إلى التوبة والإنابة وطلب المغفرة من الله تعالى.

فمن الآيات القرآنية الكريمة والروايات التي ذكرناها هنا، ومن الأقوال التي ذكرناها عن المناوي، والمباركفوري، وابن علان الصديقي، وعلي القارئ، وابن حجر، وابن عبدالبر وغيرهم[٥٦٦] ندرك تمام الإدراك أن فكرة احتمال غفران الذنوب من غير توبة لا أصل لها في الإسلام ولم يأت بها دليل صحيح.

---

(٥٦٤) الذنوب الكبيرة، ٢/ ٢١٥، نقلًا عن الكافي، ٢، باب الإصرار على الذنوب، ص٢٨٨، ح٣.

(٥٦٥) الذنوب الكبيرة، ٢/ ٢١٧ نقلًا عن وسائل الشيعة، ١١ باب ٤٧، ص٢٦٦، ح ١١ مع اختلاف بالألفاظ

(٥٦٦) سنذكر بعد قليل إن شاء الله تعالى أقوالًا عديدة عن كثير من العلماء فيها بيان اشتراط التوبة الصادقة لأجل نيل المغفرة.

أخي القارئ الكريم.

لعلك أدركت من قراءتك لما سبق أن الحكم الإلٰهي الذي لا يحابي أحداً يشترط التوبة والإنابة من المذنبين لأجل نيل المغفرة من الغفار الرحيم.

* * *

العنصر الثاني: علماء الأمة الإسلامية يدعون إلى الأخذ بأسباب المغفرة:

لقد انتشرت في أوساط القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر فكرة المغفرة من غير توبة، وهم بفكرتهم هذه خالفوا الحكم الإلٰهي الذي يربط بين المغفرة والتوبة، وخالفوا أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة التي تدعو العباد إلى طلب المغفرة من كل الذنوب، وخالفوا كذلك أقوالهم العديدة الكثيرة في وجوب التوبة كما سيتضح ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى.

- قال ابن كثير: «... لأنه تعالى قد حكم هٰهنا بأنه لا يغفر الشرك، وحكم بأنه يغفر ما عداه لمن يشاء، أي: وإن لم يتب صاحبه»(٥٦٧).

- وقال ابن عطية: «ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين، فإن كان كافراً فهو يخلد، وإن كان مؤمناً فهو عاص في المشيئة، لكن يغلب الخوف عليه، ويقوى الظن في تعذيبه، ويقطع من جهة السمع أن من هذه الصنيفة من يغفر الله له تعالى تفضلاً منه ولا يعذبه»(٥٦٨).

- وقال الرازي: «ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢] إما من غير التوبة لمن شاء كما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] أو بعد التوبة»(٥٦٩).

---

(٥٦٧) تفسير ابن كثير، ٢/٣١٣.

(٥٦٨) تفسير ابن عطية، ص ٤١٤، من تفسير الآية ١٧ من سورة النساء.

(٥٦٩) تفسير الرازي، ٢٩/٢٤٦.

• قال أبو السعود: «﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أيْ: مبالغٌ في العفو والمغفرةِ فيغفرُ لمَا سلفَ منْهُ عَلَى الإطلاقِ أوْ بالمتابِ عنْهُ»[٥٧٠].

• وقال الألوسي: «﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر ما سلف منه ويعفو عمن ارتكبه مطلقاً أو بالتوبة»[٥٧١].

من هذه الأقوال التي ذكرها ابن كثير، وابن عطية، والرازي، وأبو السعود، والألوسي نلاحظ الآتي: ـ

ـ فكرة المغفرة لأصحاب الكبائر من غير توبة نصوح يقدمها صاحبها قبل الممات يردها الحكم الإلٰهي الذي رتب نتائج الأمور بأسبابها. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي ذكرناها في هذا القسم تربط بين المغفرة وجهود البشر لنيلها.

ـ والقول بأن من أصحاب الكبائر من قد تشملهم المغفرة على ما هم عليه من ذنوب قول مقحم على الفكر الإسلامي وقد عارضته آيات الله تعالى وأحاديث الرسول ﷺ ولم يأت أصحابه بما يثبته. وقد صحح ابن الجوزي هذه الفكرة عند رده على أبي نواس الذي نقل عنه تمني المغفرة من غير إقلاع عن الذنب[٥٧٢].

ـ وتباين الأفكار عند ابن عطية في شأن مصير العصاة إذا ماتوا من غير توبة مصدرها اعتماد روايات لا تقوم بها حجة في ميزان الإسلام. فنجد ابن عطية يقطع، اعتماداً على ما سمعه، أن من العصاة المصرّين من يغفر له

(٥٧٠) تفسير أبي السعود، ٦/ ٢١٤.
(٥٧١) تفسير الألوسي، ١٤/ ٢٠٠.
(٥٧٢) انظر ص٦٠ من هذا البحث.

ولا يعذب، ولكنه قبل هـــذه الفكرة نجده يقول بغلبة الظـــن في تعذيبه مما يغلب جانب الخوف عليه.

ـ وفكرة غفران الذنوب مـــن غير توبة وإنابة إلـــى الله تعالى قد جرأت المستشرقين للنيل ظلماً وعدواناً من روح الإسلام، فقد نقل الشيخ الشعراوي عن أحد المستشـــرقين قوله: «إن المغفرة الإلٰهيَّة كما يبدو من القرآن الكريم تمنح على غير أساس معلوم وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]...»(٥٧٣).

(٥٧٣) انظر: كتاب (أسماء الله الحسنى)، ص٢٠٨ - ٢١٠. قال الشيخ الشعراوي رداً على هذه الفريـــة: «... ونقول رداً عليه: إن المغفرة والعذاب بيد الله ﷻ، ولمن يشـــاء من عباده، نعم.. ولكن ذلك لا يعني أن المسألة تســـير وفقاً للهوى.. تعالى ربنا الملك الحق عن الهوى والظلم والتفرقة بين العباد. فالحق تبارك وتعالى إن شـــاء أن يغفر لأحد فثق أنه جدير بالمغفرة، وإن شاء أن يعذب أحداً فثق أنه جدير بالعذاب...

فإن دلَّ هذا الحديث على شـــيء فإنما يدل على أن الخـــوف من الله ﷻ والذي يرجع إلى الإيمان الصادق به قد يجلب المغفـــرة، ودلَّ أيضاً على أن مغفرة الله ﷻ لا تعطى لعبد دون مبرر أو استحقاق...

إن هذا الحديث يدل أيضاً على أن مغفرة الحق ﷻ لا تمنح إلا لمستحق، وهذا العبد الذي غفر له الله ﷻ كان دائم الاستغفار، وهذا يرجع إلى إيمانه الصادق بالله ﷻ وخشيته منه.

وقوله الحق: اعمل ما شـــئت فقد غفرت لك.. لا يعني أنه جلَّ وعـــلا أطلق له العنان ليبغي في الأرض الفساد...

فالمغفرة في هذا الحديث رغم كونها مســـتقبلية إلا أنها مغفرة مترتبة على اســـتحقاق العبد والذي يعلمه الحق ﷻ من علمه بنفس عبده، وعلمه بالغيب.. إذن: فهي ليســـت مغفرة عشوائية يعقبها طغيان من العبد وفساد في الأرض...

فمن آمن وعمل صالحاً، صار في الإمكان أن يغفر لـــه الله ﷻ ما اقترفه من ذنوب إن تاب وأناب».

هذا القول الذي ذكره الشيخ الشعراوي يؤيده ما نقله ابن حبان: «قال أبو حاتم ﷺ: قوله: (اعمل ما شـــئت) لفظة تهديد أعقبت بوعد، يريد بقوله: (اعمل ما شئت)، أي: لا تعصِ. وقوله: (قد غفرت لك) يريد: إذا تبت» (صحيح ابن حبان، الرواية: ٦٢٥، ٢/ ٣٩٢).

ففكـرة احتمال غفـران كبائر الذنوب مـن غير توبة نصـوح يقدمها صاحبها قبل الممات فكرة لا أصل لها، وقد عقَّها القائلون بها في كثير من كتبهم. وفي هـذا الموضع من هذا البحث أنقل لـك أخي القارئ الكريم ما قاله علماء المسـلمين عند ربطهم بين المغفرة وأسبابها، وعند شرحهم لأسماء الله الحسنى؛ خاصة عند شرحهم لمعنى (الغفور) و(غافر) و(عفو) و(تواب).

أقوال العلماء حول الترابط الوثيق بين التوبة والمغفرة:

من أقوال أحمد عبد الجواد:

- «(الغفار جلَّ جلاله): ومعناه: أنه يغفر الذنوب مرة بعد مرة وهو كثير الغفران لعباده الذين تابوا إليه واسـغفروه فغفر لهم وسترهم لئلا يُفتضحوا يوم الحساب»[٥٧٤].

- «(الغفـور جلَّ جلاله) معنـاه: كثير الغفران والصفـح، كلما أذنب العبد واسـتغفر غفر الله له وهو سـبحانه يسـتر عباده لئلا يفتضحوا يوم الحساب»[٥٧٥].

- «(التواب جلَّ جلاله): ومعناه: أنه المعيد إلى عبده فضل رحمته إذا هو رجع إلى طاعته وندم على معصيته، فلا يحبط له ما قدم من خير، ولا يمنعه ما وعد به المطيعين له من الإحسـان، وكلما تكـررت توبة العبد تكرر القبول من الرب التواب»[٥٧٦].

---

(٥٧٤) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، ص ٥١.

(٥٧٥) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، ص ٩٢.

(٥٧٦) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، ص ١٧٧.

• «(العفو جلَّ جلاله)... ومعناه: أنه هو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، ويصفح عمن تاب وأناب»(٥٧٧).

من أقوال أحمد بن شعبان بن أحمد:

• «كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

والله هو التواب الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين. فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه.

فهو التائب على التائبين، أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم»(٥٧٨).

من أقوال الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي:

• «فقد بشَّر الله الغفار سبحانه عباده المسرفين على أنفسهم بواسع مغفرته ونهاهم عن أن يقنطوا من رحمته مهما يسرفوا في اجتراف السيئات، ومهما يقترفوا من كبائر الإثم والفواحش، وبشرهم بأنه يغفر الذنوب جميعاً دقت أو جلت، كبرت أو صغرت. وكل ما عليهم إن صدقت رغبتهم في هذه المغفرة وسمت نحوها آمالهم: أن ينيبوا إلى ربهم ويسلموا له، ويقلعوا عن آثامهم ويطَّهروا من أوضار الخطايا بالتوبة النصوح.

---

(٥٧٧) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، ص١٨١.

(٥٧٨) شرح أسماء الله الحسنى لشمس الدين أبي عبد الله بن محمد ابن قيم الجوزية، ص٢٤١، نقلاً من مقدمة تفسير السعدي. وانظر كذلك نحو هذا القول في كتاب: (شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة) لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٧٦-٧٨.

ولا ينبغي للمؤمن أن يتلو آية للبشرى وحدها ثم يطير بها فرحاً قبل أن يتلو الآيات التي تتصل بها لئلا يكون من الذين جعلوا القرآن عضين، فآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً، ففي هذه الآيات البينات حين بشر الله بهذه المغفرة الشاملة طلب من هؤلاء الذين ساق إليهم هذه البشرى أن ينيبوا إليه ويسلموا له من قبل أن يأتيهم العذاب ثم لا ينصرون.

وإنما تتم البشرى لهؤلاء الذين يقومون بتحقيق ما طلب منهم فيما يلي من الآيات. يؤيد هذا قول الله تعالى في سورة طه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

لم يقل الله تعالى إني لغفار لكل من دب ودرج من العصاة والآثمين بل قال سبحانه: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

ولم يقتصر على ذكر التوبه حتى ذكر الإيمان، ولم يقف عند ذكر الإيمان حتى ذكر العمل الصالح ثم توج ذلك كله بالهداية، فمن تحققت منه التوبة والإيمان والعمل الصالح والهداية رجيت له المغفرة.

وفي هذا قضاء على غرور المفترين، وطمع الطامعين، وأماني المفتونين، الذين يتمنون المغفرة بغير عمل صالح قدموه، ولا حسنة ادخروها لمعادهم... وللرسول عليه الصلاة والسلام كلمة جامعة حكيمة لو قرأها أسرى الأماني وتدبروها لصرفت أبصارهم عن خدع الشيطان الذي يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ولأقبلوا على الصالحات يبتغون بها الوسيلة إلى مغفرة الله وجنته، فاستمع إليه صلوات الله عليه يقول: «**ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل**». إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»»[٥٧٩].

---

(٥٧٩) القول الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٢٤ - ٢٢٥. وانظر نحو هذا القول في ص٢٢٦ من نفس الكتاب.

من أقوال الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي:

- «المشـكلة الأساسـية هو أننا إذا قرأنا القرآن قد نقرأ بعضه وننسى بعضه الآخر، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] يجب أن لا تقف عند هذا الحد في الآية، بل تتابع ما بعدها قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]. أي: غفور لمن أقبل، غفور لمن تاب، غفور لمن رجع، غفور لمن أناب، غفور لمن أصلح، غفور لمن استغفر، أما أن يقيم الإنسان على معصية، وينوي أن يبقى عليها، ويقول: الله غفور رحيم فإن هذا من السذاجة والجهل وعدم الفهم»(٥٨٠).

- «فما الحكمة؟! إذ كلما ذكر الله أنه عظيم في رحمته، ومغفرته وحلمه ذكر أنه شديد عقابه، فماذا يعني؟ يعني ذلك أن الله غفور إذا عدت إليه، وغفور إذا استغفرته، وغفور إذا تبت من ذنبك، وأصلحت وأخلصت، فهذه الأسماء الحسنى، والصفات الفضلى في الله ﷻ لا يمكن أن تكون مبتذلة، وهذه الصفات غفور إذا أقبلت عليه وتبت ورجعت إليه، وأقلعت عن الذنب وندمت فهو غفور وإلا فالله سبحانه وتعالى شديد العقاب، وعذابه أليم.

لذلك وردتْ آيات فيها معنى: أن ربك للذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات إن ربك من بعدها لغفور رحيم، إذاً من السذاجة وضيق الأفق والجهل أن تُعلق آمالاً على مغفرة الله وأنت مقيم على معصية، فمن الغباء والحمق والجهل أن تقول الله غفور رحيم وأنت لا تفكر في التوبة...»(٥٨١).

---

(٥٨٠) موسوعة اسماء الله الحسنى، ١/ ٢١٢ - ٢١٣.

(٥٨١) موسوعة أسماء الله الحسنى، ٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦.

• «... أما أن الله غفور رحيم فهو بشــرط أن تعود إليه، وأن تتوب إليه، وأن تؤوب، وأن تندم علــى ذنبك، وأن تقلع عنه... فهــذه كلمة غفور رحيم يفهمها بعض الناس فهم الغافلين، إذ يقول المنحرف لصنوه لا تدقق الله غفور رحيم فضــع مخالفاتك في رقبتــي، وهذا كلام في غاية الجهــل، فهو غفور رحيم إذا تبت ورجعت إليه، فالمغفرة والرحمة مقيدة بقيود الإنابة»(٥٨٢).

من أقوال الإمام الطبري:

• «... ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ دون من لـم يتب، حتـى غلب علـى عقله وغمرته حشرجة ميتته»(٥٨٣).

• «وقولــه: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجـر: ٤٩] يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد ﷺ: أخبر عبـادي يا مـحمد، أنـي أنا الذي أســتر علـى ذنوبهــم إذا تابوا منها وأنابوا، بترك فضيحتهــم بها وعقوبتهم علـيها، الرحيـم بهــم، أن أعذّبهــم بعد توبتهــم منها علـيهــا. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠] يقــول: وأخبرهم أيضــاً أن عذابـي لــمن أصرّ علـى معاصــيّ، وأقام علـيها ولــم يتب منها، هو العــذاب الــموجع الذي لا يشــبهه عذاب. وهذا من الله تـحذير لـخـلقه التقــدم علـى معاصيه، وأمر منه لهم بـالإنابة والتوبة»(٥٨٤).

• «... ومعنى قوله: ﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الأنعام: ٥٤]: أنه من اقترف منكم ذنباً، فجهــل باقترافه إياه. ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ

(٥٨٢) موسوعة أسماء الله الحسنى، ٢/٤٧٩.

(٥٨٣) تفسير الطبري، ٤/٣٠٢.

(٥٨٤) تفسير الطبري، ١٤/٣٨ـ٣٩.

﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذنبه إذا تاب وأناب، وراجع بطاعة الله، وترك العود إلى مثله مع الندم على ما فرط منه. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه»[٥٨٥].

• «... أن الله جلَّ ثناؤه لقَّى آدم كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقيله إياهن، وعمله بهن إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه، متنصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره. فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه وندمه على سالف الذنب منه»[٥٨٦].

• «وأما قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ فإنه يعني به: عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله ﷺ الذي كره الله لكم مسألتكم إياه عنها، أن يؤاخذكم بها، أو يعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ يقول: والله ساتر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة ﴿حَلِيمٌ﴾ أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه، عن عقوبته عليها»[٥٨٧].

• «يقول: ما الله براجع لأحد من خلقه إلى ما يحبه من العفو عنه، والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه، إلا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون، ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منه إلى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود إلى مثله من قبل نزول الموت بهم»[٥٨٨].

---

(٥٨٥) تفسير الطبري، ٧/٢٠٨_٢٠٩.
(٥٨٦) تفسير الطبري، ١/ ٢٤٥.
(٥٨٧) تفسير الطبري، ٧/ ٨٥.
(٥٨٨) تفسير الطبري، ٤/ ٢٩٨.

• «ومن يعمل ذنباً، وهو السوء، أو يظلم نفسه بإكسابه إياها ما يستحقّ به عقوبة الله، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يقول: ثم يتــوب إلى الله بإنابته مما عمل من الســوء، وظلم نفســه ومراجعته ما يحبه الله من الأعمــال الصالحة التي تمحــو ذنبه وتذهب جُرمــه، ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يقــول: يجد ربه ساتراً عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبته جرمه، رحيماً به»(٥٨٩).

• وقال الإمــام الطبري عند تفســير قوله تعالــى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾: [البروج: ١٤] «وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له»(٥٩٠).

• «وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ يقــول: وهو القويّ الشــديد انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه»(٥٩١).

• «وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقي عبادُه عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويُسارعوا إلى طاعته، ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ يقــول: هو أهل أن يغفر ذنوبهــم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها»(٥٩٢).

• «وقولــه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يقــول: إن الله كان ذا ســتر علـى ذنوب التائبـين، رحيـماً بـالتائبـين أن يعاقبهم بعد التوبة»(٥٩٣).

• «ويعنـي بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]: إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبته علـيها وفضيحته بها، رحيـم به بعد توبته أن يعذّبه علـيها»(٥٩٤).

---

(٥٨٩) تفسير الطبري، ٥/ ٢٧٢ - ٢٧٣.
(٥٩٠) تفسير الطبري، ٣٠/ ١٣٨.
(٥٩١) تفسير الطبري، ٢٩/ ١.
(٥٩٢) تفسير الطبري، ٢٩/ ١٧٢.
(٥٩٣) تفسير الطبري، ٢١/ ١٤٨.
(٥٩٤) تفسير الطبري، ١٣/ ١.

• «﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] يقول: والله أرحم الراحمين لمن[٥٩٥] تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته»[٥٩٦].

• «وأما قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه إياهم فيعذّبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة. ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم»[٥٩٧].

• «وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذّبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها»[٥٩٨].

• «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] يقول جلّ ثناؤه: إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة»[٥٩٩].

• «﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه»[٦٠٠].

• «الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب، إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك، وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره، رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه»[٦٠١].

---

(٥٩٥) في الأصل: «ممن».
(٥٩٦) تفسير الطبري، ١٣/ ٥٦.
(٥٩٧) تفسير الطبري، ١١/ ٢٢.
(٥٩٨) تفسير الطبري، ٢٢/ ٥٩.
(٥٩٩) تفسير الطبري، ٢٨/ ٧.
(٦٠٠) تفسير الطبري، ٢٦/ ١٣٨.
(٦٠١) تفسير الطبري، ٢٦/ ١٢٣.

- «قوله: ﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] يقول: إنك ذو رأفة بخلقك، وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه»[٦٠٢].
- «﴿رَّحِيمٌ﴾ بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه»[٦٠٣].
- «وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه، وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه، وانتهوا إلى أمره ونهيه، يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه، فتوبوا إليه يرحمكم»[٦٠٤].
- «﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥] يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، فأناب، وراجع طاعته، يستر عليها بعفوه عنها، رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها، لأنه يقبل التوبة ويُقيل العثرة»[٦٠٥].
- «﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لكم لمن تاب من عباده، من ذنوبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها»[٦٠٦].
- «وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] يقول الله تعالى ذكره: وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول، وذنب من ادّعى ولد غيره ابناً له، إذا تابا وراجعا أمر الله، وانتهيا عن قيل

---

(٦٠٢) تفسير الطبري، ٢٨/ ٤٥.

(٦٠٣) تفسير الطبري، ٨/ ١١٤.

(٦٠٤) تفسير الطبري، ٢٦/ ١٤٤.

(٦٠٥) تفسير الطبري، ٩/ ١٠٣.

(٦٠٦) تفسير الطبري، ٢٨/ ١٢٦.

الباطل بعد أن نهاهمـــا ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما علـى ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما»[٦٠٧].

• «وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: إن الله عزّ ذكره ســاتر علـى من تاب وأناب عن معاصيه إلـى طاعته ذنوبه بـالعفو عن عقوبته علـيها يوم القيامــة وتركه فضيحته بهــا علـى رؤوس الأشــهاد، رحيـم بــه وبعبـاده التائبـين إلـيه من ذنوبهم»[٦٠٨].

• «أن الله جــلّ ثناؤه هــو التــواب علـى من تــاب إلـيه مــن عبـاده الـمذنبـين مــن ذنوبه التارك مـجازاته بإنابته إلـــى طاعته بعد معصيته بـما سلف من ذنبه»[٦٠٩].

• «وقولــه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] يقول تعالـى ذكره: وإن ربك يا مـحمد لذو ســتر علـى ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتــارك فضيحَته بها فـي موقـف القـيامــة، وصافحٌ له عن عقابه علـيها عاجلاً وآجلاً علـى ظلـمهم»[٦١٠].

• «شــديد عقابه من عصاه وتـمرّد علـيه علـى معصيته إياه، وهو غفور الذنوب من أطاعه وأناب إلـيه فساترٌ علـيه وتاركٌ فضيحته بها، رحيـم به أن يعاقـبه علـى ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها»[٦١١].

• «يقول جلّ ثناؤه: إن الله لغفور لـما كان منكم من تقصير فـي شــكر

---

(٦٠٧) تفسير الطبري، ١٢١/٢١.
(٦٠٨) تفسير الطبري، ٢٣٠/٦.
(٦٠٩) تفسير الطبري، ٢٤٦/١.
(٦١٠) تفسير الطبري، ١٠٦/١٣.
(٦١١) تفسير الطبري، ٧٨/٧.

بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته، رحيم بكم أن يعذّبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة»[٦١٢].

• «وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها»[٦١٣].

من أقوال الإمام القرطبي:

• «رتب تعالى بفضله وكرمه غفران الذنوب لمن أخلص في توبته ولم يصِرّ على ذنبه. ويمكن أن يتّصل هذا بقصّة أُحُد، أي: من فرّ ثم تاب ولم يصرّ فله مغفرة الله»[٦١٤].

• «وقد عرف الله ﷻ من شاء أن يغفر له، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة، ودلّ على أنه يريد التائب ما بعده ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٤] فالتائب مغفور له ذنوبه جميعاً، يدل على ذلك ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] فهذا لا إشكال فيه»[٦١٥].

• «ثم ذمّهم باغترارهم في قولهم ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ وأنهم بحال إذا أمكنتهم ثانية ارتكبوها، فقطعوا باغترارهم بالمغفرة وهم مصِرّون، وإنما يقول سيغفر لنا من أقْلَع وندم. قلت: وهذا الوصف الذي ذمّ الله تعالى به هؤلاء موجود فينا»[٦١٦].

• «... قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يَحُلّ عَقْدَ الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: أستغفر الله،

---

(٦١٢) تفسير الطبري، ١٤/٩٣.
(٦١٣) تفسير الطبري، ١٩/٤٨.
(٦١٤) تفسير القرطبي، ٤/١٣٩، تفسير الآية ١٣٦ من سورة آل عمران.
(٦١٥) تفسير القرطبي، ١٥/١٧٥، من تفسير الآية ٥٣ من سورة الزمر.
(٦١٦) تفسير القرطبي، ٧/١٩٨، من تفسير الآية ١٦٩ من سورة الأعراف.

وقلبه مِصرّ علـــى معصيته فاســـتغفاره ذلك يحتاج إلى اســـتغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر»[٦١٧].

• «فإن قال قائل: فما معنى الخوف بعـــد التوبة والمغفرة؟ قيل له: هذه ســـبيل العلماء بالله ﷻ أن يكونوا خائفين من معاصيهـــم وجلين، وهم أيضاً لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشـــراط التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به»[٦١٨].

• «﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ عن الموصي إذا عملـــت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الأذية»[٦١٩].

• «قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ يريد إظهار التوبة. وقيل: وأصلحوا العمل. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث تابوا وقبلت توبتهم»[٦٢٠].

• «﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الرعد: ٦] أي: لذو تجاوز عن المشـــركين إذا آمنوا، وعن المذنبين إذا تابوا»[٦٢١].

من أقوال الإمام ابن كثير:

• «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] أي: رحمته وسعت كل شـــيء ومغفرته تســـع الذنوب كلها لمن تاب منها كقولـــه تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥٣]»[٦٢٢].

---

(٦١٧) تفسير القرطبي، ٤/ ١٣٥، من تفسير الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.
(٦١٨) تفسير القرطبي، ١٣/ ١٠٩، من تفسير الآية ١١ من سورة النمل.
(٦١٩) تفسير القرطبي، ٢/ ١٨١، من تفسير الآية ١٨٢ من سورة البقرة.
(٦٢٠) تفسير القرطبي، ١٢/ ١٢١، من تفسير الآية ٥ من سورة النور.
(٦٢١) تفسير القرطبي، ٩/ ١٨٧، من تفسير الآية ٦ من سورة الرعد.
(٦٢٢) تفسير ابن كثير، ٦/ ٤٥٩، من تفسير الآية ٣٢ من سورة النجم.

• «ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] أي: هو العزيز العظيم المنيع الجناب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز»[٦٢٣].

• «وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: لمن تاب إليه، ولو من أي ذنب كان، حتى من الشرك به، فإنه يتوب عليه»[٦٢٤].

• «﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات»[٦٢٥].

• «﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥] أي: مع عزته وعظمته وكبريائه وهو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه»[٦٢٦].

• «﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] أي: لمن تاب إليه، وأناب وخضع لديه»[٦٢٧].

• «﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه»[٦٢٨].

---

(٦٢٣) تفسير ابن كثير، ٦٨/٧، من تفسير الآية ٢ من سورة الملك.
(٦٢٤) تفسير ابن كثير، ٥٣٣/٣، من تفسير الآية ١٠٧ من سورة يونس.
(٦٢٥) تفسير ابن كثير، ١٢٦/٦، من تفسير الآية ٧ من سورة غافر.
(٦٢٦) تفسير ابن كثير، ٨٠/٦، من تفسير الآية ٥ من سورة الزمر.
(٦٢٧) تفسير ابن كثير، ٣٣٨/٦، من تفسير الآية ١٤ من سورة الفتح.
(٦٢٨) تفسير ابن كثير، ٣٨٦/٦، من تفسير الآية ١٢ من سورة الحجرات.

• «﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان»(٦٢٩).

• «وقوله ﷻ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ [غافر: ٣] أي: يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه. وقوله جلَّ وعلا: ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ أي: لمن تمرد وطغى، وآثر الحياة الدنيا، وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى، وهذه كقوله: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]»(٦٣٠).

• «﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ ﴾ [غافر: ٧] أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا، وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات»(٦٣١).

• «ثم أخبر تعالى تكرماً وامتناناً في حق العصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [النحل: ١١٩] قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ ﴾ أي: أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي وأقبلوا على فعل الطاعات ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ أي: تلك الفعلة والزلة ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾»(٦٣٢).

• «أمركم إلى الله، إن شاء عجَّل لكم العذاب، وإن شاء أخَّره عنكم، وإن شاء تاب على من يتوب إليه، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار»(٦٣٣).

---

(٦٢٩) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٦٢.
(٦٣٠) تفسير ابن كثير، ٦/ ١٢١ـ١٢٢.
(٦٣١) تفسير ابن كثير، ٦/ ١٢٦.
(٦٣٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٢٣٣.
(٦٣٣) تفسير ابن كثير، ٤/ ٦٥٤.

• «وقولــه ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] أي: تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه»(٦٣٤).

• وقال ابن كثير: «**وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيســير أسـباب في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام**»(٦٣٥).

من أقوال ابن عاشور:

• «ومادة الغفر ترجع إلى الستر، وهو يقتضي وجود المستور واحتياجَه للســتر فدل ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ على أن الذنوب ثابتة؛ أي: المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها؛ أي: يزيل المؤاخذة بها، وهذه المغفرة تقتضي أســباباً أُجملت هنا وفصلت في دلائل أخرى من الكتاب والسُــنَّة منهــا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طـه: ٨٢]، وتلــك الدلائــل يجمعها أن للغفران أســباباً تطرأ على المذنب ولولا ذلك لكانت المؤاخذة بالذنوب عبثاً ينزه عنه الحكيم تعالى، كيف وقد ســماها ذنوباً وتوعد عليها فكان قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ [الزمر: ٥٣] دعوةً إلى تطلب أســباب هذه المغفــرة فــإذا طلبهــا المذنب عــرف تفصيلهــا. و﴿جَمِيعًا﴾ حــال من ﴿ٱلذُّنُوبَ﴾؛ أي: حــال جميعهــا؛ أي: عمومها، فيغفر كل ذنــب منها إن حصلت من المذنب أسباب ذلك»(٦٣٦).

• «وأبهــم الممحو والمثبــت بقوله: ﴿مَا يَشَآءُ﴾ لتتوجــه الأفهام إلى تعرّف ذلك والتدبر فيه لأن تحت ذا الموصول صوراً لا تحصى، وأســبابُ

---

(٦٣٤) تفسير ابن كثير، ١١٩/٢.

(٦٣٥) تفسير ابن كثير، ٤٣٢/١، من تفسير الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(٦٣٦) تفسير ابن عاشور، ١١٤/٢٤، من تفسير الآية ٥٣ من سورة الزمر.

المشـيئة لا تحصى. ومن مشـيئة الله تعالى محوَ الوعيـد أن يلهم المذنبين التوبة والإقلاع ويخلق في قلوبهم داعية الامتثال»(٦٣٧).

• «وعُطـف ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ علـى ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ للإشـارة إلـى أن إذن الله بالشفاعة يجري على حسب إرادته إذا كان المشـفوع له أهلاً لأن يُشفع له. وفي هذا الإبهام تحريض للمؤمنين أن يجتهدوا في التعرض لرضَى الله عنهم ليكونوا أهلاً للعفو عما فرطوا فيه من الأعمال»(٦٣٨).

• «... وأمـا وصـف الغفـور فقـد ذكـر للإشـارة إلـى ترغيب المقترفين السـيئات في الاسـتغفار والتوبة ليغفر لهم فلا يقنطوا من رحمة الله»(٦٣٩).

• «وفي وصف ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ مناسـبة لذكر الأجل لأن المغفرة يظهر أثرها بعد البعث الذي يكون بعد الموت وانتهاء الأجل تحريضاً على البدار بالتوبة قبل الموت حين يفوت التدارك»(٦٤٠).

• «وغفرانُ الذنوب جزاء على التقوى لأن عمود التقوى اجتناب الكبائر وقد غفر الله للنـاس الصغائر باجتنـاب الكبائر وغفر لهـم الكبائر بالتوبة، والتحولُ عن المعاصي بعدَ الهمّ بها ضرب من مغفرتها»(٦٤١).

• «وقـد اسـتوفى قولـه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقسام معاملته تعالى فهو شديد العقاب لمن خالف أحكامه وغفور

---

(٦٣٧) تفسير ابن عاشور، ٢٠٣/١٢، من تفسير الآية ٣٩ من سورة الزمر.

(٦٣٨) تفسير ابن عاشور، ٢٧/ ١١٨.

(٦٣٩) تفسير ابن عاشور، ١٤٨/٢٥، من تفسير الآية ٢٣، من سورة الشورى.

(٦٤٠) تفسير ابن عاشور، ٢١/٢٤، من تفسير الآية ٥ من سورة الزمر.

(٦٤١) تفسير ابن عاشور، ٣٤٣/٢١، من تفسير الآية ٧١ من سورة الأحزاب.

لمن تـاب وعمل صالحـاً. وافتتـاح الجملة بلفـظ ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ للاهتمام بالخبر»[٦٤٢].

• «سابقوا إلى المغفرة؛ أي: أكثروا من أسبابها ووسائلها: فالمسابقة إلى المغفرة هي المسابقة في تحصيل أسبابها»[٦٤٣].

من أقوال أبي السعود:

• «﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ﴾ إن بقُوا على ما هم عليه من الحال وقيل: إن أصروا على النفاق وليس بذاك فإن المذكورين ليسـوا مـن المنافقين، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن خلَصت نيتُهم وصحّت توبتُهم»[٦٤٤].

• «﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تاب وآمنَ ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ المحبُ لمَنْ أطاعَ»[٦٤٥].

• «﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالبُ الذي لا يفوتُهُ من أسـاءَ العملَ ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ لمن تابَ منهُم»[٦٤٦].

• «إن ربـي غفورٌ لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيمٌ له»[٦٤٧].

• «﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ بليغُ المغفرةِ والرحمةِ واسـعُهما فلنْ يضيقَ ساحتُهما عنْ هؤلاءِ إنْ تابُوا وَأصلحُوا»[٦٤٨].

• «﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١] ويجعلُها مكفرةً باسـتقامتِكم في

---

(٦٤٢) تفسير ابن عاشور، ٥/٢٢٧، من تفسير الآية ٩٨ من سورة المائدة.
(٦٤٣) تفسير ابن عاشور، ٢٧/٣٦٧، من تفسير الآية ٢١ من سورة الحديد.
(٦٤٤) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٩٠، من تفسير الآية ١٠٦ من سورة التوبة.
(٦٤٥) تفسير أبي السعود، ٦/٤٠٧ـ٤٠٨، من تفسير الآية ١٤ من سورة البروج.
(٦٤٦) تفسير أبي السعود، ٦/ ٢٧٤، من تفسير الآية ٢ من سورة الملك.
(٦٤٧) تفسير أبي السعود، ٣/٤٠٥، من تفسير الآية ٥٣ من سورة يوسف.
(٦٤٨) تفسير أبي السعود، ٦/١١٣ـ١١٤، من تفسير الآية ٥ من سورة الحجرات.

القــولِ والعمــلِ... ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: كان عاقبةُ حملِه لهــا أنْ يتوبَ الله تعالى على هؤلاءِ من أفــراده أي: يقبلُ توبتَهم لعدمِ خلعِهم رِبقةَ الطَّاعةِ عن رقابِهم بالمرَّةِ وتلافيهــم لما فَرَطَ منهم من فَرَطاتٍ قلَّما يخلُو عنها الإنسانُ بحكمِ جبلّتهِ وتداركهم لها بالتَّوبةِ والإنابةِ»(٦٤٩).

- «﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦] وعيد لمن انتهك محارِمَه أو أصر على ذلك، وقوله تعالــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى أو أقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه»(٦٥٠).

- «﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبــة: ١٠٢] أي: يقبل توبتَهم المفهومةَ من اعترافِهــم بذنوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن ســيئات التائبِ ويتفضل عليه»(٦٥١).

- «والمرادُ بــه الردُّ عليهم والتوبيـــخُ على بتّهم القــولَ بالمغفرة بلا توبةٍ»(٦٥٢).

من أقوال الألوسي:

- «... وذكر العلامة الطيبي أن قولــه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمــران: ١٣١] وردت خطاباً لآكلي الربا مــن المؤمنين وردعاً لهم عن الإصرار على ما يؤديهم إلى دركات الهالكين من الكافرين وتحريضاً على التوبة والمسارعة إلى نيل الدرجات مع الفائزين من المتقين والتائبين»(٦٥٣).

---

(٦٤٩) تفسير أبي السعود، ٥/ ٢٤١ – ٢٤٢، من تفسير الآية ٧١ والآية ٧٣ من سورة الأحزاب.
(٦٥٠) تفسير أبي السعود، ٢/ ٣٢٤، من تفسير الآية ٩٨ من سورة المائدة.
(٦٥١) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٨٧ – ١٨٨، من تفسير الآية ١٠٢ من سورة التوبة.
(٦٥٢) تفسير أبي السعود، ٣/ ٤٧، من تفسير الآية ١٦٩ من سورة الأعراف.
(٦٥٣) تفسير الألوسي، ٢/ ٢٧٨، من تفسير الآية ١٣١ من سورة آل عمران.

• «﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي: أسبابهما من الأعمال الصالحة... وليس المراد مجرد طلب المغفرة بل مع التوبة وإلا فطلب المغفرة مع الإصرار كالاستهزاء بالرب جلَّ شأنه، ومن هنا قالت رابعة العدوية: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار»[٦٥٤].

• «﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩] ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنا... ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾... أي يرجون المغفرة وهم مصرون على الذنب عائدون إلى مثله غير تائبين عنه... وأنت تعلم أن اليهود أكدوا القول بالغفران وأهل السُّنَّة لا يجزمون في المطيع بالغفران فضلاً عن العاصي بما هو حق الله تعالى فضلاً عمن عصاه سبحانه فيما هو من حقوق العباد»[٦٥٥].

• «﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ فيغفر للعامد إذا تاب»[٦٥٦].

• «﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨] أي: علموا أن لا ملجأ من سخطه إلا إلى استغفاره والتوبة إليه سبحانه، وحمل الظن على العلم لأنه المناسب لهم ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أو أنزل قبول توبتهم في القرآن وأعلمهم بها»[٦٥٧].

• «... ووجه بأن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الإيمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك، فيتناول الخروج عن المظالم»[٦٥٨].

---

(٦٥٤) تفسير الألوسي، ٢/ ٢٧١ – ٢٧٥.

(٦٥٥) تفسير الألوسي، ٥/ ٩٠ – ٩١.

(٦٥٦) تفسير الألوسي، ١١/ ١٤٧، من تفسير الآية ٥ من سورة الأحزاب.

(٦٥٧) تفسير الألوسي، ٦/ ٤٠، من تفسير الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٦٥٨) تفسير الألوسي، ١٥/ ٧٩، من تفسير الآية ٤ من سورة نوح.

• «﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن تحبب إليه بطاعته وتقرب إليه باتباع نبيه ﷺ»[٦٥٩].

• «وفيه حث لمن فيهم نزلت الآية من المذنبين على التوبة والاستغفار، قيل: وتخويف لمن لم يستغفر ولم يتب بحسب المفهوم فإنه يفيد أن من لم يستغفر حرم من رحمته تعالى وابتلي بغضبه»[٦٦٠].

من أقوال الطبرسي:

• «لمّا تقدم بيان الأحكام عَقَّبه سبحانه بذكر الوعد والوعيد فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب وأناب وأطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم أنه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه بفضله»[٦٦١].

• «﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١١٠] أي: يتب إليه ويطلب منه المغفرة ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. ثم بيَّن الله تعالى أن جريمتهم وإن عظمت فإنها غير مانعة من المغفرة وقبول التوبة إذا استغفروا وتابوا»[٦٦٢].

من أقوال حقي البروسوي:

• «﴿غَفُورٌ﴾ للخاشين وهو تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب من عصيانه»[٦٦٣].

---

(٦٥٩) تفسير الألوسي، ٢/ ١٢٥، من تفسير الآية ٣١ من سورة آل عمران.
(٦٦٠) تفسير الألوسي، ٣/ ١٣٧، من تفسير الآية ١١٠ من سورة النساء.
(٦٦١) تفسير الطبرسي، ٣/ ٣٤٩، من تفسير الآية ٩٨ من سورة المائدة.
(٦٦٢) تفسير الطبرسي، ٣/ ١٥٥، من تفسير الآية ١١٠ من سورة النساء.
(٦٦٣) تفسير روح البيان، ٧/ ٣٤٤.

• «وفي الحديث القدسي: «**لو لم تذنبوا لذهبت بكم وخلقت خلقا يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم**» وفي الحديث النبوي: «**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أشد من الذنب ألا وهو العجب**»... وليس الحديثان المذكوران واردين على سبيل الحث على الذنب فإن قضية البعثة إصلاح العالم وهو لا يوجد إلا بترك الكفر والشرك والمعاصي ولكن على سبيل الحث على التوبة والاستغفار»(٦٦٤).

• «﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ وعيد لمن انتهك محارمه وأصر على ذلك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او انقطع عن الانتهاك بعد تعاطيه»(٦٦٥).

• «﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ أي: بادروا وأقبلوا ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ كائنة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ إلى ما يستحقان به كالإسلام والتوبة والإخلاص وأداء الواجبات وترك المنهيات... ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ بأن يندموا على ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل وأما مجرد الاستغفار باللسان فلا أثر له في إزالة الذنب وإنما هو حظ اللسان من الاستغفار وهو توبة الكذابين»(٦٦٦).

من أقوال الشيخ السعدي:

• «ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب، إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها بل لا سبب لها غيره: الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجلّ، والطريق الأعظم»(٦٦٧).

---

(٦٦٤) تفسير روح البيان، ٧/ ٢٥٧.

(٦٦٥) تفسير روح البيان، ٢/ ٤٤٤.

(٦٦٦) تفسير روح البيان، ٢/ ٩٤ – ٩٦.

(٦٦٧) تفسير السعدي، ص٦٩٤، من تفسير الآية ٥٣ من سورة الزمر.

• «... وَلْيَعلَمْ أن الله يمهل ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصي، أخذه أخذ عزيز مقتدر، فَلْيَتُبْ إليه، وَلْيَرْجِعْ في جميـــع أموره إليه، فإنه رؤوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة، وبرّه العميم، وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه، والعمل بما يحبه ويرضاه»[٦٦٨].

• «وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أســباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحســنات الماحية، وترك الذنوب، والعفو عن الجرائم»[٦٦٩].

• «﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصالحة»[٦٧٠].

• «فصل فيما تبيَّن لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان عليهما السلام.

ومنها: أن الرجــوع إلى الله في جميــع الأمور، من أوصــاف أنبياء الله، وخــواص خلقه، كمــا أثنى الله علــى داود وســليمان بذلــك. فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم الســالكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]...

ومنها: أن الاســتغفار والعبادة، خصوصاً الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله رتّب مغفرة ذنب داود، على استغفاره وسجوده»[٦٧١].

• «فمن أشــبه آدم بالاعتراف وســؤال المغفرة والنــدم والإقلاع ـ إذا صدرت منه الذنوب ـ اجتباه ربه وهداه.

---

(٦٦٨) تفسير السعدي، ص ٤١٦، من تفسير الآية ٤٧ من سورة النحل.

(٦٦٩) تفسير السعدي، ص ٧٥٣، من تفسير الآية ١٩ من سورة محمد.

(٦٧٠) تفسير السعدي، ص ٣٧٧، من تفسير الآية ٥٣ من سورة يوسف.

(٦٧١) تفسير السعدي، ص ٦٨٠، من تفسير الآيات ٣٠ - ٤٠ من سورة ص.

ومن أشـبه إبليس ـ إذا صدر منه الذنب، لا يـزال يزداد من المعاصي ـ فإنه لا يزداد من الله إلا بعداً»[٦٧٢].

• «﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: يغفـر الذنب العظيم لمن استغفره، وتاب إليه وأناب، ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه»[٦٧٣].

• «﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح»[٦٧٤].

• «﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما بلغت، عند التوبة منها»[٦٧٥].

• «﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، والتواب الذي يأذن بتوبة عبده فيوفقـه لها، ثم يتوب عليـه بقبول توبته، رحيـم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبـل منهم التوبة، وفي هذه الآية دليل على التحذير الشـديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر»[٦٧٦].

• «﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمذنبيـن ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ مـن التائبين. ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] على مَنْ تجرأ على الذنوب ولم يتب منها»[٦٧٧].

---

(٦٧٢) تفسير السعدي، ص٢٦٣، من تفسير الآية ٢٣ من سورة الأعراف.
(٦٧٣) تفسير السعدي، ص١٧٩، من تفسير الآية ١٠٦ من سورة النساء.
(٦٧٤) تفسير السعدي، ص٨٠٨، من تفسير الآية ٢ من سورة المجادلة.
(٦٧٥) تفسير السعدي، ص٧٢٤، من تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى.
(٦٧٦) تفسير السعدي، ص٧٦٧، من تفسير الآية ١٢ من سورة الحجرات.
(٦٧٧) تفسير السعدي، ص٦٩٨، من تفسير الآية ٣ من سورة غافر.

• «﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨] أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب ـ العاجل والآجل ـ على مَنْ عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه. فيثمر لكم هذا العلم الخوف من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء»(٦٧٨).

• **«ورهبهم من الإقامة على الذنوب، وأمرهم بالتوبة من المعاصي، لينالوا مغفرة ربهم وجوده. ولهذا قال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: فلا بد مع ترك الذنوب والإقلاع والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة. فإذا وجد ذلك كله ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: صب عليهم من مغفرته ورحمته، بحسب ما قاموا به، مما أمرهم به»(٦٧٩).**

• «ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة ـ وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك ـ أمر الله تعالى بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور: ٣١] لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة، ثم علق على ذلك الفلاح فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهراً وباطناً، إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً»(٦٨٠).

• «ولهذا قال: ﴿ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾، أي: لمن تاب توبة نصوحاً»(٦٨١).

---

(٦٧٨) تفسير السعدي، ص٢٢٣، من تفسير الآية ٩٨ من سورة المائدة.

(٦٧٩) تفسير السعدي، ص٢٣٦، من تفسير الآية ٥٤ من سورة الأنعام.

(٦٨٠) تفسير السعدي، ص٥٣٨، من تفسير الآية ٣١ من سورة النور.

(٦٨١) تفسير السعدي، ص٨٢، من تفسير الآية ٢١٨ من سورة البقرة.

- «لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة عن الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبده، وآمن برسله، فصدقهم، وعمل صالحاً، متبعاً فيه للرسل. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ مَنْ جمع هذه الخصال ﴿مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ الناجحين بالمطلوب، الناجين من المرهوب. فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور»[٦٨٢].

- «﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: غفور لمن تاب إليه وأناب، رحيم به حيث قبل توبته»[٦٨٣].

- «﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات، لمن استغفره وأناب... وفي هذا سر لطيف، حيث قرن «الودود» بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم»[٦٨٤].

- «ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك»[٦٨٥].

فالقول باشتراط التوبة وطلب المغفرة لأجل غفران ذنوب العصاة الذي نقلناه عن أحمد عبدالجواد، وأحمد شعبان أحمد، والشيخ علي أحمد

---

(٦٨٢) تفسير السعدي، ص٥٩٣ من تفسير الآية ٦٧ من سورة القصص.

(٦٨٣) تفسير السعدي، ص٧٦٨، من تفسير الآية ١٤ من سورة الحجرات.

(٦٨٤) تفسير السعدي، ص٨٧٨، من تفسير الآية ١٤ من سورة البروج.

(٦٨٥) تفسير السعدي، ص٨٠٥، من تفسير الآية ٢١ من سورة الحديد.

الطهطاوي، والدكتور محمد راتب النابلسي، والإمام الطبري، والإمام القرطبي، والإمام ابن كثير، وابن عاشور، وأبي السعود، والألوسي، والطبرسي، والبروسوي، والشيخ السعدي[٦٨٦]، قد ذكره أيضاً الدكتور القرضاوي[٦٨٧]، والشنقيطي[٦٨٨]، والرازي[٦٨٩]، والسمرقندي[٦٩٠]،

---

(٦٨٦) ومما قاله الشيخ السعدي في تفسيره: «﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ إذا أتوا بأسباب المغفرة أو أسباب العذاب» (ص٢٠٦). و«﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين» (ص٦٥٦). و«﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن صدرت منه الذنوب، فتاب منها، ورجع إلى ربه» (ص٨٨). و«﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه» (ص٣٢٦). و«والله ﴿غَفُورٌ﴾ لمن تاب إليه، ﴿حَلِيمٌ﴾ بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر وصفح، مع قدرته عليه وكونه بين يديه» (ص٨٥).

(٦٨٧) نقل الشيخ القرضاوي في كتاب (التوبة إلى الله) ما نصه: «ويعلق صاحب القاموس على هذه الآية في كتابه (البصائر) فيقول:... ثم علق الفلاح بالتوبة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تعلق المسبب بسببه، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون». (في الطريق إلى الله (٤ ـ التوبة إلى الله)، ص١٧).

(٦٨٨) قال الشيخ الشنقيطي: «والظاهر أن قوله تعالى: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٣،٢٤] محله فيما إذا لم يتوبوا ويصلحوا، فإن تابوا وأصحلوا، لم ينلهم شيء من ذلك الوعيد». (تفسير الشنقيطي، ٦/ ٦٠). وقال في موضع آخر: «وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: لخصوص الذين آمنوا منهم وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله». (تفسير الشنقيطي، ج٧/ ص٩٧).

(٦٨٩) قال الإمام الرازي: «... أمرين: الأول: أنه تعالى اطلع على أهل بدر وقد علم توبتهم وإنابتهم فقال: افعلوا ما شئتم من النوافل من قليل أو كثير فقد غفرت لكم وأعطيتكم الدرجات العالية في الجنة، الثاني: يحتمل أن يكون المراد أنهم يوافون بالطاعة فكأنه قال: قد غفرت لكم لعلمي بأنكم تموتون على التوبة والإنابة فذكر حالهم في الوقت وأراد العاقبة» (تفسير الرازي، ٢٣/١٨٣، من تفسير الآية ٢٢ من سورة النور).

(٦٩٠) قال السمرقندي: «﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ يعني: العمل بعد التوبة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم بعد التوبة ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بعد التوبة». (تفسير السمرقندي، ج٢/ ص٤٢٧ من تفسير الآية ٥ من سورة النور.)

والبيضـاوي(٦٩١)، والخازن(٦٩٢)، وأبو حيان الأندلسي(٦٩٣)، وابن الجوزي(٦٩٤)، ونووي الجاوي(٦٩٥)، والإمام البخاري(٦٩٦).

---

(٦٩١) قال البيضــاوي: «﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب» (تفسـير البيضاوي، ١/ ٨٧). «﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عــن التائب ويتفضــل عليه» (تفسـير البيضاوي، ١/ ٤١٩). و«﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أســاء العمل. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب منهم» (تفسـير البيضــاوي، ٢/ ٥٠٩). و«﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لمن يســتغفر» (تفسير البيضاوي، ١/٢٣٥).

(٦٩٢) قال الخازن: «﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: لمن تاب وآمن» (تفسير الخازن، من تفسير الآية ٩٨ من سورة المائدة. وانظر كذلك تفسـير الآية ١١٩ من سورة النحل). و«﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ يعنــي: أنه تعالى يعود على عبده بفضلــه ومغفرته ورحمته إذا تاب إليه (تفسير الخازن، من تفسير الآية ١٦ من سورة النساء).

(٦٩٣) قال أبو حيان الأندلسي: «فيعذب من يشــاء عذابه وهم المخالفون لأمره، ويغفر لمن يشاء وهم التائبون» (تفسير أبي حيان الأندلسي، ٣/٤٩٦ من تفسير الآية ٤٠ من سورة المائدة).

(٦٩٤) قال ابن الجوزي: «قوله تعالــى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: يريد أن يدلكم على ما يكون سبباً لتوبتكم». (تفسير ابن الجوزي، ١/ ٣٩٥).

(٦٩٥) قال نــووي الجــاوي: «﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ أي: المتجاوز لمن تــاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ به». (مراح لبيد، ١/ ٤٥).

(٦٩٦) قال الإمام البخاري: «هَـذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ، إِذَا تَابَ وَنَدِمَ وَقَــالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. غُفِرَ لَهُ». قال الإمام البخاري هذا القول بعــد أن روى رواية أبي ذر ﷺ، حيث قال: «حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الأَسْـوَدِ الدِّيلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْـتَيْقَظَ فَقَالَ «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَـرَقَ؟ قَالَ «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَــرَقَ». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَــرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ». وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ. (صحيح البخاري، الرواية: ٥٨٢٧، ص١٠٥٧ - ١٠٥٦، والرواية: ١٢٣٧، ص٢٢٦).

وعند شــرحهم لهذه الرواية جُعلت فكرة الخروج من النار مرجعاً لفهم رواية أبي ذر وفهم تعليق الإمام البخاري عليها. فقد قال ابن حبان تعليقاً على هذه الرواية: «قال أبو حاتم: قوله: «مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ» يُرِيدُ به: إلا أَنْ يَرْتَكِبَ شيئاً أَوْعَدَتْهُ عليهِ =

= دُخُولُ النَّارِ. وله معنى آخر: وهو أنَّ مَنْ لَمْ يشْـرِكْ باللهِ شـيئاً ومَاتَ، دخلَ الجنة لَا مَحالَة، وإنْ عُذِّبَ قَبْلَ دُخوله إياها مدةً معلومةً» (صحيح ابن حبان، الرواية: ٢١٣، ١/٤٤٦).

وقال ابن حجر: «وحاصل ما أشـار إليه أن الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائباً من الذنوب التي أشير إليها في الحديث، فإنه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء، وهذا في حقوق الله باتفاق أهل السُّـنَّة، وأما حقوق العباد فيشترط ردها عند الأكثر، وقيل: بل هو كالأول ويثيب الله صاحب الحق بما شـاء، وأما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهر الحديث أنه أيضاً داخل في ذلك، لكن مذهب أهل السُّنَّة أنه في مشـيئة الله تعالى، ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت الماضي في كتاب الإيمان فإن فيه: «ومن أتى شيئاً من ذلك فلم يعاقب به فأمره إلى الله تعالى إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه» وهذا المفسـر مقدم على المبهم، وكل منهما يرد على المبتدعة من الخوارج ومن المعتزلة الذي يدعون وجوب خلود من مات من مرتكبي الكبائـر من غير توبة في النار، أعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه. ونقل ابن التين عن الداودي أن كلام البخاري خلاف ظاهر الحديث فإنه لو كانت التوبة مشترطة لم يقل «وإن زنى وإن سرق» قال: وإنما المراد أنه يدخل الجنة إما ابتداء وإما بعد ذلك. والله أعلم». (فتح الباري، ١١/٤٦١ - ٤٦٢).

وقال الشوكاني: «وأقول: قد أطبق أئمة المسلمين من السلف والخلف والأشعرية والمعتزلة وغيرهم أن الأحاديث الواردة بأن من قال: لا إلـه إلا الله دخل الجنة مقيدة بعدم الإخلال بما أوجب الله من سـائر الفرائض، وعدم فعل كبيرة من الكبائر التي لم يتب فاعلها عنها، وأن مجرد الشهادة لا يكون موجباً لدخول الجنة فلا يكون حجة على المطلوب، ولكنهم اختلفوا في خلود من أخلَّ بشيء من الواجبات أو قارف شيئاً من المحرمات في النار مع تكلمه بكلمة الشـهادة وعدم التوبة عن ذلك... وهذه المسـائل محلها علم الكلام، وإنما ذكرنا هذا للتعريف بإجماع المسـلمين على أن هذه الأحاديث مقيدة بعدم المانع، ولهذا أولها السـلف، فحكى عن جماعة منهم ابن المسـيب أن هذا كان قبل نـزول الفرائض، والأمر والنهي ورد بأن راوي بعض هذه الأحاديث أبو هريرة وهو متأخر الإسـلام أسـلم عام خيبر سنة سـبع بالاتفاق، وكانت إذ ذاك أحكام الشريعة مسـتقرة من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، وحكى النووي عن بعضهم أنه قال: هي مجملة تحتاج إلى شرح، ومعناه من قـال الكلمـة وأدى حقها وفريضتها قـال: وهذا قول الحسـن البصري. وقال البخاري: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك ذكره في كتاب اللباس.

وذكر الشـيخ أبو عمر بن الصلاح: أنه يجـوز أن يكون ذلك أعني: الاقتصـار على كلمة الشهادة في سببية دخول الجنة اقتصاراً من بعض الرواة لا من رسول الله ﷺ بدليل مجيئه =

العنصر الثالث: ذنوب غفرها الله تعالى وتجاوز عنها:

جاء في القرآن الكريم أن الله تعالى قد تجـاوز عن بعض الأعمال التي فعلها المسلمون في بداية عهد الرسالة المحمدية، وحكم الله سبحانه وتعالى بالعفو عن بعض الأعمال التي قد يعملها المسلمون في مسيرتهم.

قال ابن عاشـور: «فالمغفرة تأتي على تقصير العباد المطيعين، فإن طاعة الله الحقّ التي هـي بالقلب والعمـل والخواطر لا يبلغ حـق الوفاء بها إلا المعصوم ولكن الله تجاوز عن الأمة فيما حدّثت به أنفسـها، وفيما همّت به ولم تفعله، وفي اللّمم، وفي محو الذنوب الماضية بالتوبة»(٦٩٧).

= تاماً في رواية غيره، ويجوز أن يكون اختصاراً من الرسول ﷺ فيما خاطب به الكفار عبدة الأوثان الذين كان توحيدهم بالله تعالى مصحوباً بسـائر ما يتوقف عليه الإسلام ومستلزماً له، والكافر إذا كان لا يقـر بالوحدانية كالوثني والثنوي وقال: لا إلـه إلا الله وحاله الحال التـي حكيناها حكم بإسـلامه. قال النووي: ويمكـن الجمع بين الأدلة بـأن يقال: المراد باستحقاقه الجنة أنه لا بد من دخولها لكل موحد إما معجلاً معافى، وإما مؤخراً بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود. وحكي ذلك عن القاضـي عياض وقال: إنه في نهاية الحسن، ولا بد من المصير إلى التأويل لما ورد في نصوص الكتاب والسُّنَّة بذكر كثير من الواجبات الشـرعية والتصريح بأن تركها موجب للنار. وكذلك ورود النصوص بذكر كثير من المحرمات وتوعد فاعلها بالنار». (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ص٢٣٨).

من هذه النصوص التي نقلناها عن ابن حبان، وابن حجر، والشوكاني ندرك أن القائلين بـ(فكرة الخروج من النار) ليسـوا على وفـاق في فهم رواية أبـي ذر وتعليق الإمام البخاري عليها وذلك بسبب اعتمادهم على روايات ضعيفة.

السـعي لكسـب مغفرة الله تعالى مشـروط بطلب التوبة والمغفرة وهذا حكم نطق به القرآن الكريم وجاء في سُـنَّة الرسـول ﷺ الصحيحة، وسـطَّره علماء المسلمين في كتبهم، ولكن حينما تطفوا على السطح التنازعات المذهبية فإن القائلين بفكرة الخروج من النار يجعلون القضية قضية نـزاع بينهم وبين الخـوارج والمعتزلة لا قضيّة منهج يرفض كل ما خالف كتاب الله تعالى. والله المستعان.

(٦٩٧) تفسير ابن عاشور، ١٦١/٢٢.

والآيات القرآنية الكريمة الآتية تبيِّن لنا هذه الحقيقة: ـ

❖ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قال الطبري: «والله غفور لعبـــاده فـيـما لغوا من أيـمانهم التـي أخبر الله تعالـى ذكره أنه لا يؤاخذهـم بها، ولو شـــاء واخذهم بها، ولـما واخذهم بها فكفَّروهــا فـي عاجل الدنـيــا بـالتكفـير فـيه، ولو شـــاء واخذهم فـي آجل الآخرة بـالعقوبة علـيه، فســاتر علـيهم فـيها، وصافح لهم بعفوه عن العقوبة فـيها وغير ذلك من ذنوبهم»[٦٩٨].

❖ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

قــال الإمــام الطبري: «يقـول تعالـى ذكره لنبيـه محمـد ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾: واســع عفــوه للمذنبين الذين لـــم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم. وإنما أعلم جلّ ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش»[٦٩٩].

وقال ابن كثير: «ثم فسر المحســنين بأنهم الذين يجتنبــون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهــم ويســتر عليهم كما قال فــي الآية الأخــرى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا

(٦٩٨) تفسير الطبري، ٢/ ٤١٧.
(٦٩٩) تفسير الطبري، ٢٧/ ٦٩.

كَرِيمًا ﴾ وقال هٰهنا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ وهذا استثناء منقطع، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال»(٧٠٠).

❖ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١١٠].

قال الإمام الطبري: «إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور، يقول: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم»(٧٠١).

❖ ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النساء: ٢٥].

قال الإمام الرازي: «ثم إنه تعالى ختم الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وهذا كالمؤكد لما ذكره من أن الأولى ترك هذا النكاح، يعني أنه وإن حصل ما يقتضي المنع من هذا الكلام إلا أنه تعالى أباحه لكم لاحتياجكم إليه، فكان ذلك من باب المغفرة والرحمة والله أعلم»(٧٠٢).

---

(٧٠٠) تفسير ابن كثير، ٤٥٧/٦.
(٧٠١) تفسير الطبري، ١٨٣/١٤.
(٧٠٢) تفسير الرازي، ٦٠/١٠.

❖ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

قال ابن عطية: «وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يقتضي منه الإباحة للمضطر، وخرجت الإباحة في هذه الألفاظ تحرجاً وتضييقاً في أمرها، ليدل الكلام على عظم الحظر في هـذه المحرمات، فغاية هذا المرخص له غفران الله له، وحطه عنه ما كان يلحقه من الإثم لولا ضرورته»(٧٠٣).

فهذه الآيات فيها تفسـير لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، فقد شاء الله تعالى أن يغفر للذين أشارت إليهم هذه الآيات الكريمة.

فهؤلاء القوم شـاء الله أن يغفر لهم، ونحن لا نجد من بين المغفور لهم هنا مصر على كبائر الذنوب حتى الممات.

وقد أشـار ابن عاشور إلى معنى آخر يرشـد إليه قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، حيث قال: «يجوز أن تكون هـذه الجملة متعلقة بما قبلها من تهديد اليهود بعقاب في الدنيا، فالكلام مَسـوق لترغيب اليهود في الإسلام، وإعلامهم بأنّهم بحيث يتجاوز الله عنهم عند حصول إيمانهم، ولو كان عـذابُ الطمس نازلاً عليهـم، فالمراد بالغفران التجـاوز في الدنيا عن المؤاخذة لهم بعظـم كفرهم وذنوبهم، أي: يرفع العـذاب عنهم... أو يكون المراد بالغفران التسامح، فإنّ الإسـلام قَبِل من أهل الكتابين الدخول تحت ذمّة الإسلام دون الدخول في دين الإسلام»(٧٠٤).

---

(٧٠٣) تفسير ابن عطية، ص١١٢١، من تفسير الآية ١١٥ من سورة النحل.

(٧٠٤) تفسير ابن عاشور، ٤/ ١٥٠.

خاتمة الفصل الأول

هذا الفصل يُلخص في النقاط الآتية: ـ

ـ من أسس علم التفســير تطبيق علوم الأمة الإسلامية عند دراسة آيات الله تعالى، فجميع الروايات الواردة عن الرســول ﷺ وعن الصحابة لا بد أن تعرض على منهاج الأمة، فما أثبته المنهج أخذ به، وما رده المنهج لا يصح ذكره في تفسير كتاب الله تعالى.

ـ حينما يطبق المنهج على رواية (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وما جاء في معناها من روايات، ســيدرك المرء أن تلك الروايات لا وزن لها في ميدان المعرفة الواسع.

ـ كون أصحاب الكبائر قد لا يدخلون النار فكرة لا أساس لها، والروايات التي جاءت بذكر العفو عنهم في عرصات القيامة لا وزن لها في منهج البحث.

ـ رواية: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» ركن إليها أهل الفساد من هذه الأمة واستمرأوا بســببها الإصرار على كبائر الذنوب. ومن أهل الفساد من استرسل في الإكثار من الذنوب لأجل أن تبدل ـ حسب تصوراتهم المنحرفة ـ بحسنات كثيرة.

ـ لقد بيَّنت لنــا آيات كثيرة من كتاب الله تعالــى، وروايات صحيحة أن الإنســان محاســب على أعماله ولن يجد أهل الذنوب الكبيــرة ـ إذا ماتوا مصرين عليها ـ من يدافع عنهم يوم القيامة.

ـ لقـد اعتمد القائلون بالشـفاعة لأهـل الذنوب الكبيـرة على (مفهوم المخالفة) في إثبات معتقدهم، ومن المعلوم عنـد جمهور الأمة أن (مفهوم المخالفة) دلالته ضعيفة؛ فلا يؤسس عليه معتقد أو فقه.

ـ أما فكرة (إخلاف الله وعيده) فلا أساس لها، وقد ردها كثير من العلماء ممن يقول بـ(الشفاعة لأهل الكبائر).

ـ فكـرة احتمال مغفرة ذنـوب العصاة من غير توبة ليـس لها دليل في مصادر العقيدة عند المسلمين، وكل الأدلة الواردة في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ تربط بين المسلك الصالح الذي يسير عليه الإنسان ـ مع التوبة من الذنوب ـ وبين المغفرة التي يسعى الإنسان لتحصيلها يوم القيامة.

ـ «وعقيدة إنفاذ الوعد والوعيد لها أثر فعال في تحسـين السـلوك، فإذا شعر الإنسـان بأن ثم وعداً ووعيداً، وأنه لا بد من أن يحاسب على أعماله فيجازى بها يوم القيامة، إذا شـعر بذلك من أعماق نفسـه كان هذا الشعور باعثاً له على فعل الخير واجتناب الشـر، فإن الإيمان بثواب الله المصحوب بالرجاء والإيمان بعقاب الله المصحوب بالخوف يزجران الإنسـان عن الشر ويدفعانه إلى الخير»[٧٠٥].

ـ علمـاء الأمة الإسـلامية يدعون إلى الأخـذ بأسـباب المغفرة وعدم الاسترسال في اقتراف الذنوب.

ـ الله تعالـى فتح أبـواب التوبة وأوجـب على العصاة طلـب المغفرة، والذين شـاء الله لهم المغفرة هم من اسـتجاب لهذا التكرم والتفضل وقرع أبواب التوبة النصوح بنفس مخلصة صادقة.

---

(٧٠٥) الفكر العقدي عند الإباضية، ص ٣١١.

ـ الفصل الأول من هذا البحث فيه بيـــان أن العدالة الإلٰهيَّة تدعو جميع المكلفين من البشر إلى الفرار إلى الله من شر الذنوب؛ فمن استوجب النار ـ والعياذ بالله ـ داخلها لا محالة.

ـ الفصل الثانــي فيه بيان لحــال الروايات والأقوال التي اســتند عليها القائلون بـ(فكرة الخروج من النار).

الفصل الثاني

قراءات منهجية في أدلة القائلين

بخروج عصاة المسلمين من نار جهنم

تمهيد

ففي الفصل الأول عرفنا أن أصحاب الذنوب الذين يأتون يوم القيامة بذنوب كبيرة من غير توبة نصوح فإنهم لن يجدوا لهم شفيعاً، والروايات التي وعدتهم بالشفاعة وبالتجاوز عن ذنوبهم روايات لا قيمة لها في ميزان الأمة العادل. وعرفنا كذلك أن كل من استوجب النار لا محالة داخلها حسب الحكم الإلٰهي العادل الذي لا يحابي أحداً من البشر.

وفي هذا الفصل نعرض الروايات والأقوال التي وعدت العصاة بالخروج من النار بعد دخولهم فيها، والتي ذُكرت عند تفسير قوله تعالى: ـ

❖ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

❖ ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

❖ ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

❖ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨].

❖ ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٥].

❖ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

❖ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

❖ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

❖ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥].

❖ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

❖ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٤].

❖ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

❖ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

❖ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣].

❖ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

❖ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧].

وجاء هذا الفصل في ثمانية أقسام وخاتمة.

قراءة في تفسير قوله تعالى

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم»(٧٠٦).

وهذا التفسير قاله الإمام القرطبي أيضاً: «اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال: ـ

الأوّل: وهو أصحها الشفاعة للناس يوم القيامة...»(٧٠٧).

وقال في موضع آخر: «الرابعة: إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام، حتى ينتهي الأمر إلى نبيّنا محمد ﷺ فيشفع هذه الشفاعة لأهل الموقف ليعجّل حسابهم ويراحوا من هول موقفهم، وهي الخاصة به ﷺ؛ ولأجل ذلك قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»»(٧٠٨).

---

(٧٠٦) تفسير الطبري، ١٥/١٤٣ - ١٤٤.

(٧٠٧) تفسير القرطبي، ١٠/٢٠٠.

(٧٠٨) تفسير القرطبي، ١٠/٢٠١.

وجاء نفس هذا التفسير عند الشـوكاني[٧٠٩]، والألوسي[٧١٠] وعند غيرهم من المفسرين.

هذا القـول الذي نسـبه الإمام الطبـري إلى أكثر أهـل العلم قـول صحيح مؤيـد بالروايـات الصحيحة عن الرسـول ﷺ وعـن الصحابة والتابعين.

ومن العلماء مـن جعل المقام المحمود على إطلاقه بحيث يشـمل كل كرامة اختص بها رسـول الله ﷺ، فقد قال الحافظ ابن حجر: «قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أي يحمد القائم فيه، وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات»[٧١١].

❊ ❊ ❊

روايات تثبت معنـى: (المقام المحمود) بالشـفاعة لأهل الموقف عامة، وفتح أبواب الجنة لأهل الجنة خاصة.

- أخرج الإمام البخاري وغيره رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عمر رضي الله عنهما فيها تفسـير (المقام المحمود) بالشـفاعة لأجل القضاء بيـن الخلق ولأجل استفتاح أبواب الجنة لأهلها.

---

(٧٠٩) تفسـير الشـوكاني، ٣/ ٣٤٨ - ٣٤٩. قال الشـوكاني: «ومعنى كون المقام محموداً: أنه يحمده كل من علـم به. وقد اختلف في تعيين هذا المقام على أقـوال: الأول: أنه المقام الذي يقومه النبي ﷺ للشفاعة يوم القيامة للناس ليريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه، وهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسـير الآية، وحـكاه ابن جرير عن أكثر أهل التأويل، قال الواحدي: وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة».

(٧١٠) تفسير الألوسي، ٨/ ١٣٤. قال الألوسـي: «والمراد بذلك المقام مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء حيث لا أحد إلا وهو تحت لوائه ﷺ».

(٧١١) فتح الباري، ٢/ ٣٠٠.

قال الإمام البخاري: «حدَّثنا إسـماعيلُ بن أبانَ حدَّثنا أبو الأحْوَص عن آدمَ بن عليّ قال: سمعتُ ابن عمرَ ﵄ يقول: «إنَّ الناسَ يَصيرونَ يومَ القيامةِ جُثـاً، كل أمةٍ تَتبَعُ نبيّها. يقولون: يا فلانُ اشـفَعْ، حتى تنتهي الشـفاعة إلى النبيّ ﷺ، فذلكَ يومَ يَبعثُهُ اللهُ المقامَ المحمود»».

أخرج هذه الرواية البخاري[٧١٢]، والنسائي[٧١٣].

• وقال الإمام البخاري أيضاً: «وقال: «إنّ الشمسَ تدنو يومَ القيامةِ حتى يَبلُغَ العَرَقُ نِصفَ الأُذُنِ. فبينا هم كذلكَ اسـتغاثوا بآدَمَ، ثمَّ بموسى، ثمَّ بمحمَّدٍ ﷺ». وزاد عبدُ اللهِ: حدَّثَني الليثُ حدَّثَني ابنُ أبي جعفرٍ: «فيَشـفَعُ لِيُقْضى بينَ الخلقِ، فيمشـي حتَّى يأخُذَ بحَلَقةِ البابِ. فَيومَئـذٍ يَبعثهُ اللهُ مَقاماً محمـوداً يَحمدُه أهلُ الجَمعِ كلُّهم». وقـال مُعَلَّى: حدَّثَنا وُهيبٌ عنِ النعمانِ بنِ راشـدٍ عن عبدِ اللهِ بنِ مسلمٍ أخي الزُّهريِّ عن حمزةَ سمعَ ابن عمرَ ﵄ عنِ النبيِّ ﷺ في المسألةِ».

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري[٧١٤]، والإمام الطبري[٧١٥].

• وجاء نحو روايـة ابن عمر رواية أخـرى عند الإمـام البخاري[٧١٦] مرفوعة إلى مقام النبوة من طريق أبي هريرة ﵁.

---

(٧١٢) صحيح البخاري، الرواية: ٤٧١٨، ص ٨٤٤.

(٧١٣) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٢٩٥، ٦/ ٣٨١.

(٧١٤) صحيح البخاري، الرواية: ١٤٧٥، ص ٢٦٦.

(٧١٥) تفسير الطبري، ١٥/ ١٤٦.

(٧١٦) صحيح البخـاري، الروايـة: ٤٧١٢، ص ٨٤٢-٨٤٣. قـال الإمام البخـاري: «حدَّثنا محمدُ بن مُقاتلٍ أخبرَنا عبـدُالله أخبرَنا أبو حيّانَ التَّيميُّ عـن أبي زُرعَةَ بن عمرٍو بن جَرير عن أبي هريرةَ ﵁ قال: «أُتِيَ رسـولُ الله ﷺ بلحمٍ، فرُفِعَ إليـهِ الذِّراع - وكانت تُعجِبُهُ - فنهَسَ منها نَهسـةً ثم قال: أنا سـيِّدُ الناس يومَ القيامة، وهل تدرونَ ممَّ ذلك؟ يُجمَعُ الناسُ - الأولين والآخِرين - في صَعِيدٍ واحدٍ، يُسمعهمُ الداعي، ويَنفذُهُمُ البصر، وتدنو الشمسُ فيبلُغُ الناسَ من الغمِّ والكَرْبِ ما لا يُطيقون ولا يَحتمِلون.

• وجاء عنـــد ابن أبي شـــيبة[٧١٧]، والطبرانـــي[٧١٨] رواية منســـوبة إلى

= فيقولُ الناس: ألا تَرَونَ ما قَد بَلَغَكم؟ ألا تنظرون من يَشـــفعُ لكم إلى ربكم؟ فيقولُ بعضُ الناس لبعض: عليكم بـــآدمَ... فيأتونَ نوحـــاً... فيأتونَ إبراهيمَ... فيأتون موســـى... فيأتون عيسى... فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رســـولُ الله، وخاتمُ الأنبياء، وقد غفرَ الله لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخر، اشفعْ لنا إلى ربك، ألا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ فأنطِلقُ، فآتي تحتَ العرش فأقَعُ ساجِداً لربي ﷻ، ثمَّ يَفتح اللهُ عليَّ من مَحامِدِه وحُسنِ الثناءِ عليهِ شـــيئاً لم يَفتحْهُ على أحدٍ قبلي. ثم يُقال: يا محمد، ارفَعْ رأسك، سَلْ تُعطَهْ، واشفعْ تُشَفع. فأرفعُ رأســـي فأقول: أمَّتي يـــا ربِّ، أُمتي يا رب. فيُقـــال: يا محمد، أدخِلْ مـــن أُمتكَ مَن لا حِســـابَ عليهم من الباب الأيمن من أبوابِ الجنة، وهم شـــركاءُ الناس فيما سوَى ذلك منَ الأبواب. ثم قال: والذي نفســـي بيدِهِ إنَّ ما بينَ المصراعَين من مصاريع الجنة كما بينَ مَكةَ وحِمْيَر، أو كما بين مكةَ وبُصَرى».

(٧١٧) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٢٧٤١٠، ٧/٤١٦. قال ابن أبي شيبة: «حدّثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن ســـليمان قال: تعطي الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى يكون قاب قوسين فيغرقون حتى يرشح العرق قامة في الأرض ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل، قال ســـلمان: حتى يقول الرجل: غرغر، فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض: ألا تـــرون ما أنتم فيه، ائتوا أباكم آدم فليشـــفع لكم إلـــى ربكم،... فيأتون نوحًا... فيأتون إبرٰهيم... فيأتون عيســـى... فيأتـــون محمدًا ﷺ... فيقول: «أَنَـا صَاحِبُكُمْ»، فيخرج من بين الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة، فيأخذ بحلقة في الباب من ذهب، فيقرع الباب فيقال: من هـــذا؟ فيقول: «مُحَمَّد»، قـــال: فيفتح له فيجيء حتى يقـــوم بين يدي الله فيستأذن في الســـجود فيؤذن له، فيسجد فينادى: يا محمد ارفع رأســـك، سل تعطه واشفع تشـــفع وادع تجب، قال: فيفتح الله عليه من الثناء والتحميد والتمجيد ما لم يفتح لأحد من الخلائق، قال: فيقول: «رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، ثم يستأذن في السجود فيؤذن له فيسجد فيفتح الله عليه من الثناء والتحميد والتمجيد ما لم يفتح لأحد مـــن الخلائق، وينادي: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع وادع تجب، فيرفع رأسه ويقول: «يا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، مرتين أو ثلاثًا، قال (سلمان): فيشـــفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة من إيمان أو مثقال شعيرة من إيمان أو مثقال حبة خردل من إيمان، فذلكم المقام المحمود».

(٧١٨) المعجم الكبير، الروايـــة: ٦١١٧، قال الطبراني: «حدثنا عبيد بـــن غنام ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال: تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس فذكر الحديث قال: فيأتون النبي ﷺ =

الصحابي سلمان الفارسي فيها تفسير (المقام المحمود) بشفاعة الرسول ﷺ في موقف الحشر وليس فيها ذكر للعصاة والخروج من النار.

• وجاء عند الطبري رواية(٧١٩) صحيحة السند منسوبة إلى الحسن البصري وفيها تفسير (المقام المحمود) بـ«مقام الشفاعة يوم القيامة»، ولم يذكر في تلك الرواية الخروج من نار جهنم.

فهذه الروايات الصحيحة التي جاءت من طريق ابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي، والحسن البصري ﷺ صريحة بأن المقام المحمود الذي سيهبه الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ هو ذلك الموقف الذي ستنجلي به عن المؤمنين شدة يوم القيامة، وذلك الموقف الذي به ستفتح أبواب الجنان لوفود الرّحمٰن، وذلك الموقف الذي سيبدأ به عرض الحساب على الخلائق كافة.

• قال الإمام ابن كثير: «ويستشهد لهذا القول، بما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة**»»(٧٢٠).

= فيقولون: يا نبي الله أنت الذي فتح الله بك وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقد ترى ما نحن فيه فاشفع لنا إلى ربنا فيقول: أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة في الباب من ذهب فيقرع فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيسجد فينادي ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فذلك المقام المحمود».

(٧١٩) تفسير الطبري، ١٤٤/١٥. قال الطبري: «حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن في قول الله تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيامة».

(٧٢٠) تفسير ابن كثير، ٣٤٧/٣.

• وقال ابن عطية: «وأما شفاعة محمد في تعجيل الحساب فخاصة له، وهي الخامسة التي في قوله: (وأعطيت الشفاعة) وهي عامة للناس، والقصد منها إراحة المؤمنين...»[٧٢١].

• وقال الشيخ السعدي: «وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا مَنْ أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة عند أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها. بل يستشفعون إلى الله بمحمد ﷺ حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى»[٧٢٢].

• وقال الدكتور عمر الأشقر: «والفصل التاسع حديث عن الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي ينفرد به الرسول ﷺ من بين البشر، حيث يشفع عند ربه ليخلص العباد مما هم فيه من أهوال المحشر، فيفصل الله بين العباد، ثم يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار»[٧٢٣].

• وقال الإمام القرطبي: «**الخامسة**: قال القاضي عِياض: وعرف بالنقل المستفيض سؤالُ السلف الصالح لشفاعة النبيّ ﷺ ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت لقول من قال: إنه يكره أن تسأل الله أن يرزقك شفاعة النبيّ ﷺ؛ لأنها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون كما قدّمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات. ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتدٍّ بعمله مشفق أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة؛ لأنها لأصحاب الذنوب أيضاً، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف. روى البخاري عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال:

(٧٢١) تفسير ابن عطية، ص٢٢٩، من تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٧٢٢) تفسير السعدي، ص٦٩٧، من تفسير الآية ٧٣ من سورة الزمر.

(٧٢٣) اليوم الآخر ـ القيامة الكبرى، ٢/ ١٤.

«من قال حين يسمع النداء اللَّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً ﷺ الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتَه حلّت له شفاعتي يوم القيامة»»[٧٢٤].

فهذه الأقوال التي نقلناها تصحح الفكرة التي ذكرها الدكتور يوسف القرضاوي الذي قال: ـ «ولا يقال: إن الذين ارتضاهم الله إنما هم الصالحون من عباده من المطيعين والتائبين، وليسوا العصاة والمذنبين، لأنا نقول: هؤلاء الصالحون لا يحتاجون إلى شفاعة، إنما الذي يحتاج إلى الشفاعة هو المقصر، ممن ضيع بعض الواجبات، أو ارتكب بعض المحرمات، وهو ممن ارتضاه الله في الجملة بسبب إيمانه، وانضمامه إلى الأمة المصطفاة»[٧٢٥].

فهذه الفكرة التي قالها الدكتور القرضاوي تنسفها الروايات الصحيحة، وليس لها أي دليل يقرها سوى روايات ضعيفة لا وزن لها ولا قيمة عند التحقيق العلمي.

❋ ❋ ❋

روايات تفسر (المقام المحمود) بالشفاعة لعصاة المسلمين وإخراجهم من النار:

وأما تفسير (المقام المحمود) بإخراج عصاة المسلمين من نار جهنم فقد تكفلت بذكره الروايات الضعيفة التي لا وزن لها في ميادين المنهج الإسلامي المنصور.

---

(٧٢٤) تفسير القرطبي، ٢٠١/١٠.

(٧٢٥) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، ص ٣٠.

• جاء عند الإمام الطبري[٧٢٦] رواية ضعيفة منسوبة إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وفيها ذكر مرور الناس على الصراط إلى أرض الشفاعة، وفيها تقدم الرسل على الرسول عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام في الشفاعة حيث يكون هو ﷺ آخرهم، وهذا يخالف تسلسل الأحداث التي ذكرتها الروايات الصحيحة.

وأخرج هذه الرواية النسائي[٧٢٧]، وابن أبي شيبة[٧٢٨]، والطيالسي[٧٢٩]، والطبراني[٧٣٠].

هذه الرواية ضعيفة لورودها من قبل أبي الزعراء الراوي عن الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الذهبي[٧٣١]: «عبدالله بن هانئ، أبو الزعراء صاحب ابن مسعود. قال البخاري: لا يتابع على حديثه. سمع منه سلمة بن كهيل حديثه عن

---

(٧٢٦) تفسير الطبري، ١٥/ ١٤٤. قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبدالرّحمٰن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبدالله في قصة ذكرها، قال: ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم، فيمرّ الناس بقدر أعمالهم يمرّ أوّلهم كالبرق، وكمرّ الريح، وكمرّ الطير، وكأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمرّ الرجل سعياً، ثم مشياً، حتى يجيء آخرهم يتلبّط على بطنه، فيقول: ربّ لما أبطأت بي، فيقول: إني لم أبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك، قال: ثم يأذن الله في الشفاعة، فيكون أوّل شافع يوم القيامة جبرائيل عليه السلام، روح القُدس، ثم إبراهيم خليل الرّحمٰن، ثم موسى، أو عيسى، قال أبو الزعراء: لا أدري أيهما قال، قال: ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعاً، فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذي ذكر الله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾».

(٧٢٧) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٢٩٦، ٦/ ٣٨٢.

(٧٢٨) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٣٣٤٢٦، ٨/ ٦٧٥.

(٧٢٩) مسند الطيالسي، الرواية: ٣٨٩، ١/ ٢٠٠.

(٧٣٠) المعجم الكبير، الرواية: ٩٧٦١.

(٧٣١) ميزان الاعتدال، ت: ٤٦٦٤، ٢/ ٥١٦ – ٥١٧. وانظر كذلك تهذيب الكمال، ت: ٣٦١٥، ٤/ ٣٠٩ – ٣١٠.

ابن مسعود في الشفاعة: ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً. والمعروف أنه عليه الصلاة والسلام أول شافع. قاله البخاري».

• وذكر السمرقندي رواية(٧٣٢) منسوبة إلى أبي سعيد الخدري من طريق عطية العوفي الضعيف(٧٣٣) وفيها تفسير (المقام المحمود) بإخراج أقوام من نار جهنم.

• وجاء عند الإمام مسلم رواية منسوبة إلى الصحابي جابر بن عبدالله ﷺ وفيها حوار بينه وبين يزيد الفقير.

قال الإمام مسلم(٧٣٤): ـ

«وحدّثنا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ يَعْنِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيْدُ الْفَقِيرُ قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ. فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ. ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ. قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ. جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ. عَنْ رَسُولِ اللهِ. قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ مَا هذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهِ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ

---

(٧٣٢) تفسير السمرقندي، ٢/ ٢٨٠. قال السمرقندي: «قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا محمد بن معاوية الأنماطي قال: حدّثنا الحسن بن الحسين، عن عطية العوفي قال: حدّثنا أبو حنيفة، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: «يُخْرِجُ الله أقْوَاماً مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الإيمانِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ، فَيُؤْتَى بِهِمْ نَهراً يُقَالُ لَهُ الحَيَوَانُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهِ؛ فَيَنْبُتُونَ كَمَا ينبتُ التَّقَارِيرُ. ثم يُخْرَجُونَ فَيُدْخَلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمَّوْنَ فِيهَا الجَهَنَّمِيُّونَ. قال: ثم يطلبونَ إلى الله تعالى أَنْ يُذْهِبَ عَنْهُمْ هذا الاسْمَ، فَيُذْهِبُهُ عَنْهُمْ»».

(٧٣٣) انظر: ص ٢٤١ من هذا البحث.

(٧٣٤) صحيح مسلم، الرواية: ١٩١، ص ١٣٦ - ١٣٧.

ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢] و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فَمَا هذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (يَعْنِي: الَّذِي يَبْعَثُهُ الله فِيهِ)؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ الله بِهِ مَنْ يُخْرِجُ. قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ. قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ. قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْماً يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا. قَالَ: يَعْنِي: فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ. قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْراً مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ. فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ. فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ؟ فَرَجَعْنَا. فَلَا وَالله مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ».

نعرض الملاحظات الآتية حول هذه الرواية: ـ

١ ـ هذه الرواية تذكر أن (المقام المحمود) هو إخراج الناس من جهنم وهذا تفسير تخالفه الروايات الأخرى الصحيحة التي فسرت (المقام المحمود) بالشفاعة العظمى يوم المحشر، كما هو مذكور في بداية هذا القسم.

ومن القواعد التي ينبغي لنا تطبيقها ونحن ندرس عقائدنا هي التي ذكرها الإمام القرطبي، حيث قال: ـ

«والبناء على سندين يوافقان الإجماع أولى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة، وما يبنى على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة تخالفه، أخذ برواية الجماعة، وأبطل نقل الواحد؛ لما يجوز عليه من النسيان والإغفال. ولو صح الحديث عن أبي الدرداء وكان إسناده مقبولاً معروفاً، ثم كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ﷺ يخالفونه، لكان

الحكم العمل بمــا روته الجماعة، ورفض ما يحكيــه الواحد المنفرد، الذي يسرع إليه من النسيان ما لا يسرع إلى الجماعة، وجميع أهل الملة»[٧٣٥].

والذي قال: «وقول الواحد مــن الصحابة ليس بحجة إذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه»[٧٣٦].

ونحن إذا حَكَّمْنا هذه القاعدة المنهجية التي ذكرها الإمام القرطبي عند دراستنا لرواية يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله، فإننا نجد رواية يزيد تخالف الرواية التي جاءت من طريق ابن عمر وأبي هريرة وسلمان الفارسي ﷺ في تفســير (المقام المحمود). وقد اعتمــد جمهور العلماء علــى المعنى الذي أشارت إليه رواية ابن عمر وأبي هريرة وســلمان الفارسي كما صرح بذلك المفسرون. لهذا لا ينبغي لنا اعتماد رواية يزيد عن جابر بن عبد الله في تفسير هذه الآية الكريمة.

٢ ـ هــذه الرواية تحمــل التناقضات الفكريــة. فقد جاء فيهــا ما نصه: «حَدَّثَنِي يَزِيْدُ الْفَقِيرُ قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ. فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ. ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ».

فالخروج على الناس قتلاً وقطعاً للطرق يعتبر في ميزان الإسلام جريمة توعد الله فاعلها بالخلود في نار جهنم[٧٣٧]، وهذا هو حكم رب الســماوات والأرض ولم يستشر سبحانه في حكمه هذا البشر.

ونية الراوي ورغبته فــي الخروج على الناس بعد أداء مناســك الحج، يزيدها تأججاً ما جاء في نفس الرواية: «أَنَّ قَوْماً يَخْرُجُــونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا».

---

(٧٣٥) تفسير القرطبي، ٢٠/٥٦، من تفسير الآية ١ من سورة الليل.

(٧٣٦) تفسير القرطبي، ١٨/٧٠، من تفسير الآية ٩ من سورة الجمعة.

(٧٣٧) انظر: القسم الثاني من الفصل الثالث من هذا البحث.

فعقيدة خلود العصاة في النار ـ التي جاء بهـا القرآن الكريم والصحيح من أحاديث الرسـول ﷺ ـ حينمـا تتغلغل في أعماق النفـس تردع كل من تسـول له نفسـه الإفسـاد في البلاد والعباد، ولكن فكرة الخروج من النار والشـفاعة لأهل الكبائر تجعل السـابحين في دماء الناس والسـارحين في أعراضهم والراتعين في أموالهم لا يرعوون عن فسـادهم؛ لم لا يكون ذلك وهناك وعد لهم بالشفاعة ووعد بإخراجهم من النار إذا جاؤوا بنية الخوارج وأعمالهم؟!!!.

فليس هنـاك من وفاق بين عقيدة الخلود والسـعي في الأرض فسـاداً، وليس هناك من وئام بين الشـفاعة لأهل الكبائر وبين الاستقامة على منهج الله في كل مناشط الحياة.

فقد خلطت هـذه الرواية بين عقيدة الخلود وبين الرغبة في الفسـاد في الأرض وهذا أمر لا يتم أبداً.

وخلطت بين (فكـرة الخروج من النار) وبين إنكار الفسـاد في الأرض وهذا أمر لا يتم.

٣ ـ وفكرة الخوارج ـ التي رسـخت في عقول كثيـر من الكتاب ـ هي النيل من دماء المسـلمين وأموالهم وأعراضهم، وهذا مبدأ حاربه الإسـلام، وقد بيَّن الشـرع الحنيف جزاء مـن انتهك الحرمات التي صانها الإسـلام. فالسعيد من تجنب هذا الفكر وقاومه ووقف أمام المفسدين عبر التاريخ.

وأما عقيدة خلود أصحاب الكبائر من هـذه الأمة في النار فهي عقيدة قرآنية وجاءت بها روايات صحيحة عن الرسـول ﷺ، فالسعيد من تمسك بالقرآن الكريـم والسُـنَّة النبوية المطهـرة على صاحبهـا أفضل الصلاة والسلام.

٤ ـ والربط بين (عقيدة خلود عصاة المسلمين في النار) وبين فكرة الخوارج هو خطأ منهجي في فهم تعاليم المبادئ وأثرها في حياة الناس، لأن هذه العقيدة القرآنية إذا تمكنت من كيان البشر فإنها تقودهم إلى تطبيق تعاليم الإسلام وتردهم عن اقتراف الفواحش، وتدعوهم إلى طلب التوبة والمغفرة من الله تعالى إذا ما اقترف أحدهم كبيرة من كبائر الذنوب.

٥ ـ والربط بين (عقيدة خلود عصاة المسلمين في النار) وبين فكرة الخوارج يكذبه البعد التاريخي الحضاري الصحيح لهذه العقيدة[٧٣٨]. ولقد سجل التاريخ على جبينه أحداثاً مضيئة نحتتها عقيدة الخوف من عذاب الله تعالى الخالد في نار جهنم، فكان أصحاب هذه العقيدة القرآنية على هدى وبصيرة واستقامة في كل أطوار حياتهم.

فمن تعاليم (عقيدة الخلود في النار) عدم الخروج إلى النواحي والبلدان بعسكر لا يضبطونه ولا يصدونه عن الظلم والفساد[٧٣٩]، ومن تعاليم أئمة أصحاب هذه العقيدة أن لا يؤخذ مال من جيش مسلم شارك فيه محارب مشرك فقد جاء في كتاب (السير والجوابات): «وسألت أبا المؤثر عن جبار من أهل القبلة خرج باغياً على المسلمين وسار معه قوم من المشركين، فقال: إن المشركين الذين ساروا مع الجبار لهم من الحرمة كحرمة البغاة من أهل القبلة، إذا كان إمامهم من أهل القبلة كان المشركون معه بمنزلة أهل القبلة لا تغنم أموالهم ولا تسبى ذراريهم»[٧٤٠].

---

(٧٣٨) أرجو مراجعة كتاب (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية) للشيخ الدكتور فرحات الجعبيري، ص٧٥٣ ـ ٧٦٣.

(٧٣٩) السير والجوابات، ٤١٧/١.

(٧٤٠) السير والجوابات ٣٥٩/١.

٦ ـ ومن شأن فكرة الشفاعة لأهل الكبائر والخروج من النار عدم غرس الخوف من وعيـد الله تعالى. فبقدر هيمنة هذه الفكرة على الكيان البشـري يكون الطغيان والظلم والإفساد في البلاد وبين العباد.

والشـواهد التاريخية كثيرة نذكر منها ما قاله الإمام القرطبي في (كتاب التذكـرة)[٧٤١]: «قال علماؤنا رحمـة الله عليهم: هذا الحديـث يدل على أن أبا هريـرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثيـر، والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير. ألا تراه يقول: لو شئت قلت لكم: هم بنو فلان وبنو فلان، لكنه سـكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد، وكأنهم والله أعلم يزيد بن معاوية، وعبيـد الله بن زياد، ومن تنـزل منزلتهم من أحداث ملوك بني أمية، فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسـول الله ﷺ وسـبيهم، وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة وغيرها، وغير خافٍ ما صدر عن الحجـاج، وسـليمان بن عبد الملك، وولده من سـفك الدماء، وإتلاف الأموال، وإهلاك النـاس بالحجاز والعراق وغير ذلـك، وبالجملة فبنو أمية قابلـوا وصية النبي ﷺ فـي أهل بيته وأمتـه بالمخالفة والعقوق، فسـفكوا دماءهم وسبوا نسـاءهم وأسـروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا فضلهم وشرفهم واستباحوا لعنهم وشتمهم، فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته، فواخجلتهـم إذا وقفوا بين يديه، ووافضيحتهم يوم يعرضون عليهم، والله أعلم».

وذكر الإمام القرطبي كذلك ـ وفي مواضع كثيـرة ـ أحداثاً مؤلمة قام بهـا جنود بنـي أميـة ضـد آل رسـول الله ﷺ والصحابـة والمجتمعات المسلمة[٧٤٢].

---

(٧٤١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ٢/ ٥٨٥.

(٧٤٢) انظر: كتاب التذكرة، ٢/ ٥٨٥ – ٥٩٣.

فرواية يزيد الفقير ـ التي ذكرناها هنا ـ لا تتفق مع واقع ما تأمر به (عقيدة الخلود في النار) من مبادئ يعيش بها المرء في هذه الحياة؛ لأن (عقيدة الخلود في النار) تحارب الفساد في الأرض وتأمر أتباعها برفع الظلم والفساد عن عباد الله تعالى.

وباختصار: لقد خالفت رواية يزيد الفقير هذه جمهور العلماء من الصحابة وغيرهم في تفسير المقام المحمود، وأشارت إلى وقائع تاريخية هي لصيقة تمام اللصوق بـ(فكرة الخروج من النار) وليس لها أي نسب بـ(عقيدة الخلود في النار). وبهذا تكون هذه الرواية بعيدة كل البعد عن واقع فكر الأمة الإسلامية في مجال التفسير والتربية والتاريخ.

فمن كل ما سبق نعلم أن التفسير الصحيح لـ(المقام المحمود) هو ما أيدته الروايات الصحيحة الذي نسبه الإمام الطبري إلى أكثر أهل العلم حيث قال: «فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم»[٧٤٣].

وما عدا هذا التفسير فلا قيمة له في ميزان الإسلام العادل.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(٧٤٣) تفسير الطبري، ١٥/١٤٣ـ١٤٤.

قراءة في تفسير قوله تعالى

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

لقد ذكر المفسرون القائلون بـ(فكرة الخروج من النار) خلافهم حول المعنى الذي تدل عليه هذه الآيات. وبتتبع الروايات الواردة عند المفسرين وعلماء الحديث، وبقراءة المعنى اللغوي للكلمات القرآنية الواردة في هذه الآية، وبعرض المشاهد التي تصورها لنا هذه الآيات والآيات التي قبلها والآيات التي بعدها سنعرف بإذن الله تعالى المعنى الصحيح لهذه الآيات الكريمة.

قال الإمام الطبري: «واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع»[٧٤٤]، ثم ذكر الأقوال وما جاء في معناها من روايات: ـ

- «وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين»[٧٤٥]، ثم أورد الإمام الطبري روايتين[٧٤٦] لتأييد هذا الرأي.

(٧٤٤) تفسير الطبري، ١٦/١٠٨.

(٧٤٥) تفسير الطبري، ١٦/١١٠.

(٧٤٦) الروايتان هما:

قال الإمام الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٠): «حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبد الله بن السائب، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن». =

- «وقــال آخرون: بل الــورود عام لــكلّ مؤمن وكافر، غيــر أن ورود الـمؤمــن الـمــرور، وورود الكافر الدخــول»[٧٤٧]، ثم أورد الإمــام الطبري رواية[٧٤٨] ضعيفة لتأييد هذا الرأي.

- «وقــال آخــرون: ورود الـمؤمــن ما يصيبــه فــي الدنـيــا من حمّى ومرض»[٧٤٩]، ثم أورد الإمام الطبري روايتين[٧٥٠] ضعيفتين في هذا الموضع.

= هذه الرواية ضعيفة لكونها من طريق رجل مجهول.

وقال الإمــام الطبري فــي تفســيره: (١٦/ ١١١) «حدثنــا مـحمد بن بشــار، قال: ثنا عبدالرّحمٰن، قال: ثنا عمرو بن الولـيد الشَّنّـي، قال: سمعت عكرمة يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعنـي الكفـار».

عمر بن الوليد مختلف فيه (انظر: تعجيل المنفعة، ت: ٧٧٧، ص ٣٣٥).

(٧٤٧) تفسير الطبري، ١٦/ ١١١.

(٧٤٨) تفسير الطبري، ١٦/ ١١١، قال الإمام الطبري: «حدثنـي يونـس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فـي قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ورود الـمســلـمين الـمرور علـى الـجسر بـين ظهريها وورود الـمشــركين أن يدخـلوهــا، قال: وقال النبـــيّ ﷺ: «الزَّالُّونَ والزَّالَّاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَقَدْ أحاطَ الـجِسْرَ سِماطانِ مِنَ الـمَلائكَةِ، دَعْوَاهُمْ يَوْمَئِذٍ يا اللهُ سَلِّـمْ سَلِّـمْ».

هذه الرواية فيها عبدالرّحمٰن بن زيد بن أسلم الضعيف (تقريب التهذيب، ت: ٣٨٧٩، ١/ ٥٧٠).

(٧٤٩) تفسير الطبري، ١٦/ ١١١.

(٧٥٠) الروايتان هما:

قال الإمام الطبري في تفسيره (١٦/ ١١١): «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يـمان، عن عثمان بن الأســود، عن مـجاهد قال: الـحمى حظّ كلّ مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾».

هذه الرواية ضعيفة بسبب ابن يمان في سندها، انظر: ص٢٤٦ من هذا البحث.

وقال الإمام الطبري في التفسير (١٦/ ١١١): «حدثنـي عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا أبو الـمغيرة، قال: ثنا عبدالرّحمٰن بن يزيد بن تـميـم، قال: ثنا إسماعيـل بن عبـيد الله، عن أبـي صالـح، عن أبـي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه وبه وعك وأنا معه، ثم قــال: «إن الله يقول: هي ناري أســلطها علـى عبدي الـمؤمن، لتكون حظه من النار فـي الآخرة»».

وذكر الشيخ السعدي نحو أقوال الإمام الطبري، حيث قال: «واختلف في معنى الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بَعْدُ، ينجي الله المتقين.

وقيل: ورودها، دخولها وحضورها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً.

وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كُلٌّ بحسب تقواه، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ الله تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِيهَا جِثِيًّا ﴾ وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب»[٧٥١].

وجاءت هذه الأقوال التي ذكرها الطبري، والسعدي كذلك عند الشنقيطي[٧٥٢]، والشوكاني[٧٥٣]، وابن عبد البر[٧٥٤]، وابن حجر[٧٥٥]، وغيرهم.

ونعرض مادة هذا القسم في سبعة عناصر نناقش فيها روايات القائلين بمرور الخلائق على الصراط، وخروج العصاة من النار، ونذكر جانباً من

= «هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب عبدالرحمٰن بن يزيد بن تميم السلمي الدمشقي الضعيف» (تقريب التهذيب، ت: ٤٠٥٤، ١/ ٥٩٥).

(٧٥١) تفسير السعدي، ص ٤٧١، من تفسير الآية ٧١ من سورة مريم.

(٧٥٢) تفسير الشنقيطي، ٤/ ٢٦٤.

(٧٥٣) تفسير الشوكاني، ٣/ ٤٧٤، بدأ العلامة الشوكاني ذكر أقوال العلماء بقوله: «وقد اختلف الناس في هذا الورود...».

(٧٥٤) التمهيد، ٣/ ١٤٧.

(٧٥٥) فتح الباري، ٣/ ٤٦٢. بدأ الحافظ ابن حجر ذكر أقوال العلماء بقوله: «واختلف السلف في المراد بالورود في الآية، فقيل: هو الدخول...».

مشـاهد الناس يوم القيامة بعد خروجهم من القبور حسـب ما ترشد إليه هذه الآيـات الكريمة، ونذكـر الرواية التـي تتحدث عن إتيـان الله إلى الخلائق ـ والعياذ بالله ـ يوم القيامة في صورة يسـتنكرها الناس، ونعرض رواية الشفاعة العظمى التي يمن الله تعالى بها على الخلق كافة والمؤمنين خاصة يوم القيامة، ونبين حـال رواية (الجهنميين) فـي الميزان العادل، ونذكر حال الرواية التي جـاء فيها: «ولكن قوم أصابتهـم النار بذنوبهم فأماتهم إماتة».

* * *

العنصر الأول: روايات ذكرها القائلون بـ (خروج العصاة من النار):

فمن مواقع الخلاف ـ التي سطرها العلماء حول كلمة الورود هنا ـ نجد أن المعاني التي أُعطيت لهذه الكلمة ـ لكي تخدم (فكرة الخروج من النار) ـ إنما أنشئت على روايات باطلة لا قيمة لها أبداً في ميزان الحق. وبالتطبيق العملي لعلـوم الحديث، وخاصـة علم الجـرح والتعديل، يظهـر لنا عدم صلاحية تلك الروايات وأنها ليست بأهل لأن تكون مفسرة لكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد أشار الشيخ الشنقيطي لتلك الروايات واعتمد عليها في تفسيره، حيث قال: «قد دلت على أن الورود في الآية معناه الدخول ـ أدلة: **الأول:** ـ هـو ما ذكره ابن عباس ﵄ مـن أن جميع مـا في القـرآن من ورود النـار معناه دخولها غير محل النزاع، فـدل ذلك على أن محل النـزاع كذلك، وخير ما يفسـر به القرآن القرآن...»[٧٥٦]، ثم أشـار إلى الروايات

(٧٥٦) تفسير الشنقيطي، ٤/٢٦٥ – ٢٦٦.

الواردة في كتب التفسير والحديث والتي حددت تفسير (الورود) بالدخول.

ومن جانب آخر نجد العلامة ابن عاشور لا يعتد بالروايات التي أشار إليها الشنقيطي هنا، حيث قال: «وروى الطبري وابن كثير في هذين المحملين أحاديث لا تخرج عن مرتبة الضعف مما رواه أحمد في «مسنده» والحكيمُ التّرمذي في «نوادر الأصول». وأصح ما في الباب ما رواه أبو عيسى الترمذي قال: «يرد النّاس النّار ثمّ يصدرون عنها بأعمالهم» الحديث في مرور الصراط»(٧٥٧).

فلا بد إذاً من عرض ما ورد من روايات على ميزان الحق حتى نستأصل كل ما من شأنه إضعاف كيان هذه الأمة، وحتى نبتعد عن أسباب الخلاف ونحن ندرس كتاب ربنا ﷻ.

- روايات منسوبة إلى ابن عباس:

قال الإمام الطبري(٧٥٨): «حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أورود هو أم لا؟ وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع».

(٧٥٧) تفسير ابن عاشور، ١٦/ ٧١.
(٧٥٨) تفسير الطبري، ١٦/ ١٠٨ – ١٠٩.

ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٧٥٩]، والشنقيطي[٧٦٠]، والشوكاني[٧٦١]، والألوسي[٧٦٢]، والسيوطي[٧٦٣]، والبغوي[٧٦٤]، وابن عطية[٧٦٥].

هذه الحكاية التي قصتها علينا هذه الرواية الضعيفة لا حجة فيها وذلك بسبب وجود رجل مجهول بين عمرو بن دينار وابن عباس. وكذلك بسبب رواية الحسن بن يحيى بن الجعد عن عبدالرزاق بن همام الصنعاني.

عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري:

قال ابن حجر[٧٦٦]: «... قال أبو زرعة الدمشقي: قلت لأحمد: من أثبت في ابن جريج عبدالرزاق أو البرساني قال: عبدالرزاق وقال أيضاً: أخبرني أحمد، أنا عبدالرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر من سمع منه بعدما ذهب بصره فهو ضعيف السماع... قال النسائي: فيه نظر لمن كتب عنه بآخره، كتب عنه أحاديث مناكير... وقال العباس العنبري لما قدم من صنعاء: لقد

---

(٧٥٩) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٧٦.

(٧٦٠) تفسير الشنقيطي، ٤/ ٢٦٥. قال الشنقيطي: «وبهذا استدل ابن عباس على نافع بن الأزرق في «أن الورود الدخول»».

(٧٦١) تفسير الشوكاني، ٣/ ٤٧٦. قال الشوكاني: «وأخرج عبدالرزاق، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس، فقال ابن عباس: الورود الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وقال: وردوا أم لا؟ وقرأ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]. أوردوا أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا؟».

(٧٦٢) تفسير الألوسي، ٨/ ٤٣٨.

(٧٦٣) الدر المنثور، ٤/ ٥٠٥.

(٧٦٤) تفسير البغوي، ٣/ ١٧١.

(٧٦٥) تفسير ابن عطية، ص١٢٣٧، من تفسير الآية ٧١ من سورة مريم.

(٧٦٦) تهذيب التهذيب، ت: ٤٢١٣، ٦/ ٢٧٥ – ٢٧٨.

تجشـمت إلى عبدالرزاق وإنه لكذاب والواقدي أصدق منه... عن الفرهياني أنه قال: حدثنا عباس العنبري عن زيد بن المبارك قال: كان عبدالرزاق كذاباً يسرق الحديث. وعن زيد قال: لم يخرج أحد من هؤلاء الكبار من هاهنا إلا وهو مجمع ألا يحدث عنه...».

«وقال أبو عمـرو بن الصلاح: ذكـر أحمد بـن حنبل أنه عمي فـي آخر عمره فـكان يلقن فيتلقن، فسـماع من سـمع منه بعـد ما عمي لا شيء»[٧٦٧].

ونحن إذا أخذنا بقول الإمام أحمد في شـأن عبدالـرزاق ندرك أن هذه الرواية لا يصـح الاعتماد عليهـا وذلك لأن الـراوي عن عبدالـرزاق هو الحسـن بن يحيى بن الجعد بن نشـيط العبدي الذي لم يتجاوز سن الثانية عشرة من العمر عند ظهور التغير على عبدالرزاق.

ومـما يدل علـى تغير عبـدالرزاق قبل رأس المائتين هو إقدام زيـد بـن المبارك ـ الذي قال: كان عبدالرزاق كذاباً يسـرق الحديث ـ على حرق كتبه التي روى فيها عن عبدالرزاق وملازمته بعـد ذلك لمحمد بن ثور[٧٦٨]. هذا مع العلم أن موت محمد بن ثور كان في عام ١٩٠هـ تقريباً[٧٦٩]. وبالنظر في الأعوام التي عاشـها الحسـن بن يحيى نجد أنه كان ابن ١٢سـنة في عام ١٩٠هـ تقريباً؛ إذ كانت وفاته عام ٢٦٣هـ وقد عاش ٨٥ سنة[٧٧٠]، ومن هذا ندرك أن ولادته كانت في عام ١٧٨هـ تقريباً.

---

(٧٦٧) كتاب الضعفـاء والمتروكيـن ت: ١٩٢٢، ٢/ هامش صفحة ١٠٥ تعليـق أبي الفداء عبدالله القاضي.

(٧٦٨) ضعفاء العقيلي، ت: ١٠٨٢، ٣/ ١١١.

(٧٦٩) تقريب التهذيب، ت: ٥٧٩٣، ٢/ ٦١.

(٧٧٠) تهذيب الكمال، ت ١٢٦٣، ٢/ ١٧٠.

وقال ابن عدي: «... ولعبدالرزاق بن همام أصناف وحديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم، وكتبوا عنه ولم يروا بحديثه بأساً إلا أنهم نسبوه إلى التشيع، وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقه عليها أحد من الثقات فهذا أعظم ما رموه به من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه في مثالب غيرهم مما لم أذكره في كتابي هذا، وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت، ومثالب آخرين مناكير»[٧٧١].

وقال ابن حبان: «... كان ممن يخطىء إذا حدث من حفظه على تشيع فيه»[٧٧٢].

- وجاءت رواية أخرى فيها قصة نافع بن الأزرق مع ابن عباس بسند آخر ضعيف:

قال الإمام الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال أبو راشد الحَروريّ:...»[٧٧٣]. ثم ذكر الرواية.

هذه الرواية من هذه الطريق ضعيفة لورودها من قِبل عنعنة عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المكي المدلس.

قال ابن حجر: «فقيه الحجاز مشهور بالعلم والثبت، كثير الحديث، وصفه النسائي وغيره بالتدليس. قال الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح»[٧٧٤].

---

(٧٧١) الكامل في ضعفاء الرجال، ت: ٤٩٥/ ١٤٦٣، ٦/ ٥٤٥.

(٧٧٢) ثقات ابن حبان، ت: ١٤٢١٦، ٨/ ٤١٢.

(٧٧٣) تفسير الطبري، ١٦/ ١٠٩.

(٧٧٤) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٨٣، ص ٩٥.

- وجاءت رواية أخرى منسوبة إلى ابن عباس:

قال الطبري[٧٧٥]: «حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] يعني: البرّ والفاجر، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقال: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] فسمى الورود في النار دخولاً، وليس بصادر».

ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٧٧٦].

سند هذه الرواية هو كالآتي: محمد بن سعد (بن محمد)، قال: ثني أبي (سعد بن محمد بن حسن بن عطية)، قال: ثني عمي (الحسين بن حسن بن عطية العوفي)، قال: ثني أبي (حسن بن عطية العوفي)، عن أبيه (عطية بن سعد بن جنادة العوفي) عن ابن عباس...

في سند هذه الرواية سلسلة من الضعفاء:

عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن ضعيف مدلس لا يفرح برواياته أئمة الإسلام.

قال ابن حجر[٧٧٧]: «قال مسلم بن الحجاج: قال أحمد وذكر عطية العوفي فقال: هو ضعيف الحديث، ثم قال: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي ويسأله عن التفسير وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد، وكان هشيم يضعف حديث عطية... وقال أبو زرعة: لين، وقال أبو حاتم: ضعيف يكتب

---

(٧٧٥) تفسير الطبري، ١٦/ ١٠٩.

(٧٧٦) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٧٧.

(٧٧٧) تهذيب التهذيب، ت: ٤٧٨١، ٧/ ١٩٤ – ١٩٦.

حديثه وأبو نضرة أحب إلي منــه، وقال الجوزجاني: مائل، وقال النســائي: ضعيف... وقال ابن حبان في (الضعفاء) بعد أن حكى قصته مع الكلبي بلفظ مستغرب فقال: سمع من أبي سعيد أحاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي يحضر بصفتــه فإذا قــال الكلبي: قال رســول الله ﷺ كــذا فيحفظه وكناه أبا ســعيد ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا فيقول: حدثني أبو سعيد فيتوهمون أنه يريد أبا ســعيد الخدري وإنما أراد الكلبــي... وقال أبو داود: ليس بالذي يعتمد عليه... وقال الساجي: ليس بحجة».

وقال ابن حجر أيضاً: «تابعي معروف ضعيف الحفظ مشــهور بالتدليس القبيح»(٧٧٨).

حسن بن عطية بن سعد العوفي:

قال ابن حجــر: «قال أبو حاتــم: ضعيف الحديث. وقــال ابن حبان في (الثقات): أحاديثه ليســت بنقية... وقال البخاري: ليس بذاك. وقال ابن قانع: مات ســنة (١٨١). وكذا أرَّخه ابن حبان في (الضعفاء) وزاد: منكر الحديث، فلا أدري البلية منه، أو من ابنه، أو منهما معا»(٧٧٩).

الحسين بن حسن بن عطية العوفي:

قال ابن حجر: «ضعفه يحيى بن معين وغيره. وقال ابن حبان: روى أشــياء لا يتابع عليها، لا يجــوز الاحتجاج بخبــره... وقال النســائي: ضعيف... وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال الجوزجاني: واهي الحديث. وقال ابن ســعد: سمع سماعاً كثيراً، وكان ضعيفاً في الحديث. وذكره العقيلي في الضعفاء...»(٧٨٠).

---

(٧٧٨) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ١٢٢، ص ١٣٠.

(٧٧٩) تهذيب التهذيب، ت: ١٣٢٧، ٢/٢٦٨.

(٧٨٠) لسان الميزان، ت: ٢٦٧٩، ٢/٣٤١ – ٣٤٢.

• وجاءت رواية أخرى منسوبة إلى ابن عباس:

قال الإمام الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: يدخلها»[٧٨١].

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب عنعنة ابن جريج المدلس[٧٨٢].

• رأي منسوب إلى خالد بن معدان:

قال الطبري[٧٨٣]: «حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد بن معدان، قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة. قال ابن عرفة: قال مروان بن معاوية: قال بكار بن أبي مروان: أو قال: جامدة».

ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٧٨٤]، والألوسي[٧٨٥].

هذا الرأي المنسوب إلى خالد بن معدان لم يثبت عنه وذلك لوجود مروان بن معاوية بن الحارث الفزاري في سند هذه الرواية.

قال ابن حجر: «وقال عبدالله بن علي بن المديني عن أبيه: ثقة فيما يروي عن المعروفين وضعفه فيما يروي عن المجهولين. وقال علي بن الحسين بن الجنيد عن ابن نمير: كان يلتقط الشيوخ من السكك. وقال العجلي: ثقة، ثبت،

---

(٧٨١) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٠.

(٧٨٢) انظر: ص ٤٢ من هذا البحث.

(٧٨٣) تفسير الطبري، ١٦/ ١٠٩.

(٧٨٤) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٧٦.

(٧٨٥) تفسير الألوسي، ٨/ ٤٣٨.

ما حدث عن المعروفين فصحيح، وما حدث عن المجهولين ففيه ما فيه، وليس بشيء. وقال أبو حاتم: صدوق، لا يدفع عن صدقه، ويكثر روايته عن الشيوخ المجهولين... وقال الآجري عن أبي داود: كان يقلب الأسماء. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: كان مروان يغيّر الأسماء يعمي على الناس،... وقال الذهبي: كان به عالماً، لكنه يروي عمن دب ودرج»[٧٨٦].

ومما يبيّن ضعف هذه الرواية أيضاً أن مروان بن معاوية يرويها عن بكار بن أبي مروان الذي لم أعثر له على ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي، والله المستعان.

- رواية منسوبة إلى أبي خالد:

قال الإمام الطبري[٧٨٧]: «حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا مرحوم بن عبدالعزيز، قال: ثني أبو عمران الجَوْنيّ، عن أبي خالد قال: تكون الأرض يوماً ناراً، فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾».

فأبو خالد الذي يروي عنه أبو عمران الجوني لم تحدده الرواية وقد يكون هو هرمز أو هرم أبو خالد الوالبي الكوفي، والرواية هذه ليس فيها معنى الخروج من النار، بل فيها التحذير من هول أرض يوم المحشر.

- رأي منسوب إلى كعب الأحبار:

قال الإمام الطبري: «حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن الجريريّ، عن أبي السليل، عن غنيم بن قيس، قال: ذكروا ورود النار، فقال كعب: تُمْسَكُ النارُ للناس كأنها متن إهالة، حتى يستويَ عليها

---

(٧٨٦) تهذيب التهذيب، ت: ٦٨٨٥، ١٠/٨٨ – ٩٠.

(٧٨٧) تفسير الطبري، ١٦/١٠٩.

أقدام الـخلائــق بَرِّهم وفـاجرهم، ثــم يناديها مناد: أن أمســكي أصحابك، ودعي أصحابـي، قال: فـيُخْسَف بكلّ ولـيّ لها، ولهي أعلـم بهم من الرجل بولده، ويخرج الـمؤمنــون ندية أبدانهم. قال: وقال كعــب: ما بـين منكبـي الـخازن من خزنتها مسيرة ســنة، مع كلّ واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدَّفْعة، فـيصرع به فـي النار سبعمائة ألف».

أخرج هذه الرواية الطبري(٧٨٨)، وابن أبي شيبة(٧٨٩).

وذكر هذه الرواية ابن كثير(٧٩٠).

هذا الرأي من الإســرائيليات(٧٩١) التي أسهم كعب الأحبار في نقلها إلى

---

(٧٨٨) تفسير الطبري، ١٦/١٠٩.

(٧٨٩) مصنف ابن أبي شــيبة، الرواية: ٢٩٩٦٠، ٨/٩٩. قال ابن أبي شــيبة: «حدّثنا يزيد بن هٰرون قال: أخبرنا الجريري عن غنيم بن قيس عن أبي العوام قال: قال كعب...».

(٧٩٠) تفسير ابن كثير، ٤/٤٧٨.

(٧٩١) جاء في هامش كتاب (إغاثة اللهفان): «هذا وينبغي أن يفهم قصص القرآن الكريم بنص الآيات فقط، بعيداً كل البعد عمــا يروى في ذلك من الإســرائيليات وإن كان قد رواه ابن جريــر وابن كثير أو غيرهمــا. اللّهُــمّ إلا إذا كان ذلك عن الرســول ﷺ فينظر في الرواية، فإن صحت فعلــى العين والرأس، وإن لم تفهمها عقولنــا القاصرة، فإن قلوبنا المؤمنة تطمئن إليها ولا تجد لها أدنى حرج. أما إذا كانت ضعيفة السند أو واهية، فإنها تضاف إلى الإسرائيليات. وإنما كان ذلك لما يروى عن الرسول، لأنه لا يكون من عند بشريته. وإنما يكون من إيحاء الله له. أما ما كان عن الصحابة، فهو بلا شك من بشريتهم وأفهامهم، أو من مسموعاتهم من مســلمة بني إسرائيل، أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه، وأمثالهما، والله أعلم بما أصاب التفسير من أقوالهما وقصصهما، بل وبما أصاب الإسلام كله ولا حول ولا قوة إلا بالله» (إغاثة اللهفان، ٢/ هامش ص٣٢٧).
وقال فوّاز أحمد زمرلي: «إلا أنه يســتثنى من ذلك ما كان المفسر له من الصحابة ﷺ مَن عرف بالنظر في الإســرائيليات، كمسلمة أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وغيره، وكعبدالله بن عمرو بن العاص، فمثل هذا لا يكون حكــم ما يخبر به من الأمور التي قدمنا ذكرها الرفع لقوة الاحتمال. والله أعلم» (شروط المفسر وآدابه، هامش ص١٩).

أذهان المسلمين. وليس لأحد أن يبني عليها عقيدة، فقد قال الإمام القرطبي: «والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات؛ فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا»[٧٩٢].

- قول منسوب إلى أبي ميسرة، وعبدالله بن رواحة، والحسن البصري:

قال الإمام الطبري[٧٩٣]: «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق، قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه، قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أَخبرنا أنا واردوها، ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها».

هذه الرواية المنسوبة إلى أبي ميسرة لا تثبت عنه وذلك بسبب وجود ابن يمان في سندها:

ابن اليمان: هو يحيى بن يمان العجلي، أبو زكريا الكوفي..

قال ابن حجر[٧٩٤]: «... قال أبو بكر بن عياش: ذاك راهب يعني: لعبادته. وقال زكريا الساجي: ضعفه أحمد. وقال: حدث عن الثوري بعجائب، وقال حنبل بن إسحاق عن أحمد: ليس بحجة. وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: ليس بثبت، لم يكن يبالي أي شيء حدث، كان يتوهم الحديث... وقال الآجري عن أبي داود: يخطىء في الأحاديث ويقلبها، وقال النسائي: ليس بالقوي... وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ وهو في نفسه لا يعتمد الكذب إلا أنه يخطىء ويشتبه عليه، وقال العجلي: كان من كبار

---

(٧٩٢) تفسير القرطبي، ١٥/١٣٧.

(٧٩٣) تفسير الطبري، ١٦/١١٠.

(٧٩٤) تهذيب التهذيب، ت: ٨٠٠٠، ١١/٢٦٥ – ٢٦٦.

أصحاب الثوري وكان ثقة جائز الحديث، متعبداً معروفاً بالحديث صدوقاً إلا أنه فلج بآخره فتغير حفظه، وكان فقيراً صبوراً. وقال يعقوب بن شيبة أيضاً: يحيى بن يمان ثقة أحد أصحاب سفيان، وهو يخطىء كثيراً في حديثه، وقال ابن أبي شيبة: كان سريع الحفظ سريع النسيان».

وهذا القول المنسوب إلى أبي ميسرة قد نسب أيضاً إلى عبدالله بن رواحة[٧٩٥]،[٧٩٦]، وهي رواية لم تثبت عنه وذلك بسبب وجود ابن حميد، محمد بن حميد بن حيان التميمي الرازي، في سندها.

قال ابن حجر[٧٩٧]: «... قال أبو حاتم الرازي: سألني يحيى بن معين عن ابن حميد من قبل أن يظهر منه ما ظهر فقال: أي شيء ينقمون منه؟ فقلت: يكون في كتابه شيء فيقول: ليس هذا هكذا فيأخذ القلم فيغيره فقال: بئس هذه الخصلة، قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القمي ففرقنا الأوراق بيننا ومعنا أحمد فسمعناه ولم نر إلا خيراً، وقال يعقوب بن شيبة: محمد بن حميد كثير المناكير، وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة، وقال فضلك الرازي: عندي عن ابن حميد خمسون ألفاً لا أحدث عنه بحرف... وقال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة: سألت أبا زرعة عن محمد بن حميد فأومى بإصبعه إلى

---

(٧٩٥) قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن إسماعيل، عن قيس، قال: بكى عبدالله بن رواحة...» (تفسير الطبري، ١٦/ ١١٠).

(٧٩٦) وجاء عند الإمام الطبري أيضاً نحو هذه الرواية منسوبة إلى عبدالله بن رواحة: «حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبدالرزاق، عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: كان عبدالله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فلا أدري أنجو منها، أم لا؟». (تفسير الطبري، ١٦/ ١١٠).

(٧٩٧) تهذيب التهذيب، ت: ٦٠٨١، ٩/ ١٠٨ – ١١١.

فمه، فقلت له: كان يكذب؟ فقال برأسه: نعم، فقلت له: كان قد شاخ لعله كان يعمل عليه ويدلس عليه؟ فقال: لا يا بني كان يتعمد، وقال أبو نعيم بن عدي: سمعت أبا حاتم الرازي في منزله وعنده ابن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم فذكروا ابن حميد فأجمعوا على أنه ضعيف في الحديث جداً وأنه يحدث بما لم يسمعه... وقال البيهقي: كان إمام الأئمة ـ يعني: ابن خزيمة ـ لا يروي عنه، وقال النسائي فيما سأله عنه حمزة الكناني: محمد بن حميد ليس بشيء، قال: فقلت له: البتة؟ قال: نعم، قلت: ما أخرجت له شيئاً؟ قال: لا... وقال في موضع آخر: محمد بن حميد كذاب، وكذا قال ابن وارة، وقال الخليلي: كان حافظاً عالماً بهذا الشأن رضيه أحمد ويحيى، وقال البخاري: فيه نظر، فقيل له في ذلك، فقال: أكثر على نفسه، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات، وقال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو حدث الأستاذ عن محمد بن حميد فإن أحمد قد أحسن الثناء عليه، فقال: إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه ما أثنى عليه أصلاً».

وجاء هذا القول المنسوب إلى عبدالله بن رواحة عند الحاكم[(٧٩٨)]، [(٧٩٩)] في روايتين فيهما سعيد بن محمد الحجواني الضعيف[(٨٠٠)]،

---

(٧٩٨) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٧٤٧، ٤/ ٦٣١. قال الحاكم: «حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا سعيد بن محمد الحجواني بالكوفة، ثنا وكيع بن الجراح، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال....».

(٧٩٩) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٧٤٨، ٤/ ٦٣١. قال الحاكم: «حدّثنا أبو العباس محمد بن علي بن عبدالحميد الصنعاني بمكة حرسها الله تعالى، ثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنبأ عبدالرزاق، أنبأ ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال:...».

(٨٠٠) جاء في ميزان الاعتدال (ت: ٣٢٦٧، ٢/ ١٥٧): «سعيد بن محمد بن سعيد الحجواني الكوفي عن وكيع وغيره. تأخر. قال الدارقطني: ضعيف».

وإسحاق بن إبراهيم الدبري الذي روى عن عبدالرزاق بن همام في حالة اختلاطه(٨٠١).

وهذا القول المنسوب إلى أبي ميسرة وعبدالله بن رواحة قد نسب نحوه أيضاً إلى الحسن البصري(٨٠٢)، وهو قول لم يثبت وذلك بسبب الحسين بن داود (المعروف بسنيد بن داود).

قال ابن حجر: «ضعيف مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يُلَقِّن حجاجَ بن محمد شيخَه»(٨٠٣).

فهذه الروايات الضعيفة المنسوبة إلى أبي ميسرة، وعبدالله بن

---

(٨٠١) جاء في لسان الميزان (ت: ١٠٩٠، ١/ ٣٨٧ – ٣٨٨): «إِسْحَاقُ بن إبْرَاهِيْمَ الدَّبَرِيّ صَاحِبُ عبدالرَّزَّاقِ... سمع من عبدالرّزاق تصانيفه وهو ابن سبع سنين أو نحوها، لكن روى عن عبدالرزّاق أحاديث منكرة، فوقع التردُّد فيها، هل هي منه فانفرد بها، أو هي معروفة مما تفرد به عبدالرزاق. وقال الدَّارَقُطْني في رواية الحاكم: صَدُوق، ما رأيت فيه خلافاً، إنما قيل: لم يكن من رجال هذا الشأن.
قلتُ: ويدخل في الصَّحيح؟ قال: إي والله وقد احتج بالدَّبري أبو عَوَانَةَ في صحيحه وغيره، وأكثر عنه الطَّبَرَاني،... وقال ابن الصَّلاح في نزع المختلطين من علوم الحديث: ذكر أحمد أن عبدالرزاق عمي، فكان يلقّن فيتلقّن، فسماع من سمع منه بعد ما عمي لا شيء. قال ابن الصَّلاح: وقد وجدت فيما روى الدّبري، عن عَبْدالرَّزَّاق أحاديث استنكرها جداً، فأحلت أمرها على الدّبري؛ لأن سماعه منه متأخّر جداً، والمناكير التي تقع في حديث عبدالرزاق، فلا يلحق الدَّبري منه تبعة، إلا أنه صحف أو حرف، وإنما الكَلَام في الأحاديث التي عنده في غير التصانيف، فهي التي فيها المَنَاكير، وذلك لأجل سماعه منه في حالة الاختلاط، والله أعلم».

(٨٠٢) قال الإمام الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن المبارك، عن الحسن، قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكاً حتى لحق بالله» (تفسير الطبري، ١٦/ ١١٢).

(٨٠٣) تقريب التهذيب، ت: ٢٦٥٤، ١/ ٣٩٧.

رواحة، والحسن البصري قد ذكرها واحتج بها ابن كثير[٨٠٤]، والألوسي[٨٠٥].

قال ابن عاشور: «ويروى عن بعض السلف روايات أنّهم تخوفوا من ظاهر هذه الآية، من ذلك ما نقل عن عبد الله بن رواحة، وعن الحسن البصري، وهو من الوقوف في موقف الخوف من شيء محتمل»[٨٠٦].

ليس في هذه الروايات المنسوبة إلى أبي ميسرة، وعبد الله بن رواحة، والحسن البصري أي ذكر للدخول في النار ثم الخروج منها.

كل ما في هذه الروايات أن المسلمين بين خوف من النار ورجاء في النجاة منها ودخول الجنة الخالدة.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز حال عباده وأوليائه، حيث قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

قال الشوكاني: «أي: خائفون وجلون مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقاراً لأعمالهم، واعترافاً بما يجب للّه سبحانه عليهم. وجملة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ مقرّرة لمضمون ما قبلها مبيِّنة أن ذلك مما لا ينبغي أن يأمنه أحد، وأن حق كل أحد أن يخافه»[٨٠٧].

وقال الألوسي: «لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه ﷻ وإن بالغ في الطاعة كهؤلاء ولذا كان السلف الصالح وهم هم خائفين وجلين حتى قال

---

(٨٠٤) تفسير ابن كثير، ٤/٤٧٦.

(٨٠٥) تفسير الألوسي، ٨/٤٦١.

(٨٠٦) تفسير ابن عاشور، ١٦/٧٢.

(٨٠٧) تفسير الشوكاني، ٥/٣٨٩، من تفسير الآية ٢٧ من سورة المعارج.

بعضهم: يا ليتني كنت شـــجرة تعضد، وآخر: ليت أمي لم تلدني إلى غير ذلك»[٨٠٨].

وقال الطبري: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ يقول: والذين هم في الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذّبهم في الآخرة، فهم من خشية ذلك لا يضيعون له فرضاً، ولا يتعدّون لــه حدّاً. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أن ينال من عصاه وخالف أمره»[٨٠٩].

فالخوف من عذاب الله هو أحد الجناحين اللذين يعبر بها المؤمن الدنيا إلى الآخرة، وهذا ما حث عليه القرآن الكريم والرســول ﷺ وامتثله عباد الله المشفقون.

- رأي منسوب إلى ابن مسعود رضي الله عنه:

قال الإمام الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الـحسين، قال: ثنا أبو عمرو داود بـــن الزبرقان، قال: ســـمعت الســـديّ يذكر عـــن مـــرّة الهمدانـــي، عن ابن مسعود ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال: داخـلها».

أخرج هذه الرواية الإمام الطبري[٨١٠]، والحاكم[٨١١].

وذكرها واحتج بها الشوكاني[٨١٢].

هذه الرواية ضعيفة بســـبب أبي عمـــرو داود بن الزبرقان الرقاشـــي في سندها.

---

(٨٠٨) تفسير الألوسي، ١٥/ ٧١.

(٨٠٩) تفسير الطبري، ٢٩/ ٨٣.

(٨١٠) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٠.

(٨١١) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٧٤٥، ٤/ ٦٣٠.

(٨١٢) تفسير الشوكاني، ٣/ ٤٧٦.

قال ابن حجر: «قال ابن معين: ليس بشيء. وقال ابن المديني: كتبت عنه شيئاً يسيراً، ورميت به، وضعفه جداً. وقال الجوزجاني: كذاب. وقال يعقوب بن شيبة، وأبو زرعة: متروك. وقال البخاري: مقارب الحديث. وقال أبو داود: ضعيف. وقال مرة: ليس بشيء. وقال أيضاً: ترك حديثه. وقال النسائي: ليس بثقة»[٨١٣].

- وجاءت رواية أخرى منسوبة إلى عبد الله بن مسعود:

قال الإمام الطبري: «حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللَّهُمَّ سلِّم سلِّم».

أخرج هذه الرواية الإمام الطبري[٨١٤]، والحاكم[٨١٥]، والطبراني[٨١٦].

وذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير[٨١٧]، والشوكاني[٨١٨].

هذه الرواية ضعيفة بسب عنعنة أبي إسحاق عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعي الكوفي الـ«مكثر من التدليس»[٨١٩]، وهو يعدُّ من أفراد المرتبة الثالثة

(٨١٣) تهذيب التهذيب، ت: ١٨٦٥، ٣/ ١٦٧.
(٨١٤) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٠.
(٨١٥) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٣٤٢٣، ٢/ ٤٠٧ - ٤٠٨.
(٨١٦) المعجم الكبير، الرواية: ٩٠٨٤، والرواية: ٩١٢٠.
(٨١٧) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٧٧ - ٤٧٨.
(٨١٨) تفسير الشوكاني، ٣/ ٤٧٦.
(٨١٩) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ت: ٥٧٥، ص ٢٤٥.

من المدلسين[820]. وقد ذكر ابن حجر حكم عنعنة المدلس من أفراد هذه المرتبة بقوله: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقاً، ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي»[821].

- وهناك رواية أخرى منسوبة إلى عبدالله بن مسعود:

قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني السدي، عن مرّة، عن عبدالله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال: يردُونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم».

أخرج هذه الرواية الإمام الطبري[822]، والإمام أحمد[823]، والترمذي[824]، والدارمي[825]، والحاكم[826]، وأبو يعلى[827]، والبيهقي[828]، وابن خزيمة[829].

وذكر هذه الرواية ابن كثير[830].

---

(820) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٩١، ص١٠١.

(821) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص٢٣.

(822) تفسير الطبري، ١٦/١١١.

(823) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٤١٤١.

(824) سنن الترمذي، الرواية: ٣١٦٠، ص٧٢٩.

(825) سنن الدارمي، ٢/٣٢٩.

(826) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٣٤٢١، ٢/٤٠٧، والرواية: ٨٧٤١، ٤/٦٢٩، الرواية: ٨٧٤٢، ٤/ ٦٣٠.

(827) مسند أبي يعلى، الرواية: ٥٢٨٥. قال أبو يعلى: «حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبدالرّحمٰن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «يدخل الناس كلهم النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم»».

(828) الاعتقاد للبيهقي، ١/٣٢٢.

(829) كتاب التوحيد، الرواية: ٦١٠، ٢/٨٩٩.

(830) تفسير ابن كثير، ٤/٤٧٧.

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب إسماعيل بن عبد الرّحمٰن بن أبي كريمة السدي.

فقد قال العقيلي[٨٣١]: «قال حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو بكر بن خلاد قال: سمعت المعتمر بن سليمان يقول: إن بالكوفة كذابَيْن الكلبي والسدي.

حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت الشعبي، وقيل له: إن إسماعيل السدي قد أعطي حظاً من علم بالقرآن فقال: إن إسماعيل قد أعطي حظاً من الجهل بالقرآن.

حدثنا عبد الله بن أحمد قال: قلت ليحيى بن معين: إبراهيم بن المهاجر والسدي متقاربان في الضعف.

حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا عمرو بن علي قال: سمعت يحيى بن معين وذكر إبراهيم بن المهاجر والسدي فقال: كانا ضعيفين مهينين، حدثنا محمد قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى يقول: إبراهيم بن مهاجر وأبو يحيى القتات والسدي في حديثهم ضعف».

- رواية منسوبة إلى جابر بن عبد الله:

جاء في مسند الإمام أحمد: «حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً، وقال سليمان بن مرة: يدخلونها جميعاً، وأهوى بأصبعيه إلى

(٨٣١) ضعفاء العقيلي، ت: ١٠١، ١/٨٨.

أذنيه، وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكـون على المؤمن برداً وسـلاماً كما كانـت النار على إبراهيم حتـى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجـي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً»».

أخرج هذه الرواية الإمام أحمد(٨٣٢)، وعبد بن حميد(٨٣٣)، والحارث(٨٣٤)، والبيهقي(٨٣٥).

وذكر هـذه الروايـة ابن كثيـر(٨٣٦)، والشـوكاني(٨٣٧)، والألوسـي(٨٣٨)، والسيوطي(٨٣٩)، وابن عطية(٨٤٠).

هذه الرواية لا حجة فيها لورودها من قِبَل أبي سمية المجهول، فقد قال ابن حجر: «أبو سمية: عن جَابِرٍ، وعنه كثير بن زياد، مجهول»(٨٤١).

- قول منسوب إلى قتادة بن دعامة:

قال الإمام الطبري(٨٤٢): «حدثنا بشـر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعنـي: جهنـم مرّ الناس علـيها».

---

(٨٣٢) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٤٥٧٤.

(٨٣٣) منتخب عبد بن حميد، الرواية: ١١٠٦، ص٣٣٣.

(٨٣٤) مسند الحارث، الرواية: ١١٤٨، ٢/ ١٠٠٥.

(٨٣٥) شعب الإيمان، الرواية: ٣٧٠، ١/ ٣٣٦.

(٨٣٦) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٧٦.

(٨٣٧) تفسير الشوكاني، ٣/ ٤٧٦.

(٨٣٨) تفسير الألوسي، ٨/ ٤٣٨.

(٨٣٩) الدر المنثور، ٤/ ٥٠٥.

(٨٤٠) تفسير ابن عطية، ص١٢٣٧، من تفسير الآية ٧١ من سورة مريم.

(٨٤١) لسان الميزان، ت: ٥٥٨، ٧/ ٦٠.

(٨٤٢) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٠.

هذه الرواية المنسوبة إلى قتادة بن دعامة ضعيفة وذلك بسبب سعيد بن بشير الأزدي الضعيف[٨٤٣].

وجاء هذا الرأي المنسوب إلى قتادة بسند آخر[٨٤٤] فيه معمر بن راشد عن قتادة بن دعامة العراقي.

رواية معمر بن راشد عن العراقيين ضعيفة، قال ابن حجر: «... قال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا وما عمل في حديث الأعمش شيئاً. وقال يحيى: وحديث معمر عن ثابت وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام»[٨٤٥].

فحسب رأي ابن معين علينا مخالفة ما رواه معمر بن راشد هنا لكونه ينقله عن قتادة العراقي.

- رواية حفصة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ:

قال الإمام الطبري: «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيت حفصة: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْراً والحُدَيْبِيَة**. قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فَمَهْ ثُمَّ يَنَجِّي اللهُ الَّذِين اتَّقُوا**»».

(٨٤٣) تقريب التهذيب، ت: ٢٢٨٣، ١/٣٤٩.

(٨٤٤) قال الإمام الطبري: «حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال: هو الممرّ عليها» (تفسير الطبري، ١٦/١١٠).

(٨٤٥) تهذيب التهذيب، ت: ٧١٢٦، ١٠/٢١٩ – ٢٢١.

أخرج هذه الرواية الإمام الطبري[٨٤٦]، والإمام أحمد[٨٤٧]، وابن حبان[٨٤٨]، وابن ماجه[٨٤٩]، وأبو يعلى[٨٥٠]، وابن أبي عاصم[٨٥١]،[٨٥٢]، وأبو نعيم الأصبهاني[٨٥٣].

وذكرها واحتج بها ابن كثير[٨٥٤]، وابن عطية[٨٥٥].

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب عنعنة سليمان بن مهران الكاهلي الأعمش عن شيخه أبي سفيان.

قال الذهبي[٨٥٦]: «قال الجوزجاني: قال وهب بن زمعة المروزي: سمعت ابن المبارك يقول: إنما أفسد حديث أهل الكوفة أبو إسحاق، والأعمش لكم. وقال جرير بن عبد الحميد: سمعت مغيرة يقول: أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق وأعيمشكم هذا؛ كأنه عنى الرواية عمن جاء، وإلا فالأعمش عدل صادق ثبت، صاحب سُنَّة وقرآن، يحسن الظن بمن يحدثه، ويروي عنه...

---

(٨٤٦) تفسير الطبري، ١١٢/١٦. وجاء عند الطبري أيضاً روايتان أخريان عن الأعمش عن أبي سفيان:

- «حدثنا الحسن بن مدرك، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أمّ مبشر...».

- «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أمّ مبشر...».

(٨٤٧) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢٧٥٨٢.

(٨٤٨) صحيح ابن حبان، الرواية: ٤٨٠٠، ١٢٥/١١.

(٨٤٩) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٢٨١، ص ٦٩٤.

(٨٥٠) مسند أبي يعلى، الرواية: ٧٠٤٦.

(٨٥١) الآحاد والمثاني، (أم مبشر بنت البراء بن معرور)، ص ٦٥٠.

(٨٥٢) السُّنَّة لابن أبي عاصم، والرواية: ٨٨٧، ٥٩٣/١.

(٨٥٣) معرفة الصحابة، ٣٨٥/٥.

(٨٥٤) تفسير ابن كثير، ٤٧٨/٤.

(٨٥٥) تفسير ابن عطية، ص ١٢٣٨.

(٨٥٦) ميزان الاعتدال ت: ٣٥١٧، ٢٢٤/٢.

قال علي بن سعيد النسوي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: منصور أثبت أهل الكوفة؛ ففي حديث الأعمش اضطراب كثير...

وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف ولا يدري به، فمتى قال: حدثنا فلا كلام، ومتى قال: «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل[٨٥٧]، وأبي صالح السمان؛ فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال.

قال ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم في أحاديث هؤلاء الضعفاء».

• وجاءت رواية صريحة وجَّه فيها الرسول ﷺ أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها إلى المعنى الصحيح لكلمة (واردها)، فقد قال الإمام مسلم: «حدّثني هَـرُونُ بْنُ عَبْدِاللهِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ، يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى. يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا. فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]».

أخرج هذه الرواية الإمام مسلم[٨٥٨]، والإمام أحمد[٨٥٩]، والنسائي[٨٦٠]، وابن أبي عاصم الشيباني[٨٦١]، والبيهقي[٨٦٢].

---

(٨٥٧) هكذا في طبعة ميزان الاعتدال والصحيح هو «وأبي وائل».

(٨٥٨) صحيح مسلم، الرواية: ٢٤٩٦، ص ١٠٧٥.

(٨٥٩) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢٧٩٠٦.

(٨٦٠) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٣٢١، ٦/ ٣٩٥.

(٨٦١) الآحاد والمثاني، (أم مبشر بنت البراء بن معرور)، ص ٦٥٠.

(٨٦٢) الأسماء والصفات، ١/ ٢٣٢.

نعرف من هذه الرواية أن رسول الله ﷺ أظهر رفضه لتفسير (الورود) بـ(الدخول) وقد بلّغ رفضه لهذه الفكرة بأسلوب فيه شدة وحزم.

وقال الإمام النووي عند شرحه لهذه الرواية: «قوله ﷺ: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها**» قال العلماء: معناه: لا يدخلها أحد منهم قطعاً، كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب، وإنما قال: إن شاء الله للتبرك. لا للشك... والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون»[٨٦٣].

ففكرة مرور الخلائق على صراط ممدود فوق جهنم ليس لها ما يثبتها من مصادر العقيدة، والروايات التي ذَكَرْتُها لا تقوم بها حجة كما سيتضح لنا بعد قليل إن شاء الله تعالى.

- رواية ذُكر فيها تحلة القسم بمعنى الورود:

قال الإمام الطبري: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أيوب «ح» وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا محمد بن زيد، عن رشدين، جميعاً عن زياد بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مُتَطَوِّعاً، لا يأْخُذُهُ سُلْطانٌ بحرَسٍ، لَمْ يَرَ النَّارَ بعَيْنِهِ إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ، فَإنَّ اللهَ تَعالى يَقُولُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾**»».

---

(٨٦٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٦/ ٢٧٥.

أخرج هذه الرواية الإمام الطبري[٨٦٤]، والإمام أحمد[٨٦٥]، وأبو يعلى[٨٦٦]، والطبراني[٨٦٧].

وذكرها واحتج بها ابن كثير[٨٦٨]، والشوكاني[٨٦٩].

هذه الرواية ضعيفة لوجود سهل بن معاذ بن أنس الجهني، وزبان بن فائد في سندها.

سَهْلُ بنُ مُعَاذ بن أَنَس الجُهَنِي:

قال ابن حجر: «قال أبو بكر بن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف. وذكره ابن حبان في «الثقات»... لكن قال: لا يعتبر حديثه ما كان من رواية زبان بن فائد عنه، وذكره في «الضعفاء» فقال: منكر الحديث جداً، فلست أدري أوَقع التخليط في حديثه منه أو من زبان»[٨٧٠].

زَبّان بن فائد المصري:

قال ابن حجر: «ضعيف الحديث مع صلاحه وعبادته»[٨٧١].

• وجاءت رواية أخرى من طريق أبي هريرة ذكر فيها تحلة القسم بمعنى الورود:

قال الطبري: «حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرَّزاق، قال: أخبرنا معمر، أخبرني الزهريّ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن

(٨٦٤) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٤.

(٨٦٥) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٥٦٩٧.

(٨٦٦) مسند أبي يعلى، الرواية: ١٤٩٠.

(٨٦٧) المعجم الكبير، الرواية: ٤٠٢، ٢٠/ ١٨٥.

(٨٦٨) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٣.

(٨٦٩) تفسير الشوكاني، ٣/ ٤٧٦ـ٤٧٧.

(٨٧٠) تهذيب التهذيب، ت: ٢٧٦٠، ٤/ ٢٣٤.

(٨٧١) تقريب التهذيب، ت: ١٩٩٠، ١/ ٣٠٨.

النبيّ ﷺ قال: «مَنْ ماتَ لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إلّا تَحِلَّةَ القَسَم يعني: الورود»[٨٧٢].

هذه الرواية من هذه الطريق لا حجة فيها وذلك لورودها من قبل رواية الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق بن همام، وقد مر بك أقوال علماء الجرح في عبد الرزاق[٨٧٣].

• وجاء عند الإمام البخاري: «حدَّثنا عليُّ حدَّثنا سفيانُ قال: سمعتُ الزُّهريَّ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ عن أبي هريرةَ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «لا يموتُ لمسلمٍ ثلاثةٌ منَ الوَلَدِ فَيلِجَ النارَ إلّا تَحِلَّةَ القَسَم». قال أبو عبدِ الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]»[٨٧٤].

وأخرج هذه الرواية الإمام الربيع بن حبيب[٨٧٥]، والإمام مسلم[٨٧٦]، والإمام أحمد[٨٧٧]، والإمام مالك[٨٧٨]، والبيهقي[٨٧٩]، والنسائي[٨٨٠]، وابن ماجه[٨٨١]، وابن أبي شيبة[٨٨٢]، والطيالسي[٨٨٣]، والحميدي[٨٨٤]، وأبو يعلى[٨٨٥].

---

(٨٧٢) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٤.

(٨٧٣) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

(٨٧٤) صحيح البخاري، الرواية: ١٢٥١، ص٢٢٨، والرواية: ٦٦٥٦، ص١١٨٠.

(٨٧٥) مسند الإمام الربيع، الرواية: ٧٠٩، ص١٨١.

(٨٧٦) صحيح مسلم، الرواية: ٢٦٣٢، ص١١١٧.

(٨٧٧) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٧٢٦٤.

(٨٧٨) موطأ الإمام مالك، الرواية: ٥٥٦.

(٨٧٩) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ٢٠٤٦٩، ١٤/ ٥٢٤.

(٨٨٠) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٣٢٠، ٦/ ٣٩٤.

(٨٨١) سنن ابن ماجه، الرواية: ١٦٠٣، ص٢٥٧.

(٨٨٢) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ١١٨٣٣، ٣/ ٢٣٢.

(٨٨٣) مسند الطيالسي، الرواية: ٢٣٠٤، ٢/ ٦٥١.

(٨٨٤) مسند الحميدي، الرواية: ١٠٢٩، ٢/ ٤٤٤.

(٨٨٥) مسند أبي يعلى، الرواية: ٥٨٨٦.

ففكرة ولــوج المتقين النار ثــم الخروج منهــا لـم يقبلها شــراح هـذه الرواية: ـ

قال الإمام نــور الدين الســالمي: «وذهب جمهور قومنا إلــى أن المراد بالقسم في الحديث قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ والمعنى عندهم أنه يدخل النار مقدار ما ينحلّ القســم المذكور فــي الآية وهو دخول قليل، قلنا: ليس في الآية قسم بل إخبار، قالوا: القسم مقدر في الآية والمعنى: والله إن منكم إلا واردها، قلنا: لا حاجة إلى التقدير قالوا: معطوفة على القسم في الآية قبلها وهو قولــه تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ [مريــم: ٦٨] قلنا: الظاهر الاستئناف، والله أعلم»(٨٨٦).

وقال ابن عاشور: «ومن النّاس من لفق تعضيداً لذلك بالحديث الصحيح: أنه «لا يموت لمســلم ثلاثة من الولد فيلج النّار إلّا تَحلة القسم» فتأول تحلة القسم بأنها ما في هذه الآية من قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وهذا محمل باطل، إذ ليس في هذه الآية قسم يتحلل...»(٨٨٧).

وقال ابن عاشــور أيضاً: «والورود: حقيقته الوصول إلى الماء للاستقاء. ويطلق على الوصول مطلقاً مجازاً شــائعاً، وأما إطلاق الورود على الدخول فلا يُعرف إلا أن يكون مجازاً غير مشهور فلا بد له من قرينة»(٨٨٨).

---

(٨٨٦) شرح الجامع الصحيح (مسند الإمام الربيع)، ٣/ ٥٣٧.

(٨٨٧) تفسير ابن عاشــور، ١٦/ ٧٢. وتتمة كلام ابن عاشور هنا: «... وإنّما معنى الحديث: إن من استحق عذاباً من المؤمنين لأجل معاص فإذا كان قد مات له ثلاثة من الولد كانوا كفارة له فلا يلج النّار إلّا ولوجاً قليلاً يشــبه ما يفعل لأجل تحلة القســم؛ أي: التحلل منه. وذلك أن المقســم على شــيء إذا صعب عليه بر قســمه أخذ بأقل ما يتحقق فيه ما حلف عليه، فقوله «تحلة القسم» تمثيل».

(٨٨٨) تفسير ابن عاشور، ١٦/ ٧٠.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: «... لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم»[٨٨٩].

وقال بدر الدين العيني في شرحه لهذه الرواية: «ومن أقوى الدليل على أن المراد من الورود: الجواز، حديث عبد الرّحمٰن بن بشير الأنصاري الذي ذكرناه في أوائل الباب، وهو: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلّا على عابر سبيل»، يعني: الجواز على الصراط، ومع هذا اختلف السلف في المراد بالورود في الآية، فقيل: هو الدخول، واستدل على ذلك بما رواه أحمد والنسائي والحاكم من حديث جابر مرفوعاً «الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلّا دخلها، فيكون على المؤمنين بردًا وسلاماً»»[٨٩٠].

وقال ابن عبد البر: «مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أَبِي هرَيْرَة، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ». هكذا روى هذا الحديث مالك وغيره عن ابن شهاب. وفيه: أن المسلم تكفر خطاياه، وتغفر له ذنوبه بالصبر على مصيبته، ولذلك زحزح عن النار فلم تمسه؛ لأن من لم تغفر له ذنوبه، لم يزحزح عن النار والله أعلم أجارنا الله منها»[٨٩١].

وقال ابن عبد البر أيضاً: «وقد يحتمل أن يكون قوله ﷺ: «إلا تحلة القسم» ـ استثناءً منقطعاً بمعنى لكن تحلة القسم، وهذا معروف في اللغة، وإذا كان ذلك كذلك، فقوله: «لن تمسه النار إلا تحلة القسم» أيّ لا تمسه النار أصلاً، كلاماً تاماً. ثم ابتدأ إلا تحلة القسم؛ أي: لكن تحلة القسم

(٨٨٩) فتح الباري، ٣/ ٤٦٢.
(٨٩٠) عمدة القاري، ٨/ ٤٩.
(٨٩١) التمهيد، ٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤.

لا بد منها في قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وهو الجواز على الصراط أو الرؤية، والدخول دخول سلامة، فلا يكون في شيء من ذلك مسيس يؤذي... ومما يدل على أن الاستثناء ها هنا منقطع، وأنه غير عائد الى النار «**لا تمس من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم**»... وبهذا الحديث يفسر الأول: لأن فيه ذكر الحسبة قوله: «**فيحتسبهم**»، ولذلك جعله مالك بأثره مفسراً له. والوجه عندي في هذا الحديث وما أشبهه من الآثار أنها لمن حافظ على أداء فرائضه واجتنب الكبائر، والدليل على ذلك أن الخطاب في ذلك العصر لم يتوجه إلا الى قوم الأغلب من أعمالهم ما ذكرنا وهم الصحابة رضوان الله عليهم»[٨٩٢].

وقال ابن تيمية: «وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، رواه مسلم في صحيحه عن جابر: «بأنه المرور على الصراط» والصراط هو الجسر؛ فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة، من كان صغيراً في الدنيا ومن لم يكن»[٨٩٣].

وقال ابن حزم: «وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] فهذا عموم، ولا يجوز أن يقال: إن محمداً ﷺ، والأنبياء يدخلون جهنم»[٨٩٤].

وقال النووي: «و(تحلة القسم) قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ والورود هو: العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم، عافانا الله منها»[٨٩٥].

---

(٨٩٢) التمهيد، ٣/١٥٠ـ١٥١.

(٨٩٣) مجموع الفتاوى، ٤/١٤٥.

(٨٩٤) المحلى بالآثار، كتاب الأيمان، المسألة: ١١٥٠، ص ١٠٢٠.

(٨٩٥) رياض الصالحين، الرواية: ٩٥٣، ص ٦٢٩.

وقال الإمام الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها»[٨٩٦].

فمن هذه النقولات التي نقلناها هنا عن ابن عاشور، وابن حجر، وبدر الدين العيني، وابن عبدالبر، وابن تيمية، وابن حزم، والنووي، والطبري ندرك تمام الإدراك أنهم لا يقولون بمسألة دخول الأتقياء النار ثم الخروج منها، بعكس ما صورته الروايات الضعيفة ونازعت لأجل إثباته كثير من الأقلام.

ويؤكد ابن عاشور هذا المعنى بقوله: «فليس الخطاب في قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ لجميع النّاس مؤمنهم وكافرِهم على معنى ابتداء كلام؛ بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النّار مع الكافرين ثم يُنْجوَن من عذابها، لأنّ هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة... فموقع هذه الآية هنا كموقع قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] عقب قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]. فلا يتوهم أن جهنّم موعد عباد الله المخلصين مع تقدّم ذكره لأنّه ينبو عنه مقام الثناء»[٨٩٧].

من كل ما سبق نقله نتبيَّن أن فكرة دخول الأتقياء جهنم ـ حسب الروايات الضعيفة التي حُشرت عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا

(٨٩٦) تفسير الطبري، ١٦/ ١١٢.

(٨٩٧) تفسير ابن عاشور، ١٦/ ٧٠ – ٧١.

وَارِدُهَا﴾ ـ لا تصح وقد رفضها كثير من العلماء، وهذا هو الحق الذي سطره العلامة ابن عاشور.

* * *

العنصر الثاني: فكرة العبور على الصراط وسقوط العصاة في النار ثم إخراجهم منها:

وأما تفسير ورود جهنم بالعبور على الصراط ـ حسب أقوال العلماء الذين نقلنا عنهم أعلاه ـ فهو تفسير قد عده ابن عاشور بعيداً.

قال ابن عاشور: «ومنهم من تأوّل ورود جهنّم بمرور الصراط، وهو جسر على جهنّم، فساقوا الأخبار المروية في مرور الناس على الصراط متفاوتين في سُرعة الاجتياز. وهذا أقل بُعداً من الذي قبله»(٨٩٨).

وقال ابن عاشور أيضاً: «وهذه الآية مثار إشكال ومحطّ قيل وقال؛ واتفق جميع المفسرين على أن المتّقين لا تنالهم نار جهنّم، واختلفوا في محل الآية فمنهم من جعل ضمير ﴿مِّنكُمْ﴾ لجميع المخاطبين بالقرآن، ورووه عن بعض السلف فصدمَهم فساد المعنى ومنافاة حكمة الله والأدلّة الدالة على سلامة المؤمنين يومئذ من لقاء أدنى عذاب، فسلكوا مسالك من التّأويل، فمنهم من تأوّل الورود بالمرور المجرد دون أن يمس المؤمنين أذى، وهذا بُعد عن الاستعمال، فإن الورود إنما يراد به حصول ما هو مودع في المَورد لأنّ أصله من وُرود الحوض. وفي آي القرآن ما جاء إلّا لمعنى المصير إلى النّار كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۞ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾

(٨٩٨) تفسير ابن عاشور، ٧١/١٦.

[الأنبياء: ٩٨، ٩٩] وقولـــه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨] وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]. على أن إيراد المؤمنين إلـــى النّار لا جدوى له فيكون عبثـاً، ولا اعتداد بما ذكره له الفخر ممّا سمّاه فوائد[٨٩٩]»[٩٠٠].

والمتتبع لجميـــع الروايات التي فيها مشـــهد الخلائـــق وهم في أرض المحشر وقد جاءهم رب العالمين في صورة ـ تعالى الله عن هذا الوصف ـ، ومشهدهم وهم على الصراط، ومشهد عبور المتقين عليه إلى الجنة، ومشهد تساقط العصاة في النار، ومشهد خروجهم من النار إلى الجنة، يجدها روايات ضعيفة ســـنداً ومتناً أو متناقضة فيما بينها، كما ســـيتضح في صفحات هذا البحث بإذن الله سبحانه وتعالى.

ويجد المتتبـــع كذلك أن تلك المشـــاهد التي صورتها تلـــك الروايات تختلف تمـــام الاختلاف عن تلك المشـــاهد التـــي صورها القـــرآن الكريم والصحيح من الأحاديث.

وبعد دراســـة تلك المشـــاهد والصور يدرك القارئ أن فكـــرة الصراط، وفكرة خروج عصاة المســـلمين من النار بعد دخولهـــم فيها لا دليل عليهما يَقوى للاعتماد عليه في تأسيس أي معتقد إسلامي.

(٨٩٩) قال المباركفوري: «تنبيه: ذكر أهل العلم في فائدة دخول المؤمنين النار وجوهاً، أحدها: أن ذلك مما يزيدهم ســـروراً إذا علموا الخلاص منه. وثانيها: أن فيه مزيدهم على أهل النار حيث يـــرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها. وثالثها: أنهم إذا شـــاهدوا ذلـــك العذاب على الكفار صار ذلك ســـبباً لمزيـــد التذاذهم بنعيـــم الجنة، ولا نقول صريحاً إن الأنبياء يدخلون النار أدباً معهم، ولكن نقول: إن الخلق جميعاً يردونها كما دلت عليه أحاديث الباب. فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والســـعداء يدخلونها لشفاعتهم، فبين الداخلين بون». (تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٦٠٨/٨).

(٩٠٠) تفسير ابن عاشور، ٧١/١٦.

العنصر الثالث: من مشاهد يوم القيامة كما جاء في كلمات هذه الآيات:

وبالنظر في كلمات هذه الآيات الكريمة، نستطيع أن نرى المشاهد وهي ماثلة أمامنا بكل مقوماتها من حيث المكان، والزمان، والأشخاص، وحركة الخلائق. كلٌ حسب مصيرهم في ذلك المكان والزمان.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٢].

فالمكان: ساحة المحشر الذي وصفه الله تعالى بـ ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾.

والزمان: يوم الحشر، ويوم النزع، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾.

فهناك الحشر، وهناك النزع، وهناك الجثو على الركب، وهذه مشاهد تقع يوم القيامة قبل دخول أهل النار في النار كما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم في آيات أخرى.

ونشاهد أيضاً في ذلك المكان والزمان: الملائكة وهي تسوق الناس ومعهم الشياطين. ونشاهد المتقين وقد أنجاهم الله من هول ذلك المكان والزمان. ونشاهد عملية نثر الظالمين والمجرمين(٩٠١) في أمكنتهم جاثين

---

(٩٠١) قال الشنقيطي في تفسير الآية ٤٩ من سورة الكهف: «والمجرمون: جمع المجرم، وهم اسم فاعل الإجرام. والإجرام: ارتكاب الجريمة، وهي الذنب العظيم الذي يستحق صاحبه عليه النكال». (تفسير الشنقيطي، ٤/٩١).
وقال القرطبي: «و«المجرمين» في قوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ يعم الكفرة والعصاة». (تفسير القرطبي، ١١/١٠٣).

على الركب ينتظرون لحظات سوقهم إلى أبواب جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

وهذا المشهد الرهيب فيه البشارة للمتقين وفيه الإنذار للظالمين، وقد عبر عن هذه الحقيقة العلامة ابن عاشور، حيث قال: «فالمعنى: وعلاوة على ذلك ننجي الذين اتّقوا من ورود جهنم. وليس المعنى: ثمّ ينجي المتقين من بينهم بل المعنى أنهم نَجَوْا من الورود إلى النّار. وذكر إنجاء المتقين: أي المؤمنين، إدماج ببشارة المؤمنين في أثناء وعيد المشركين»[٩٠٢].

❃ ❃ ❃

المعنى اللغوي للكلمات الواردة في هذه الآيات الكريمة:

والكلمات النورانية التي اختارها الله تعالى لتصور للثقلين مشاهد الخلائق في ذلك اليوم، يوم الحشر، تعطي المعاني روحاً تجذب إليها كل من أفرغ فكره وإحساسه وكيانه لكلام الله تعالى.

ونحن عند قراءتنا لهذه الآيات الكريمة نكون أمام مشاهد عظيمة: ـ

لحظاتها الأولى تضم الأتقياء والظالمين، وفي لحظاتها التالية نشاهد عملية التمييز والفصل بين الفريقين، وفي لحظاتها الأخيرة نرى بكل وضوح الفريقين وقد انفصل بعضهم عن بعض انفصالاً تاماً.

ونشاهد الملائكة وهم في حركة شديدة تتميز بالسرعة والحيوية والاهتمام المطلق لأجل عدم تضييع ولو لحظة واحدة في سبيل نجاة المتقين، كما تفعله فرق الإنقاذ والنجدة إن صحَّ التشبيه.

---

(٩٠٢) تفسير ابن عاشور، ١٦/ ٧٠.

ونشاهد عملية القبض على الظالمين من بين تلك الخلائق والقذف بهم بعيداً على أبواب جهنم وهم في ذل وصغار.

تلك المشاهد تتجلى لنا في ثلاث كلمات: في كلمة ﴿وَارِدُهَا﴾، وفي كلمة ﴿نُنَجِّى﴾، وفي كلمة ﴿وَنَذَرُ﴾.

المعنى اللغوي لكلمة (ورد):

جاء في معجم مقاييس اللغة: «(ورد) الواو والراء والدال: أصلان، أحدهما الموافاة إلى الشيء، والثاني لونٌ من الألوان»[٩٠٣].

وجاء في مختار الصحاح: «ورد و ر د: وَرَدَ يرِد بالكسر وُرُوداً حضر وأَوْرَدَهُ غيره واسْتَوْرَدَه أحضره»[٩٠٤].

وجاء في تاج العروس: «(و) الورْدُ (: الإشْرَافُ عَلَى الماءِ وغيرِه، دَخَلَه أَو لَمْ يَدْخُلْه)، وقد وَرَدَ الماءَ وعَلَيْهِ وِرْداً ووُرُداً، وأَنشد ابنُ سِيدَه قول زُهَيْرٍ:

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

معناه: لما بَلَغْنَ الماءَ أَقَمْنَ عليه، وكُلُّ مَن أَتَى مَكَاناً مَنْهَلاً أَو غَيْرَه فقد وَرَدَه، ومن المَجاز قولُه تَعالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فسّره ثعلبٌ فقال: يَرِدُونَهَا مع الكُفَّارِ فيَدْخُلُهَا الكُفَّارُ ولا يَدْخُلُهَا المُسْلِمونَ، والدليل على ذلك قولُ الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١ و١٠٢]. وقال الزَّجّاجُ: وحُجَّتُهم في ذلك قَوِيَّة، ونقل عن ابنِ مَسعودٍ والحَسنِ وقَتَادَةَ أَنهم قالوا: إِنّ وُرُودَها ليس دُخولَها. وهو قَوِيٌّ، لأَن العربَ تقولُ: ورَدْنَا ماءَ كَذَا،

---

(٩٠٣) معجم مقاييس اللغة، ٦/١٠٥.

(٩٠٤) مختار الصحاح، باب الواو، كلمة: (ورد)

ولـــم يَدْخُلُوه، وقـــال الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص: ٢٣]، وفي اللُّغَةِ: وَرَدْتُ بَلَدَ كَذَا، وماءَ كَذَا، إِذا أَشْـــرَفَ عليـــه، دَخَلَه أَو لم يَدْخُلْه، قال: الوُرُودُ بالإِجماع ليس بِدُخُولٍ...»(٩٠٥).

من هذه التعاريف المســـجلة في كتب اللغة ندرك أن معنى قوله تعالى: ﴿وَارِدُهَا ﴾ أي: موافيها وحاضرها ومشـــرف عليها، وهذه معان لا تســـتلزم معنى الدخول، ومن النقولات التي نقلناها عن علماء اللغة عرفنا عدم قبولهم لفكرة دخول المتقين النار.

المعنى اللغوي لكلمة ﴿نُنَجِّى﴾:

قال الراغب في شرح معنى كلمة «نجو» وما اشتق منها من كلمات: ـ

«نجو: أصل النجـــاء: الانفصال من الشـــيء، ومنه: نجا فـــلان من فلان وأنجيتـــه ونجيته. قال تعالـــى: ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النمـل: ٥٣] وقال: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]...»(٩٠٦).

وقال ابن منظور: ـ

«النَّجاءُ: الـخَلاصُ من الشَّـــيءِ... أَبو العباس فـــي قوله تعالـى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾ أَي: نُـخَـلِّصُك من العذاب وأَهْلَك»(٩٠٧).

إذاً هناك انفصـــال وخلاص للمؤمنيـــن في يوم الحشـــر بعد حضورهم وموافاتهم للمكان الذي سماه الله تبارك وتعالى بـ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾.

---

(٩٠٥) تاج العروس، فصل الواو مع الدال المهملة، كلمـــة: (ورد). وانظر نحو هذا القول في لسان العرب، ١٥/ ٢٦٨.
(٩٠٦) المفردات في غريب القرآن، ص٤٨٦.
(٩٠٧) لسان العرب، ١٤/ ٦١ – ٦٢.

المعنى اللغوي لكلمة ﴿وَنَذَرُ﴾:

قال الراغب الأصفهاني: ـ

«وذر: يقال: فلان يذر الشيء. أي: يقذفه لقلة اعتداده به، ولم يستعمل ماضيه. قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] إلى أمثاله. وتخصيصه في قوله: ﴿وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ولم يقل: يتركون ويخلفون؛ فإنه يذكر فيما بعد هذا الكتاب إن شاء الله.

والوذرة: قطعة من اللحم، وتسميتها بذلك لقلة الاعتداد بها نحو قولهم فيما لا يعتد به: هو لحم على وضم»[٩٠٨].

وجاء في الصحاح للجوهري: «... وتقول: ذَرْهُ، أي: دعه، وهو يَذَرُهُ، أي: يدَعُه، وأصله: وَذِرَهُ يَذَرُهُ، مثل وَسِعَهُ يَسَعُهُ، وقد أُميتَ مصدرُه؛ ولا يقال: وَذِرَه ولا وَاذِرٌ، ولكن: تَرَكَهُ وهو تاركٌ»[٩٠٩].

وقال الراغب في معجم ألفاظ القرآن عند ذكره لمعنى كلمة (ترك): «ترك الشيء: رفضه قصداً واختياراً، أو قهراً واضطراراً؛ فمن الأول: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف: ٩٩].

وقال الراغب عند ذكره لمعنى كلمة (الدع): «الدع: الدفع الشديد... قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

---

(٩٠٨) المفردات في غريب القرآن، ص٥٣٣.

(٩٠٩) الصحاح للجوهري، مادة: وذر.

فكلمة «نــذر» وكلمة «ندع» وكلمــة «نترك» ينقلن المعانــي اللغوية إلى مشاهد مفعمة بالحركة ويصورن زمر الظالمين وكأنها أمواج بحر هائجة تدفع بعضها بعضاً بقوة صوب أبــواب الجحيم لتترك هناك فتــرة من الزمن قبل الدخول في دركات النار الخالدة الدائمة.

هذه هي المعاني اللغوية التــي نطقت بها هذه الكلمات القرآنية في هذه الآيات الكريمة، ومنها نعرف أن المتقين لا يمكن أن يحشــروا في صفوف الظالمين إلى جهنــم، وكذلك نعرف عدم صحة القول الذي فســر (الورود) بدخول جهنم الذي اعتمده الشيخ الشنقيطي وغيره.

قال الشــنقيطي في تفســير قوله تعالــى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريــم: ٧٢]: «أي: نتــرك الظالمين فيهــا ـ دليل على أن ورودهم لها دخولهم فيها ـ إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ونذر الظالمين فيها؛ بل يقول: ونُدخل الظالمين، وهذا واضح كما ترى وكذلك قوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ دليل على أنهم وقعوا فيما من شــأنه أنــه هلكة، ولذا عطف علــى قولــه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] قولــه: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾»(٩١٠).

وقال الإمام الرازي: «قوله تعالى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم إنما يبقون في النار»(٩١١).

وبعــد معرفتنا لضعــف جميع الروايــات ـ التي اعتمد عليهــا القائلون بدخول المتقين في النار ثــم إخراجهم منها ـ ندرك أن هذا التفســير الذي جنح إليه الشنقيطي وغيره لا أصل له.

(٩١٠) تفسير الشنقيطي، ٤/٢٦٦.

(٩١١) تفسير الرازي، ٢١/٢٢١.

وبعد معرفتنا لمعاني الكلمات الواردة في الآيات التي تصور مشاهد يوم القيامة ندرك تمام الإدراك أن الخلائق تجتمع في أرض المحشر ثم تفترق من هناك إلى جهة الجنة أو إلى جهة النار من غير أن يجمعهم صراط واحد.

وبسبب اعتماد كثير من المفسرين على الروايات الضعيفة فُسرت هذه الآيات الكريمة تفسيراً غير صحيح، وكانت النتيجة أن صارت تفاسيرهم لهذه الآيات «مثار إشكال ومحطّ قيل وقال»(٩١٢).

عندما يطبق المنهج الصائب...

والمفسرون الذين فسروا القرآن بالقرآن، واعتمدوا الثابت الصحيح من الأدلة، ولم يلتفتوا إلى الضعيف من الروايات والأقوال، وشيدوا تفاسيرهم على تلك المعاني التي عرضتها كلمات القرآن الكريم من غير ليّ لأعناق آيات كتاب الله سبحانه وتعالى فقد سلمت أقوالهم من الاضطراب والتناقض.

قال البيضاوي ـ وهو يطبق منهج التفسير ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾: «فيساقون إلى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف، وقرىء ثم بفتح الثاء أي: هناك. ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ منهاراً بهم كما كانوا، **وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وإن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، وتبقى الفجرة فيها منهاراً بهم على هيئاتهم**»(٩١٣).

فهذا التفسير الذي قاله البيضاوي هنا هو التفسير الذي نصت عليه آيات كثيرة في كتاب الله تعالى.

---

(٩١٢) تفسير ابن عاشور، ٧١/١٦ من تفسير الآية ٧١ من سورة مريم.

(٩١٣) تفسير البيضاوي، ٣٧/٢.

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤]: «يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذٍ، يقول في ذلك اليوم يتفرّقون يعني: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيّب»[٩١٤].

وقال الإمام الطبري أيضاً: «ومعنى قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦] عن موقف الحساب فِرَقاً متفرّقين، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار»[٩١٥].

وقال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم: ٤٣]: «يوم يجيء ذلك اليومُ يصدّع الناسُ، يقول: يتفرّق الناس فرقتين من قولهم: صَدَعتُ الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير»[٩١٦].

فهذه الآيات ذكرت الفصل بين فريق الجنة وفريق السعير ثم السير بالفريقين بعد ذلك في اتجاهين منفصلين وبعيدين عن بعضهما البعض. وليس في تلك الآيات أي ذكر للعبور فوق جهنم الذي روجت له روايات لا تقوم عليها أي حجة.

ففكرة امتطاء الفريقين لظهر الصراط وهما في سيرهما إلى الدارين لا وجود لها من بين تلك المشاهد التي صورها القرآن الكريم ليوم القيامة منذ الخروج من القبور إلى الدخول من أبواب الجنة أو أبواب النار.

---

(٩١٤) تفسير الطبري، ٢١/ ٢٧.

(٩١٥) تفسير الطبري، ٣٠/ ٢٦٧.

(٩١٦) تفسير الطبري، ٢١/ ٥١.

وما جاء من معنى في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾، و﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾، و﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾، هو نفس المعنى الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

فهذه الآيات تقرر أن الخلائق تنفصل وتتفرق وتتصدع وتذهب أشتاتاً في فريقين لا يجمعهما صراط واحد. بل هم في طريقين مختلفين: طريق صوب أبواب الجنان وطريق صوب أبواب النيران والعياذ بالله.

قال ابن عاشور: «... ولأنّ فضل الله على المؤمنين بالجنّة وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مَساقاً واحداً، كيف وقد صُدِّر الكلام بقوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم: ٦٨] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، وهو صريح في اختلاف حشر الفريقين»[٩١٧].

ومن كل ما سبق ذكره ندرك أن فكرة مرور الخلائق على ظهر جهنم فوق الصراط لا أصل لها سوى روايات ضعيفة ليست بأهل لكي تبني عقيدة إسلامية.

ومما يبطل فكرة مرور الأتقياء فوق جهنم هو وصف الله سبحانه وتعالى لمكان وجود الأتقياء يوم القيامة، حيث قال جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢].

قال ابن عاشور: «وجملة ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ بيان لمعنى مبعَدون، أي: مبعدون عنها بعداً شديداً بحيث لا يلفحهم حرّها ولا يروعهم

---

(٩١٧) تفسير ابن عاشور، ١٦/ ٧١.

منظرها ولا يسمعون صوتها، والصوت يبلغ إلى السمع مِنْ أبعد مما يبلغ منه المرئي.

والحسيس: الصوت الذي يبلغ الحس، أي: الصوت الذي يسمع من بعيد، أي: لا يقربون من النار ولا تبلغ أسماعهم أصواتُها، فهم سالمون من الفزع من أصواتها فلا يقرع أسماعهم ما يؤلمها»[٩١٨].

فهذه الآية ترد فكرة مرور الأتقياء على ظهر جهنم، وهذا دليل آخر على بطلان تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] بـ (المرور) على الصراط.

ومما يبطل فكرة مرور الظالمين على الصراط فوق جهنم ـ حسب ما قالته الروايات ـ هو خطاب الله تعالى لأهل النار بدخول جهنم من أبوابها، وليس من فوق صراط ممدود كما ذكرت الروايات المخالفة للقرآن الكريم.

فقد قال تعالى: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل: ٢٩].

قال الإمام الطبري: «ادخلوا أبواب جهنم، يعني: طبقات جهنم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ يعني: ماكثين فيها»[٩١٩].

وقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ أي: يقال لهم ذلك عند الموت. وقيل: هو بشارة لهم بعذاب القبر؛ إذ هو باب من أبواب جهنم

---

(٩١٨) تفسير ابن عاشور، ١٧/ ١١٤.

(٩١٩) تفسير الطبري، ١٤/ ٩٩.

للكافرين. وقيل: لا تصل أهل الدركة الثانية إليها مثلاً إلا بدخول الدركة الأولى ثم الثانية والثالثة هكذا. وقيل: لكل دركة باب مفرد، فالبعض يدخلون من باب والبعض يدخلون من باب آخر. فالله أعلم»(٩٢٠).

وقال الألوسي: «﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ خطاب لكل صنف منهم أن يدخل باباً من أبواب جهنم، والمراد بها إما المنفذ أو الطبقة»(٩٢١).

وقال الشيخ السعدي: «﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ كُلُّ أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بحالهم»(٩٢٢). وقال في موضع آخر من تفسيره: «وفي الآيات دليل على أن النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة. وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا مَن استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور...»(٩٢٣).

فهذه الآية تحدد الأبواب لولوج أهل النار في النار، والعياذ بالله. ولم تذكر تساقط الكفار من فوق الصراط إلى دركات النار.

والمشهد الذي فيه ولوج العصاة إلى النار من أبوابها فيه دليل على بطلان تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ بـ (المرور) على الصراط فوق جهنم. والحمد لله ربِّ العالمين.

فمن كل ما سبق عرضه هنا نعلم أن جميع الخلائق ترد ساحة العرض الأكبر يوم القيامة، ثم تنفصل الخلائق حسب الإيمان والأعمال. فأهل الجنة

---

(٩٢٠) تفسير القرطبي، ١٠/٦٦.

(٩٢١) تفسير الألوسي، ٧/ ٣٧٠.

(٩٢٢) تفسير السعدي، ص٤١٤، من تفسير الآية ٢٩ من سورة مريم.

(٩٢٣) تفسير السعدي، ص٦٩٧، من تفسير الآية ٧١ والآية ٧٢ من سورة الزمر.

يؤخذ بهم صوب أبوابها، وأهل الجحيم ـ والعياذ بالله ـ يقذف بهم صوب النار، ثم يدخل كل فرد منهم في منزله الذي عمل لأجله في الحياة الدنيا. فكل المشاهد التي يعرضها القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة ليوم القيامة منذ الخروج من القبور إلى دخول أصحاب الدارين في منازلهم ليس فيها ذكر للصراط ومرور الخلائق عليه، والروايات التي ذكرت الصراط لا تقوم بها حجة حسب منهج الأمة.

* * *

العنصر الرابع: الرواية التي جاء فيها: (فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون):

جاءت رواية الصورة منسوبة إلى الصحابيين أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ﵄، وقد ذكرتُ في كتاب (الميزان القسط[٩٢٤]) عدم اعتماد الشطر الأول من هذه الرواية في إثبات معتقد رؤية الله سبحانه وتعالى، فأرجو من القارئ الكريم مراجعة كل ما قلته ونقلته في الكتاب المذكور.

وأما فكرة إخراج العصاة من النار ـ والتي ذُكرت في الشطر الثاني من الرواية المنسوبة إلى أبي هريرة والرواية المنسوبة إلى أبي سعيد ﵄ ـ فهي كذلك لا تثبت لأسباب سنذكرها في هذا الموضع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

* * *

(٩٢٤) انظر: الميزان القسط، ص٢٣٩ وما بعدها.

١ ـ الرواية المنسوبة إلى أبي هريرة ﷺ:

قال الإمام مسلم: «حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ نَاساً قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي صُورَةٍ غيرِ صورتِهِ التي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ.

وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ. فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ. وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ. وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ. تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُومِن يَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ. يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ. تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ. حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا. فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

ثُمَّ يَفْرُغُ الله تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ. وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ. وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ! رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ. فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا. فَيَدْعُو الله مَا شَاءَ الله أَنْ يَدْعُوَهُ. ثُمَّ يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ! فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ الله. فَيَصْرِفُ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ. فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ الله أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ الله لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ. وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! وَيَدْعُو الله حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ فَيَقُولُ: لَا. وَعِزَّتِكَ فَيُعطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ الله مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ. فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ. فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عَهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ. وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو الله حَتَّى يَضْحَكَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ. فَإِذَا ضَحِكَ الله مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ الله لَهُ: تَمَنَّهْ. فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى. حَتَّى إِنَّ الله لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ. قَالَ الله تَعَالَى: ذلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ اللهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ. يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةُ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ قَوْلَهُ: ذلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ».

أخرج هـذه الروايـة الإمام مسـلم[٩٢٥]، والإمـام البخـاري[٩٢٦]، وابن حبان[٩٢٧]، وأبو يعلى[٩٢٨]، والنسائي[٩٢٩].

ذكـرتُ جانباً من جوانب ضعف متـن هذه الرواية في كتـاب (الميزان القسـط) ونقلت هناك عن كثير مـن العلماء عدم تقبلهم لمـا جاء في هذه الرواية من صور مصادمة لعقيدة التنزيه والتقديس.

وأما سند هذه الرواية فلا يخلو من علة لوروده من قبل عنعنة الزهري.

فقـد ذكـر ابنُ حجـر الزهـريَ[٩٣٠] ضمـن المرتبـة الثالثة مـن

(٩٢٥) صحيح مسلم، الرواية: ١٨٢، ص١٢٩ - ١٣٠.

(٩٢٦) صحيح البخاري، الرواية: ٧٤٣٧، ص١٣١١ - ١٣١٢.

(٩٢٧) صحيح ابن حبان، الرواية: ٧٤٢٩، ١٦/ ٤٥٠.

(٩٢٨) مسند أبي يعلى، الرواية: ٦٣٦٥.

(٩٢٩) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٤٨٨، ٦/ ٤٥٧ - ٤٥٨.

(٩٣٠) ومن الأسباب التي تجعل المرء يتأنى في تقبل روايات الزهري ـ خاصة الروايات التي تتحدث عن مصير العصاة يوم القيامة ـ هو ما ذكره الألوسي وابن الجوزي: ـ
قال الألوسي: «وما أحسـن ما كتبه بعض الناصحين للزهري حين خالط السلاطين، وهو ـ عافانا الله تعالى وإياك ـ أبا بكر، من الفتـن فقد أصحبت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله تعالى ويرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله تعالى بما فهمك من كتابه وعلمك من سـنة نبيك ﷺ وليس كذلك أخذ الله تعالى الميثاق على العلماء، قال سبحانه: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم وجسـراً يعبرون عليك إلى بلائهم وسـلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشـك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريـم: ٥٩] فإنك تعامل مـن لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام» (تفسير الألوسي، ٦/ ٣٤٨). =

المدلســين[٩٣١]. وقد وصف ابن حجر أفراد هذه الطبقة من المدلسين بقوله: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالســماع، ومنهم من رد حديثهم مطلقاً، ومنهم مــن قبلهم كأبي الزبير المكي»[٩٣٢].

- وجاءت هذه الرواية من طريــق الزهري عند الإمام البخاري[٩٣٣]،[٩٣٤] وفيها التصريح بالتحديث بين الزهري وشيخيه سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد، ولكن تلك الطريق لا يعتد بها أيضاً وذلك لورودها من قبل أبي اليمان الحكم بن نافع البهراني مولاهم.

قال الحافظ ابن حجر: «قال الأثرم: سئل أبو عبد الله عن أبي اليمان فقال: أما حديثه عن صفــوان وحريز فصحيح، قــال: وهو يقول: أخبرنا شــعيب، واستحل ذلك بشيء عجيب[٩٣٥]. قال أبو عبد الله: كان أمر شعيب في الحديث

= وقال ابن الجوزي: «وإن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب، فاحتاجوا إلى ما لا بد منه. وقل الصبر فدخلوا مداخل شــانتهم وإن تأولوا فيها، إلا أن غيرها كان أحســن لهم. فالزهري مــع عبد الملك، وأبــو عبيدة مع طاهر بن الحســين، وابــن أبي الدنيا مؤدب المعتضد، وابن قتيبة صدر كتابه بمدح الوزير. وما زال حلف من العلماء والزهاد يعيشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم. وهؤلاء وإن كانوا ســلكوا طريقاً من التأويل فإنهم فقدوا من قلوبهم وكمال دينهم أكثر مما نالوا من الدنيا». (صيد الخاطر، ص ١٤١ - ١٤٢).

(٩٣١) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ١٠٢، ص ١٠٩.

(٩٣٢) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص ٢٣.

(٩٣٣) صحيح البخاري، الرواية: ٦٥٧٣، ص ١١٦٦. قــال الإمام البخاري: «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد وعطاء بن يزيد أن أبا هريرة أخبرهما...».

(٩٣٤) صحيح البخاري، الرواية: ٨٠٦، ص ١٥٥.

(٩٣٥) أنت ترى أن أبا اليمان في هذه الرواية يقول: «أخبرنا شعيب...».

قال أحمد محمد شــاكر: «وقد جازف بعضهم فنقل بمثل هذه الوجــادة بقوله: (حدثنا فــلان) أو (أخبرنا فلان)! وأنكر ذلك العلماء، ولم يجــزه أحد يعتمد عليه، بل هو من =

عسـراً جداً، وكان علي بن عياش سـمع منه، وذكر قِصَّة لأهل حمص أراها أنهم سـألوه أن يأذَنَ لهم أن يرووا عنه، فقال لهم: لا. ثم كلموه، حضر ذلك أبو اليمان فقال لهم: ارووا عني تلك الأحاديث. فقلت لأبي عبد الله: مناولة؟ قال: لو كان مناولةً كان لم يعطهم كتباً ولا شـيئاً، إنما سمع هذا فقط، فكان ابن شـعيب يقول: إنَّ أبا اليمان جاءني فأخذ كُتُبَ شـعيب منـي بَعْدُ، وهو يقـول: أخبرنا ... وقـال المفضل بن غسـان، عن يحيى بن معين: سـألت أبا اليمان عن حديث شعيب بن أبي حمزة فقال: ليس هو مناولة، المناولة لم أخرجها لأحد... وقال شـعيب بن عمرو البردعي، عن أبي زرعة الرازي: لم يسمع أبو اليمان من شعيب إلا حديثاً واحداً والباقي إجازة... وقال الآجري، عن أبي داود: لم يسمع أبو اليمان من شعيب إلا كلمة»(٩٣٦).

من هذا يظهر لنا عدم سلامة أسانيد هذه الرواية المنسوبة إلى الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ.

وكم هي رغبتنا في أن نجد الحافظ ابن حجر قد طبق ما سجله في حق عنعنة الزهري ورواية أبي اليمان عند شرحه لهذه الرواية.

ولو أنه طبق ما سـجله من أقوال لعرف أن هذه الرواية ليست مما يقوم عليها بنيان العقيدة الإسلامية الطاهرة.

ومما قاله الحافظ ابن حجر عند شـرحه لهذه الروايـة: «... ويجمع بأن الملائكة يؤمرون على ألسـنة الرسل بذلك، فالذين يباشـرون الإخراج هم الملائكة»(٩٣٧).

= الكذب الصريح، والراوي به يسـقط عندنا عن درجة المقبوليـن، وترد روايته» (انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، هامش ص٩٧).

(٩٣٦) تهذيب التهذيب، ت: ١٥٣٩، ٢/ ٣٩٥ – ٣٩٧.

(٩٣٧) فتح الباري، ١٣/ ٢٨٤.

هذه الرواية التي ذكر فيها أن الله يأمـر الملائكة بإخراج أناس من النار لا تثبت ـ حسـب قواعد علماء الأمة والتي سـطرها ابن حجر نفسـه في مؤلفاته ـ لهذا لا يصح الاعتماد عليها فضـلاً عن جمع معانيها مع روايات أخرى.

❊ ❊ ❊

٢ ـ الرواية المنسوبة إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

قال الإمام البخاري: «حدَّثَنا يحيى بن بُكَير حدثنا الليثُ بن سعدٍ عن خالد بن يزيدَ عن سعيدِ بن أبي هلال عن زيدٍ عن عطاءِ بن يسار عن أَبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قلنا: يا رسول اللهِ هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُّون في رؤية الشـمس والقَمر إذا كان صَحـواً؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارُّون في رؤية ربِّكم يومئـذٍ إلا كما تضارُّون في رؤيتهما، ثم قال: ينادي منـادٍ ليَذهب كلُّ قـومٍ إلى ما كانـوا يعبدون فيذهـبُ أَصحابُ الصَّليبِ مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مـع أوثانهم وأصحاب كلّ آلهةٍ مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبدُ اللهَ مِن بَرٍّ أَو فاجرٍ وغُبَرَاتٌ من أَهل الكتاب ثـمَّ يُؤْتى بجَهنَّم تعرضُ كأَنها سَـرابٌ، فيقـال لليهود: ما كنتم تعبُدُون؟

قالوا: كنَّا نعبُدُ عُزَيراً ابـن اللهِ، فيقال: كذبتم لم يكن للهِ صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ؟ قالوا: نريد أن تسقِينَا فيقال: اشـربوا فيتساقطون في جهنَّم، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسـيحَ ابن اللهِ، فيقال: كذبتم لم يكن للهِ صاحبةٌ ولا ولدٌ، فما تريدون؟ فيقولون: نريدُ أَن تسـقيَنَا، فيقال: اشربوا فيتسـاقطون حتى يبقى من كان يعبد اللهَ من بَرٍّ أَو فاجرٍ فيقال لهم: ما يحبسـكم وقد ذهب الناسُ فيقولون: فارقناهم ونحن أَحوجُ منّا إليه

اليومَ، وإنا سمعنا منادِياً ينادي: ليلحق كلُّ قومٍ بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا. قـال: فيأتيهمُ الجبَّارُ في صـورةٍ غير صورته التـي رأوْه فيها أوَّلَ مرة، فيقولُ: أنا ربكم فيقولون: أنت ربُّنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينَهُ آية تعرفونَه؟ فيقولون السَّاق. فيكشف عن ساقه، فيسجدُ له كل مؤمن، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجدَ فيعودُ ظهُرُه طَبَقاً واحِداً ثمَّ يؤتى بالجَسْـر فيُجْعَلُ بين ظهرَيْ جَهنَّمَ، قلنا: يا رسـول اللهِ وما الجَسر؟

قال: مَدحَضَةٌ مَزلةٌ عليه خَطاطيف وكلاليبُ وحسـكةٌ مفلطَحَةٌ لها شوكةٌ عُقيفاء تكون بنَجْـد يقال لها السـعدانُ، المؤمن عليها كالطـرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والرِّكاب فناجٍ مُسَلَّم وناجٍ مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنَّم حتى يَمرَّ آخرُهُم يُسحب سحباً فما أنتم بأَشَدَّ لي مناشدةً في الحقِّ قد تبيَّنَ لكم من المؤمن يومئـذٍ للجبَّار، وإذا رأَوْا أَنهم قد نَجوْا في إخوانِهم يقولون: ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون مَعَنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمنْ وجَدتم في قلبه مثقال دينارٍ مِن إيمانٍ فأَخرِجوه، ويحرِّمُ اللهُ صُورَهُم علـى النارِ فيَأتونهم وبعضهم قد غَاب في النار إلى قدمه وإلى أَنصافِ ساقيْهِ فيُخرِجونَ مَن عَرفوا ثم يَعودون.

فيقـول: اذهبوا فمـن وَجَدْتم فـي قلبه مثقـال نصف دينـارٍ فأَخرجوه فيخرجون من عَرفوا ثم يَعودون، فيقول: اذهبـوا فمنْ وجدْتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ فأخرجوه فيُخرجون من عَرفوا، قال أَبو سعيدٍ: فإن لم تصدِّقوني فاقـرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠] يَشـفَعُ النبيُّون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجَبَّارُ: بقيت شفاعتي فيقبضُ قبضةً من النار فيُخرجُ أَقواماً قد امتُحِشوا فيلقَوْن في نهر بأَفـواهِ الجنَّةِ يُقـال لـه مـاءُ الحياة فينبُتُون فـي حـافَتَيه كما تنبـت الحَبَّـةُ في حميل

السَّـيْل قد رأيتموها إلى جانب الصَّخرة وإلى جانب الشـجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضرَ، وما كان منها إلى الظلِّ كان أبيضَ فيَخرجُون كأنهم اللؤلُؤ فيُجعَلُ في رقابهم الخواتيمَ فيدخلون الجنَّة.

فيقول أهلُ الجنةِ: هؤلاءِ عُتَقَـاءُ الرّحمٰنِ أدخَلَهُم الجنة بغير عملٍ عمِلوه ولا خيرٍ قدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتـمُ ومثلُه معه».

أخرج هذه الرواية المنسـوبة إلـى الصحابي أبي سـعيد الخدري الإمام البخاري[٩٣٨]، والإمام مسلم[٩٣٩]، وابن حبان[٩٤٠]، والحاكم[٩٤١]، والطيالسي[٩٤٢].

أسـانيد هذه الرواية لا تخلو من علل[٩٤٣]، وأمـا متنها فهو معارض

---

(٩٣٨) صحيح البخاري، الرواية: ٧٤٣٩، ص١٣١٢. قال الإمـام البخاري: «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سـعد عن خالد بن يزيد عن سـعيد بن أبي هلال عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا...».

(٩٣٩) صحيح مسـلم، الرواية: ١٨٣، ص١٣١. قال الإمام مسـلم: «وحدثني سويد بن سعيد قال: حدثني حفص بن ميسـرة عن زيد بن أسـلم عن عطاء بن يسـار عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا...».

(٩٤٠) صحيح ابن حبان، الروايـة: ٧٣٧٧، ١٦/ ٣٧٧ – ٣٨٠. قال ابن حبان: «أخبرنا عمر بن محمد الهمداني، قال: حدثنا عيسى بن حماد، قال: أخبرنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال...».

(٩٤١) المسـتدرك على الصحيحين، الرواية: ٨٧٣٦، ٤/ ٦٢٦ – ٦٢٧. قـال الحاكم: «حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسـن بن يعقوب العدل قالا: ثنا أبو أحمد محمد بـن عبدالوهاب العبدي ثنا جعفر بن عون أنبأ هشـام بن سـعد ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلت...».

(٩٤٢) مسـند الطيالسـي، الرواية: ٢١٧٩، ٢/ ٥٦٥. «حدثنا أبو داود قـال: حدثنا خارجة بن مصعب الضبعي قال: ثنا زيد بن أسـلم مولى عمر بن الخطاب عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري...».

(٩٤٣) أما الطريق التي جـاءت عند الإمام البخـاري وابن حبان ففيها سـعيد بن أبي هلال =

لقواطــع الآيــات القرآنيــة وكفى بهــذه الأســبـاب أدلة لردهــا وعــدم الاحتجــاج بها.

❀ ❀ ❀

والمتتبع لطرق هذه الرواية يجدها موقوفة على الصحابيين جابر بن عبد الله

= المختلف فيه، قال ابن حجر: «وقال ابن سعد كان ثقة إن شاء الله وقال الساجي: صدوق كان أحمد يقول: ما أدري أي شـــيء يخلط في الأحاديث، وقـــال العجلي: مصري ثقة ووثقه ابن خزيمة والدارقطني والبيهقي والخطيب وابـــن عبد البر وغيرهم...» (تهذيب التهذيب، ت: ٢٥٠٣، ٤/ ٨٤ – ٨٥).

وأما الطريق التي جاءت عند الإمام مســلم ففيها ســويد بن سعيد بن ســهل بن شهريار الهروي أبو محمد الحدثانــي الأنباري، قال ابن حجر: «... قــال البغوي: كان من الحفاظ وكان أحمد ينتقي عليه لولديه فيسمعان منه... وقال البخاري: كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه. وقال يعقوب بن شــيبة: صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعدما عمي. وقال صالح بن محمــد: صدوق إلا أنه كان عمي فــكان يلقن أحاديث ليس مــن حديثه. وقال البرذعي: رأيت أبا زرعة يســيء القول فيه فقلت له: فأيش حالــه؟ قال: أما كتبه فصحاح، وكنت أتتبع أصوله فأكتب منها، فأما إذا حدث من حفظه فلا... وقال النســائي: ليس بثقة ولا مأمون أخبرني ســليمان بن الأشــعث: قال: ســمعت يحيى بن معين يقول: سويد بن سعيد حلال الدم... وقال العجلي: ثقة من أروى الناس عن علي بن مسهر. وقال ابن حبان: كان أتى عن الثقات بالمعضلات» (تهذيب التهذيب، ت: ٢٧٨٥، ٤/ ٢٤٧ – ٢٤٩).

وأما الطريق التي جاءت عند الحاكم ففي ســندها هشام بن سعد أبو عباد المدني. قال ابن حجر: «قال أبو حاتم عن أحمد لم يكن هشام بالحافظ وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه هشام بن ســعد كذا وكذا كان يحيى بن ســعيد لا يروي عنه وقال أبو طالب عن أحمد: ليس هــو محكم الحديــث... وقال الدوري عــن ابن معين: ضعيــف... وقال معاوية بن صالح عن ابن معين: ليس بذاك القوي... وقال النســائي: ضعيف وقال مرة: ليس بالقوي» (تهذيب التهذيب، ت: ٧٦١٢، ١١/ ٣٧ – ٣٨).

وأما الطريق التي جاءت عند الطيالســي ففي ســندها خارجة بــن مصعب بن خارجة أبو الحجاج السرخســي. قال ابن حجر: «متروك وكان يدلس عــن الكذابين» (تقريب التهذيب، ت: ١٦١٧، ١/ ٢٥٤ – ٢٥٥).

وأبـــي هـــريـرة كمـــا أوردهـــا الإمـــام مسلـــم(٩٤٤) والإمـــام الطبـــري(٩٤٥).

---

(٩٤٤) قال الإمام مسلم: «حدّثني عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ وإسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ. قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِـــيُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَـــمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يُسْـــأَلُ عَنِ الْوُرُودِ. فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيْ ذلِكَ فَوْقَ النَّاسِ. قَالَ: فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ. الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ. ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ نَضْحَكُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ. وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَـانٍ مِنْهُمْ، مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ، نُوراً. ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ. وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ. تَأْخُذُ مَنْ شَـاءَ اللهُ. ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ. ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ. فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. سَـبْعُونَ أَلْفاً لَا يُحَاسَـبُونَ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّـمَاءِ. ثُمَّ كَذلِكَ. ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ. وَيَشْـفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِـهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَـعِيرَةً. فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ. وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّـونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّـيْلِ. وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ. ثُمَّ يُسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا» (صحيح مسلم، الرواية: ١٩١، ص١٣٦).

(٩٤٥) أورد الإمام الطبري هذه الرواية موقوفة على الصحابيين جابر بن عبدالله وأبي هريرة:
قـــال الإمام الطبـــري فـــي تفســـيره (١٦/ ١١١ – ١١٢): «حدثنا ابن بشـــار، قـــال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا ابن جريج، قال: أخبرنـــي أبو الزبـير أنه سمع جابر بن عبدالله يُسأل عن الورود، فقال: نـحن يوم القـيامة علـى كوى أو كـــرى، فوق الناس، فتدعي الأمـم بأوثانها، وما كانت تعبد الأوّل فـالأوّل، فـينطلق بهم ويتبعونه، قال: ويعطى كلّ إنســـان منافق ومؤمن نوراً، ويغشـــى ظلـمة ثم يتبعونه، وعلـى جسر جهنـم كلالـيب تأخذ من شاء الله، فَـيُطْفأ نور الـمنافق، وينـجو الـمؤمنون، فتنـجو أوّل زمرة كالقمر لـيـلة البدر، وسبعون ألفـاً لا حساب علـيهم، ثم الذين يـلونهم كأضوأ نـجم فـي السماء، ثم كذلك، ثم تـحلّ الشـــفـاعة فـيشـــفعون، ويخرج من النار من قال: لا إلٰه إلا الله مـمن فـي قلبه وزن شـعيرة من خير، ثم يـلقـــون تلقاء الـجنـــة، ويهريق علـيهم أهـــل الـجنة الـماء، فـينبتون نبـات الشيء فـي السيـل، ثم يسألون فـيجعل لهم الدنـيا وعشرة أمثالها».
وقال الإمام الطبري في تفســـيره (١٦/ ١١٢): «حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الـحارث أن بكيراً حدّثه أنه قال، لبســـر بن ســـعيد: إن فلاناً يقول: إن ورود النار القـيام علـيها. قال بســـر: أما أبو هريرة فســـمعته يقول: «إذا كان يوم القـيامة، يجتـمـــع الناس نادى منـــاد: لـيلـحق كل أناس بـمـــا كانوا يعبدون، فـيقـــوم هذا إلـى =

فكون هذه الرواية موقوفــة على الصحابيين جابر بن عبد الله وأبي هريرة ففيها دليل آخر على اضطراب ســندها خاصــة إذا علمنا أن جابر بن عبد الله وأبي هريرة وأبي ســعيد الخدري كانوا ينقلون روايات إسرائيلية عن مسلمة أهل الكتاب.

✽ ✽ ✽

ومما جاء في هذه الرواية من أقوال يدمغهــا الحق الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وذكره رسوله الكريم ﷺ: -

- «اذهبوا فمنْ وجَدتم في قلبه مثقال دينارٍ مِن إيمانٍ فأَخرِجوه، ويحرِّمُ اللهُ صُورَهُــم على النارِ فيَأْتونهم وبعضهم قد غَاب فــي النار إلى قدمه وإلى أَنصافِ ساقيْهِ فيُخرِجونَ مَن عَرفوا ثم يَعودون...».

هذه الرواية تذكــر المؤمنين الذين نجوا من النــار بأنهم يدخلون جهنم مرات عديدة، ويبحثون في ســرادقها عن عصاة المسلمين لأجل إخراجهم. وهذا القول ينقضه القرآن الكريم جملة وتفصيلاً.

فقد قــال الله تعالى عند ذكره لعباده الأبــرار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]. فعبــاد الرّحمٰن مبعدون عن جهنم بنص القرآن الكريم، ولكن هذه الرواية الضعيفة تذكر أن الرســول ﷺ والمؤمنين يبحثون في دركات جهنم عن العصاة.

= الحجر، وهذا إلى الفرس، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله، فيأتيهم الله، فإذا رأوه قاموا إليه، فيذهب بهم فيســلك بهم على الصراط، وفيه عليق، فعند ذلك يؤذن بالشــفاعة، فيمرّ الناس، والنبيون يقولون: اللَّهُمَّ ســلِّم سلِّم». قال بكير: فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش، ثم ناج».

وكفى بهدم القــرآن لأفكار هذه الرواية حجة علــى عدم الأخذ بما جاء فيها من تصورات لا صلة لها بعقيدة الإســلام المبنيــة على كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ.

قال الشيخ القرضاوي: «أن السُنَّة مبيِّنة للقرآن، فلا يجوز رد السُنَّة اكتفاء بالقــرآن، كما لا يجوز قبول السُــنَّة المناقضة للقــرآن، لأن البيان لا يناقض المبيّن، إنمــا يوضحه ويبيِّن المراد منه، بتخصيــص عامه أو تقييد مطلقه أو تفسير مبهمه، أو تفصيل مجمله»[٩٤٦].

❁ ❁ ❁

وعدم تقيد العقول بالثابت من الأدلة في حق عباد الله تعالى من الرســل والأنبياء والمؤمنيــن تجعل المرء يقبــل على كل ما هــبَّ ودبَّ من أقوال ويتقبــل كل روايــة لأجل نصــرة أفــكاره حتى ولــو على حســاب منزلة رسول الله ﷺ في الآخرة.

فقد أورد الحيــدري رواية واحتج بها في إثبات أن الرســول ﷺ يدخل النار لأجل البحث عن العصاة وإخراجهم منها.

فقد أورد الحيدري الرواية التي فيها: «... فيدخل جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب ولها مصراعان من ذهب. فيقول: يا محمد جئتك من عنــد العصابة العصاة من أمتك يعذبون بالنار وهم يقرئونك السلام ويقولون: ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا.

فيأتي النبي صلى الله عليه وآله عند العرش، فيخرُّ ساجداً ويثني على الله ثناءً لم يثنه أحد مثله. فيقول الله ﷻ: ارفع رأسك واسأل تعط واشفع تشفع.

---

(٩٤٦) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، للقرضاوي، ص١٧.

فيقول: «يا رب، الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك».

فيقول الله ﷻ: قد شفعتك فيهم، فأتِ النار وأخرِج منها من قال: لا إله إلا الله.

فينطلق النبي صلى الله عليه وآله، فإذا نظر مالك إلى محمد صلى الله عليه وآله قام تعظيماً له، فيقول: **«يا مالك ما حال أمتي الأشقياء؟»**

فيقول مالك: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم.

فيقول النبي صلى الله عليه وآله: **«افتح الباب وارفع الطبق... ويخرجهم جميعاً»**(٩٤٧).

فلماذا تطفو هذه الرواية وأمثالها على السطح عند الحديث عن مسألة لا أصل لها؟.

فحب الانتصار للأفكار الموروثة ـ ولو على حساب منزلة الرسل والأنبياء والمؤمنين العالية في الدنيا والآخرة ـ هو الجواب لهذا السؤال.

فهل من رجعة صادقة إلى تطبيق المناهج الإسلامية؟.

وهل من همة عالية تحقق لمناهج أمتنا الهيمنة على كل البحوث التي تسطرها أقلام المسلمين؟.

فلنا أن ندعو لأجل وحدتنا ولمّ شملنا وطرد كل قول ضعيف وغريب من أوساط محافلنا.

* * *

(٩٤٧) الشفاعة بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها، ص٣١٦-٣١٧.

العنصر الخامس: رواية الشفاعة العظمى يوم القيامة (ليس الإخراج من نار جهنم، بل من حرارة يوم الموقف):

فرواية الإمام مسلم والإمام البخاري الآتية فيها مشهد من مشاهد يوم القيامة والذي يتجلى فيه معنى من معاني (المقام المحمود) الذي سيهبه الله تعالى لعبده ورسوله ﷺ رحمة بعباده.

قال الإمام مسلم(٩٤٨):

«حدّثنا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ، ح وَحَدَّثَنَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ، قَالَ: انطَلَقْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَتَشَفَّعْنَا بِثَابِتٍ. فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَ لَنَا ثَابِتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَأَجْلَسَ ثَابِتاً مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ إِخْوَانَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ. قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الله، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ الله، فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ. فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ . فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي. فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ، يُلْهِمُنِيهِ الله. ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رأْسكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ،

(٩٤٨) صحيح مسلم، الرواية: ١٩٣، ص١٣٨ - ١٣٩، وانظر: صحيح البخاري، الرواية: ٧٥١٠، ص ١٣٢٤.

وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»».

ولقد وصف الحافظ ابن حجر مشهد يوم القيامة بقوله: «ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا لما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دلَّ على خسرانه وحرمانه. وفائدة الإخبار بذلك أن يتنبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه»[٩٤٩].

---

(٩٤٩) فتح الباري، ٢٠٩/١٣.

وقال بدر الدين العيني: «والحديث[٩٥٠] يدل على امتياز هؤلاء السبعة من بين الخلق، ولا يكون ذلك إلا يوم القيامة يـوم يقوم الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشـمس، ويشـتد عليهم حرها ويأخذهم الغرق ولا ظل هناك لشيء إلا ظل العرش»[٩٥١].

وقال الأستاذ سـلطان بن محمد الحراصي: «لا ريب أن يوم القيامة يوم عصيب، يشـتد فيه الهـول ويعظم الخطب، حيث تنشـق السـماء، وتتهاوى الأجرام، وتزلزل الأرض، وتتفجر البحار، ويتخلخل نظام الكون بأسـره بأمر الواحد الأحـد... ويوم القيامة يمتاز بكثرة أهواله، وشـدة طوله، وما يلقاه فيه الناس من الخوف والقلق والاضطراب والنصب والهلع وذلك إلى أن يحاسب كل أحد منهم بما قدم في هذه الحياة الدنيا إن خيراً فخير، وإن شـراً فشـر... وبذلك تتجلى رحمة الله تعالى الواسـعة في هذا الموقف، إذ يأذن بالشـفاعة لفصل القضاء بين الناس في ذلك الموقف العظيم، وهي شفاعة لأهل الموقف جميعاً لتقريب ساعة الحساب، وتُعرف بالمقام المحمود...»[٩٥٢].

فهذه الرواية تصور لنا مشهداً من مشـاهد يوم القيامة ـ قبل دخول أهل الجنة في الجنة وقبل دخول أهل النار في النـار ـ ، وتدل على أن الإخراج المذكور لأهل الإيمان هو من حرارة وشـدة وهول يوم المحشر[٩٥٣]، وليس

---

(٩٥٠) الحديث المشار إليه هنا هو قوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...».

(٩٥١) عمدة القاري، ٥/ ٢٦٠.

(٩٥٢) الشفاعة الأخروية، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٩٥٣) فرواية الشفاعة الكبرى هي تبيان وشـرح للروايات الأخرى التي جاء فيها ذكر شفاعة الرسـول ﷺ، والتي جاء فيها ذكر الإخراج من حرارة نار جهنم يوم الحشر. الروايات الآتية تدور في فلك رواية الشفاعة العظمى: ـ

• قال الإمام البخاري (الرواية: ٧٥٠٩، ص١٣٢٣ ـ ١٣٢٤): «حَدَّثَنَا يُوسُـفُ بْنُ رَاشِدٍ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِاللهِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا ﷺ قَالَ: =

= سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ. فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ». فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

• قال الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٩١، ص١٣٦): «حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ جَابِراً يَقُولُ: سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ بِأُذُنِهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاساً مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»».

• قال الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٩١، ص١٣٦): «حدّثنا أَبُو الرَّبِيعِ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَسَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ: «إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ قَوْماً مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ؟» قَالَ: نَعَمْ».

• قال الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ٣٣٩، ص١٤٢): «حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عُمَارَةَ وَهُوَ ابْنُ الْقَعْقَاعِ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا. فَيُسْتَجَابُ لَهُ فَيُؤْتَاهَا. وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»».

• قال الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٩٩، ص٤٥): «حدَّثنا عبدُ العزيز بنُ عبدِالله قال: حدَّثني سُليمانُ عن عمرو بنِ أبي عمرو عن سَعيدِ بن أبي سَعيدٍ المَقْبُرِيِّ عن أبي هُرَيرةَ أنه قال: قيلَ يا رسولَ اللهِ، مَنْ أسعدُ الناسِ بِشَفاعَتِكَ يومَ القيامةِ؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هُريرة أن لا يَسألُني عن هذا الحديثِ أحدٌ أوَّلَ منكَ، لِما رأيتُ من حِرصكَ على الحديث. أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال: لا إلهَ إلا اللهُ خالِصاً مِن قَلبِه، أو نفسِه»».

• قال الإمام المسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٩١، ص١٣٦): «حدّثنا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ سُلَيْمٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «إِنَّ قَوْماً يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا، إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»».

• قال الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٦٥٥٨، ص١١٦٤): «حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ». قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: «الضَّغَابِيسُ». وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَبَا مُحَمَّدٍ سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ». قَالَ: نَعَمْ».

• قال الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٦٥٦٠، ص١١٦٤ - ١١٦٥): «حدَّثنا =

= موســى حدَّثنا وُهَيبٌ حدَّثنا عمرو بن يحيــى عن أبيه عن أبي ســعيد الخُدري ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: إذا دَخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهل النار النارَ يقولُ الله: مَن كان في قلبه مِثقالُ حبة من خَرْدَل من إيمان فأخرجوه، فيخرُجون قدِ امتُحِشوا وعادوا حُمَماً، فيُلقَون في نهر الحياة، فيَنبُتون كما تَنبُتُ الحبةُ في حَميلِ الســيل، أو قال: حَمِيَّةِ السَّيل. وقال النبيُّ ﷺ: ألم ترَوا أنها تَنبُتُ صفراءَ مُلتوية»؟». هذه الرواية تشــير إلى أصحاب الأعراف الذين لم يدخلوا نار جهنم، ولكنهم حبســوا في ســاحة المحشــر لفترة من الزمــن. قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُوا مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩].

• قال الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٨٤، ص١٣٣): «وحدّثني هَـرُونُ بْنُ سَعِيدٍ الأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْـنُ أَنَسٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَارَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِي سَــعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُــولَ اللهِ قَالَ: «يُدْخِلُ الله أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ. يُدْخِلُ مَنْ يَشَــاءُ بِرَحْمَتِهِ. وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ. ثُمَّ يَقُولُ: انظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدِ امْتَحَشُــوا. فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَــا. فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّــيْلِ. أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»».

• قال الإمام مسلم (صحيح مســلم، الرواية: ١٨٦، ص١٣٣ - ١٣٤): حدّثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ. قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيْدَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْــعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً. فَيَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّــةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى. فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَــلأَى. فَيَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَــلأَى. فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ الله لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَــرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْــخَرُ بِي أَوْ أَتَضْحَكُ بِــي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟» قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُــولَ اللهِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

• وقال الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٢٢، ص٢٩): «حدَّثنا إسماعيلُ قال: حدَّثني مالكٌ عن عمرِو بنِ يحيى المازنيِّ عنْ أبيهِ عنْ أبي سَــعيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ عنِ =

الخروج من نار جهنم بعد الدخول فيها؛ إذ الخروج من نار جهنم لا أصل له وقد عارضته أدلة كثيرة من كتاب الله ومن سُنَّة رسوله المصطفى ﷺ.

* * *

جاء في هذه الرواية: «فَيُقَالُ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

وانطلاق الرسول ﷺ في عرصات يوم القيامة لأجل بعث أهل الجنة إلى أبوابها، ولكـي يتميز المؤمنون عن غيرهم ممن استوجب النار، جاءت به آيات بينات وبينت هذه الرواية جانباً من تفاصيله.

فلا يخطر في بال المسلم أن الرسول ﷺ ينطلق إلى نار جهنم ليخرج منها من وقع فيها[٩٥٤]، فهذا أمر مستحيل في حق عباد الله المصطفين الذين

= النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهلُ الْجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهلُ النَّـارِ النَّارَ، ثُمَّ يقولُ اللهُ تعالى: أَخرِجوا مَنْ كانَ في قَلبِهِ مِثقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ، فَيُخْرَجونَ منها قدِ اسْوَدّوا فيُلْقَوْنَ في نهرِ الحَيا ـ أو الحَياةِ، شَـكَّ مالكٌ ـ فيَنبتُون كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جانِبِ السَّيْلِ، ألم ترَ أَنَّها تَخرُجُ صَفراءَ مُلْتَوِيَةً؟»

• وقال الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٦٥٦٠، ص ١١٦٤ - ١١٦٥): «حَدَّثَنَا مُوسَـى حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّـةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّـيْلِ ـ أَوْ قَالَ ـ حَمِيَّةِ السَّـيْلِ». وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»».

وجاءت هذه الرواية أيضاً عند مسلم (صحيح مسـلم، الرواية: ١٨٤، ص١٣٣)، وابن حبان (صحيح ابن حبـان، الرواية: ١٨٢، ١/ ٤٠٨. وكذلـك الرواية: ٢٢٢، ١/ ٤٥٦)، والبيهقي (سـنن البيهقي الكبرى، الروايـة: ٢١٢٣٩، ١٥/ ٢٥٠ - ٢٥١)، وأبي يعلى (مسند أبي يعلى، الرواية: ١٢١٨).

(٩٥٤) المسـلمون قاطبة لا يرضون بأي شـيء فيه إساءة لمقام رسـول الله ﷺ، والتاريخ =

أبعدهم الله تعالى عن جهنم. ومن هذه القاعدة الإيمانية في حق الرسول ﷺ ومن ظاهر هذه الرواية نعرف أن الإخراج المقصود هو من حرارة الموقف في ذلك اليوم الرهيب وليس من نار جهنم بعد دخول العصاة فيها.

وهذا المعنى قد ذكره علي القاري حيث قال في (مرقاة المفاتيح): «وثانيهما: أن يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا به من الشدة ودنو الشمس إلى رؤوسهم وحرها وإلجامهم العرق، وبالخروج الخلاص منها. قلت: وهذا القول وإن كان مجازاً لكنه إلى حقيقة الأمر أقرب وإلى أصل القضية أنسب، فإن المراد بهذه الشفاعة الكبرى وهي المعبر عنها بالمقام المحمود واللواء الممدود على ما قاله ﷺ: «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**». ومحط هذه الشفاعة هي الخلاص من الحبس والقيام والأمر بالمحاسبة للأنام»[٩٥٥].

= يحكي لنا الكثير من الشواهد التي قام فيها المسلمون برد الظالمين المفترين على رسول الله ﷺ. فقد انتقد المسلمون كتابة اسم (محمد) ﷺ على علب الكبريت التي قام بها نفر من أعداء الإسلام. وقد ألّف الشيخ أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني كتاباً رد فيه على الذين وضعوا اسم المصطفى ﷺ على علب الكبريت، حيث قال في مقدمة كتابه: «فيا معشر الأفاضل الأمجاد، إخواننا المؤمنين الموقنين الأفراد، تنبهوا لما صدر من أعداء الدين، عاجلهم الله بالدمار والهلاك في الحين، من كتب الاسم المكرم الشريف، المرفع، المبارك، محمد المنيف، على صناديق الوَقيد، الممتهنة عند الأحرار والعبيد». انظر: (الغيث المدرار والسر العَمّار فيما يتعلق بالنبي المختار المكتوب على صناديق النار، جرأة وجسارة من الفجار أعداء الله ورسوله الكفار، ص٧٩).

وبما أن المسلمين لا يرضون بكتابة اسم رسولهم على علب الكبريت، فمن الواجب عليهم أن تقوم قائمتهم على تلك الروايات التي تجعل الرسول ﷺ من الداخلين في النار والعياذ بالله.

(٩٥٥) مرقاة المفاتيح، ١٠/٢٣٣. وتتمة كلام علي القاري هو: «.... وأما له ﷺ وكذا لغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء والصالحين والفقراء بعد ذلك شفاعات متعددة في إدخال بعض المؤمنين الجنة بلا حساب وإدخال بعضهم الجنة ولو استحقوا دخول النار، وإخراج بعضهم من النار وفي تخفيف عذاب بعضهم وفي ترقي درجات بعضهم في الجنة وأمثالها».

وقول الرسول ﷺ: ـ

«فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِـهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

فهؤلاء الذين تخرجهم شفاعة الرسول ﷺ من موقف يوم القيامة ـ حسب ما تفصله لنا هذه الرواية الصحيحة ـ ليسوا من الذين قال عنهم الرسول ﷺ في روايات صحيحة كثيرة: ـ

- **«مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ»**(٩٥٦).
- **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»**(٩٥٧).

= ومما قاله ابن حجر في وصف مشـهد يوم القيامة: «وتعرَّض الطيبي للجواب عن الإشكال بطريق آخر فقال: يجوز أن يراد بالنار: الحبس والكرب والشدة التي كان أهل الموقف فيها من دنوّ الشـمس إلى رؤوسـهم وكربهم بحرها وسـفعها حتى ألجمهم العرق، وأن يراد بالخروج منها خلاصهم من تلك الحالة التي كانوا فيها.

قلت: وهو احتمال بعيـد، إلا أن يقال إنه يقع إخراجان وقع ذكر أحدهما في حديث الباب على اختـلاف طرقه والمراد به الخـلاص من كرب الموقف، والثانـي: في حديث الباب الذي يليـه ويكون قوله فيه: «فيقول: من كان يعبد شـيئاً فليتبعه» بعـد تمام الخلاص من الموقف ونصب الصراط والإذن فـي المرور عليه، ويقع الإخراج الثاني لمن يسـقط في النار حال المرور فيتحدا، وقد أشـرت إلى الاحتمال المذكور في شرح حديث العرق في: «باب قولـه تعالى ألا يظن أولئك أنهـم مبعوثون» والعلم عند الله تعالـى». (فتح الباري، ١٣/٢٦٣ – ٢٦٤).

لقد ثبت بالأدلة الصحيحة شفاعة الرسـول ﷺ لأهل الموقف وإخراج المؤمنين من شدة ذلك اليوم. وأما الشـفاعة لمن اسـتحق النار ألا يدخلها، وكذلك إخـراج العصاة من نار جهنم لا أصل لهما في مصادر العقيدة في الإسـلام، كما بيَّنه منهج الأمة الإسلامية الذي نقله لنا الحافظ ابن حجر في مؤلفاته.

(٩٥٦) صحيح البخاري، الرواية: ٦٧٦٦، ص ١١٩٧.

(٩٥٧) صحيح مسلم، الرواية ٤٦، ص ٨٠.

• «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»»(٩٥٨).

• «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(٩٥٩).

• «مَن قَتلَ مُعاهِداً لم يرحْ رائحةَ الجنة، وإنَّ ريحَها توجَدُ من مَسيرةِ أربعين عاماً»(٩٦٠).

---

(٩٥٨) صحيح مسلم، الرواية: ١٣٧، ص١٠٩. وانظر: (رياض الصالحين، ص٢٠١-٢٠٢).

(٩٥٩) قال الإمام مسلم: حدَّثنا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَشْهَبِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ. إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».
أخرج هذه الرواية الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٤٢، ص١١١)، والإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٧١٥١، ص١٢٦٣)، والدارمي (سنن الدارمي، ٢/٣٢٤)، والبيهقي (سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٨٢٦٨، ١٣/٢٧٨)، والطبراني (المعجم الكبير، الرواية: ٤٧٦، ٢٠/٢٠٨)، والطيالسي (مسند الطيالسي، الرواية: ٩٣٠، ١/٤٩٧)، وابن الجعد (مسند ابن الجعد، الرواية: ٢٦٣٧)، وغيرهم.

(٩٦٠) قال الإمام البخاري: «حدّثنا قيسُ بنُ حفصٍ حدُّثنا عبدُ الواحدِ حدُّثنا الحسنُ بن عمرو حدُّثنا مجاهدٌ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «من قَتلَ مُعاهِداً لم يرحْ رائحةَ الجنة، وإنَّ ريحَها توجَدُ من مَسيرةِ أربعين عاماً»».
أخرج هذه الرواية الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٣١٦٦، ص٥٦٥)، وأبو داود (سنن أبي داود، الرواية: ٢٧٦٠، ص٤٤٢)، والترمذي (سنن الترمذي، الرواية: ١٤٠٣، ص٣٦٠)، وابن ماجه (سنن ابن ماجه، الرواية: ٢٦٨٦، ص٤٣٤)، والدارمي (سنن الدارمي، ٢/٢٣٥ – ٢٣٦)، والإمام أحمد (مسند الإمام أحمد، الرواية: ٦٧٤٥)، وابن حبان (صحيح ابن حبان، الرواية: ٧٣٨٢، ١٦/٣٩١، والرواية: ٧٣٨٣، ١٦/٣٩٢)، والحاكم (المستدرك على الصحيحين، الروايات: ١٣٣ – ١٣٥، ١/١٠٥ – ١٠٦، والرواية: ٢٥٨١، ٢/١٣٨)، والنسائي (سنن النسائي الكبرى، =

• «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»(٩٦١).

• «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»(٩٦٢).

= الروايات: ٦٩٤٩ - ٦٩٥٢، ٤/ ٢٢١، الروايات: ٨٧٤٢ - ٨٧٤٤، ٥/ ٢٢٥ - ٢٢٦)، والبيهقي (سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٦٨١٨، ١٢/ ٢٣٥)، وأبو يعلى (مسند أبي يعلى، الرواية: ٦٤٥٧)، والطبراني (المعجم الأوسط، الرواية: ٤٣١، ١/ ١٣٥)، والطيالسي (مسند الطيالسي، الرواية: ٨٨٠، ١/ ٤٧١)، وابن الجارود (المنتقى لابن الجارود، الروايات: ٨٣٤ - ٨٣٥، ص٢١٢ - ٢١٣. و١٠٧٠، ص٢٦٨)، وابن أبي شيبة (مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٢٣٦٨٨، ٦/ ٤٣٦).

(٩٦١) قال الإمام البخاري: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»».

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٥٩٨٤، ص١٠٧٨)، والإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ٢٥٥٦، ص١٠٩٤ - ١٠٩٥)، وأبو داود (سنن أبي داود، الرواية: ١٦٩٦، ص٢٧٦)، والترمذي (سنن الترمذي، الرواية: ١٩٠٩، ص٤٦٩)، والإمام أحمد (مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٦٨٥٣)، وابن حبان(صحيح ابن حبان، الرواية: ٤٥٤، ٢/ ١٩٩)، والبيهقي (سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٣٣٧٨، ١٠/ ١٢٦)، وأبو يعلى (مسند أبي يعلى، الرواية: ٧٣٩٢)، والطبراني(المعجم الكبير، الروايات: ١٥٠٩ - ١٥١٩، ٢/ ١١٨ - ١٢٠).

(٩٦٢) قال الإمام البخاري: «حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَمَّامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَجُلاً يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»».

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري (صحيح البخاري، الرواية: ٦٠٥٦، ص١٠٨٨)، وأبو داود (سنن أبي داود، الرواية: ٤٨٧١، ص٧٦٤)، والإمام أحمد (مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢٣٦٣٦)، والنسائي (سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٦١٤، ٦/ ٤٩٦)، والبيهقي (سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ٢١٦٢٦، ١٥/ ٣٨١)، والطبراني (المعجم الصغير، الرواية: ٥٥٢، ١/ ٢٢٠. والمعجم الكبير، الرواية: ٣٠٢١. والمعجم الأوسط، الرواية: ٤١٩٢، ٣/ ١٦٢ - ١٦٣)، والطيالسي (مسند الطيالسي، الرواية: ٤٢١، ١/ ٢٢٠)، والشهاب (مسند الشهاب، الرواية: ٨٧٦).

- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[٩٦٣].
- «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار»[٩٦٤].

فهؤلاء الذين توعدهم الرسول ﷺ بدخول نار جهنم لن تنالهم الشفاعة التي يخص بها الرسول ﷺ أولئك الذين يأتون إلى يوم القيامة بالحد الأدنى من الإيمان الشرعي مع سلامتهم من السيئات التي من شأنها جر أصحابها إلى نار جهنم الخالدة والعياذ بالله تعالى.

وأما قول القائلين ـ عند شرحهم لهذه الروايات التي توعد فيها الرسول ﷺ أهل الكبائر بدخول النار والحرمان من الجنة ـ: «لا يدخل الجنة يريد جنة دون جنة»[٩٦٥]، وقولهم: «فليس معنى قوله: لا يدخل الجنة، أنها حرمت عليه كتحريمها على المشرك بل لا يدخل الجنة مع الداخلين من أول الأمر»[٩٦٦]، فهي أقوال لا أساس لها في مصادر العقيدة الإسلامية.

فهذه التقديرات والاستثناءات التي جاء بها الشراح هنا لم يذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، ولم تثبت عن رسول الله ﷺ، ولكن أملتها روايات ضعيفة لا يثبت منها شيء في ميزان الله العادل.

---

(٩٦٣) قال الإمام مسلم (الرواية: ٩١، ص٩٣): «وحدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ومُحمَّدُ بْنُ بَشَّار وإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ جَمِيعاً عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَّادٍ. قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ. أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»».

(٩٦٤) صحيح البخاري، الرواية: ١٠٧، ص٤٦.

(٩٦٥) صحيح ابن حبان، ١١/ ٢٤١.

(٩٦٦) الفرار من النار، ص ٨٠.

فلا نقرأ من قول الرسـول ﷺ أن من «كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، أو من «كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» أن أهل الكبائر يدخلون في زمرة من يخرجهم الرسول ﷺ من ساحة موقف يوم القيامة إلى أبواب الجنان، لأن الرسـول ﷺ هو نفسه من توعد أهـل الكبائر بالحرمان من الجنة، ولأن جميـع الأدلة التي اعتمد عليها في ذكر العذاب المؤقت في النار لا يصح منها شـيء. **ولأن أصحاب الكبائر ممن ماتوا عليها ليس لهم حظ في اسم الإيمان الشرعي حيث أخلوا بأحد ركائزه وهو العمل بالجوارح.**

فقد قال العلامة ابن تيمية: «فهذا حكم اسم الإيمان إذا أطلق في كلام الله ورسوله، فإنه يتناول فعل الواجبات، وترك المحرمات، ومن نفى الله ورسوله عنه الإيمـان، فلا بد أن يكون قد ترك واجباً أو فعـل محرماً، فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد، بل يكون من أهل الوعيد»(٩٦٧).

وقال العلامة ابن القيم: «الإيمـان أعظم النعم ويزيلهـا الذنب: وأعظم النعم الإيمان، وذنب الزنا والسـرقة وشـرب الخمر وانتهـاب النهبة يزيلها ويسلبها»(٩٦٨).

وقـال ابن القيم أيضـاً: «كل من عصـى الله جاهل: فلو تصـور العامل بمعصية الله بعـد طاعته، هذا المعنـى حق تصوره، وتأمله كمـا ينبغي، لما سوّلت له نفسـه ـ والله ـ إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها، ولكن لا بد أن يغيب عنه عمله عند المعصية، ولهذا استحق اسم الجهل، فكل من عصى الله فهو جاهل»(٩٦٩).

---

(٩٦٧) كتاب الإيمان، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٩٦٨) طريق الهجرتين، ص٣٠١.

(٩٦٩) طريق الهجرتين، ص٤٠٧ ـ ٤٠٨.

وقال الشـيخ محمد بن عبدالوهاب: «.. فنقـول: لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لا بـد أن يكون بالقلب الذي هو العلم، واللسـان الذي هو القول، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي، فإن أخلَّ بشـيء من هذا لم يكن الرجل مسـلماً، فإن أقر بالتوحيد ولـم يعمل به فهو كافـر معاند كفرعون وإبليس، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهـو لا يعتقده باطناً فهو منافق خالص، وهو شر من الكافر»(٩٧٠).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «فإذا أصاب الإنسان دماً حراماً فإنه يضيق عليه دينه. أي: إن صدره يضيق به حتى يخرج منه والعياذ بالله ويموت كافراً. وهذا هو السـر في قوله تعالـى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النسـاء: ٩٣] فهذه خمس عقوبـات والعياذ بالله: جهنـم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه. وأعد له عذاباً عظيماً. لمن قتل مؤمناً متعمداً لأنه إذا قتل مؤمناً فقـد أصاب دماً حراماً. فيضيق عليه دينـه ويضيق به صدره حتى ينسلخ من دينه بالكلية. ويكون من أهل النار المخلدين فيها»(٩٧١).

---

(٩٧٠) الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، ٣٧/٤.

(٩٧١) شرح الكبائر، ص١٧ - ١٨، ومن أقوال الشيخ ابن عثيمين:

«ومن ذلك أيضاً: من الشـرك وهو خفي أيضاً: أن تأخذ الدنيا لب الإنسان وعقله تجد عقله وفكره وبدنه ونومه ويقظته كلها في الدنيا. ماذا كسـب اليوم وماذا خسر. ولذلك تجده يتحيل على الدنيا بالحلال والحرام والكـذب والخديعة لولاة الأمور ولا يبالي لأن الدنيا استعبدته والعياذ بالله.

والدليل على هذا الشرك. قول النبي ﷺ : «تعس عبدالدينار». (شرح الكبائر، ص١١).

«إذ لو كان في قلبه شيء ما ترك هذه الصلاة العظيمة التي دلت النصوص على العناية بها وأهميتها والأشـياء تعرف بآثارها. فلـو كان في قلبه أدنى مثقـال من الإيمان لم يحافظ على ترك هذه الصلاة مع أهميتها وعظمها. وبهذا تكون الأدلة السمعية والنظرية دالة على أن تارك الصلاة كافـر كفراً مخرجاً عن الملة. وتكون مقتضية للحذر من هذا =

ويوضح سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى مآل الناس يوم القيامة بقوله: «والتحقيق أن العبرة بخواتم الأعمال، فمن ختم له بالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح كان سعيداً عند الله مهما عمل من قبل، فإن التوبة تمحو الآثام وتطهر صاحبها من الحوب، ومن ختم له بالإصرار على الآثام لم تُجْدِهِ أعماله السابقة شيئاً لأنها محبطة بإصراره، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] والتقوى لا تجامع الإصرار»[٩٧٢].

وقال سماحة الشيخ الخليلي أيضاً: «هذا ومما يجب أن لا يفوتنا ذكره أن البراءة من صاحب الكبيرة لا تعني بحال إخراجه من ملة الإسلام، ولا حرمانه من حقوق المسلمين، ما عدا الولاية في الدين إلى أن يتوب، فهو معصوم الدم، لا يستباح قتله إلا بإحدى ثلاث، وهي: الردة عن الإسلام، أو الزنى بعد الإحصان، أو قتل النفس المحرمة بغير حق، وهو معصوم المال فلا يستباح ماله؛ وإن زنى أو قتل من أجل مراعاة حرمة التوحيد، ولا يمنع التناكح والتوارث بينه وبين أهل الإسلام، ويبادل السلام، ويشمت إذا عطس، ويدفن إن مات في مقابر أهل التوحيد، ويوارى بطريقة المسلمين، وإنما تبقى البراءة منه إن لم يتب، فرضاً لازماً، أداء لحق الله تعالى، وحفاظاً على نظام الدين، وغيرة على حرمات الحق، وتمييزاً بين البررة والفجرة»[٩٧٣].

❊ ❊ ❊

= العمل الشنيع الذي تهاون به اليوم كثير من الناس. ولكن باب التوبة مفتوح والحمد لله» (شرح الكبائر، ص ٣١ - ٣٢).

(٩٧٢) الحق الدامغ، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٩٧٣) حكم البراءة من مرتكب الكبيرة، ص ٣٥.

والتفاوت في منازل أهل الجنة أمر يقر به جميع المتقين، والداخلون في الجنة منهم الأول الذي لا يسبقه أحد، ومنهم الآخر الذي تغلق بعد دخوله الأبواب.

فأول الداخلين هو: عبدالله ورسوله محمد بن عبدالله ﷺ.

- حيث قال ﷺ: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»(٩٧٤).
- وجاء قول خازن الجنان لرسول الله ﷺ: «بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٩٧٥).

وبعد الرسول ﷺ تدخل وفود الرّحمٰن من أبواب الجنان، فالسابق منهم من سبق بإيمانه وعمله، وكلٌّ له حظه في نعيم الله الدائم.

وقد جاء في تفسير آية الأعراف ما يبين أن هناك السابق وهناك اللاحق من أهل الجنان.

قال ابن عاشور: «والذي ينبغي تفسير الآية به: أنّ هذه الأعراف جعلها الله مكاناً يوقف به من جعله الله من أهل الجنّة قبل دخوله إياها، وذلك ضرب من العقاب خفيف، **فجعل الدّاخلين إلى الجنّة متفاوتين في السبق تفاوتاً يعلم الله أسبابه ومقاديره**، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ

---

(٩٧٤) قال الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٩٦، ص١٤١): «وحدّثنا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُخْتَارِ ابْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»».

(٩٧٥) قال الإمام مسلم (صحيح مسلم، الرواية: ١٩٦، ص١٤١): «وحدّثني عَمْرٌو النَّاقِدُ وزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَأَسْتَفْتِحُ. فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»».

مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]»(٩٧٦).

وقال الشيخ الشعراوي: «ومنتهى المنطق في القياس الموازيني أن يوجد فريق ثالث هم الذين تتساوى سيئاتهم مع حسناتهم، فلم تثقل موازينهم فيدخلوا الجنة، ولم تخف موازينهم فيدخلوا النار، وهؤلاء هم من تعرض أعمالهم على (لجنة الرحمة) فيجلسون على الأعراف. ومن العجيب أنهم حين يشاهدون أهل الجنة يقولون لهم سلام عليكم على الرغم من أنهم لم يدخلوا، لكنهم يطمعون في أن يدخلوا، لأن رحمة الله سبقت غضبه. ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٦]»(٩٧٧).

فأصحاب الأعراف قد أتوا بالإيمان الشرعي، ولم يأتوا بكبائر الذنوب، وهذا أهّلهم لنيل شرف النجاة يوم القيامة، ودخول الجنة بعد حبسهم في ساحات الموقف.

وبعد عرض رواية (الصورة) على منهج الأمة الإسلامية تبيَّن لنا عدم صلاحيتها في تأسيس تصور إسلامي نظيف وذلك لمناقضتها للعقيدة الثابتة في الله سبحانه وتعالى وفي رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم.

ورواية الصورة التي ذكرت إخراج طائفة من المسلمين من نار جهنم لم تأت من طريق قوية يُعتمد عليها في ترسيخ العقائد الإسلامية، ومع هذا فهي مناقضة لما جاء في رواية الشفاعة العظمى الصحيحة التي بينت بكل وضوح أن الشفاعة هي في إخراج المسلمين من حرارة يوم الموقف وشدته وهوله وليس في إخراج العصاة من دركات نار جهنم.

---

(٩٧٦) تفسير ابن عاشور، ٨/١٠٩.

(٩٧٧) تفسير الشعراوي، ٧/٤١٥١، من تفسير الآية ٤٧ من سورة الأعراف.

العنصر السادس: الرواية التي فيها: (يخرُج قوم منَ النار بعدما مسَّهُم منها سَفعٌ، فيدخُلون الجنة، فيُسمِّيهم أهلُ الجنة: الجهنميين):

جاءت هذه الرواية في كتب الحديث منسوبة إلى أنس بن مالك، وعمران بن حصين، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري ﷺ.

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري، والإمام أحمد، وابن أبي عاصم، وأبو يعلى، واللالكائي، والدارمي، والطبراني، وابن خزيمة، والطيالسي، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وغيرهم. كما سيأتي تفصيله فيما يأتي.

* * *

رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك

- جاءت هذه الرواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك من طريق همام بن يحيى بن دينار الأزدي عند الإمام البخاري[٩٧٨]، والإمام أحمد[٩٧٩].

هذه الرواية من هذه الطريق لا يصح الاحتجاج بها وذلك لورودها من قبل همام بن يحيى بن دينار الأزدي:

قال ابن حجر[٩٨٠]: «... قال الحسن بن علي الحلواني: سمعت عفان يقول: كان همام لا يكاد يرجع إلى كتابه ولا ينظر فيه، وكان يخالف فلا

---

(٩٧٨) صحيح البخاري، الرواية: ٦٥٥٩، ص ١١٦٤. قال الإمام البخاري: «حدَّثنا هُدْبةُ بن خالد حدثنا همامٌ عن قتادةَ حدَّثنا أنسُ بن مالك عنِ النبي ﷺ قال: يخرُج قوم منَ النار بعدما مسَّهُم منها سَفعٌ، فيدخُلون الجنة، فيُسمِّيهم أهلُ الجنة: الجهنميين».

(٩٧٩) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٢٤٠٢، والرواية: ١٣٨٧٥.

(٩٨٠) تهذيب التهذيب، ت: ٧٦٣٨، ١١/ ٦١-٦٢.

يرجع إلى كتابه ثم رجع بعد فنظر في كتبه فقال: يا عفان كنا نخطئ كثيراً فنستغفر الله تعالى...

وهذا يقتضي أن حديث همام بآخره أصح ممن سمع منه قديماً، وقد نص على ذلك أحمد بن حنبل وقال أبو بكر البرديجي: همام صدوق يكتب حديثه ولا يحتج به... وقال الساجي: صدوق سيئ الحفظ ما حدث من كتابه فهو صالح وما حدث من حفظه فليس بشيء».

وقال الذهبي: «... قال أبو حاتم: ثقة، في حفظه شيء وكان يحيى القطان لا يرضى حفظه... وقال محمد بن المنهال: عن يزيد بن زريع - وسئل عن همام - فقال: كتابه صالح وحفظه لا يسوى شيئاً. وقال عمرو بن علي: كان يحيى لا يرضى حفظه ولا كتابه، ولا يحدث عنه...»[٩٨١].

- والذي يثبت خطأ همام في هذه الرواية واضطرابه في نقلها رواية جاءت عند الإمام البخاري[٩٨٢]، وأبي يعلى[٩٨٣]، وابن أبي عاصم[٩٨٤]،

(٩٨١) ميزان الاعتدال ت: ٩٢٥٣، ٤/٣٠٩.

(٩٨٢) صحيح البخاري، الرواية: ٧٤٥٠، ص١٣١٥: «حدَّثنا حفصُ بنُ عُمرَ حدثنا هشامٌ عن قتادةَ عن أنسٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: لَيُصيبنَّ أقواماً سفْعٌ من النار بذنوب أصابوها عقوبةً ثم يُدخِلُهم اللهُ الجنةَ بفضلِ رحمتِهِ، يُقال لهمُ الجهنَّمِيُّون».

(٩٨٣) مسند أبي يعلى، الرواية: ٢٨٨٨. وجاء أيضاً: «حدثنا عبيد الله حدثنا عاصم بن هلال حدثنا همام عن قتادة عن أنس...» (مسند أبي يعلى، الرواية: ٣٢٠٩). وجاء عند أبي يعلى أيضاً: حدثنا زهير حدثنا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ قال: «ليصيبن أقواماً سفح من النار عقوبة بذنوب أصابوها، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته وشفاعة الشافعين، يقال لهم: الجهنميون». (مسند أبي يعلى، الرواية: ٢٩٨٠). حدثنا زهير حدثنا روح ابن عبادة حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ليصيبن ناساً سفع من النار عقوبة بذنوب عملوها، فيدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم: الجهنميون». (مسند أبي يعلى، الرواية: ٣٠٥٦)

(٩٨٤) السُّنَّة لابن أبي عاصم، الرواية: ٨٧١، ١/٥٨٤.

والبغوي[٩٨٥]، حيث رواهـا قتادة بالعنعنة عن شـيخه أنس بن مالك ﷺ. وكما هو معـروف أن قتـادة مدلـس من الطبقـة الثالثة فلا تقبل عنعنته[٩٨٦].

- وجاءت هذه الرواية المنسـوبة إلى أنس بن مالك في مسـند الإمام أحمد[٩٨٧].

فمن المعلوم أن مسند الإمام أحمد هو رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي عن عبدالله بن الإمام أحمد.

قال الذهبي في ترجمة أبي بكر القطيعي: «صدوق في نفسـه مقبول، تغير قليلاً... قال أبو عمرو بن الصلاح: اختـلّ في آخر عمره، حتى كان لا يعرف شـيئاً مما يقرأ عليه، ذكـر هذا أبو الحسـن ابن الفرات... قال ابن أبي الفوارس: لم يكن في الحديث بذاك. له في بعض مسـند أحمد أصول فيها نظر. وقال البرقاني: غرقت قطعة من كتبه، فنسخها من كتاب ذكـروا أنه لم يكـن سـماعه فيـه؛ فغمـزوه لأجـل ذلـك، وإلا فهـو ثقة...»[٩٨٨].

---

(٩٨٥) تفسـير البغوي، ٢/٣٣٨ – ٣٣٩: «أخبرنا عبدالواحد بن أحمد بـن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسـف، حدثنا محمد بن إسـماعيل، حدثنا حفص بـن عمر، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لَيُصِيبَنَّ أقواماً سَفْعٌ من النار بذنوبٍ أصابوها، عقوبةً، ثم يدخلهم الله الجنةَ بفضلِ رحمتِهِ، فيقال لهم الجَهَنَّمِيُّونَ».

(٩٨٦) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٩٢، ص١٠٢.

(٩٨٧) مسـند الإمام أحمد، الرواية: ١٢٩٢٨. «حدثنا وكيع حدثنـا يزيد بن أبي صالح وكان دباغاً وكان حسـن الهيئة، عنده أربعة أحاديث قال: سـمعت أنس بن مالك يقول: قال رسـول الله ﷺ: «يدخلُ ناسٌ الجحيمَ حَتَّى إذا كانـوا حمماً أُخرِجـوا فَأُدْخِلُوا الجَنَّةَ، فيقولُ أهْلُ الجَنَّةِ: هؤلاء الجَهَنَّمِيُّونَ»».

(٩٨٨) ميزان الاعتدال، ت: ٣٢٠، ١/٨٧ – ٨٨.

• وجاءت هذه الرواية المنسوبة إلى أنس بن مالك عند الدارمي[٩٨٩] من طريق عمرو بن أبي عمرو المختلف فيه.

قال ابن حجر: «قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ليس به بأس. وقال الدوري عن ابن معين: في حديثه ضعف ليس بالقوي. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف...»[٩٩٠].

• وجاءت هذه الرواية المنسوبة إلى أنس بن مالك عند

---

(٩٨٩) سنن الدارمي، ١/٢٧ - ٢٨. قال الدارمي: «أخبرنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ، حدثني الليثُ حدثني يزيدُ هو ابنُ عبدِاللهِ بن الهاد، عن عمروِ بن أبي عمروٍ، عن أنسِ بن مالكٍ، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنّي لأولُ الناسِ تنشقُّ الأرضُ عن جُمْجُمَتِي يومَ القيامةِ ولا فَخرَ، وأُعطَى لواءَ الحمدِ ولا فَخْرَ، وأنا سيّدُ الناسِ يومَ القيامَةِ ولا فَخْرَ، وأنا أوّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنة يَوْمَ القيامةِ ولا فَخْرَ، وآتي بابَ الجنةِ فآخذ بحلْقَتِها، فيقولونَ: مَنْ هَذَا؟ فأقولُ: أنا محمدٌ فيفتحونَ لي، فأدخلَ فأجدُ الجبارَ مستقبِلي فأسْجُدُ له، فيقولُ: ارفَعْ رأسَكَ يا محمدُ وتكلمْ يُسْمَعْ مِنكَ، وقُلْ يُقْبَلْ مِنك، واشفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفع رأسِي فأقُولُ: أُمّتي أُمّتِي يا ربّ، فيقولُ: اذهَبْ إلى أُمّتِكَ فَمَنْ وَجَدْتَ في قلبِهِ مثقالَ حبةٍ من شعيرٍ من الإيمانِ فأدخِلْهُ الجنَّةَ، فأذْهَبُ فَمَنْ وجدتُ في قلبِهِ مثقالَ ذلكَ أدخلتُهُمُ الجَنَّةَ، فأجدُ الجَبَّارَ مُسْتَقْبِلي فأسجُدُ لهُ، فيقولُ: ارفَعْ رأسَكَ يا محمدُ وتكلّمْ يُسْمَعْ منكَ، وقُلْ يُقْبَلْ مِنْكَ واشفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رأسي فأقولُ: أُمّتِي أُمّتِي يا رِبّ، فيقولُ: اذهبْ إلى أُمّتِكَ فَمَنْ وَجَدْتَ في قلبِهِ مثقالَ حبّةٍ من خرْدَلٍ من الإيمانِ فأدخلْهُ الجنةَ، فاذهَبُ فَمَنْ وَجَدْتُ في قلبِهِ مثقالَ ذلكَ أدخلْتُهُمُ الجنَّةَ، وفُرِغَ من حسابِ الناسِ وأُدخِلَ من بقيَ من أُمّتي في النارِ مع أهلِ النارِ، فيقولُ أهلُ النارِ: ما أَغْنى عنكُمْ أنّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدونَ اللهَ ولا تُشْرِكُونَ بِهِ شيئاً، فيقولُ الجبارُ: فبعزّتي لأعتقنَّهُمْ من النارِ، فيُرْسَلُ إليهِمْ فَيُخرَجُونَ من النارِ وقد امتحشوا، فيدخلونَ في نهرِ الحياةِ فَيَنْبُتونَ فيه كما تنبتُ الحبةُ في غثاءِ السيلِ، ويكتبُ بينَ أعينِهِمْ هؤلاءِ عُتَقَاءُ اللهِ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ فيدخُلُونَ الجنةَ فيقولُ لهم أهْلُ الجنةِ: هؤلاءِ الجهنّميُّونَ، فيقولُ الجبارُ: بلْ هؤلاءِ عتقاءُ الجبارِ».

(٩٩٠) تهذيب التهذيب، ت: ٥٢٨٣، ٨/٦٨.

ابـن أبـي عاصم[٩٩١]، وأبي بكر السجستاني[٩٩٢] من طريق أبي عمرو بن أنس وهو رجل لم أعثر له على معدل أو مجرح في كتب الرجال التي بين يدي.

***

رواية منسوبة إلى الصحابي عمران بن حصين:

• وجاءت هذه الرواية منســوبة إلى الصحابــي عمران بن حصين من طريق الحســن بن ذكــوان عنــد الإمــام البخــاري[٩٩٣]، وأبــي داود[٩٩٤]، والطبراني[٩٩٥]، وابن ماجه[٩٩٦]، والبغوي[٩٩٧].

هذه الرواية ضعيفة وذلك لورودها من قبل أبي سلمة الحسن بن ذكوان البصري:

(٩٩١) السُّنَّة لأبن أبي عاصم، الرواية: ٨٧٤، ١/ ٥٨٦. قال ابن أبي عاصم: «ثنا أيوب الوزان، حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن أبي عمرو، عن أنس بن مالك، قال: ســمعت رســول الله ﷺ يقول: «يدخل قوم جهنم، ويخرجون منها ويدخلون الجنة، يعرفون بأسمائهم، يقال لهم: الجهنميون»».

(٩٩٢) البعث (ابن أبــي داود)، ١/ ٥٢. قال السجســتاني: «حدثنا محمود بــن خالد قال: ثنا عبد الله يعني ابن عمرو، عن زيد يعني ابن أبي أنيسة، عن أبي عمرو بن أنس، عن أنس قال: سمعت رســول الله ﷺ يقول: «يدخل قوم جهنم، ثم يخرجون منها، فيدخلون الجنة، فيعرفون فيها بأسمائهم يقال لهم: الجهنميون»».

(٩٩٣) صحيح البخاري، الرواية: ٦٥٦٦، ص ١١٦٥، قال الإمام البخاري: «حدَّثنا مسـدَّدٌ حدثنا يحيى عنِ الحسن بن ذَكوانَ حدَّثَنا أبو رَجاء حدَّثَنا عمرانُ بن حُصين رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يَخرُجُ قومٌ منَ النار بشــفاعةِ محمدٍ ﷺ فيدخلونَ الجنة، يُســمّونَ الجهنَّميين»».

(٩٩٤) سنن أبي داود، الرواية: ٤٧٤٠، ص ٧٤٦.

(٩٩٥) المعجم الكبير، الرواية: ٢٨٧، ١٨/ ١٣٧.

(٩٩٦) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٣١٥، ص ٧٠٠.

(٩٩٧) تفسير البغوي، ٢/ ٣٣٩.

قـال ابن حجر: «قال ابن معيـن، وأبو حاتـم: ضعيـف. وقال عمرو بن علـي: كان يحيـى يحدث عنه، ومـا رأيت عبد الرّحمٰن حدث عنه قط. وقال أبو حاتـم، والنسـائي أيضاً: لـيس بـالقوي. وقال أبو أحمد بن عدي: يروي أحاديث لا يرويها غيره، وأرجو أنه لا بأس به... وقال الساجي: إنـما ضعف لـمذهبه، وفـي حديثه بعـض الـمناكير. ذكره يحيـى بن معين فقال: صاحب الأوابد منكر الـحديث وضعفه، قـال: وكان قدرياً. وقال ابن أبي الدنيا: كان يحيى يحدث عنـه، وليس عندي بالقوي. وقـال عبد الله بن أحمد عن أبيه: أحاديثه أبـاطيـل. وقال الأثرم: قلت لأبـي عبد الله: ما تقول فـي الـحسن بن ذكوان؟ فقال: أحاديثه أبـاطيـل...»[٩٩٨].

* * *

رواية منسوبة إلى حذيفة بن اليمان:

• وجاءت هـذه الرواية منسـوبة إلى الصحابي حذيفة بـن اليمان من طريق حماد بن أبي سليمان عند ابن أبي عاصم[٩٩٩]، وابن خزيمة[١٠٠٠]، وفي مسند الإمام أحمد[١٠٠١]، وعند اللالكائي[١٠٠٢].

حماد بن أبي سـليمان، مسـلم الأشـعري، مولاهم، أبو إسـماعيل الكوفي.

---

(٩٩٨) تهذيب التهذيب، ت: ١٣١١، ٢/ ٢٥٤.

(٩٩٩) السُـنّة لابن أبي عاصم، ٥٧٨/١. قال ابن أبي عاصم: «ثنا هدبة، ثنا حماد بن سلمة، عن حماد بن أبي سليمان، عن ربعي، عن حذيفة، أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعدما محشتهم النار، فيدخلون الجنة، فيسمون الجهنميون»».

(١٠٠٠) كتاب التوحيد، الرواية: ٤٠٧، ٢/ ٦٦٤.

(١٠٠١) مسند الإمام أحمد، الرواية: ٢٣٧١٢، والرواية: ٢٣٨١٧.

(١٠٠٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُنّة والجماعة، الرواية: ٢٠٨٠، المجلد ٢/ ١٥٠.

قال ابن حجر في تقريب التهذيب: «فقيه صدوق، له أوهام»(١٠٠٣).

وقال أيضاً في تهذيب التهذيب: «قال أحمد: مقارب، ما روى عنه القدماء سفيان وشعبة... وقال ابن المبارك عن شعبة: كان لا يحفظ... وقال أبو حاتم: حماد هو صدوق، لا يحتج بحديثه، وهو مستقيم في الفقه، فإذا جاء الآثار شوَّش... وقال ابن سعد: كان ضعيفاً في الحديث، واختلط في آخر أمره، وكان مرجئاً، وكان كثير الحديث، إذا قال برأيه أصاب، وإذا قال عن غير إبراهيم أخطأ. وقال الذهلي: كثير الخطأ والوهم. وقال شعبة: كنت مع زبيد فمررنا بحماد، فقال: تنحَّ عن هذا فإنه قد أحدث. وقال مالك بن أنس: كان الناس عندنا هم أهل العراق حتى وثب إنسان يقال له حماد فاعترض هذا الدين فقال فيه برأيه»(١٠٠٤).

وقال ابن حجر عند كلام له حول رواية أخرى جاءت من عدة طرق إحداها من طريق حماد بن أبي سليمان: «... لكن من حيث الترجيح رواية الأعمش ومنصور لاتفاقهما أصح من رواية عاصم وحماد لكونهما في حفظهما مقال»(١٠٠٥).

- وجاء في مسند الطيالسي(١٠٠٦) رواية منسوبة إلى حذيفة بن اليمان ﷺ من طريق أبي عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري.

(١٠٠٣) تقريب التهذيب، ت: ١٥٠٥، ١/ ٢٣٨.

(١٠٠٤) تهذيب التهذيب، ت: ١٥٧٥، ٣/ ١٤ - ١٥.

(١٠٠٥) فتح الباري، ١/ ٤٤٠.

(١٠٠٦) مسند الطيالسي، الرواية ٤١٩، ١/ ٢١٩. «حدثنا أبو داود قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: أحياناً يرفعه وأحياناً لا يرفعه قال: ليخرجن قوم من النار منتنين قد محشتهم النار فيدخلون الجنة برحمة الله وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميين».

قال ابن حجـر: «... وقال أبو طالب عن أحمـد: إذا حدث أبو عوانة من كتابه فهو أثبت وإذا حدث من غير كتابه ربما وهم... وقال أبو زرعة: ثقة إذا حدث من كتابه.

وقال أبو حاتـم: كتبه صحيحة، وإذا حدث من حفظـه غلط كثيراً، وهو صدوق ثقة... وقال ابن عبد البـر: أجمعوا على أنه ثقة ثبت حجة فيما حدث من كتابه، وقال: إذا حدث من حفظه ربما غلط»(١٠٠٧).

وليس في هذه الرواية ما يـدل ويثبت أن أبا عوانة حـدث أبا داود من كتابه.

❃ ❃ ❃

رواية منسوبة إلى عبد الله بن مسعود:

• وأما الرواية المنسـوبة إلى عبد الله بن مسـعود فقـد جاءت من قبل حماد بن سلمة وعطاء بن السائب عند أبي يعلى(١٠٠٨)،(١٠٠٩)، وابن حبان(١٠١٠)، واللالكائي(١٠١١).

(١٠٠٧) تهذيب التهذيب، ت: ٧٧٢٨، ١١/ ١٠٤ – ١٠٦.

(١٠٠٨) مسـند أبي يعلى، الرواية: ٤٩٨٢. «حدثنا أبو نصر عبد الملك بن عبد العزيز التمار، حدثنا حماد بن سـلمة عن عطاء بن السـائب عن عمرو بن ميمون أن ابن مسـعود حدثهم: أن رسـول الله ﷺ قـال: «يكون في النار قوم ما شـاء الله، ثـم يرحمهم الله فيخرجهم فيكونون في أدنى الجنة، فيغتسـلون في نهر الحياة ويسـميهم أهل الجنة الجهنميين، لو أضاف أحدهم أهل الدنيا لأطعمهم وسـقاهم ولحفهم وفرشـهم. قال وأحسبه قال: وزوجهم لا ينقص ذلك مما عنده شيئاً»».

(١٠٠٩) مسند أبي يعلى، الرواية: ٥٣٤١.

(١٠١٠) صحيح ابن حبان، الرواية: ٧٤٢٨، ١٦/ ٤٤٨ – ٤٤٩.

(١٠١١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، الرواية: ٢٠٧٠، المجلد ٢/ ١٤٧.

فحماد بن سلمة قد اختلط وتغير حفظه، وقد ذكرتُ أقوال علماء الجرح والتعديل في حماد بن سلمة في (الميزان القسط)[١٠١٢].

وأما عطاء بن السائب بن مالك الثقفي أبو السائب:

فقد قال ابن حجر: «... قال أبو طالب عن أحمد: من سمع منه قديماً فسماعه صحيح، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء، سمع منه قديماً سفيان وشعبة... وقال أبو حاتم: كان محله الصدق قبل أن يختلط صالح مستقيم الحديث ثم بآخره تغير حفظه، في حفظه تخاليط كثيرة»[١٠١٣].

وبهذا يتبيَّن ضعف هذه الرواية المنسوبة إلى الصحابي عبدالله بن مسعود ﷺ.

* * *

روایة منسوبة إلى المغيرة بن شعبة:

• وأما الرواية المنسوبة إلى المغيرة بن شعبة فقد أخرجها الطبراني[١٠١٤]، وابن خزيمة[١٠١٥]. وهي رواية ضعيفة لورودها من طريق أبي شيبة عبدالرّحمٰن بن إسحاق بن سعد بن الحارث الواسطي الكوفي.

فقد قال ابن حجر: «قال أبو داود: سمعت أحمد يضعفه. وقال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء، منكر الحديث. وقال الدوري عن ابن معين: ضعيف،

(١٠١٢) انظر: (الميزان القسط)، ص ١٢٢ - ١٣٦.

(١٠١٣) تهذيب التهذيب، ت: ٤٧٥٤، ٧/ ١٧٧ - ١٧٩.

(١٠١٤) المعجم الكبير، الرواية: ١٠٢٧، ٢٠/ ٤٢٥. «حدثنا بشر بن موسى ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة قالا: ثنا فروة بن أبي المغراء ثنا القاسم بن مالك المزني عن عبدالرّحمٰن بن إسحاق عن النعمان بن سعد قال: سمعت المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: **يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميون في الجنة فيدعون الله أن يحوّل عنهم ذلك الاسم فيمحو الله عنهم**».

(١٠١٥) كتاب التوحيد، الرواية: ٤٣٨، ٢/ ٦٩١ - ٦٧٠.

ليس بشيء. وقال ابن سعد، ويعقوب بن سفيان، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان: ضعيف. وقال النسائي: ليس بذاك. وقال البخاري: فيه نظر. وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن خزيمة: لا يحتج بحديثه... وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ليس بذاك، وهو الذي يحدث عن النعمان بن سعد أحاديث مناكير»(١٠١٦).

❊ ❊ ❊

رواية منسوبة إلى الصحابي عبدالله بن عمرو:

• وأما الرواية المنسوبة إلى عبدالله بن عمرو فقد أخرجها ابن خزيمة(١٠١٧)، وهي رواية ضعيفة لورودها من طريق خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي.

قال ابن حجر: «قال الأثرم عن أحمد: لا يكتب حديثه. وقال عبدالله بن أحمد: نهاني أبي أن أكتب عنه شيئاً من الحديث. وقال الدوري، ومعاوية عن ابن نمير: ليس بثقة. وقالا عنه مرة: ليس بشيء. وقال عباس عنه: كذاب. وقال معاوية عنه: ضعيف. وقال عثمان الدارمي وغيره عن ابن معين: ليس بشيء... وقال البخاري: تركه ابن المبارك ووكيع... وقال النسائي: متروك الأحاديث. وقال مرة: ليس بثقة. وقال مرة: ضعيف... وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، ليس بقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به، لم يكن محله محل الكذب»(١٠١٨).

(١٠١٦) تهذيب التهذيب، ت: ٣٩٣٤، ٦/ ١٢٤ - ١٢٥.

(١٠١٧) كتاب التوحيد، الرواية: ٤١٠، ٢/ ٦٦٧. «حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا خارجة بن مصعب، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج ناس من النار فيسمون الجهنميون» قال: قلت لعبدالله بن عمرو: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم».

(١٠١٨) تهذيب التهذيب، ت: ١٦٨٩، ٣/ ٧٠ - ٧١.

رواية منسوبة إلى الصحابي جابر بن عبدالله:

- وأما الرواية المنسوبة إلى جابر بن عبدالله فقد أخرجها ابن حبان[١٠١٩]، وهي رواية ضعيفة لورودها من قِبَل عنعنة أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم.

قال ابن حجر: «... قال عبدالله بن أحمد: قال أبي: كان أيوب يقول: حدثنا أبو الزبير، وأبو الزبير أبو الزبير قلت لأبي: يضعفه؟ قال: نعم. وقال نعيم بن حماد: سمعت ابن عيينة يقول: حدثنا أبو الزبير وهو أبو الزبير أي: كأنه يضعفه. وقال هشام بن عمار عن سويد بن عبدالعزيز قال لي شعبة: تأخذ عن أبي الزبير وهو لا يحسن أن يصلي؟ وقال نعيم بن حماد: سمعت هشيماً يقول: سمعت من أبي الزبير فأخذ شعبة كتابي فمزقه... وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء قلت لشعبة: ما لك تركت حديث أبي الزبير؟ قال: رأيته يزن ويسترجح في الميزان وقال يونس بن عبدالأعلى: سمعت الشافعي يقول: أبو الزبير يحتاج إلى دعامة... وقال يعقوب بن شيبة ثقة صدوق وإلى الضعف ما هو وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن أبي الزبير فقال: يكتب حديثه ولا يحتج به وهو أحب إلي من سفيان...

(١٠١٩) صحيح ابن حبان، الرواية: ١٨٣، ١/٤٠٩ – ٤١٠. قال ابن حبان: «أخبرنا الحسنُ بنُ سفيان، قال: حدثنا يحيى بنُ أبي رَجاء بنِ أبي عبيدة الحَرّاني، قال: حدثنا زُهيرُ بنُ مُعاوية، عن أبي الزُّبَيْر عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إذا مُيِّزَ أَهْلُ الْجَنَّة وَأَهْلُ النَّارِ، يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّار، قامتِ الرُّسُلُ فَشَفَعوا، فيقَالُ: اذْهَبُوا فَمَنْ عَرَفْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ قِيرَاطٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ بَشَراً كَثيراً، ثم يقالُ: اذْهَبُوا فَمَنْ عَرَفْتُمْ في قَلْبِهِ مثقَال خَرْدَلَةٍ مِنْ إيمَانٍ، فأخرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ بَشراً كَثِيراً، ثم يقولُ جلَّ وعلا: أنا الآنَ أُخرِجُ بِنَعْمَتِي وبرحمتي. فَيُخْرِجُ أَضْعَافَ مَا أَخْرَجُوا وَأَضعَافَهُمْ قد امْتَحَشُوا، وصاروا فَحْماً، فَيُلْقَوْنَ في نَهرٍ، أو في نهرٍ مِنْ أَنهارِ الجنةِ، فتسقطُ مُحاشُهُمْ على حافَةِ ذلك النَّهرِ، فيعودونَ بيضاً مِثْلَ الثَّعارير، فَيُكْتَبُ في رقابهم: عُتَقاءُ اللهِ، وَيُسَمَّوْنَ فيها الجَهَنَّمِيِّين».

قال شعبة: لم يكن في الدنيا أحب إليّ من رجل يقدم فأسأله عن أبي الزبير، فقدمت مكة فسمعت منه فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافترى عليه فقال له: يا أبا الزبير تفتري على رجل مسلم، قال: إنه أغضبني قلت: ومن يغضبك تفتري عليه؟ لا رويت عنك شيئاً...»[١٠٢٠].

وقال الذهبي: «وأما أبو محمد بن حزم فإنه يرد من حديثه ما يقول فيه: «... جابر ونحوه، لأنه عندهم ممن يدلس؛ فإذا قال: سمعت، وأخبرنا احتج به. ويحتج به ابن حزم إذا قال: «عن» مما رواه عنه الليث بن سعد خاصة...»[١٠٢١].

وقال الذهبي أيضاً: «وفي صحيح مسلم عدة أحاديث مما لم يوضح فيها أبو الزبير السماع عن جابر، وهي عن غير طريق الليث عنه، ففي القلب منها شيء»[١٠٢٢].

وأنت ترى أيها القارئ الكريم أن أبا الزبير لم يصرح في هذه الرواية بالسماع من جابر بل عنعن فيها عنه وهذا يكفي لإسقاط الاحتجاج بها.

❃ ❃ ❃

رواية منسوبة إلى الصحابي أبي سعيد الخدري:

- وأما الرواية المنسوبة إلى أبي سعيد الخدري فقد أوردها

(١٠٢٠) تهذيب التهذيب، ت: ٦٥٨٠، ٩/ ٣٨١ – ٣٨٢.

(١٠٢١) ميزان الاعتدال ت: ٨١٦٩، ٤/ ٣٧.

(١٠٢٢) ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٩.

ابن خزيمة[١٠٢٣] من طريق سالم بن نوح بن أبي عطاء البصري، ومن طريق سعيد بن إياس الجريري.

فسَالِمُ بنُ نُوح بن أَبي عَطَاء البَصْرِي الجَزَرِي أبو سَعِيدِ العَطّار، قد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل.

قال ابن حجر: «قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ما بحديثه بأس. وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة: لا بأس به، صدوق، ثقة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به... وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن عدي: عنده غرائب وأفراد، وأحاديثه محتملة متقاربة... وقال الدارقطني: ليس بالقوي»[١٠٢٤].

وأما سعيد بن إياس الجريري فقد اختلط في آخر عمره، فقد قال ابن حجر: «قال الدوري عن ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: تغيّر حفظه قبل موته، فمن كتب عنه قديماً فهو صالح وهو حسن الحديث... وقال ابن معين عن ابن عدي: لا نكذب والله سمعنا من الجريري وهو مختلط... وقال ابن معين: قال يحيى بن سعيد لعيسى بن يونس: أسمعت من الجريري؟ قال: نعم، قال: لا ترو عنه ـ يعني: لأنه سمع منه بعد اختلاطه ـ وقال الدوري عن ابن معين: سمع يحيى بن سعيد من الجريري وكان

(١٠٢٣) كتاب التوحيد، الرواية: ٤٣٦، ٢/ ٦٨٩. قال ابن خزيمة: «حدثنا أبو موسى، ومحمد بن بشار، قالا: ثنا سالم بن نوح، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهل النار، لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين يريد الله إخراجهم منها، فتميتهم النار إماتة، حتى يكونوا فحماً، ثم يخرجون ضبائر، فيلقون على أنهار الجنة، ويرش عليهم من مائها، فينبتون كما تنبت الحبة، في حميل السيل قال بندار: يعني الحبة، وقال أبو موسى: فيدخلون الجنة وقالا جميعاً: فيسميهم أهل الجنة الجهنميين فيدعون الله، فيذهب ذلك الاسم عنهم».

(١٠٢٤) تهذيب التهذيب، ت: ٢٢٧٨، ٣/ ٣٨٥ – ٣٨٦.

لا يروِ عنه. قال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله، إلا أنه اختلط في آخر عمره»[١٠٢٥].

وقد بيَّن ابن الصلاح حكم روايات المخلطين حيث قال: «والحكم فيهم أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يقبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده»[١٠٢٦].

وليس هناك من دليل يثبت أن سالم بن نوح أخذ هذه الرواية من الجريري قبل الاختلاط، لهذا فعلينا عدم قبول هذه الرواية حسب القاعدة التي ذكرها ابن الصلاح.

ومما سبق ذكره حول طرق هذه الرواية يتبيَّن لنا عدم صحة أي سند منها وهذا كفيل بردها وتجنب ما تحمله من معاني.

* * *

وأما متن هذه الرواية فقد أتى بمعان جرت الشراح لقول عبارات ردها القرآن الكريم عند ذكره لنعيم سكان الجنات الخالد.

فقد جاء عند القرطبي ما يشعر أن سبب طلب محو ذلك الاسم عنهم، وهم في جنات عدن، هو شعورهم بالحياء والعار والتنغيص من تعلق كلمة (جهنميون) على جباههم، حيث قال القرطبي: «... قيل: إنما سألوا ذلك بخلاف المتحابين في الله تعالى لأنهم أنفوا أن ينسبوا إلى جهنم التي هي دار الأعداء واستحيوا من إخوانهم لأجل ذلك، فلما منّ عليهم بدخول الجنة أرادوا كمال الامتنان بزوال هذه النسبة عنهم.

(١٠٢٥) تهذيب التهذيب، ت: ٢٣٦٦، ٤/ ٥ – ٦.

(١٠٢٦) التقييد والإيضاح، ص٤٤٢.

وقـد روي مرفوعاً: «إنهـم إذا دخلـوا الجنة قـال أهل الجنـة: هؤلاء الجهنميون، فعند ذلك يقولون: إلٰهنا لو تركتنا فـي النار كان أحب إلينا من العار، فيرسـل الله ريحـاً من تحت العرش يقـال لها: المثيـرة، فتهب على وجوههم فتمحـي الكتابة وتزيدهم بهجة وجمالاً وحسـناً»... فإن قيل: ففي هذا ما يدل على أن بعض مـن يدخل الجنة قد يلحقـه تنغيص ما، والجنة لا تنغيص فيها ولا نكـد. قيل له: هذه الأحاديث تـدل على ذلك وأن ذلك يلحقهم عند دخول الجنة ثم يزول ذلك الاسم عنهم، وقد مثل بعض علمائنا هذا الذي أصاب هؤلاء بالبحر تقع فيه النجاسـات أنـه لا حكم لها كذلك ما أصاب هؤلاء بالنسبة إلى أهل الجنة، وهو تشبيه حسن»(١٠٢٧).

وعند شـرحه لهذه الرواية نقل علي القاري عن الطيبي ما نصه: «ليست التسـمية بها تنقيصاً لهم بل اسـتذكاراً ليزدادوا فرحاً إلى فرح وابتهاجاً إلى ابتهاج وليكون ذلك علماً لكونهم عتقاء الله تعالى»(١٠٢٨).

وهذا التعليل الذي نقله علي القاري لم يرتضه ابن حجر، حيث قال في الفتح: «وزعم بعض الشراح أن هذه التسمية ليست تنقيصاً لهم بل للاستذكار لنعمة الله ليزدادوا بذلك شكراً، كذا قال، وسؤالهم إذهاب ذلك الاسم عنهم يخدش في ذلك»(١٠٢٩).

فهناك مندوحة واسعة لهؤلاء العلماء عن هذا التكلف الذي سطّروه عند شرحهم لهذه الرواية التي لم تثبت أبداً. وهذه التعليلات ما كان لها أن تسطر في صفحات العلماء لو أن المنهج الصائب طبق عند تقييم هذه الرواية التي لا أصل لها.

(١٠٢٧) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ٢/ ٣٧٠ – ٣٧١.

(١٠٢٨) مرقاة المفاتيح، ١٠/ ٢٥٩.

(١٠٢٩) فتح الباري، ١٣/ ٢٥٣.

العنصر السابع: الرواية التي جاء فيها: (وَلكِنْ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ (أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً):

قال الإمام مسلم(١٠٣٠): «وحدّثني نَصْرُ بْنُ عَلِيَ الْجهْضَمِيُّ. حَدَّثَنَا بِشْرٌ يَعْنِي: ابْنَ الْمُفضَّلِ عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ. وَلكِنْ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ (أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً. حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحماً. أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ. فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ. فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيل السَّيْلِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

وأخرج هذه الرواية ابن ماجه(١٠٣١)، والدارمي(١٠٣٢)، والإمام أحمد(١٠٣٣)، وابن حبان(١٠٣٤)، وأبو يعلى(١٠٣٥)، وعبد بن حميد(١٠٣٦).

فمن علل هذه الرواية ورودها من قِبل أبي نضرة الذي اختلف فيه أئمة الحديث؛ بين موثق له وبين من لم يحتج برواياته.

فأبو نضرة هو: المنذر بن مالك بن قطعة العبدي ثم العوفي البصري.

(١٠٣٠) صحيح مسلم، الرواية: ١٨٥، ص ١٣٣.

(١٠٣١) سنن ابن ماجه، الرواية: ٤٣٠٩، ص ٦٩٩.

(١٠٣٢) سنن الدارمي، ٢/ ٣٣١ – ٣٣٢.

(١٠٣٣) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١١٠٩٣.

(١٠٣٤) صحيح ابن حبان، الرواية: ١٨٤، ١/ ٤١١ – ٣١٢. والرواية: ٧٤٨٥، ١٦/ ٥٣٠.

(١٠٣٥) مسند أبي يعلى، الرواية: ١٠٩٦، والرواية: ١٣٦٩.

(١٠٣٦) مسند عبد بن حميد، الرواية: ٨٦٨، ص ٢٧٥. والرواية: ٨٦٥، ص ٢٧٤.

فقد قال ابن حجر: «قال صالح بن أحمد عن أبيه: ما علمت إلا خيراً وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة وكذا قال أبو زرعة والنسائي، وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبي نضرة وعطية فقال: أبو نضرة أحب إلي وقال: ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وليس كل أحد يحتج به... وذكره ابن حبان في الثقات. وقال: كان من فصحاء الناس فلج في آخر عمره... وكان ممن يخطئ... ولهذا لم يحتج به البخاري...»(١٠٣٧).

❊ ❊ ❊

ونحن إذا نظرنا نظرة منهجية في متن هذه الرواية لوجدناها مخالفة لما جاء به القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الطاهرة.

١ ـ جاء في هذه الرواية ما نصه: «فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً»:

قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «ولكن ناس أصابتهم النار» إلى آخره فمعناه: أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً»(١٠٣٨).

(١٠٣٧) تهذيب التهذيب، ت: ٧٢٠٨، ١٠/ ٢٧٠. وانظر كذلك: (الثقات لابن حبان، ت: ٥٥٣٣، ٥/ ٤٢٠) قال عنه ابن حبان: «وكان ممن يخطئ» و(الكاشف، ٣/ ١٥٤) قال عنه الذهبي: «فصيح بليغ مفوه ثقة يخطئ».

(١٠٣٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٣/ ٣٨. ومن تتمة أقوال النووي: «وحكى القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه وجهين: أحدهما: أنها إماتة حقيقية. والثاني: ليس بموت حقيقي، ولكن تغيب عنهم إحساسهم بالآلام، قال: ويجوز أن تكون آلامهم أخف، فهذا كلام القاضي والمختار ما قدمناه والله أعلم».

وقال القرطبي: «فقوله «فأماتهم الله» حقيقة في الموت؛ لأنه أكّده بالمصدر، وذلك تكريماً[١٠٣٩] لهم. وقيل: يجوز أنْ يكون «أماتهم» عبارة عن تغييبهم عن آلامها بالنوم، ولا يكون ذلك موتاً على الحقيقة؛ والأوّل أصح»[١٠٤٠].

فهذه الرواية تذكر أن الذين يموتون في النار بعد عذابهم فيها يكون مآلهم الأخير في الجنة، وبهذا يكونون قد مروا بإماتتين منذ خرجوا من الحياة الدنيا، ويكونون قد ذاقوا من عذاب النار.

وهذا القول يعارضه القرآن الكريم، فقد قال الله سبحانه في تعداد فضله على عباده في الجنة: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

هذه الآيات تذكر لنا حقيقتين:

الأولى: ـ سكان الجنة قد وقاهم الله تعالى من عذاب السموم وعذاب الجحيم، وسلم وجوههم من القتر والذلة.

الثانية: ـ حظ أهل الجنة من الموت مرة واحدة؛ يوم خرجوا من الدنيا إلى الآخرة.

قال الشيخ الخليلي حفظه الله تعالى: «... أنه أخبر عنهم أنهم لا يصيبهم قتر ولا ذلة، ولا يعقل أن يَصْلى أحد النار ولو لمدة ثوانٍ فلا يرهقه فيها قتر ولا ذلة»[١٠٤١].

(١٠٣٩) إنها الفاجعة حيمنا تصير النار ـ والعياذ بالله ـ داراً للكرامة!!!.

(١٠٤٠) تفسير القرطبي، ١/١٧٣، من تفسير الآية ٢٨ من سورة البقرة.

(١٠٤١) الحق الدامغ، ص ٢٢٠.

وقال الإمــام ابن كثير: «أي: وقــد نجاهم من عذاب النــار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١٠٤٢].

وقــال ابن كثير أيضاً في موضع آخر من تفســيره: «أي: مــع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المرهوب»[١٠٤٣].

فسكان الجنة قد سلمهم الله تعالى من الموت إلا الموتة الأولى، ووقاهم ربهم عذاب النار، وهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره لأنه جاء في كتاب الله العزيز.

وبهذا ينبغي لنا عــدم الأخذ برواية أبي نضرة ـ الذي لم يحتج به الإمام البخاري ـ وذلك لمصادمتها للقرآن الكريم.

حكم الروايات التي تخالف القرآن الكريم:

ومناهج الأمة الإســلامية تصر على رد الروايات والأقوال التي تخالف القرآن الكريم، وقد صرح بهذه الحقيقة علماء الأمة.

• قال الإمام نور الدين السالمي: «قوله: (وما خالفه فليس عني) وكيف يخالف كتاب الله وبه هــداه ربه؟ وهذا قانون يعرف بــه مقبول الأخبار من مردودها فمن تمسَّــك بظاهر كتاب الله عند اختلاف الأمة في حكم أو خبر فقد تمسَّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وأخذ بوصية رسول الله ﷺ في هذا الحديث.

(١٠٤٢) تفسير ابن كثير، ٦/ ٤٣١، من تفسير الآية ١٨ من سورة الطور.

(١٠٤٣) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٦٢، من تفسير الآية ٥٦ من سورة الدخان.

وقد تقدم أن الحديث في ما اختلفت فيه الأمة وأن ما اتفقت عليه لا يحتاج إلى العرض، فالمعروض ما جاءنا عنه من الأخبار المختلف في ثبوتها وأن رسول الله ﷺ قد حكم بأن ما خالف كتاب الله فليس عنه وذلك لأنه توفي عليه الصلاة والسلام والدين كامل والنعمة بالإسلام تامة وقد علم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص واستقرت الشريعة واستبان الحق، فما جاءنا بعد ذلك عرضناه على المعلوم المستقر في زمانه من كتاب الله وسُنَّته فإن وافق قبلناه»[١٠٤٤].

• وجاء في جوابات الإمام نور الدين السالمي: «السؤال: الشرط في التزويج هل يبطل إذا عارض الكتاب والسُّنَّة والإجماع فإن لم يعارض ثبت أو لا؟.

الجواب: نعم كل شرط خالف الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع فهو باطل لقوله عليه الصلاة والسلام: «كل شيء لم يكن عليه أمرنا فهو رَدٌّ» أي: مردود وما أحقه بذلك فما بعد الحق إلَّا الضلال.وأما إذا لم يخالف الكتاب ولا السُّنَّة ولا إجماع الأمة فهو ثابت لأن المسلمين على شروطهم ومن ألزم نفسه شيئاً جائزاً لزمه. والله أعلم»[١٠٤٥].

• وقال سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى: «**... لو جئنا إلى علم الحديث مثلاً؛ نرى أن مما يقوله المحدثون جميعاً بأن الحديث لا يرقى إلى درجة الصحة، حتى يكون غير متصادم مع القرآن الكريم والمتواتر من السُّنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام،** ولكن هل طبق ذلك تطبيقاً دقيقاً؟ بحيث أخذ بالحديث الذي يتفق مع مدلول القرآن، وترك الأخذ بالحديث الآحادي الذي يتعارض معه؟ لا، بل

(١٠٤٤) شرح الجامع الصحيح (مسند الإمام الربيع)، ١/ ٦٧.

(١٠٤٥) جوابات الإمام السالمي، ٢/ ٤١٧.

نجد تناقضاً عجيباً عند علماء الحديث؛ بين ما يؤصلونه وما يسيرون عليه، من أمثلة ذلك أن الألباني يقول في الحديث الذي أخرجه الإمام الربيع بن حبيب رَحِمَهُ اللهُ من رواية ابن عباس رضي الله عنهما: (إنكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فعني، وما خالفه فليس عني) بأن هذا الحديث حديث باطل لا يصح، وهو من وضع الزنادقة والخوارج و.. إلى آخره، ثم يقول: لو جئنا وحكّمنا هذا الحديث نفسه وعرضناه على القرآن لوجدناه حديثاً باطلاً لأن القرآن يأمرنا بطاعة النبي ﷺ، ولما كان يأمرنا بطاعة النبي ﷺ فعلينا أن نأخذ بهذا الأمر ونرفض هذا الحديث الذي تبيَّن لنا بهذا المقياس أنه حديث باطل.. إلخ.

ـ أولاً: لننظر؛ هل الحديث يقول بأنه يُرفض شيء ثابت عن النبي ﷺ، أو أنه يقول بأن معرفة التمييز بين الصحيح وغيره من جملة طرقه أن نرجع إلى القرآن لننظر في موافقة الرواية للقرآن وعدم موافقتها؟.

ـ ثانياً: لننظر في مسلك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فمع قرب عهدهم بالرسول صلوات الله وسلامه عليه كانوا يحرصون كل الحرص على أن يأخذوا بالرواية التي لا تتعارض مع القرآن، وعندما تأتيهم رواية يشتمّون منها أي معارضة له لا يقبلون ذلك»[١٠٤٦].

• وقال الشيخ الدكتور القرضاوي: «أن السُّنَّة مبيِّنة للقرآن، فلا يجوز رد السُّنَّة اكتفاء بالقرآن، كما لا يجوز قبول السُّنَّة المناقضة للقرآن، لأن البيان لا يناقض المبيّن، إنما يوضحه ويبيِّن المراد منه، بتخصيص عامه أو تقييد مطلقه أو تفسير مبهمه، أو تفصيل مجمله»[١٠٤٧].

(١٠٤٦) إعادة صياغة الأمة (الحلقة الأولى)، ص٢١ ـ ٢٢.

(١٠٤٧) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل، للقرضاوي، ص١٧.

• وقال الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: «مما لا شك فيه أن أصل التشريع الإسلامي الأول هو القرآن الكريم كلام رب العالمين، فإذا تعارض الحديث المروي مع نص صريح في القرآن، أو تصادم مع أصل مقرر فيه أو قاعدة عامة أو كلية مستنبطة من مجموع الآيات القرآنية، فلا شك في أنه يؤخذ بالقرآن ويترك الحديث المروي، وهذا ما قرره علماء الحديث وغيرهم من زمان بعيد»(١٠٤٨).

• وقال الأستاذ الدكتور الزحيلي أيضاً: «وأما ضوابط أو قواعد نقد الحديث من جهة المتن، فهي كثيرة أهمها ما يأتي، وهي ضوابط لأي قراءة قديمة أو معاصرة مقبولة عند أهل العلم:... ٧ ـ ألا يخالف المعقول في أصول العقيدة من صفات الله ورسوله.... ١٠ ـ ألا يخالف القرآن أو محكم السُّنَّة أو المجمع عليه أو المعلوم من الدين بالضرورة (البداهة) بحيث لا يحتمل التأويل...»(١٠٤٩).

• وقال الدكتور عصام أحمد البشير: «فقد عني الصحابة بألفاظ الروايات ومتون الأحاديث بعرضها على ما تقرر عندهم من الأصول الشرعية، والقواعد الثابتة، والقواطع المعلومة من دلائل الكتاب والسُّنَّة... فلم يكونوا يقبلون حديثاً يخالف كتاب الله، أو مناقضاً لما اشتهر من سُنَّة رسول الله ﷺ، أو معلوماً من الدين بالضرورة... لما كان كتاب الله تعالى هو

(١٠٤٨) قراءة وضوابط في فهم الحديث النبوي، ص١٣.

(١٠٤٩) قراءة وضوابط في فهم الحديث النبوي، ص٢٢ - ٢٣. ومما قاله الدكتور الزحيلي أيضاً: «بل إن علماءنا نقدوا المتن على الرغم من سلامته من العلل السابقة كلها، من نواح أخرى كالاضطراب والشذوذ والإعلال والقَلْب والغلط والإدراج ونحو ذلك». (قراءة وضوابط في فهم الحديث النبوي، ص٢٤)، وقال أيضاً: «والخلاصة: أن السُّنَّة النبوية الشريفة لا تتعارض مع الأصول العامة والقواعد الأساسية المقررة في القرآن، بل هي دائرة في محيطه، ومتفقة مع عموماته وإطلاقاته» (قراءة وضوابط في فهم الحديث النبوي، ص١٥).

الأصل الأول في التشريع، والمنزع عند الاختلاف. وهو المحفوظ جميعاً والمنقول إلينا تواتراً، كان هو المقياس الأول، فلا يقبل ما خالفه من الأحاديث أو بيانه من الروايات، بل يحكم على رواته بالوهم والغلط وذلك لأنه لا يتصور إمكان وقوع حديث صحيح صريح مناقض لما دلَّ عليه القرآن بوجه لا يمكن الجمع...»(١٠٥٠).

• وقال الدكتور محمد حسين الذهبي: «إن القاعدة المتفق عليها بين المحدثين أن كل متن يناقض المعقول، أو يخالف الأصول، أو يعارض الثابت من المنقول، فهو موضوع على الرسول»(١٠٥١).

• وقال علي حسن مطر الهاشمي: «بعد ثبوت مشروعية قاعدة العرض يجب تحكيمها في جميع الروايات الواردة في المصنفات الحديثية

(١٠٥٠) أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٥٠ - ٥١.
ومما قاله الدكتور عصام أحمد البشير أيضاً: «وإليك بعض القواعد العلمية التي وضعها المحدثون لكشف الموضوع في متون الأحاديث.
مخالفة الحديث لدلالة الكتاب القطعية أو السُّنَّة الصحيحة الصريحة مناقضة بيِّنة.
مخالفة الحديث للإجماع القطعي.
مخالفة الحديث لصريح العقل.... (أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٨٠).
ومما قاله الأستاذ عصام البشير: «ونسوق في هذه الصفحات أهم القواعد التي احتكم إليها المحدثون في نقد الأحاديث وردها.
مناقضة القرآن الكريم: فإذا كان متن الحديث مخالفاً للقرآن الكريم بوجه يتعذر معه الجمع أو النسخ حكم عليه بالوضع...» (أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص ٩٣).
وهذا القول الذي ذكره الدكتور عصام البشير فيه شرح لما قاله العلامة ابن القيم: «وكذلك نقد أهل الحديث فإنه يمر إسناد ظاهر كالشمس على متن مكذوب فيخرجه ناقدهم، كما يخرج الصيرفي الزغل من تحت الظاهر من الفضة». (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ٦٠٩).

(١٠٥١) التفسير والمفسرون، ٢/ ٣٣.

للمسلمين، بما في ذلك روايات الكتب الموسومة بالصحاح؛ لأن صحة سند الرواية لا تعني أن مضمونها معلوم الصدور، بل معناها: أن رواتها ثقات، ولما كان الثقة قد يخطئ، فإن صدور روايته يبقى في دائرة الظن، فلا بد لحسم الموقف من العرض على محكم الكتاب والسُّنَّة»[(١٠٥٢)].

• وقال علي حسن مطر الهاشمي أيضاً: «فالحق: أن الشارع المقدس يريد بروايات العرض: تأسيس قاعدة شرعية تتمثل بـ(عرض الأحاديث المظنون صدورها عن المعصومين عليهم السلام على ما هو معلوم الصدور)، ومعلوم الصدور هو: آيات الكتاب، والسُّنَّة المجمع عليها، فإن كانت تلك الأحاديث مخالفة لمعلوم الصدور، دل ذلك على عدم صدورها: إما لأنها موضوعة على المعصومين عليهم السلام، وإما لخطأ واشتباه الرواة الناقلين لها»[(١٠٥٣)].

* * *

٢ ـ أنواع عقوبات أهل الكبائر:

ورواية أبي نضرة هذه تذكر أن التفحم بعد الحرق في النار ينتظر عصاة المسلمين، ولكن هناك روايات ذكرت أنواعاً أخرى من العذاب حسب أنواع الذنوب التي اقترفها أصحابها، وبينت تلك الروايات دوام العذاب[(١٠٥٤)].

(١٠٥٢) منهج نقد المتن في تصحيح الروايات وتضعيفها، ص٩.
ومما قاله علي حسن الهاشمي: «وأما منهج نقد المتن، فإنه يقوم على أساس عرض متن الرواية على محكم الكتاب والسُّنَّة، وعلى ما هو متيقن من المعلومات كالبديهيات العقلية والحقائق التاريخية والقوانين العلمية، ونتيجة ذلك هي: العلم بصدور الموافق من الروايات لمحكم الكتاب والسُّنَّة، والعلم بعدم صدور ما ينافيهما، أو ينافي ما هو متيقن من المعلومات». (منهج نقد المتن في تصحيح الروايات وتضعيفها، ص١٧).

(١٠٥٣) منهج نقد المتن في تصحيح الروايات وتضعيفها، ص١٠٧.

(١٠٥٤) انظر ما قاله علماء اللغة في المعنى اللغوي لكلمة (خلد) في ص٤٧٧ من هذا البحث.

• قال الإمام البخاري: «حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ ذَكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»».

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري[١٠٥٥]، والإمام مسلم[١٠٥٦]، والنسائي[١٠٥٧]، والإمام أحمد[١٠٥٨].

فالرسول ﷺ ذكر هنا في هذه الرواية حكم الله في أهل الكبائر ولم يؤملهم بشفاعة أو يبشرهم بمغفرة ولا بخروج من النار.

فمن رسالة الرسول ﷺ تحذير البشر من كل ما يبلغهم إلى النار، وقد بلغ الرسول ﷺ بهذا الحديث حكم الله في من قتل نفسه؛ فلا شفاعة بل خلود مؤبد في بطن جهنم والعياذ بالله.

وهذه الرواية لم تذكر الموت بعد التفحم في النار، والعياذ بالله، بل ذكرت عذاباً خالداً لا ينقطع.

(١٠٥٥) صحيح البخاري، الرواية: ٥٧٧٨، ص ١٠٥٠.

(١٠٥٦) صحيح مسلم، الرواية: ١٠٩، ص٩٩.

(١٠٥٧) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ٢٠٩٢، ١/ ٦٣٨. والرواية: ٤٧١١، ٣/ ١٢٣. والرواية: ٤٧١٢، ٣/ ١٢٤.

(١٠٥٨) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٠١٩٨.

• وجاء في حديث[١٠٥٩] سـمرة بن جندب ﷺ، عن الرسول ﷺ بعض مـن أنواع العذاب في حـق العصاة وليس مـن تلك الأنواع الحـرق بالنار المؤدي إلى التفحم، فقد جاء في تلك الرواية: «... قَـالَ: قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَـنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّـلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَـرُ شِـدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَـاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِـي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْـبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا...».

هذه صور أخرى من العذاب تنتظر أصحاب الكبائر من الكذابين والزناة وأكلة الربا، والعياذ بالله.

* * *

والذين شـرحوا رواية أبي نضرة هذه ظهرت فـي كتاباتهم عبارات تدل على عدم يقينهم بما جاء فيها، فقد عرضوا أقوالهم بعبارات التمريض الدالة على عدم القطع بما سطروه من كلمات.

قال الإمـام القرطبي: «وقد تختلـف أيضاً أحوالهم في طـول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم. وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف مـن آلام الكفار، لأن آلام المعذبين وهم

(١٠٥٩) صحيح البخاري، الروايـة: ٧٠٤٧، ص١٢٤٧ - ١٢٤٨. قال الإمـام البخاري: «حَدَّثَنِي مُؤَمَّلُ بْنُ هِشَـامٍ أَبُو هِشَـامٍ حَدَّثَنَا إِسْـمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَوْفٌ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ حَدَّثَنَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا». قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ...».

موتى أخف من عذابهم وهـم أحياء.... وقد يكون ما جـاء في الخطباء هو عذابهم في القبور، في أعضاء مخصوصة كغيرهم، كما جاء في حديث سمرة الطويل على ما تقدم. إلّا أن قوله في حديث أسامة بن زيد «يوم القيامة» يدل على غير ذلـك. وقد يحتمل أن يجمـع لهم الأمران لعظـم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم، ونعوذ بالله من ذلك»[١٠٦٠].

وقد جاء ذكر هذه الاحتمالات أيضاً ـ عند الحديث عن هذه الرواية وما جاء في معناها ـ عند الحافظ ابن حجر[١٠٦١] والألوسي[١٠٦٢].

وذكر هذه الاحتمالات في هذا الموضع دليل على عدم قطع الشراح بما في هذه الرواية من معانٍ، وهذا سـبب آخر يدفعنا إلى ترك هذه الرواية وما تحويه هذه من أفكار خاطئة.

* * *

ففي هذا القسم الذي عرضنا فيه روايات وأقوال المفسرين لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، تبيّن لنا الآتي: ـ

ـ تفسير الورود بدخول جهنم ثم الخروج منها، أو بالمرور على الصراط فوق جهنم لم يأت من طرق تصلح للاحتجاج بها في عقيدة الإسلام.

ـ والورود الـذي تذكره الآية هو حضـور الخلائق جميعها في سـاحة المحشـر حيث يتم الفصل بين العباد، ثم تتجه الخلائق مـن هناك إما إلى نعيم جنة دائم، أو إلى عذاب نار لا ينقطع.

(١٠٦٠) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ٢/ ٤٤١ – ٤٤٢.

(١٠٦١) فتح الباري، ١٣/ ٢٨٦.

(١٠٦٢) تفسير الألوسي، ١٥/ ٣٢١.

ـ ورواية الشفاعة العظمى التي يمنُّ الله بها على عبده ورسوله محمد ﷺ لأجل الفصل بين الخلائق هي الثابتة في ميزان الأمة الإسلامية.

ـ ورواية الصورة التي ذكرت الشفاعة لأهل الكبائر وإخراج العصاة من النار لا تصح؛ لأنها تصور الله تعالى بصور يأتي فيها للخلائق يوم القيامة، وتذكر كذلك أن الرسول ﷺ والمؤمنين يدخلون في جهنم مرات عديدة لأجل إخراج العصاة منها، وهذه المعاني لا تتفق مع صفات الله سبحانه وتعالى ولا تليق بمنزلة عباد الله المصطفين.

ـ ومن المناهج الإسلامية التي لها الحظ الوافر من التطبيق منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم هي عرض الروايات المختلف في مدلولاتها على كتاب الله الحكيم والثابت من سُنَّة الرسول ﷺ.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

لقد استند القائلون بـ(فكرة خروج عصاة المسلمين من النار) إلى روايات ذُكرت في كتب الحديث والتفسير عند تفسير هذه الآية الكريمة.

ولقد لخّص الشيخ الشنقيطي أقوال المفسرين بقوله: «ذكر في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر تمنوا أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين، وندموا على كفرهم، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١]، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧] إلى غير ذلك من الآيات، وأقوال العلماء في هذه الآية راجعة إلى شيء واحد. لأن من يقول: إن الكافر إذا احتضر وعاين الحقيقة تمنى أنه كان مسلماً، ومن يقول: إنه إذا عاين النار ووقف عليها تمنى أنه كان مسلماً، ومن يقول: إنهم إذا عاينوا إخراج الموحدين من النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين، كل ذلك راجع إلى

أن الكفار إذا عاينوا الحقيقة ندموا على الكفر وتمنوا أنهم كانوا مسلمين»[١٠٦٣].

والمتتبع للروايات التي ذكرت إخراج عصاة الموحدين من النار يجدها لا تقوم بها حجة وليست بأهل لتفسير كتاب الله تعالى كما سيظهر في هذا الموضع وفي مواضع أخرى من هذا البحث.

وقد جاءت تلك الروايات بهذه الكلمات أو ما يكون في معناها:

- «إذا كان يوم القيامة، واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: ألستم مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بكلّ من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا، فقال من في النار من الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين».

- «هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار».

- «... فيغضب الله لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا فيشفعون، فيخرجون من النار، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج معهم. قال: فعند ذلك يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين».

- «في قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] قال: نزلت في الذين يخرجون من النار».

(١٠٦٣) تفسير الشنقيطي، ٣/ ٨٧. وذكر ابن عاشور نحو هذا القول أيضاً (انظر: تفسير ابن عاشور، ١٣/ ١٠).

لقد نُسبت هذه الروايات والأقوال، وما جاء في معناها، إلى أبي موسى الأشعري، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبدالله بن مسعود، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، والضحاك، وأبي العالية، وقتادة.

وجاءت تلك الروايات في تفسير الإمام الطبري، والرازي، وأبي السعود، والألوسي، والسمرقندي، والسيوطي في الدر المنثور، وابن الجوزي، وإسماعيل البروسوي، والبغوي، والثعلبي، وابن عطية عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾.

والناظر في هذه الأقوال يجدها لا تصح لوجود علل ظاهرة في جميع أسانيدها، فقد جاءت تلك الأقوال عند الطبري من قبل خالد بن نافع الأشعري الضعيف[١٠٦٤]، والقاسم بن الفضل بن عبدالله بن أبي جروة[١٠٦٥]، ورواية أبي عوانة عن عطاء بن السائب[١٠٦٦]، وأبي الزعراء عبدالله بن هانئ الكندي[١٠٦٧]، والمثنى بن إبراهيم الطبري[١٠٦٨]، ومحمد بن حميد الرازي[١٠٦٩]،

(١٠٦٤) جاء في كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت: ١٦٠٤، ٣/ ٣٥٥): «روى عن... سعيد بن أبي بردة... سمعت أبي يقول ذلك وسألته عنه فقال: شيخ ليس بقوي يكتب حديثه. حدثنا عبدالرحمٰن قال: سألت أبا زرعة عن خالد بن نافع فقال: ضعيف الحديث».

(١٠٦٥) لم أجد له ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي.

(١٠٦٦) قال ابن حجر: «وقال ابن معين: عطاء بن السائب اختلط، وما سمع منه جرير وذووه ليس من صحيح حديثه، وقد سمع منه أبو عوانة في الصحيح والاختلاط جميعاً، ولا يحتج بحديثه...
قلت [ابن حجر]: فيحصل لنا من مجموع كلامهم أن سفيان الثوري وشعبة وزهيراً وزائدة وحماد بن زيد وأيوب عنه صحيح، ومن عداهم يتوقف فيه إلا حماد بن سلمة، فاختلف قولهم» (تهذيب التهذيب، ت: ٤٧٥٤، ٧/ ١٧٧ - ١٨٠).

(١٠٦٧) انظر: ص ٢٢٥ من هذا البحث.

(١٠٦٨) لم أجد له ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي.

(١٠٦٩) انظر: ص ٢٤٧ من هذا البحث.

وخصيف بن عبدالرّحمٰن الجزري[١٠٧٠]، وعنعنة بن أبي نجيح[١٠٧١]، وعنعنة بن جريج[١٠٧٢]، وجويبر بن سعيد المتروك[١٠٧٣]، وابن وكيع[١٠٧٤]، ورواية أبي جعفر عيسى بن أبي عيسى ماهان عن الربيع بن أنس بن زياد البكري المضطربة[١٠٧٥]، ورواية معمر بن راشد عن قتادة وحماد بن أبي سليمان الكوفي[١٠٧٦]، ورواية منقطعة الإسناد[١٠٧٧].

وذكر ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة روايات كثيرة لا تقوم بها حجة في ميزان الإسلام. فقد ذكر روايات من طريق أبي الزعراء[١٠٧٨]،

(١٠٧٠) قال ابن حجر في التقريب: «صدوق سيئ الحفظ خَلَط بأَخَرة» (تقريب التهذيب، ت: ١٧٢٣، ٢٦٩/١).

(١٠٧١) انظر: ص٤٩١ من هذا البحث.

(١٠٧٢) انظر: ص٤٢ من هذا البحث.

(١٠٧٣) قال الذهبي في (ميزان الاعتدال، ت: ١٥٩٣، ٤٢٧/١): «قال ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: لا يشتغل به. وقال النسائي والدارقطني وغيرهما: متروك الحديث».

(١٠٧٤) قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب، ت: ٢٥٤٩، ١١١/٤ – ١١٢): «وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: ليس بشيء».

(١٠٧٥) رواية أبي جعفر عيسى بن أبي عيسى ماهان عن الربيع بن أنس مضطربة، فقد قال ابن حبان في ترجمة الربيع بن أنس بن زياد البكري (الثقات، ت: ٢٦٦٦، ٢٢٨/٤): «والناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن فيها اضطراب كثير».

(١٠٧٦) انظر: ص٢٥٦ من هذا البحث.

(١٠٧٧) تلك الرواية لم يصرح فيها إبراهيم النخعي بالشخص الذي نقل له هذا التفسير، حيث قال: «حدثت أن المشركين».

(١٠٧٨) انظر: ص٢٢٥ من هذا البحث. في طبعة (دار الأندلس) جاء سند الرواية بـ«وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزاهية، عند عبد الله...». وفي الأصل الذي ذكره ابن جرير الطبري جاء ذكر أبي الزعراء الذي يروي عن عبد الله بن مسعود ويروي عنه سلمة بن كهيل، وهو الصواب.

وخصيف بن عبد الرّحمٰن الجــزري(١٠٧٩)، ويعقوب بن نباتة(١٠٨٠)، وخالد بن نافع الأشعري(١٠٨١)، وصالح بن أبي شريف الذي لم أعثر له على مجرح أو معدل(١٠٨٢) في كتب الرجال التي بين يدي، واليمان بن يزيد المجهول(١٠٨٣).

- وهناك رواية أخرى منسوبة إلى جابر بن عبد الله ﷺ:

- قال النســائي: أخبرني عثمانُ بنُ عبد الله، قال: حدثني محمد بنُ عبَّادٍ المَكِّيُّ، نا حاتِمُ بنُ إســماعيلَ، نا أبُو الحســنِ الصَّيْرَفيُّ - وهُوَ بَسَّامٌ - عن يزيدَ بــن صُهَيْــبٍ الفقيرِ، قال: كُنَّــا عندَ جابــرٍ، فَذَكَرَ الخــوارجَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ نَاساً مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ الله أنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أهْلُ الشِّرْكِ، فيقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ؛ نَفَعَكُمْ. لِمَا يُرِيدُ الله أنْ يُرِيَ أهْلَ الشِّــرْكِ مِنَ الحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَى مُوَحِّدٌ إلَّا أخْرَجَهُ الله، ثُمَّ تَلا رَسُول الله هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢]».

(١٠٧٩) قال ابن حجر في التقريب: «صدوق سيئ الحفظ خَلَط بأخَرة». (تقريب التهذيب، ت: ١٧٢٣، ١/ ٢٦٩).

(١٠٨٠) لم أجد له ترجمة في كتب الرجال التي بين يدي.

(١٠٨١) جاء في كتاب الجرح والتعديل لابــن أبي حاتم (ت: ١٦٠٤، ٣/ ٣٥٥): «روى عن... سعيد بن أبي بردة... سمعت أبي يقول ذلك وسألته عنه فقال: شيخ ليس بقوي يكتب حديثه. حدثنــا عبد الرّحمٰن قال: ســألت أبا زرعة عن خالد بن نافــع فقال: ضعيف الحديث».

(١٠٨٢) قد يكون المقصود هنا صالح بن أبي طريف وليس ابن أبي شــريف. جاء في ثقات ابن حبان: «صالح بن أبي طريف أبو الصيداء يروي عن أبي سعيد الخدري روى عنه أبو روق عطية بن الحارث الهمداني» (ثقــات ابن حبان، ت: ٣٤٥٩، ٤/ ٣٧٦)، ولم يزد ابن حبان على هذا القول شــيئاً، ومن المعلوم أن ابن حبان يسجل المجاهيل في كتابه.

(١٠٨٣) لسان الميزان، ت: ٩٣٧٧، ٦/ ٣٨٧ - ٣٨٨.

أخرج هذه الرواية النسائي[١٠٨٤]، والطبراني[١٠٨٥]، واللالكائي[١٠٨٦].

وذكرها واحتج بها القرطبي[١٠٨٧]، والألوسي[١٠٨٨]، والشوكاني[١٠٨٩].

جاءت هذه الرواية من طريق حاتم بن إسماعيل المدني، ومحمد بن عباد المكي.

حاتم بن إسماعيل المدني:

قال ابن حجر في التهذيب: «قال أحمد: هو أحب إلي من الدراوردي، وزعموا أن حاتماً كان فيه غفلة إلا أن كتابه صالح... وقال النسائي: ليس به بأس... وقرأت بخطّ الذهبي في «الميزان»: قال النسائي: ليس بالقوي»[١٠٩٠].

وقال ابن حجر عنه في تقريب التهذيب: «صحيح الكتاب، صدوق يَهِم»[١٠٩١].

محمد بن عباد بن الزبرقان المكي:

قال ابن حجر: «صدوق يَهم»[١٠٩٢].

(١٠٨٤) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١٢٧١، ٦/ ٣٧٣.

(١٠٨٥) المعجم الأوسط، الرواية: ٥١٤٦، ٤/ ٤٢.

(١٠٨٦) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، الرواية: ٢٠٥٢، المجلد ٢/ ١٤١ـ١٤٢.

(١٠٨٧) تفسير القرطبي، ١٠/ ٣.

(١٠٨٨) تفسير الألوسي، ٧/ ٢٥٢. قال الألوسي قبل ذكره لهذه الرواية: «وأخرج الطبراني، وابن مردويه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله». فكيف يصح سند هذه الرواية وفيه من وصف بالوهم؟!.

(١٠٨٩) تفسير الشوكاني، ٣/ ١٧٠.

(١٠٩٠) تهذيب التهذيب، ت: ١٠٥٤، ٢/ ١١٧ـ١١٨.

(١٠٩١) تقريب التهذيب، ت: ٩٩٧، ١/ ١٧٠.

(١٠٩٢) تقريب التهذيب، ت: ٦٠١٢، ٢/ ٩١. جاء في طبعة (تقريب التهذيب) «محمد بن =

وهناك أمثلة في كتب شــروح الحديث وعلومه ذكرت «وهم» محمد بن عباد عند نقله لروايات أخرى:

المثال الأول:

قال النووي في شرحه لحديث(١٠٩٣) جاء عند مسلم: «قال الدارقطني: هذا وهم مــن محمد بن عباد أو مــن عبدالعزيز في حال إســماعه محمداً؛ لأن إبراهيم بن حمزة سمعه من عبدالعزيز مفصولاً مبيناً أنه من كلام أنس، وهو الصواب، وليس من كلام النبي ﷺ، فأسقط محمد بن عباد كلام النبيّ ﷺ، وأتى بكلام أنس، وجعله مرفوعاً وهو خطأ»(١٠٩٤).

المثال الثاني:

وقال النووي في شــرحه لروايــة أخرى(١٠٩٥) جاءت عند مســلم: «قوله: (حدثنا محمد بن عباد حدثنا سفيان عن عمرو سمعه من سعيد بن أبي بردة) هذا الإســناد اســتدركه الدارقطني، وقال: لم يتابع ابن عباد على هذا. قال:

= عباس» والصحيح «محمد بن عباد» كما هو مذكور في (تهذيب التهذيب، ت: ٦٢٧٠، ٩/ ٢١٠).

(١٠٩٣) قال الإمام مسلم: «حدّثني مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «إن لَمْ يُثْمِرْهَا اللهُ، فَبِمَ يَسْــتَحِلُّ أَحَدُكُــمْ مَالَ أَخِيهِ؟». (صحيح مسلم، الرواية: ١٥٥٥، ص٦٨٩).

(١٠٩٤) المنهاج شــرح صحيح مســلم بن الحجاج، ١٠/ ٤٦٢، كتاب المساقاة ـ باب وضع الجوائح. وانظر نحو هذا القول عند الســيوطي في (الديباج على صحيح مســلم بن الحجاج، ٤/ ١٦٥).

(١٠٩٥) قال الإمام مسلم: «حدّثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ. حَدَّثَنَا سُــفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو. سَمِعَهُ مِنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ بَعَثَهُ وَمُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: «بَشِّــرَا وَيَسِّرَا. وعَلِّمَا وَلَا تُنَفِّرَا» وَأُرَاهُ قَالَ: «وَتَطَاوَعَا» قَالَ: فَلَمَّا وَلَّى رَجَعَ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لَهُمْ شَرَاباً مِنَ الْعَسَلِ يُطْبَخُ حَتَّى يَعْقِدَ. وَالْمِزْرُ يُصْنَعُ مِنَ الشَّعِيرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مَا أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهُوَ حَرَامٌ»». (صحيح مسلم، الرواية: ١٧٣٣، ص٨٩٥).

ولا يصح هذا عن عمرو بن دينار. قال: وقد روي عن ابن عيينة عن مسعر، ولم يثبت ولم يخرجه البخاري من رواية ابن عيينة والله أعلم»[١٠٩٦].

المثال الثالث:

قال أبو حاتم الرازي في علل الحديث: «وَسَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ حَدِيثٍ؛ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، عَنْ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ ابْنِ عَجْلانَ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابِيًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا»، قَالَ: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» فَقَالا: هَذَا خَطَأٌ، يَرْوِيهِ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِاللهِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا الصَّحِيحُ. قُلْتُ لأَبِي زُرْعَةَ: الوهم ممن هو؟ قَالَ: من ابْن عجلان. وقلت لأَبِي: الوهم ممن هو؟ قَالَ: من مُحَمَّد بْن عباد أو حاتم»[١٠٩٧].

من أقوال ابن حجر ومن هذه الأمثلة ندرك أن هذه الرواية المنسوبة إلى جابر بن عبدالله ﷺ هي من الأوهام التي تعارضها آيات بينات وروايات صحيحة لا تحوم حول صحتها الأوهام والشكوك كما سيتبيَّن في صفحات هذا البحث إن شاء الله تعالى.

- وهناك رواية ضعيفة أخرى منسوبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه:
- قال السيوطي[١٠٩٨]: «وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السُّنَّة، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **إن أصحاب الكبائر من**

(١٠٩٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٣/ ١٧١ – ١٧٢، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ـ كتاب الأشربة.

(١٠٩٧) علل الحديث للرازي، ت: ١٨١٨.

(١٠٩٨) الدر المنثور، ٤/ ١٧٣ – ١٧٤.

موحدي الأمم كلهـــا، الذين ماتوا على كبائرهم غيـــر نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاســـل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبســـون القطران، حرم الله أجســـادهم على الخلـــود من أجل التوحيـــد، وصورهم على النـــار من أجل الســـجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها ســـنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها، قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان، لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورســـله، فنحن وأنتم اليوم في النار ســـواء. فيغضب الله لهم غضباً لم يغضبه لشـــيء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط فينبتون فيها نبات الطراثيث في حميل الســـيل، ثم يدخلـــون الجنة... مكتوب في جباههـــم: هؤلاء الجهنميـــون عتقاء الرّحمن. فيمكثون في الجنة ما شـــاء الله أن يمكثوا، ثم يســـألون الله تعالى أن يمحو ذلك الاســـم عنهم، فيبعث الله ملـــكاً فيمحوه، ثم يبعـــث الله ملائكة معهم مســـامير من نار فيطبقونها على من بقي فيها، يســـمرونها بتلك المســـامير فينساهم الله على عرشه ويشـــتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم. وذلك قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾».

وذكر ابن حجر سند هذه الرواية وسبب ضعفها حيث قال في التهذيب: «وأخرج الدارقطني في «المؤتلـــف» من رواية اليمان بن يزيد، عن محمد بن حمير، عن أبـــيه، عن محمد بن علي بن الحســـين بن علـــي، عن أبـــيه، عن جده رفعه: «إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم الذين ماتوا غير تائبـين من

دخل منهم النار في الباب الأول لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم حرم الله صورهم على النار من أجل السجود» قال الدارقطني: لا أعرف محمداً إلا في هذا الحديث، وهو منكر الحديث، والراوي عنه ضعيف... وقال الذهبي: تفرد عنه يحيى بن يمان ولعله سقط بينه وبين جعفر رجل»(١٠٩٩).

- رواية أخرى منسوبة إلى أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه:

- قال الطبراني(١١٠٠): «حدثنا أحمد بن زهير التستري، ثنا عباد بن الوليد العنبري، ثنا محمد بن عباد، ثنا حميد الخياط عن زكريا بن يحيى صاحب القصب قال: سألت أبا غالب عن قول الله عز وجل: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ فقال: حدثني أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: نزلت في الخوارج حين رأوا تجاوز الله عن المسلمين وعن الأمة والجماعة قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين».

في سند هذه الرواية غير معروف ومختلف فيه.

فغير المعروف هو زكريا بن يحيى صاحب القصب الذي لم أعثر له على مجرح أو معدل في كتب الرجال التي بين يدي، وقد صرح بعدم معرفته كذلك الهيثمي(١١٠١).

وأما المختلف فيه فهو أبو غالب، صاحب أبي أمامة، فقد قال ابن حجر عنه في التقريب: «صدوق يخطئ»(١١٠٢).

(١٠٩٩) تهذيب التهذيب، ت: ٦٠٨٦، ٩/ ١١٤.

(١١٠٠) المعجم الكبير، الرواية: ٨٠٤٨، ٨/ ٢٧٢.

(١١٠١) مجمع الزوائد، الرواية: ١١١٠٥، ٧/ ١٣١، حيث قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وزكريا والراوي عنه لم أعرفهما».

(١١٠٢) تقريب التهذيب، ت: ٨٣٣٦، ٢/ ٤٤٨.

وقال عنه في التهذيب[١١٠٣]: «قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: صالح الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. وقال النسائي: ضعيف. وقال الدارقطني: ثقة. وقال ابن عدي: قد روى عن أبي غالب حديث الخوارج بطوله، وهو معروف به، ولم أرَ في أحاديثه حديثاً منكراً، وأرجو أنه لا بأس به. وحسن الترمذي بعض أحاديثه وصحح بعضها... وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات. وقال ابن سعد: كان ضعيفاً. وقال البرقاني عن الدارقطني: أبو غالب حزور بصري، يعتبر به. ووثقه موسى بن هارون كما مضى في الذي قبله».

من كل ما سبق ذكره يظهر ضعف التفسير القائل: «إنهم إذا عاينوا إخراج الموحدين من النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين».

• ويبقى التفسير الذي قاله سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى: «وهذا تأويل لا يقتضيه لفظ الآية، ولم يقم عليه شاهد من غيرها، لأن ودّهم ذلك يحتمل أن يكون عندما يرون قوة الإسلام ضاربة في الأرض وسلطانه مهيمناً على الأمم، وكلمته نافذة بين الناس، فيودوا لو كانوا سابقين إليه، ويحتمل أن يكون عندما تنتزع أرواحهم، ويشهدون من طلائع أهوال الدار الآخرة ما لم يحتسبوه، ويحتمل أن يكون عندما يبعثون من قبورهم ويواجهون الفزع الأكبر، ويدركون أنه لا منجاة يومئذ إلا لمن اعتصم بحبل الإسلام وآوى إلى ركنه وأمسك بعروته، وكل واحد من هؤلاء الوجوه مروي عن جماعة من مفسري السلف والخلف، فلم يبق مجال للاستدلال بالآية على ما لم تكن نصاً عليه ولا ظاهرة فيه»[١١٠٤].

(١١٠٣) تهذيب التهذيب، ت: ٨٦٣٧، ١٢/ ١٧٦ – ١٧٧.

(١١٠٤) الحق الدامغ، ص ٢٠٠.

• ويبقى التفسير الذي قاله الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «فتأويل الكلام: ربما يودّ الذين كفروا بالله فجحدوا وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين»(١١٠٥).

• ويبقى التفسير الصحيح الذي ذكره الإمام الرازي حيث قال: «... والأصح ما قاله الزجاج فإنه قال: الكافر كلما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً من أحوال المسلم ودَّ لو كان مسلماً، وهذا الوجه هو الأصح»(١١٠٦).

• ويبقى أيضاً التفسير الصحيح الذي ذكره الشيخ السعدي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة، حيث قال: «فأما من قابل هذه النعمة العظيمة بردها، والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين الذين سيأتي عليهم وقت يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه، وذلك حين ينكشف الغطاء، وتظهر أوائل الآخرة، ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإمكان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون»(١١٠٧).

فهذه الأقوال التي ذكرها سماحة الشيخ الخليلي، والإمام الطبري، والإمام الرازي، والشيخ السعدي هنا هي التي ينبغي لنا اعتمادها والقول بها وذلك لموافقتها للآيات الكريمة التي ذكرها الشيخ الشنقيطي في بداية هذا القسم(١١٠٨).

وأما القول بـ«إخراج عصاة المسلمين من النار» فليس له دليل يعتمد عليه، والروايات التي اعتمد عليها في تمرير هذا القول قد أبطلها منهاج الأمة العادل الذي لا يحابي أحداً، والحمد لله ربِّ العالمين.

(١١٠٥) تفسير الطبري، ١٤/٢.

(١١٠٦) تفسير الرازي، ١٩/١٢٧.

(١١٠٧) تفسير السعدي، ص٤٠٤، من تفسير الآية ٢ من سورة الحجر.

(١١٠٨) انظر ص٣٣٧ من هذا البحث.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود ١٠٦-١٠٨].

وعند تفسيره لهذه الآيات الكريمة ذكر الإمام الطبري الأقوال التي تناقلها المفسرون الذين جاؤوا من بعده:ـ

- «واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هذا استثناء استثناه الله في أهل التوحيد أنه يخرجهم من النار إذا شاء بعد أن أدخلهم النار»[١١٠٩].

- «وقال آخرون: الاستثناء في هذه الآية في أهل التوحيد، إلا أنهم قالوا: معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار»[١١١٠].

- «وقال آخرون: عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها»[١١١١].

(١١٠٩) تفسير الطبري، ١٢/١١٧.

(١١١٠) تفسير الطبري، ١٢/١١٨.

(١١١١) تفسير الطبري، ١٢/١١٨.

واختتم الإمام الطبري تفسيره لهذه الآية بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القول الذي ذكرته عن الضحاك، وهو: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من قدر مكثهم في النار، من لدن دخلوها إلى أن أدخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص، لأن الأشهر من كلام العرب في «إلا» توجيهها إلى معنى الاستثناء وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام، أعني في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تدلّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام فيوجه إليه»(١١١٢).

وسوّغ الإمام الطبري خلاصة أقواله هذه بقوله: «... وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قوماً من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها، فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا، وإنا إن جعلناه استثناء في ذلك كنا قد دخلنا في قول من يقول: لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ...»(١١١٣).

(١١١٢) تفسير الطبري، ١٢/١٢١. وذكر الإمام الطبري نحو هذا القول في موضع آخر، حيث قال: «وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك، من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار، خالدين فيها أبداً إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة، كما قد بيّنا في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع». (تفسير الطبري، ١٢/١١٩).

(١١١٣) تفسير الطبري، ١٢/١١٩.

فهذه الأقوال التي ذكرها الإمام الطبري هنا هي نفسـها التي تناقلتها أقلام المفسـرين الذين جاؤوا من بعده[١١١٤]، والناظر في الروايات التي وجهت إلى هذا القول الذي عده الإمام الطبري «الأولى بالصواب» يجدها روايات سـاقطة باطلة في ميزان الأمة الإسلامية العادل، والناظر في الأخبار التي ذكرها الإمام الطبري وغيره من العلماء الذين قالوا بقوله يجدها أخباراً قد أسقطتها مناهجهم التي يدعون الآخرين إلى تطبيقها كما سيتبيَّن لنا في صفحات هذا الكتاب.

الروايات التي ذكرها الإمام الطبري عند تفسـير الآيات ١٠٦-١٠٨ من سورة هود:

- فقد جاءت رواية[١١١٥] ضعيفة عند الإمام الطبري من طريق الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق[١١١٦]، وكذلك من طريق معمر بن راشد عن قتادة[١١١٧].
- وجاءت رواية أخرى[١١١٨] منسوبة إلى قتادة من طريق سعيد بن بشير الضعيف[١١١٩].

(١١١٤) من أمثلة ذلك:
قال ابن عطية: «قولـه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴾ عاماً في الكفرة والعصاة كما قدمنا، ويكون الاستثناء من ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾». (تفسير ابن عطية، ص٩٧١).

(١١١٥) تفسير الطبري، ١١٧/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عـن قتادة، فـي قولـه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قـال: الله أعلـم بثُنـياه. وذُكر لنا أن ناساً يصيبهم سَفَع من النار بذنوب أصابوها، ثم يدخلهم الجنة».

(١١١٦) رواية الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق ضعيفة، انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

(١١١٧) رواية معمر بن راشد عن قتادة ضعيفة، انظر ص٢٥٦ من هذا البحث.

(١١١٨) تفسـير الطبري، ١١٧/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا بشـر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سـعيد، عن قتـادة: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ والله أعلـم بثنـيته، ذكر لنا أن ناسـاً يصيبهم سـفع من النار بذنوب أصابتهـم، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، يقال لهم الجهنميون».

(١١١٩) تقريب التهذيب، ت: ٢٢٨٣، ٣٤٩/١.

• وجاءت رواية أخرى منسوبة إلى أنس بن مالك عند الإمام الطبري(١١٢٠) وهي ضعيفة لورودها من قبل مُحَمَّد بن سُلَيْم، أبي هِلَال الرَّاسِبِيّ البَصْرِي(١١٢١).

• وجاء عند الإمام الطبري(١١٢٢) رواية أخرى منسوبة إلى أبي سنان من طريق محمد بن حميد الضعيف(١١٢٣).

• وجاء عند الإمام الطبري(١١٢٤)،(١١٢٥) رواية منسوبة إلى الضحاك بن

(١١٢٠) تفسير الطبري، ١١٧/١٢ ـ ١١٨، قال الإمام الطبري: «حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا شيبان بن فروخ، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، وتلا هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾... إلى قوله: ﴿ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ فقال عند ذلك: ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النارِ» قال قتادة: ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء».
وقد ذكر هذه الرواية واحتج بها الشوكاني (تفسير الشوكاني، ٧٣١/٢)، والسيوطي (الدر المنثور، ٦٣٣/٣ – ٦٣٤).

(١١٢١) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، (ت: ٦١٩٠، ١٦٨/٩ ـ ١٦٩): «قال عمرو بن علي: كان يحيى لا يحدث عنه، وكان عبدالرحمٰن يحدث عنه، وسمعت يزيد بن زريع يقول: عدلت عن أبي بكر الهذلي وأبي هلال الراسبي عمداً... وقال ابن أبي حاتم: أدخله البخاري في الضعفاء... وقال النسائي: ليس بالقوي... وقال ابن سعد: فيه ضعف... وقال أحمد بن حنبل: يحتمل في حديثه إلا أنه يخالف في قتادة، وهو مضطرب الحديث. وقال الساجي: روى عنه حديث منكر. وقال البزار: احتمل الناس حديثه، وهو غير حافظ».

(١١٢٢) تفسير الطبري، ١١٨/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن أبي مالك، يعني ثعلبة، عن أبي سنان، في قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال: استثناء في أهل التوحيد». وقد ذكر هذه الرواية واحتج بها السيوطي(الدر المنثور، ٦٣٤/٣).

(١١٢٣) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١١٢٤) تفسير الطبري، ١١٨/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا محمد بن عبدالأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الضحاك بن مزاحم: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾... إلى قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال: يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة، فهم الذين استثنى لهم».

(١١٢٥) تفسير الطبري، ١٢٠/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا محمد بن عبدالأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الضحاك، في قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ =

مزاحم من طريق معمر بن راشد وهي رواية منقطعة الإسناد؛ إذ كانت وفاة الضحاك سنة ١٠٦هـ أو ١٠٥هـ أو ١٠٢هـ حسب ما ذكره ابن حجر في التهذيب(١١٢٦)، وكانت ولادة معمر بن راشد سنة ٩٦هـ حسب ما أشار إليه ابن حجر في التقريب(١١٢٧). فالفارق الزمني بين ولادة معمر ووفاة الضحاك لا يزيد عن عشر سنوات وهي فترة ليست كافية لتلقي الرواية.

• وجاء عند الإمام الطبري(١١٢٨)، وابن أبي حاتم(١١٢٩) رواية منسوبة إلى خالد بن معدان وهي لا تقوم بها حجة لورودها من قبل المثنى بن إبراهيم الآملي الذي لم أعثر له على ترجمة في كتب الرجال، ولورودها من قبل عبدالله بن صالح الجهني(١١٣٠)، ومعاوية بن صالح الحضرمي(١١٣١).

= فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، قال: هو أيضاً في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة، يقول: خالدين في الجنة ما دامت السماوات والأرض، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ يقول: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة». ذكر هذه الرواية واحتج بها السيوطي (الدر المنثور، ٣/ ٦٣٤).

(١١٢٦) تهذيب التهذيب، ت: ٣٠٧٨، ٤/ ٤١٨.

(١١٢٧) تقريب التهذيب، ت: ٦٨٣٣، ٢/ ٢٠٢. ذكر ابن حجر وفاة معمر في عام ١٥٤هـ وكان عمره حينئذ ٥٨ سنة.

(١١٢٨) تفسير الطبري، ١٢/ ١١٨. قال الإمام الطبري: «حدثني المثنى، قال: ثنا عبدالله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عامر بن جشب، عن خالد بن معدان في قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أنهما في أهل التوحيد». وذكر هذه الرواية واحتج بها الشوكاني (تفسير الشوكاني، ٢/ ٧٣١)، والسيوطي (الدر المنثور، ٣/ ٦٣٤).

(١١٢٩) تفسير ابن أبي حاتم، الرواية: ١٢٠٨٩، المجلد ٥/ ٣٢٤. من تفسير الآية ١٠٧ من سورة هود.

(١١٣٠) قال ابن حجر في (تقريب التهذيب، ت: ٣٣٩٩، ١/ ٥٠١): «صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة».

(١١٣١) قال ابن حجر في (تقريب التهذيب، ت: ٦٧٨٦، ٢/ ١٩٦): «صدوق له أوهام».

- وجاء عند الإمام الطبري[(١١٣٢)] رواية منسوبة إلى أحد الصحابة، وهي لا حجة فيها لورودها من قبل رواية الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق[(١١٣٣)].

- وجاءت رواية عند الإمام الطبري[(١١٣٤)] منسوبة إلى الصحابي ابن عباس وهي منقطعة الإسناد.

- وجاءت رواية أخرى عند الإمام الطبري[(١١٣٥)]، والبغوي[(١١٣٦)]، منسوبة إلى ابن مسعود وهي منقطعة الإسناد.

(١١٣٢) تفسير الطبري، ١١٨/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي سعيد يعني الخدري أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ قال: هَذِهِ الآية تأتي على القُرْآنِ كُلِّهِ» يقول: «حيث كان في القرآن ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ تأتي عليه»..
وذكر هذه الرواية واحتج بها الشوكاني (تفسير الشوكاني، ٧٣١/٢)، والسيوطي (الدر المنثور، ٦٣٤/٣).

(١١٣٣) رواية الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق ضعيفة، انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

(١١٣٤) تفسير الطبري، ١١٨/١٢، قال الإمام الطبري: «حُدثت عن المسيب عمن ذكره، عن ابن عباس: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لا يموتون، ولا هم منها يخرجون ما دامت السماوات والأرض. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قال: استثناء الله. قال: يأمر النار أن تأكلهم». وذكر هذه الرواية واحتج بها الشوكاني(تفسير الشوكاني، ٧٣٢/٢)، والسيوطي (الدر المنثور، ٦٣٥/٣).

(١١٣٥) تفسير الطبري، ١١٨/١٢، قال الإمام الطبري: «قال: وقال ابن مسعود: ليأتينّ على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً». ذكر هذه الرواية واحتج بها الشوكاني (تفسير الشوكاني، ٧٣٢/٢).

(١١٣٦) تفسير البغوي، ٣٣٩/٢.

• وجاءت رواية أخرى عند الإمام الطبري[١١٣٧] منسوبة إلى الشعبي وهي ضعيفة لورودها من قبل محمد بن حميد الرازي[١١٣٨].

لقد استعان القائلون بخروج عصاة المسلمين من النار بالروايات الضعيفة التي ذكرت هنا والتي كانت السبب في تباين الآراء واختلاف الأقوال:ـ

• فقد قال الإمام ابن كثير[١١٣٩]: «وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه زاد المسير، وغيره من علماء التفسير، ونقل كثيراً منها الإمام أبو جعفر ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه، واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وابن سنان. ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضاً: أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين؛ من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حتى يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط، وقال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله؛ كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، ولا يبقى بعد ذلك في النار، إلا من وجب عليه الخلود فيها، ولا محيد له عنها، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة.

(١١٣٧) تفسير الطبري، ١١٨/١٢، قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال: جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً». وذكر هذه الرواية واحتج بها الشوكاني (تفسير الشوكاني، ٧٣٢/٢)، والسيوطي (الدر المنثور، ٦٣٥/٣)، والألوسي (تفسير الألوسي، ٣٤٠/٦).

(١١٣٨) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١١٣٩) تفسير ابن كثير، ٥٧٨/٣.

وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة، وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين، وعن عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة في أقوال غريبة، وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي، ولكن سنده ضعيف، والله أعلم. وقال قتادة: الله أعلم بثنياه، وقال السدي: هي منسوخة بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]».

• وقال الطبرسي[١١٤٠]: «اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من المواضع المشكلة في القرآن، والإشكال فيه من وجهين أحدهما: تحديد الخلود بمدة دوام السماوات والأرض. والآخر: معنى الاستثناء بقوله ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾...».

• وقال البغوي[١١٤١]: «اختلفوا في هذين الاستثنائين، فقال بعضُهم: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس، لأن الذين أُخرجوا من النار سعداء ثم استثناهم الله من جملة الأشقياء».

• وقال البغوي أيضاً[١١٤٢]: «وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة».

(١١٤٠) تفسير الطبرسي، ٢٥٨/٥، من تفسير الآية ١٠٧ من سورة هود.
(١١٤١) تفسير البغوي، ٣٣٨/٢.
(١١٤٢) تفسير البغوي، ٣٣٩/٢.

فهذه الأقوال التي أشـــار إليها هنا الإمام ابن كثير، والطبرسي، والبغوي قد ذكرهـــا أيضـــاً القرطبـــي[١١٤٣]، والشـــوكاني[١١٤٤]، وابن الجـــوزي[١١٤٥]، والـــرازي[١١٤٦]، والنســـفي[١١٤٧]، والخـــازن[١١٤٨]، والثعلبـــي[١١٤٩]، وأبـــو السعود[١١٥٠].

فجميع الروايات التي ذَكرت خروج عصاة المســلمين من النار ـ والتي استند عليها المفسرون عند ذكرهم للأقوال المختلفة ـ روايات لم يحفل بها منهج الأمة الإسلامية كما تبيَّن وسيتبيَّن إن شاء الله تعالى.

قال ســـماحة الشـــيخ أحمد الخليلي حفظه الله تعالى: «والمشـــيئة في هذه الآيات مجملة لم تُبيَّن، والآيات المصرحـــة بدوام العذاب كالتي أوردتها ليس على دلالتها غبـــار، والأمور العقائديـــة تتوقف على النصـــوص الصريحة فلا

(١١٤٣) قال الإمام القرطبي في تفســيره (٦٦/٩): «وقد اختلف فيه على أقوال عشرة:...»، ثم ذكر تلك الأقوال.

(١١٤٤) قال الشـــوكاني، ٧٢٩/٢ – ٧٣٠: «قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ قد اختلف أهل العلم في معنى هذا الاســـتثناء على أقوال: ... ثم ذكر أحد عشـــر قولاً اختتمهـــا بقوله: «وهذه الأقوال هي جملة ما وقفنا عليه من أقوال أهل العلم. وقد نوقش بعضها بمناقشـــات، ودفعت بدفوعات...»».

(١١٤٥) قال ابن الجـــوزي، ٤٠١/٢ – ٤٠٢: «قولـــه تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في الاســـتثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال... فأما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال:...».

(١١٤٦) تفسير الرازي، ٥٣/١٨.

(١١٤٧) تفسير النسفي، ٢٠٥/٢.

(١١٤٨) تفســـير الخازن، من تفســـير الآية ١٠٧ من ســـورة هود، حيث قال الخازن: «اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين...».

(١١٤٩) تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ١٠٧ من ســـورة هود، حيث قال الثعلبي: «ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ اختلف العلماء في هذين الاستثناءين...».

(١١٥٠) تفسير أبي السعود، ٣٥٣/٣.

تستسقى علومها من الأدلة الإجمالية، فكيف يلجأ إلى المجملات مع وجود التفاصيل، والتناسخ في أخبار الشارع لا يجوز بحال، لأنه سبحانه لا تبدو له البدوات، ولا يجهل شيئاً مما يكون، ولا يوحي إلا بالصدق، فلا معنى لما رواه ابن جرير وغيره عن جابر بن عبدالله ﷺ أنه قال في هذه الآية ـ أي: آية هود ـ تأتي على القرآن كله إذ لم يكن للقرآن أن يكذب بعضه بعضاً، وما كان لجابر ـ وهو الصحابي الجليل المتخرج من مدرسة النبوة ـ أن يجرؤ على مثل هذا القول، وإنما هو من افتراءات أهل الأهواء وتلفيقات أصحاب الغرور»[1151].

فمن هذا نتيقَّن أن فكرة خروج عصاة المسلمين من النار لا ينبغي لها أن تُذكر ضمن الأقوال التي سطرت عند تفسير آيات سورة هود الكريمة.

ومن الأقوال الأخرى التي سطرها المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة هي:

- قال القرطبي: «السادس: أنه استثناء من الإخراج، وهو لا يريد أن يخرجهم منها. كما تقول في الكلام: أردت أن أفعل ذلك إلا أن أشاء غيره، وأنت مقيم على ذلك الفعل؛ فالمعنى أنه لو شاء أن يخرجهم لأخرجهم، ولكنه قد أعلمهم أنهم خالدون فيها، ذكر هذين القولين الزّجاج عن أهل اللغة، قال: ولأهل المعاني قولان آخران، **فأحد القولين:** ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٧] من مقدار موقفهم على رأس قبورهم، وللمحاسبة، وقدر مكثهم في الدنيا، والبرزخ، والوقوف للحساب. **والقول الآخر:** وقوع الاستثناء في الزيادة على النعيم والعذاب، وتقديره: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من زيادة النعيم لأهل النعيم، وزيادة العذاب لأهل الجحيم»[1152].

(١١٥١) الحق الدامغ، ص١٩٤.

(١١٥٢) تفسير القرطبي ٩/٦٧. وانظر كذلك تفسير ابن الجوزي، ٢/٤٠٢.

• وقال القرطبي أيضاً: «العاشـــر: وهو أن قوله تعالى: «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» إنما ذلك على طريق الاســـتثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام؛ فهو على حدّ قوله تعالـــى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] فهو استثناء في واجب، وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك؛ كأنه قال: إن شـــاء ربك، فليس يوصـــف بمتصل ولا منقطع؛ ويؤيـــده ويقويه قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] ونحوه عن أبي عُبيد قال: تقدّمت عزيمة المشـــيئة من الله تعالى في خلود الفريقين في الدارين؛ فوقع لفظ الاســـتثناء، والعزيمة قد تقدّمت في الخلود، قال: وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتـــح: ٢٧] وقد علم أنهـــم يدخلونه حتماً، فلم يوجب الاســـتثناء في الموضعين خياراً؛ إذ المشـــيئة قد تقدّمت بالعزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام؛ ونحوه عن الفراء»(١١٥٣).

• وقال الشوكاني: «الثامن: أن المعنى: خالدين فيها إلا ما شاء ربك من زيادة النعيم لأهل النعيم وزيادة العذاب لأهل الجحيم؛ حكاه أيضاً الزجاج، واختاره الحكيم الترمذي»(١١٥٤).

وخلاصة هذا القسم: لا يحق للقول باستثناء عصاة المسلمين من الخلود في عذاب جهنـــم أن يذكر في قائمة الأقوال التي ذكرها المفســـرون؛ وذلك لضعف جميع الروايات التي اســـتند عليها القائلون بخروج عصاة المسلمين من عذاب جهنم.

(١١٥٣) تفسير القرطبي، ٩/٦٨.

وجاء نحو هذا القول عند الشوكاني (تفسير الشـــوكاني، ٢/٧٢٩ – ٧٣٠): «الحادي عشر: أن هذا الاستثناء إنما هو على سبيل الاســـتثناء الذي ندب إليه الشارع في كل كلام، فهو على حدّ قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] روى نحو هذا عن أبي عبيد».

(١١٥٤) تفسير الشوكاني، ٢/٧٢٩.

والقول الذي ينبغي لنا الأخذ به هو القول الذي سطره أبو السعود عند تفسيره لهذه الآيات الكريمة حيث قال: «﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ استثناءٌ من الخلود على طريقة قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] غير أن استحالة الأمورِ المذكورةِ معلومةٌ بحكم العقلِ، واستحالةَ تعلّق المشيئةِ بعدم الخلودِ معلومةٌ بحكم النقل يعني أنهم مستقرّون في النار في جميع الأزمنةِ إلا في زمان مشيئةِ الله تعالى لعدم قرارِهم فيها، وإذ لا إمكان لتلك المشيئةِ ولا لزمانها بحكم النصوصِ القاطعة الموجبةِ للخلود فلا إمكانَ لانتهاء مدةِ قرارِهم فيها ولدفع ما عسى يُتوّهم من كون استحالةِ تعلق مشيئةِ الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوبِ على الله تعالى قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ يعني: أنه في تخليد الأشقياءِ في النار بحيث يستحيل وقوعُ خلافه فعالٌ بموجب إرادته قاضٍ بمقتضى مشيئتِه الجارية على سنن حكمته الداعيةِ إلى ترتيب الأجزيةِ على أفعال العباد»(١١٥٥).

(١١٥٥) تفسير أبي السعود، ٣/ ٣٥٣.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر ٣٢-٣٥].

جاء في هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وجاء أيضاً قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾، واحتج الإمام الطبري وغيره بروايات عند تفسيرهم لهذه الآيات لأجل إثبات (فكرة خروج عصاة المسلمين من النار) إلى الجنة.

قال الإمام الطبري: «... من يظلم نفسه بركوبه المآثم، واجترامه المعاصي، واقترافه الفواحش...»[(١١٥٦)].

وعلى هذا التعريف بنى الإمام الطبري جداله حول مصير عصاة المسلمين في الآخرة حيث قال: «... إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون

(١١٥٦) تفسير الطبري، ٢٢/١٣٧.

النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عَدْن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار، أو بما شاء من عقابه، ثم يُدخله الجنة، فيكون ممن عمه خبر الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا في ذلك أخبارٌ، وإن كان في أسانيدها نظر، مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بيّنت»(١١٥٧).

لقد فسر الإمام الطبري هنا (الظالم لنفسه) بالموحد العاصي الذي نالته عقوبة الله في النار أو بما شاء الله ثم يدخله جنات عدن.

وهذا القول الذي ذكره الإمام الطبري هنا ضعيف يفتقر إلى دليل قوي لإثباته؛ إذ لا ذكر ـ في هذه الآيات ـ للنار، وكذلك لا حجة في جميع الروايات الواردة بهذا المعنى الذي ذهب إليه الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآيات، وقد حكم عليها هو بنفسه بالضعف كما نقلنا عنه سابقاً.

واعتماد هذا المعنى الذي صرح به الإمام الطبري هنا يعرض فهمنا لآيات الله تعالى للتناقض البيّن، إذ من المستحيل أن يأمرنا ربنا بقوله: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [التوبة: ٣٦] وفي نفس الوقت يبشر المقترف للفواحش والراكب للمآثم بالجنة.

وفي نهاية تفسيره لهذه الآيات الكريمة نجد الإمام الطبري يسجل الحق ويرد فكرة دخول العصاة إلى الجنة التي ذكرها في بداية تفسيره لهذه الآيات، فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤]: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم

(١١٥٧) تفسير الطبري، ٢٢/١٣٧.

من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدّموا في الدنيا من الأعمال»[١١٥٨].

في هذا القول نجد الإمام الطبري ينسف ذلك البنيان الذي شيده على فكرة دخول العصاة في الجنة، حيث صرح هنا أن الأصناف الذين اصطفاهم الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم إذا تابوا، وشاكر لهم طاعتهم وصالح أعمالهم. وهذه الأصناف التي يتوب الله عليها إذا تابت وشاكر لها أعمالها إذا أطاعت وصلحت لا يمكن أن يكون من بينها عاص مصر على ارتكاب الفواحش.

الروايات الواردة في تفسير هذه الآيات:

- رواية منسوبة إلى ابن عباس:

قال الإمام الطبري[١١٥٩]: «حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [فاطر: ٣٢]. إلى قوله: ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢] هم أمة محمد ﷺ، ورّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب».

هذه الرواية المنسوبة إلى ابن عباس لا قيمة لها ولا وزن في ميزان الأمة وذلك لضعف سندها، فقد جاءت من طريق علي بن أبي طلحة[١١٦٠]،

(١١٥٨) تفسير الطبري، ٢٢/١٣٩.

(١١٥٩) تفسير الطبري، ٢٢/١٣٣_١٣٤.

(١١٦٠) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

ومعاوية بن صالح[١١٦١]، وأبي صالح عبد الله بن صالح الجهني[١١٦٢] الذين لا حجة في رواياتهم.

- رواية منسوبة إلى الصحابي عبد الله بن مسعود:

قال الإمام الطبري[١١٦٣]: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن عبد الله بن عيسى، عن يزيد بن الحارث، عن شقيق، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلَّا أنهم لم يُشركوا بك، فيقول الربّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢]».

هذه الرواية لا تقوم بها حجة وقد جاءت من طريق محمد بن حميد الرازي[١١٦٤].

- رواية منسوبة إلى عوف بن مالك:

قال ابن أبي حاتم[١١٦٥]: «حدثنا محمد بن عزيز، حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«أمتي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون**

(١١٦١) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١١٦٢) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١١٦٣) تفسير الطبري، ٢٢/١٣٤.

(١١٦٤) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١١٦٥) تفسير ابن أبي حاتم، الرواية: ١٨٥٢٨، المجلد ٧/٣٤٨، من تفسير الآية ٣٢ من سورة فاطر.

حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكشفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون: لا إله إلا الله وحده، يقول الله ﷻ: صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده، واحملوا خطاياهم على أهل النار، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ١٣] وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ فجعلهم ثلاثة أنواع، وهم أصناف كلهم، فمنهم ظالم لنفسه، فهذا الذي يكشف ويمحص»».

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب محمد بن عزيز بن عبدالله الأيلي، فقد قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: «فيه ضعف وقد تكلموا في صحة سماعه من عمه سَلَامة»[1166].

وكذلك بسبب سلامة بن روح بن خالد الأموي فقد قال ابن حجر عنه في تهذيب التهذيب: «... قال أبو حاتم: ليس بالقوي، محله عندي محل الغفلة. وقال أبو زرعة: ضعيف، منكر الحديث»[1167].

فبسبب عدم نص الآيات على قضية الخروج من النار، وبسبب ضعف جميع الروايات التي تحدثت عن دخول عصاة الموحدين في الجنة ينبغي لنا عدم القفز بأفكارنا صوب معاني لم تثبت بدليل قاطع من كتاب الله سبحانه وتعالى وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ، لأن «الأمور العقائدية لا بد من الاستناد فيها على النصوص القاطعة»[1168].

(١١٦٦) تقريب التهذيب، ت: ٦١٥٩، ٢/ ١١٣.
(١١٦٧) تهذيب التهذيب، ت: ٢٨٠٨، ٤/ ٢٦٢.
(١١٦٨) الحق الدامغ، ص١٩٧.

أنواع (ظلم النفس) كما جاء في القرآن الكريم:

ولقد جاء في كتاب الله تعالى ذكر (ظلم النفس) في مواضع عديدة. وقد تفاوتت الأعمال التي استحق الإنسان بسببها هذه الصفة.

فقد جاءت صفة (ظلم النفس) في آيات تتحدث عن الكفرة الذين وقفوا أمام الدعوة الإلهيّة:-

❖ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

❖ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

❖ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

❖ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

❖ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

❖ ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

❖ ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠].

❖ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١].

❖ ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

❖ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣].

❖ ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ١١٨].

❖ ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

❖ ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
[العنكبوت: ٤٠].

❖ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

❖ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

هذه الآيات وصفت الكافرين بالظالمين لأنفسهم، وليس لمن مات على كفره عند الله تعالى إلا النار الخالدة إلا إذا تاب عن كفره وأصلح شـأنه قبل الممات.

وجاءت صفة (ظلم النفس) في سياق تحذير المسلمين من تعدي حدود الله تعالى: -

❖ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٣١].

❖ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

❖ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١].

❖ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

❖ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

فظلم النفس هنا يلحق كل مسلم يتعدى حدود الله تعالى في العلاقات الزوجية وغيرها من الفرائض والواجبات التي حددها الشرع لحياة المسلمين.

• قال الإمام الطبري: «وهذه الأمور التي بيّنتها لكم من الطلاق للعدّة، وإحصاء العدّة، والأمر باتقاء الله، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزراً، فصار بذلك لها ظالماً، وعليها متعدّياً»(١١٦٩).

(١١٦٩) تفسير الطبري، ٢٨/ ١٣٤.

- وقال الطبري أيضاً: «فقد ظلم نفسه، يعني: فأكسبها بذلك إثماً، وأوجب لها من الله عقوبة بذلك»[١١٧٠].

- وقال الشوكاني: «والمعنى: أن هذه الأحكام التي بيّنها لعباده هي حدوده التي حدّها لهم لا يحل لهم أن يتجاوزوها إلى غيرها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: يتجاوزها إلى غيرها، أو يخلّ بشيء منها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بإيرادها مورد الهلاك، وأوقعها في مواقع الضرر بعقوبة الله له على مجاوزته لحدوده وتعديه لرسمه»[١١٧١].

- وقال القرطبي: «هذه الأحكام التي بيّنها أحكام الله على العباد، وقد منع التجاوز عنها، فمن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها مَوْرد الهلاك»[١١٧٢].

- وقال الرازي: «فعلى هذا كل من أمر بأنه تجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله، ثم وصلت إليه هذه التكاليف التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتشمر لأدائها، كان كالمستهزىء بها، وهذا تهديد عظيم للعصاة من أهل الصلاة»[١١٧٣].

- وقال الطبرسي: «﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ فقد أضرّ بنفسه وعرضها لعذاب الله»[١١٧٤].

- وجاء في تفسير الجلالين: «﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقر: ٢٣١] بتعريضها إلى عذاب الله»[١١٧٥].

(١١٧٠) تفسير الطبري، ٢/ ٤٨٢.
(١١٧١) تفسير الشوكاني، ٥/ ٣٢٠.
(١١٧٢) تفسير القرطبي، ١٨/ ١٠٤، من تفسير الآية ١ من سورة الطلاق.
(١١٧٣) تفسير الرازي، ٦/ ١٠١.
(١١٧٤) تفسير الطبرسي، ٢/ ٨٩، من تفسير الآية ٢٣١ من سورة البقرة.
(١١٧٥) تفسير الجلالين، ص٣٧، من تفسير الآية ٢٣١ من سورة البقرة.

فعلى من وقع في الظلم التوبة والإنابـة وإرجاع الحقوق إلى أهلها قبل فوات الأوان، قال تعالى: ـ

❖ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

❖ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

❖ ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩].

في هذه الآيـات الكريمة حـذر المولى جلَّ وعلا المسـلمين من ظلم أنفسهم وتوعدهم بالمصير السيئ في جهنم، ولم يبشرهم سبحانه بالجنة إذا استمروا على حالهم؛ لهذا كانت دعوته سبحانه لهم بالتوبة والاستغفار.

يظهر من كل ما سبق أن (الظالم لنفسه) المذكور في سورة فاطر ليس هو الكافـر؛ لأن الكافر قد حكـم الله عليه بالنار وليس هـو ممن اصطفاهم الله تعالى.

ويظهـر كذلك أن (الظالم لنفسـه) المذكور في سـورة فاطـر ليس هو المسـلم الذي مات على معصيته؛ لأن الله تعالى قد توعد مرتكب المعاصي بنار جهنـم إذا مات على ذلك، ولم يأت دليل مـن كتاب الله تعالى ولا من سُنَّة رسوله القاطعة يثبت خروجه منها إلى الجنة.

وقد توسَّع مفسـرون آخرون في تعريفهم للـ(ظالم لنفسه)، حيث ذكروا تلك المعاني التي قالها الإمام الطبري وأضافوا إليها معاني أخرى: ـ

• نقل القرطبي الأقــوال الآتية فــي تعريفه للـ(ظالم لنفســه): «... أي كافر... فاســق... الذي عمل الصغائر... صاحبَ الكبائر... والظالم الجاهل... الظالم الذاكر الله بلســانه فقط... الظالم صاحب الأقوال... الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا... الظالم الذي يعبد الله خوفاً من النار،... الظالم الزاهد في الدنيا... الظالم الــذي يجزع عند البلاء... الظالم الــذي يعبد الله على الغفلة والعادة... الظالم الذي أُعْطِيَ فمنَع... الظالم من استغنى بماله... الظالم التالي للقــرآن ولا يعمل به... والظالم الذي يدخل المســجد وقد أقيمت الصلاة... والظالــم الغافل عن الصلاة حتى يفــوت الوقت والجماعــة... الظالم الذي يحب نفســه... الظالم الذي ينتصف ولا يُنصف... والظالم من لم يســلم إلا بالسيف»[(١١٧٦)].

• وقال ابن كثير: «... وهو المفــرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات... هم أصحاب المشأمة... هو المنافق...»[(١١٧٧)].

• وقال الألوسي: «والظالم لنفسه من قصر في العمل بالكتاب وأسرف على نفسه وهو صادق على من ظلم غيره لأنه بذلك ظالم لنفسه والمشهور مقابلته بالظلم لغيره... الظالم من خفَّت حســناته... الظالم لنفسه الذي مات على كبيرة لم يتب منها... الظالم لنفســه العاصي المســرف... من أسلم بعد الفتح... من همه الدنيا... غضب النجاة... تارك الزلة... من شــغله معاشه عن معاده... من يأتي بالفرائض خوفاً مــن النار... الغافل عن الوقت والجماعة... من غلبت شهوته عقله... من لا ينهى عن المنكر ويأتيه... ساكن البادية... من كان ظاهره خيراً من باطنه...»[(١١٧٨)].

(١١٧٦) تفسير القرطبي ١٤/٢٢١ ـ ٢٢٣.

(١١٧٧) تفسير ابن كثير ٥/٢١٢ ـ ٢١٣.

(١١٧٨) تفسير الألوسي ١١/٣٦١ ـ ٣٦٢.

• وقال ابن عاشور: «والظالمون لأنفسهم هم الذين يجرُّون أنفسهم إلى ارتكاب المعصية فإن معصية المرء ربَّه ظلم لنفسه لأنه يورطها في العقوبة المعينة للمعاصي على تفصيلها وذلك ظلم للنفس لأنه اعتداء عليها إذ قصر بها عن شيء من الخيرات قليل أو كثير، وورطها فيما تجد جزاء ذميماً عليه»(١١٧٩).

قد تكون هذه المعاني صالحة لبيان (ظلم النفس)، وتحديد المعنى المقصود يكون بفهم العبارة من خلال سياق الكلام.

فمن هو الـ(ظالم لنفسه) الذي ذكره الله تعالى في سورة فاطر؟.

يتضح لنا معنى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] حينما نعيش في الجو الذي تنشئه آيات سورة فاطر.

في آيات سورة فاطر نرى بشراً قد اصطفاهم الله تعالى من بين عباده وأعطاهم فضلاً كبيراً يسعون به في تسابق إلى كل خير، ونرى أولئك البشر وهم يدخلون الجنات وقد تزينوا بالذهب واللؤلؤ والحرير، ونسمعهم وهم يشكرون المنعم جلَّ وعلا على فضله وغفرانه.

فالجو الذي ترسمه لنا هذه الآيات هو جو طاعة، فلا مجال لذكر العصيان فيه، ولا مجال لحمل معنى (الظالم لنفسه) على مرتكب الذنوب.

والحياة في هذه الآيات حياة خيرات ورحمة في الدنيا والجنة، ولا ذكر فيها للشر وعذاب الآخرة والخروج من النار.

وهذه الآيات تعرض علينا بكل وضوح عباد الله المصطفين ـ الذين وصلوا إلى هذه الرفعة والسمو ـ وقد أمدَّهم الله تعالى بالطاقات اللازمة لتبليغ الخيرات إلى طالبيها في مشارق الأرض ومغاربها.

(١١٧٩) تفسير ابن عاشور، ٢٢/ ١٦٥.

إنه لمشهد عظيم نرى فيه كل متسابق متلبس بالخيرات وتحيط به الخيرات ويسعى بالخيرات.

إذاً فالـ(ظالم لنفسه) ـ الوارد ذكره في سورة فاطر ـ ليس هو الشخص الذي «... يظلم نفسه بركوبه المآثم، واجترامه المعاصي، واقترافه الفواحش...»(١١٨٠)، بل هو شخص آخر وضع نفسه في موضع أفقدها الدرجات العالية بسبب عدم سعيه المتواصل الدؤوب في مضمار العمل، في وقت كان هو قادراً على التنافس مع المتنافسين والحصول على الدرجات لو أنه سخر كل نعم الله عليه في سباقه مع الذين اصطفاهم الله تعالى لحمل كتابه العزيز.

قال الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]: «... وكان معناه في ذلك: فليجدّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم»(١١٨١).

فالجو الذي تنشئه آيات سورة فاطر هو نفس الجو الذي تنشئه آيات سورة النساء وسورة الحديد، ففي تلك الآيات دعوة إلى السعي والتسابق بالخيرات إلى أعلى الدرجات، والمتسابقون في هذا المجال يطلق عليهم (الظالم لنفسه)، و(المقتصد) و(السابق)، و(القاعد) و(المنفق قبل الفتح) و(المنفق بعد الفتح) كل حسب أدائه وإخلاصه في هذا المضمار.

قال الله تعالى في سورة فاطر:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ

(١١٨٠) تفسير الطبري، ٢٢/١٣٧.

(١١٨١) تفسير الطبري، ٣٠/١٠٨.

وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٥].

وقال الله تعالى في سورة النساء:

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

وقال سبحانه في سورة الحديد:

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

جاء في كتاب (المفردات في غريب القرآن): «وَالظُّلْمُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَكَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ وَضْعُ الشيءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ المُخْتَصِّ به إمّا بِنُقْصَانٍ أو بِزِيَادَةٍ، وَإِمَّا بِعُدُولٍ عَنْ وَقْتِهِ أو مَكَانِهِ...»[١١٨٢].

ومن هذا التعريف لكلمة الظلم ندرك أن (الظالم لنفسه) الوارد ذكره في سورة فاطر قد وضع نفسه في مؤخرة الركب، وقد نقصها حظها من الدرجات والخيرات التي وصل إليها المقتصد والسابق.

(١١٨٢) المفردات في غريب القرآن، ص٣١٨. وجاء هذا التعريف في (معجم مقاييس اللغة، ٤٦٨/٣). وفي (جمهرة اللغة، ٣٠٦/٢. قال ابن دريد: «ظلم ظ ـ ل ـ م الظُّلْم: مصدر ظلمتُه أظلِمه ظَلْماً، والظُّلْم، بالضم؛ الاسم. وأصل الظُّلم وضعُك الشيءَ في غير موضعه، ثم كثر ذلك حتى سُمّي كل عَسْف ظُلماً). وفي (لسان العرب، ٢٦٣/٨) وفي (تاج العروس، باب الظاء، قال الزبيدي: «الظُّلْمُ: وَضْع الشيء في غير موضِعه»، وفي (مختار الصحاح، باب الظاء، كلمة: (ظلم)).

فهو قد سلم من اقتراف الفواحش وركوب المآثم، لهذا وعده الله تعالى الجنة، ولكنه ظلم نفسه حين لم ينل الدرجات العالية التي كان بمقدوره الوصول إليها لو أنه نافس لأجلها بكل ما أوتي من قوة.

فحال (الظالم لنفسه) هنا هو نفس حال (القاعدين) و(حال المنفق بعد الفتح) الذين وعدهم الله تعالى الحسنى مع المجاهدين بأموالهم وأنفسهم كما جاء في سورة النساء وسورة الحديد. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى حيث قال: «وفي ذكر الخيرات في القسم الآخر دلالة على أنها مرادة في القسمين الأولين فيؤول إلى معنى ظالم لنفسه في الخيرات ومقتصد في الخيرات أيضاً، ولك أن تجعل معنى ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الكهف: ٣٥] أنه ناقصها من الخيرات كقوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣] أي: لم تنقص عن معتادها في الإثمار»[1183].

وهناك قول بليغ ـ يصب في قالب هذا التصور الإسلامي المحفز للنفوس للصعود في سلم الكمالات الإنسانية ـ قاله ابن الجوزي: «من أعمل فكره الصافي دله على طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال. وقد قال أبو الطيب المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً... كنقص القادرين على التمام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض. ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض. غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن. والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[1184].

(١١٨٣) تفسير ابن عاشور، ١٦٦/٢٢.

(١١٨٤) صيد الخاطر، ص١٣٩.

وقال ابن الجوزي أيضاً: «ولو صح له أن يكون ملكاً لم يرض أن يكون بشراً. والمقصود: أن ينتهي بالنفس إلى كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[١١٨٥].

وبعد أن ذكر درجات التائبين، قال الشيخ القرضاوي: «... ومنهم من يتوب من الوقوف عند حال أدنى، حيث لم يرتق إلى ما هو أعلى»[١١٨٦].

وقد أشار إلى نحو هذا المعنى العلامة ابن تيمية حيث قال: «... أحدهما: أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين. ومعنى كونه سيئة أن يخرج صاحبه عن مقام المقربين، فيحرم درجاتهم، وذلك مما يسوء من يريد أن يكون من المقربين...

الثاني: أن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسناً منه، إما واجباً، وإما مستحباً، لأن ذلك مبلغ علمه وقدرته. ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك، بل يؤمر بما هو أعلى منه، فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئة»[١١٨٧].

والإنسان وإن وصل إلى أعلى درجات الإخلاص لله في سعيه فلا بد له أن يحس بالتقصير في حق الله تعالى، فها هم أنبياء الله تعالى في تواضعهم أمام الله تعالى يستغفرونه ويتضرعون إليه: ـ

❖ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

❖ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

(١١٨٥) صيد الخاطر، ص١٤٨.

(١١٨٦) في الطريق إلى الله (٤ ـ التوبة إلى الله)، ص١٧.

(١١٨٧) التوبة، ص ٤٢ ـ ٤٣.

• قال الإمام الرازي: «أما قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ فعلى نهج قول آدم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] والمراد أحد وجهين، إما على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه، وإن لم يكن هناك ذنب قط، أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب»(١١٨٨).

• وقال الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: «فهو أن نقول إنا لو حملناه على ما قبل النبوة فلا كلام، ولو حملناه على ما بعدها فهي واجبة التأويل لأنا لو أجريناها على ظاهرها، لوجب القول بكون النبي مستحقاً للعن، وهذا لا يقوله مسلم، وإذا وجب التأويل فنقول لا شك أنه كان تاركاً للأفضل مع القدرة على تحصيل الأفضل فكان ذلك ظلماً»(١١٨٩).

• وقال الإمام الرازي في موضع آخر من تفسيره: «ليس المراد من الآية أن الله شكك العبد في هذه المغفرة، بل المراد وصفهم بأنهم يفارقون الدنيا مع الهجرة والجهاد، مستقصرين أنفسهم في حق الله تعالى، يرون أنهم لم يعبدوه حق عبادته، ولم يقضوا ما يلزمهم في نصرة دينه، فيقدمون على الله مع الخوف والرجاء، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]...»(١١٩٠).

• وقال الشيخ السعدي: «فنادى في تلك الظلمات: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فأقر لله تعالى

(١١٨٨) تفسير الرازي، ٢٤/٢١٣.

(١١٨٩) تفسير الرازي، ٢٢/٢٠٥.

(١١٩٠) تفسير الرازي، ٦/٣٥، من تفسير الآية ٢١٨ من سورة البقرة.

بكمال الألوهيـــة، ونزهه عن كل نقص وعيب وآفة، واعترف بظلم نفســه وجنايته»[١١٩١].

وجاء عن رسول الله ﷺ هذا الدعاء: «...**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً. إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**...»[١١٩٢].

قال النووي عند شرحه لهذه الرواية: «قوله: (ظلمت نفسي) أي: اعترفت بالتقصير. قدمه على ســؤال المغفرة أدباً. كما قــال آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]»[١١٩٣].

فــإذا كان الأنبياء عليهم الســلام، وهم صفوة خلــق الله تعالى، هذا هو قولهم وهذا هو وصفهم لأنفسهم، فما بالنا لا نصف الآخرين من العاملين لله من البشــر بـ(ظلم النفس) وهم دائمــاً يعتريهم الضعــف والكلل وهم في ميادين الدعوة.

وقد علَّم الرسولُ ﷺ الصحابي أبا بكر ؓ هذا الدعاء: «... قلِ اللهمَّ إني ظلمتُ نفســي ظُلماً كثيراً، ولايغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ، فاغفــرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنتَ الغفورُ الرحيم»[١١٩٤].

قال الحافظ ابن حجر عند شــرحه لهذه الرواية: «قوله: (ظلمت نفســي) أي: بملابسة ما يستوجب العقوبة أو ينقص الحظ. وفيه أن الإنسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صدِّيقاً»[١١٩٥].

(١١٩١) تفسير السعدي، ص ٥٠٢، من تفسير الآية ٨٧ من سورة الأنبياء.

(١١٩٢) صحيح مسلم، الرواية: ٧٧١، ص ٣٤٠.

(١١٩٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٦/ ٣٠٠.

(١١٩٤) صحيح البخاري، الرواية: ٨٣٤، ص ١٦٠.

(١١٩٥) فتح الباري، ٢/ ٥٨٥ – ٥٨٦.

الله تعالى يعرف منازل الرجال العاملين في سـبيله، فليس بمقدور البشر أن يحددوا درجات الأولياء والمصطفين بل على الجميع السـعي والتسابق في مضمار الدعوة مع ملازمة الإحسـاس بالتقصير، واتهام (النفس بالظلم) عند القيام بالواجب إقتداءً بأنبياء الله تعالى والصديقين من عباد الله تعالى.

من كل ما سبق يتبيَّن لنا: ـ

ـ ضعف التفسـير الذي حمـل قوله تعالـى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]على العصـاة ومرتكبي الكبائر، لأن سـياق الآيات لا يشـير لهذا المعنى، ولأن جميع الروايات الواردة بهذا التفسير ضعيفة لا تقوم بها حجة.

ـ والآيات الكريمة هي تسـجيل لمراتب أهل الجنة العاملين في مضمار الدعوة إلى الله.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

جاء في كتاب (معجم مقاييس اللغة) بيان المعنى اللغوي لكلمة ﴿خَابَ﴾: «(خيب) الخاء والياء والباء أصلٌ واحد يدلُّ على عدم فائدةٍ وحِرمانٍ. والأصل قولهم للقِدْحِ الذي لا يُوري: هو خَيّاب، ثم قالوا: سَعَى في أمر فخابَ، وذلك إذا حُرِمَ فلم يُفِدْ خَيْراً»[١١٩٦].

قال ابن عطية: «والظلم يعم الشرك والمعاصي، وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم، فخيبة المشرك على الإطلاق، وخيبة العاصي مقيدة بوقت واحد في العقوبة»[١١٩٧].

(١١٩٦) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٣٢.

(١١٩٧) تفسير ابن عطية، ص١٢٦٧، من تفسير الآية ١١١ من سورة طه.

وهذا القول الذي ذكره ابن عطية هنا قد ذكره أيضاً أبو حيان الأندلسي(١١٩٨)، والألوسي(١١٩٩)، والشنقيطي(١٢٠٠).

وقد جاء عند القرطبي(١٢٠١)، والبغوي(١٢٠٢)، وابن الجوزي(١٢٠٣)، والنسفي(١٢٠٤)، والخازن(١٢٠٥)، وأبي السعود(١٢٠٦)، والطبرسي(١٢٠٧) حمل الظلم هنا على الشرك دون ذكر المعاصي وهو رأي اعتمد على روايتين ضعيفتين نسبتا إلى قتادة وابن زيد كما ذكرهما ابن جرير الطبري في تفسيره.

- قال الإمام الطبري: «حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال: من حمل شركاً»(١٢٠٨).

هذه الرواية من هذه الطريق لا حجة فيها وذلك لورودها من قبل رواية الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق بن همام، وقد مر بك سابقاً أقوال علماء

(١١٩٨) تفسير أبي حيان الأندلسي، ٦/ ٢٦٠.
(١١٩٩) تفسير الألوسي، ٨/ ٥٧٥.
(١٢٠٠) تفسير الشنقيطي، ٤/ ٣٩١.
(١٢٠١) تفسير القرطبي، ١١/ ١٦٥، و٧/ ٢١.
(١٢٠٢) تفسير البغوي، ٣/ ١٩٥، و٢/ ٩٢.
(١٢٠٣) تفسير ابن الجوزي، ٣/ ١٧٧، و٢/ ٤٩.
(١٢٠٤) تفسير النسفي، ٣/ ٦٦.
(١٢٠٥) تفسير الخازن، من تفسير الآية ١١١ من سورة طه، ومن تفسير الآية ٨٢ من سورة الأنعام.
(١٢٠٦) تفسير أبي السعود، ٤/ ٣١٠، و٢/ ٤٠٨.
(١٢٠٧) تفسير الطبرسي، ٧/ ٤٣، من تفسير الآية ١١١ من سورة طه. و ٤/ ٧٦، من تفسير الآية ٨٢ من سورة الأنعام.
(١٢٠٨) تفسير الطبري، ١٦/ ٢١٧.

الجرح في عبد الرزاق[(١٢٠٩)]. وكذلك لورودها من قبل رواية معمر بن راشد عن قتادة بن دعامة العراقي[(١٢١٠)].

- وقال الإمام الطبري: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال: من حمل شركاً، الظلم هاهنا: الشرك»[(١٢١١)].

هذا القول ضعيف لوروده من قبل رواية ابن وهب عن ابن زيد[(١٢١٢)].

وخلاصة القول في تفسير هذه الآية هو ما قاله الإمام الطبري: «من حَمل إلى موقف القيامة شركاً بالله، وكفراً به، وعملاً بمعصيته»[(١٢١٣)].

فالظلم يحرم صاحبه يوم القيامة من الفوائد التي يتمناها، وليس في هذه الآية ولا في غيرها من الآيات ذكر للعذاب المؤقت للعصاة، فالحرمان الذي سيناله الظالمون دائم لا ينقطع.

فعلى الناس أخذ الحذر من أماني النفس الكاذبة وترك الروايات الضعيفة الباطلة، وعليهم اتباع صريح القرآن الكريم.

* * *

وقد ينازع أناس في أن الظلم المشار إليه هنا معناه الشرك اعتماداً على الروايات التي جاءت عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

(١٢٠٩) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

(١٢١٠) انظر ص٢٥٦ من هذا البحث.

(١٢١١) تفسير الطبري، ٢١٧/١٦.

(١٢١٢) انظر ص٣٩٩ من هذا البحث.

(١٢١٣) تفسير الطبري، ٢١٧/١٦.

وقوله تعالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الروايات التي حددت الظلم بالشـرك فقط روايـات أبطلها منهاج الأمة الإسلامية الذي لا يحابي أحداً كما سـيتبيّن لنا عند قراءتنا في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين.

ولقد بيَّن العلمـاء أيضاً أن مدلول الظلم يشـمل كل معانيه ولا يختصر على معنى الشـرك فقط، فقد نقل الإمام الطبري: «وقـال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشـيء من معاني الظلـم، وذلك فِعْلُ ما نهى الله عن فعلـه، أو ترك ما أمر الله بفعلـه، وقالوا: الآية على العمـوم، لأن الله لم يخصّ به معنى من معاني الظلم»(١٢١٤).

وقال الشيخ السعدي: «قال الله تعالى فاصلاً بين الفريقين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسـوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشـرك، ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة.

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشـرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء»(١٢١٥).

(١٢١٤) تفسير الطبري، ٢٥٨/٧.

(١٢١٥) تفسير السعدي، ص٢٤٠، من تفسير الآية ٨٢ من سورة الأنعام.

فمن هذه الأقــوال نعرف أن كلمة الظلم ـ في معناهــا العام ـ تدل على الشرك وغيره من المعاصي.

فأي القسمين تدل عليه كلمات هذه الآية الكريمة؟.

الكلام هنا عن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وليس عن الذين أشــركوا. وبهذا تحدد هذه الآية من أولهــا للقارئ الجهة التــي ينظر إليها، وهــي جهة المجتمع المؤمن الذي ينبغي للجميع العيش فيه.

ومما يعمق هذه النظرة صوب جهة المجتمــع المؤمن هو المعنى الذي يرشــد إليه قوله تعالــى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾، «أي: لــم يخلطــوا»(١٢١٦). إذ من المستحيل تصور الإيمان والشرك مختلطين في مكان واحد.

والمجتمع المؤمن ليس مجتمعاً ملائكياً؛ ففيه العصاة غير التائبين، وفيه المســتغفرون التائبون وفيه من ســما إلى أعلى درجــات التقوى بفضل الله تعالى.

والقرآن الكريم منــذ الأيام الأولى مــن عمر الدعوة الإســلامية يدعو المؤمنين إلى العمل بالطاعات وعدم خلطها بالمعاصي، لأن من عمل ذلك فله الأمن وهو في هداية من ربه في الدنيا والآخرة.

والذيــن خلطــوا إيمانهــم بالمظالــم ولم يتخلصــوا منهــا بالتوبة والاســتغفار فقد ذكرت أحوالهم ومصيرهم آيات أخــرى من كتاب الله تعالى، وروايات صحيحة من سُــنَّة الرســول ﷺ، كما سيتضح في هذا البحث.

(١٢١٦) فتح الباري، ١/ ١٢٤.

وفكرة الخروج من النار لها حضورها عند تفسير[١٢١٧] هذه الآية الكريمة وإن كان على حساب مدلولات ظواهر الآيات الكريمة.

وقد اعتمد القائلون بـ(فكرة خروج العصاة مــن النار) على روايات لم يحفل بها منهج الأمة الإسلامية عند تفسيرهم لكلمة (الظلم) الواردة في هذه الآية.

الروايات التي حملت معنى (الظلم) بـ(الشرك) فقط:

قال الإمام الطبري بعد أن ذكر الروايات والأقوال في تفســير هذه الآية الكريمة: «وأولى القوليــن بالصحة في ذلك، ما صح فــي ذلك، ما صحّ به الخبر عن رســول الله ﷺ، وهو الخبــر الذي رواه ابن مســعود عنه أنه قال: «الظُّلْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالى فِي هَذَا المَوْضِعِ هُوَ الشِّرْكُ»»[١٢١٨].

وقال القرطبي: «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك؛ قاله أبو بكر الصدّيق وعليّ وسَلْمان وحُذيفة، ﭫ»[١٢١٩].

ونقل ابن كثير عن ابن أبي حاتم: «وروي عن أبي بكر الصديق، وعمر، وأبي بن كعب، وســلمان، وحذيفة، وابــن عباس، وابن عمــر، وعمرو بن شــرحبيل، وأبــي عبدالرّحمٰن الســلمي، ومجاهــد، وعكرمــة، والنخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغير واحد نحو ذلك»[١٢٢٠].

(١٢١٧) قال ابن حجر: «فإن قيل: فالعاصي قد يعذب فما هو الأمن والاهتداء الذي حصل له؟ فالجواب أنه آمن مــن التخليد في النــار، مهتد إلى طريق الجنــة. والله أعلم» (فتح الباري، ١/ ١٢٤).

(١٢١٨) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٩.

(١٢١٩) تفسير القرطبي، ٧/ ٢١.

(١٢٢٠) تفســير ابن كثيــر، ٣/ ٥٩. وانظــر: (تفســير ابن أبــي حاتــم، الروايــة: ٧٥٧٥، المجلد٣/ ٣٨٢).

والمتتبع للروايات التي أشار إليها المفسرون، ومنهم الطبري والقرطبي وابن كثير، والتي نسبت إلى الرسول ﷺ والصحابة والتابعين تفسير (الظلم) بـ(الشرك) فقط، يجدها روايات لا تقوم بها حجة ولا دعوى.

• الرواية المنسوبة إلى مقام النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام:

قال الإمام البخاري: «حدّثنا إسحاقُ أخبرَنا عيسى بنُ يونُسَ حدَّثنا الأعمشُ عن إبراهيمَ عن عَلقمةَ عن عبدِ اللهِ ﷺ قال: «لما نزلَت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلكَ على المسلمينَ فقالوا: يا رسولَ اللهِ أيُّنا لا يَظلِمُ نفسَهُ؟ قال: ليسَ ذلك، إنما هو الشركُ، ألم تَسمعوا ما قال لُقمانُ لابنهِ وهو يَعِظُه ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

أخرج هذه الرواية الإمام البخاري[١٢٢١]، والإمام مسلم[١٢٢٢]، والإمام الطبري[١٢٢٣]، والإمام أحمد[١٢٢٤]، والترمذي[١٢٢٥]، وابن حبان[١٢٢٦]، والبيهقي[١٢٢٧]، والنسائي[١٢٢٨]، وأبو يعلى[١٢٢٩]، والبزار[١٢٣٠]، واللالكائي[١٢٣١]، وغيرهم.

(١٢٢١) صحيح البخاري، الرواية: ٣٤٢٩، ص٦١٣ - ٦١٤، والرواية: ٣٤٢٨، ص٦١٣، والرواية: ٣٢، ص ٣١، والرواية: ٦٩١٨، ص١٢٢٣، والرواية: ٦٩٣٧، ص١٢٢٦، والرواية: ٤٧٧٦، ص ٨٦٥، والرواية: ٤٦٢٩، ص ٨٢٠.

(١٢٢٢) صحيح مسلم، الرواية: ١٢٤، ص١٠٥.

(١٢٢٣) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٥_٢٥٦، ذكر الإمام الطبري عدة روايات جاءت بعنعنة الأعمش.

(١٢٢٤) مسند الإمام أحمد، الروايات: ٣٥٨٩، و٤٠٣١، و٤٢٤٠.

(١٢٢٥) سنن الترمذي، الرواية: ٣٠٦٧، ص٧٠٩.

(١٢٢٦) صحيح ابن حبان، الرواية: ٢٥٣، ١/ ٤٨٧.

(١٢٢٧) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ٢١٢٠٣، ١٥/ ٢٣٦.

(١٢٢٨) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١١٦٦، ٦/ ٣٤١، والرواية: ١١٣٩٠، ٦/ ٤٢٧.

(١٢٢٩) مسند أبي يعلى، الرواية: ٥١٦٢.

(١٢٣٠) مسند البزار، الرواية: ١٤٩٣ والرواية: ١٤٩٤.

(١٢٣١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، الرواية: ١٩٨٩، المجلد ٢/ ١٢٤.

واحتج بهـا وذكرها القرطبـي[١٢٣٢]، وابن كثير[١٢٣٣]، والشـوكاني[١٢٣٤]، والسيوطي[١٢٣٥]، وابن حجر[١٢٣٦]، وابن عطية[١٢٣٧]، وغيرهم.

وبعد أن أشـار ابن عاشـور إلى هذه الرواية قال: «وانظر من روى هذا ومقدار صحته»[١٢٣٨].

ونحن إذا نظرنا في هـذه الرواية نجدها واردة مـن قِبل عنعنة الأعمش المدلس[١٢٣٩]. وفي شرحه لهذه الرواية قال بدر الدين العيني: «... ونسب إلى التدليس[١٢٤٠]، وقد عنعن هذا الحديث عن إبراهيم، ولم ير في جميع الطرق التي فيها رواية الأعمش للبخاري ومسـلم وغيرهما أنه صرح بالتحديث أو الإخبار إلَّا في رواية حفص بن غياث عن الأعمـش، الحديث المذكور في رواية البخاري في قصة إبراهيم ﷺ، على ما سيجيء إن شاء الله تعالى: فإن قلت: المعنعن إذا كان مدلسـاً لا يحمل حديثه على السـماع، إلا أن يبين، فيقول: حدثنا، أو أخبرنا، أو سـمعت، أو ما يدل علـى التحديث. قلت: قال ابن الصـلاح وغيره: مـا كان فـي الصحيحين مـن ذلك عن المدلسـين: كالسـفيانين والأعمش وقتـادة وغيرهم، فمحمول على ثبوت السـماع عند البخاري ومسـلم من طريق آخر، وقد ذكر الخطيب عـن بعض الحفاظ، أن

(١٢٣٢) تفسير القرطبي، ٧/ ٢١، وج ١٤/ ٤٣.
(١٢٣٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٥٨.
(١٢٣٤) تفسير الشوكاني، ٢/ ١٩٠، من تفسير الآية ٨٢ من سورة الأنعام.
(١٢٣٥) الدر المنثور، ٣/ ٤٩.
(١٢٣٦) فتح الباري، ١/ ١٢٣.
(١٢٣٧) تفسير ابن عطية، ص٦٣٩، من تفسير الآية ٨٢ من سورة الأنعام.
(١٢٣٨) تفسير ابن عاشور، ٢١/ ١٠١.
(١٢٣٩) تقريب التهذيب، ت: ٢٦٢٣، ١/ ٣٩٢.
(١٢٤٠) يقصد الأعمش الراوي لهذه الرواية عن إبراهيم النخعي.

الأعمش يدلس عن غير الثقة، بخلاف سفيان فإنه إنما يدلس عن ثقة. وإذا كان كذلك فلا بد أن يبين حتى يعرف، والله أعلم»[١٢٤١].

من هذا النص الذي قاله بدر الدين العيني ندرك أنه لم ترق له عبارة ابن الصلاح، بل طلب من الأعمش ـ المدلس عن غير الثقة ـ أن يبيّن صيغة نقله للرواية حتى يعرف صحة الحديث المروي.

وقال ابن حجر: «... والأعمش موصوف بالتدليس ولكن في رواية حفص بن غياث التي تقدمت الإشارة إليها عند المؤلف عنه: «حدثنا إبراهيم» ولم أر التصريح بذلك في جميع طرقه عند الشيخين وغيرهما إلا في هذا الطريق»[١٢٤٢].

والطريق الأخرى التي ذكرها البخاري[١٢٤٣]، والتي أشار إليها بدر الدين العيني وابن حجر هنا، جاءت من طريق حفص بن غياث بن طلق الذي ضعف حفظه علماء الجرح والتعديل.

فقد قال ابن حجر: «... قال يعقوب: ثقة ثبت إذا حدث من كتابه، ويُتقى بعض حفظه... وقال أبو زرعة: ساء حفظه بعدما استقضي... وقال داود بن رشيد: حفص كثير الغلط... وذكر الأثرم عن أحمد بن حنبل أن حفصاً كان يدلس... وقال ابن سعد: كان ثقة، مأموناً، كثير الحديث، يدلس. وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: كان حفص بآخره دخله نسيان»[١٢٤٤].

(١٢٤١) عمدة القاري، ١/ ٣٣٨.

(١٢٤٢) فتح الباري، ١/ ١٢٤.

(١٢٤٣) صحيح البخاري، الرواية: ٣٣٦٠، ص٥٩٧. قال البخاري: «حدّثنا عمرُ بن حفصِ بنِ غياثٍ حدثَنا أبي حدَّثنا الأعمشُ قال: حدثني إبراهيمُ عن علقمةَ عن عبدِ اللهِ ﷺ عنه قال: ...».

(١٢٤٤) تهذيب التهذيب، ت: ١٥٠٤، ٢/ ٣٧٣ – ٣٧٥.

والناظر في أسانيد هذه الرواية يدرك أن الطريق التي جاءت بالعنعنة بين الأعمش وشيخه أرجح من الطريق التي جاءت بصيغة التحديث بين الأعمش وشيخه.

فالرواية التي صرح فيها الأعمش بالعنعنة عن شيخه إبراهيم النخعي، قد جاءت عند البخاري ومسلم وغيرهما من طريق شعبة بن الحجاج، وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، ووكيع بن الجراح، وأبي معاوية الضرير.

ومن هؤلاء الرواة من هم أوثق وأضبط في الرواية من حفص بن غياث.

وبهذا يتبيَّن أن رواية الأكثر التي عنعن فيها الأعمش عن شيخه أرجح من الرواية التي صرح فيها الأعمش بالتحديث عن شيخه.

وقد طبق العلامة ابن القيم هذه القاعدة في حاشيته على سنن أبي داود حينما رجح رواية جاءت من طرق رجال هم أتقن من حفص بن غياث، فقد قال ابن القيم في جواب له على من رجح رواية جاءت من طريق حفص بن غياث: «... رواية عبدالملك ومن معه عن يحيى بن سعيد، أرجح من رواية حفص بن غياث، لأنهم أتقن وأكثر، وأبعد عن الغلط...»(١٢٤٥).

(١٢٤٥) قال ابن القيم هذا القول عند مناقشته لطرق الرواية التي فيها: (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر). ومما قاله ابن القيم:
«...فإن قيل: فقد رواه حفص بن غياث، وهو أثبت ممن ذكرت، عن يحيى بن سعيد عن أخيه سعد بن سعيد عن عمر بن ثابت، فدل على أن يحيى بن سعيد لم يروه عن عمر بن ثابت وإلا لما رواه عن أخيه عنه ورواه إسحاق بن أبي فروة عن يحيى بن سعيد عن عدي بن ثابت عن البراء، فقد اختلف فيه.
قيل: رواية عبدالملك ومن معه عن يحيى بن سعيد، أرجح من رواية حفص بن غياث، لأنهم أتقن وأكثر وأبعد عن الغلط، ويحتمل أن يكون يحيى سمعه من أخيه، فرواه كذلك، ثم سمعه من عمر، ولهذا نظائر كثيرة، وقد رواه عبدالله بن لهيعة عن =

ونحن نقول إن الرواية التي عنعن فيها الأعمش عن شيخه هي الأرجح، لأن الرواة الذين نقلوها عن الأعمش «أتقن وأكثر، وأبعد عن الغلط».

وجاءت هذه الرواية موقوفة على الصحابي عبدالله بن مسعود عند البخاري[(١٢٤٦)] والنسائي[(١٢٤٧)] من طريقة عنعنة «الأعمش عن إبراهيم»، وجاءت موقوفة على ابن مسعود بصيغة التحديث عند الطيالسي[(١٢٤٨)].

وليس في هذه الرواية الموقوفة تفسير الظلم بالشرك، بل كل ما فيها ذكر الترتيب الزمني لنزول الآيات.

وكون هذه الرواية تُرفع أحياناً وتوقف أحياناً أخرى دليل آخر على ضعفها؛ فنجد الأعمش أو غيره يضطربون في نسبة هذه الرواية بين رافع لها إلى مقام النبوة أو موقفها على الصحابي عبدالله بن مسعود.

من هذه الأقوال ندرك عدم ثبوت هذا التفسير المنسوب إلى الرسول ﷺ، وندرك عدم ثبوت سؤال الصحابة للرسول ﷺ عن معنى (الظلم) الوارد في هذه الآية الكريمة.

= عبد ربه بن سعيد عن أخيه يحيى بن سعيد عن عمر، فإن كان يحيى إنما سمعه من أخيه سعد فقد اتفقت فيه رواية الإخوة الثلاثة له، بعضهم عن بعض». (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٧/ ٨٩ – ٩٠)

(١٢٤٦) صحيح البخاري، الرواية: ٣٤٢٨، ص٦١٣. قال الإمام البخاري: «حدّثنا أبو الوَليدِ حدُثنا شعبةُ عنِ الأعمشِ عن إبراهيمَ عن عَلْقمةَ عن عبدِ الله قال: «لما نزلَت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال أصحابُ النبيّ ﷺ: أيُنا لم يَلبِسْ إيمانَه بظلم؟ فنزلَت: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]». وانظر كذلك الرواية: ٣٢ والرواية: ٤٦٢٩.

(١٢٤٧) سنن النسائي الكبرى، الرواية: ١١١٦٦، ٦/ ٣٤١.

(١٢٤٨) مسند الطيالسي، الرواية: ٢٧٠، ١/ ١٤١. «حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة قال: قال لي الأعمش: ألا أحدثك حديثاً جيداً حدثني إبراهيم قال: حدثني علقمة عن عبدالله بن مسعود قال: «لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قالوا: وأينا لم يخطِ حتى نزلت هذه الآية: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

ومن هذا ندرك خطأ قول الشوكاني: «والعجب من صاحب الكشاف حيث يقول في تفسير هذه الآية: وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس، وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرها بهذا، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل»(١٢٤٩).

فالصادق المصدوق ﷺ لم يثبت عنه هذا التفسير الذي نُسب إليه، فالعجب من العلامة الشوكاني كيف يغفل عن هذه العلل الظاهرة التي جاءت في أسانيد هذه الرواية.

ونجد العلامة الشوكاني يكرر ادعاء ثبوت الروايات القائلة بخروج عصاة الموحدين من النار في محضر نقاشاته للزمخشري، حيث قال الشوكاني: «قال الزمخشري في الكشاف بعد ذكره لهذا: إنه مما لفقته المجبرة، ويا لله العجب من رجل لا يفرق بين أصحّ الصحيح، وبين أكذب الكذب على رسول الله ﷺ، يتعرض للكلام على ما لا يعرفه ولا يدري ما هو؟ قد تواترت الأحاديث تواتراً لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلم الرواية بأن عصاة الموحدين يخرجون من النار، فمن أنكر هذا فليس بأهل للمناظرة؛ لأنه أنكر ما هو من ضروريات الشريعة، اللهم غفراً»(١٢٥٠).

ليس لهذه الفقرة التي قالها الشوكاني أي مصداقية في علم الرواية والدراية.

فمناهج الأمة الإسلامية بجميع فروعها ترد فكرة خروج عصاة المسلمين من النار.

ولو أنه عرض الروايات التي اعتد بها على المنهج الصحيح لما قال هذا القول، ولتبيَّن له بطلان دعوى تواترها، ولعرف ضعف أسانيدها ومتونها،

(١٢٤٩) تفسير الشوكاني، ٢/ ١٩٠.

(١٢٥٠) تفسير الشوكاني، ٢/ ٥٦، من تفسير الآية ٣٧ من سورة المائدة.

ولطلب الغفران من المولى جلّ وعلا عن مخاصمته لصالح قضية نسبها القرآن الكريم إلى اليهود، وحاربتها مناهج الأمة الإسلامية المنصورة.

• **والرواية المنسوبة إلى أبي بكر الصديق ﷺ**، والتي رواها الحاكم[١٢٥١]، والتي فيها تفسير الظلم بالشرك فقط، هي رواية ضعيفة لورودها من قبل أحمد بن عبدالجبار بن محمد العطاردي، فقد قال ابن حجر عنه في التقريب: «ضعيف وسماعه للسيرة صحيح»[١٢٥٢].

وهناك علة أخرى في سند هذه الرواية، وهي أن سماع الأسود بن هلال المحاربي الكوفي لم يثبت عن أبي بكر الصديق ﷺ، فهو وإن أدرك حياة الرسول ﷺ إلا أنه هاجر إلى المدينة في أيام عمر[١٢٥٣] بن الخطاب ﷺ بعد موت أبي بكر الصديق، والناظر في أسماء الأشخاص الذين روى عنهم الأسود بن هلال لا يجد لأبي بكر ﷺ ذكراً[١٢٥٤]، وكذلك لا يجد للأسود بن هلال ذكراً في قائمة من روى عن أبي بكر الصديق[١٢٥٥].

(١٢٥١) المستدرك على الصحيحين، الرواية: ٣٦٤٨، ٢/٤٧٨.
قال الحاكم: «حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبدالجبار، ثنا عبدالله بن إدريس، أنبأ أبو إسحاق الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن الأسود بن هلال، عن أبي بكر الصدّيق ﷺ قال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾. فقالوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، فلم يلتفتوا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، بخطيئة، فقال أبو بكر: حملتموها على غير وجه المحمل ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ ولم يلتفتوا إلى إله غيره ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
وانظر نحو هذه الرواية في (المطالب العالية، ٨/٢١٩).

(١٢٥٢) تقريب التهذيب، ت: ٦٤، ١/٣٩.

(١٢٥٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ت: ٤٥٦، ١/١٠٨.

(١٢٥٤) تهذيب الكمال، ١/٢٦٣.

(١٢٥٥) تهذيب الكمال، ٤/٢٠٥ – ٢٠٦.

وجاء عند الطبري[1256] أيضاً رواية منســوبة إلى أبي بكر الصديق وهي لا تقوم بها حجة وذلك بسـبب انقطاع سـندها بين يونس بن أبي إسـحاق السبيعي وأبي بكر الصديق ﷺ.

- والرواية المنسـوبة إلـى أُبي بن كعب ﷺ والتي أجـاب فيها على سـؤال عمر بن الخطاب ﷺ، والتي رواها الحاكم[1257]، والطبري[1258] فهي رواية لم تثبت لورودها من قبل علي بن زيد بن جدعان.

فقد قـال ابن حجر: «علي بـن زيد بن عبد الله بن زهير بـن عبد الله بن جُدْعان التيمـي، البصري، أصله حجازي، وهو المعـروف بعلي بن زيد بن جُدْعان، ينسب أبوه إلى جدّ جدّه، ضعيف»[1259].

(١٢٥٦) تفسـير الطبـري، ٧/٢٥٦. قـال الطبـري: «حدثنـا هنـاد، قال: ثنـا قبيصة، عـن يونس بن أبي إسـحاق، عن أبي بكر: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

(١٢٥٧) المستدرك على الصحيحين، ٥٣٣٠، ٣/٣٤٥.

قال الحاكم: «حدّثني علي بن حمشـاذ العدل قال: أخبرني الحارث بن أبي أسامة، أنا روح بن عبادة، ثنا حماد بن زيد، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب أتى على هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ [illegible] وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ فأتى أبي بن كعب فسـأله: أينا لم يظلم؟ فقال له: يا [illegible] المؤمنين إنما ذاك الشرك أما سمعت قول لقمان لابنه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ [illegible] عَظِيمٌ﴾ [illegible]

(١٢٥٨) تفسير الطبري، ٧/٢٥٧. قال الطبري: «حدثنا [illegible] بن عليّ الجهضمي، قال: ثني أبي، قال: ثنا جرير بن حازم، عن عليّ بن [illegible] المسيب، أن عمر بن الخطاب قرأ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ [illegible] فزع، فأتـى أبيّ بن كعب، فقال: يا أبا المنذر قرأت آية من كتاب [illegible] ما هي؟ فقرأ عليه، فأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: غفر الله لك، أما [illegible] ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟ إنما هو: ولم يلبسوا إيمانهم [illegible]

(١٢٥٩) تقريب التهذيب، ت: [illegible]

وجاء هذا التفسير المنسوب إلى أُبي ﷺ أيضاً عند الطبري[1260] منقطع الإسناد، فقد أرسله أبو عثمان عمرو بن سالم.

قال ابن حجر: «قال الحاكم أبو أحمد: هو معروف بكنيته... روى عن ابن عباس، وابن عمر، وأرسل عن أُبي بن كعب»[1261].

• والرواية المنسوبة إلى سلمان الفارسي[1262] والتي فيها تفسير الظلم بالشرك فقط لا تثبت وذلك لورودها من قبل أبي الأشعر وأبيه، ولم أعثر لهما على ترجمة في كتب الحديث التي بين يدي.

• والرواية المنسوبة إلى حذيفة[1263] ﷺ والتي فيها تفسير الظلم بالشرك فقط لا تثبت وذلك لورودها من قبل درسب الذي لم أجد له ترجمة في كتب الرجال. وكذلك جاءت عند الطبري رواية أخرى[1264] منسوبة إلى حذيفة وهي ضعيفة لوجود رجل مجهول لم يسم في سندها.

(١٢٦٠) تفسير الطبري، ٢٥٧/٧. قال الطبري: «حدثنا هناد، قال: ثنا ابن فضيل، عن مطرف، عن أبي عثمان عمرو بن سالم، قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ فقال عمر: قد أفلح من لم يَلْبس إيمانه بظلم فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين: ذاك الشرك».

(١٢٦١) تهذيب التهذيب، ت: ٨٥٧٣، ١٤٦/١٢.

(١٢٦٢) تفسير الطبري، ٢٥٦/٧. قال الطبري: «حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سعيد بن عبيد الطائي، عن أبي الأشعر العبدي، عن أبيه، أن زيد بن صُوحان سأل سلمان، فقال: يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت مني كلّ مبلغ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾؟ فقال سلمان: هو الشرك بالله تعالى. فقال زيد: ما يسرني بها أني لم أسمعها منك وأن لي مثل كل شيء أمسيت أملكه».

(١٢٦٣) تفسير الطبري، ٢٥٦/٧. قال الطبري: «حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا نُسير بن ذُعْلوق، عن درسب، عن حذيفة، في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك.

(١٢٦٤) تفسير الطبري، ٢٥٦/٧. قال الطبري: «حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن أبي إسحاق الكوفي، عن رجل، عن عيسى، عن حذيفة، في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

• والروايات المنسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنهما والتي فسر فيها الظلم بالشرك لا تقوم بها حجة وذلك لورودها من قبل المثنى بن إبراهيم الآملي[١٢٦٥] الذي لم أجد له ترجمة في كتب الرجال، وكذلك لورود رواية أخرى من قبل عطية العوفي وأحفاده الضعفاء[١٢٦٦]، ولورود رواية أخرى عند الطبري[١٢٦٧] من قبل سفيان بن وكيع بن الجراح[١٢٦٨]، وعلي بن زيد بن جدعان[١٢٦٩].

• وجاء عند الطبري[١٢٧٠] رواية منسوبة إلى ابن مسعود رضي الله عنه وهي

(١٢٦٥) تفسير الطبري، ٧/٢٥٧. قال الطبري: «حدثني المثنى، قال: ثنا عارم أبو النعمان، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير وغيره، أن ابن عباس كان يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

وقال الطبري أيضاً في تفسيره، ٧/٢٥٧: «حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ يقول: بكفر».

(١٢٦٦) تفسير الطبري ٧/٢٥٧. قال الطبري: «حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ يقول: لم يلبسوا إيمانهم بالشرك، وقال إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ». (انظر: قول علماء الجرح والتعديل في حق عطية وأحفاده في ص ٢٤١ من هذا البحث).

(١٢٦٧) تفسير الطبري، ٧/٢٥٧. قال الطبري: «حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد بن جدعان، يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن عمر دخل منزله، فقرأ في المصحف فمرّ بهذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ فأتى أُبيًا فأخبره، فقال: يا أمير المؤمنين إنما هو الشرك».

(١٢٦٨) قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب، ت: ٢٥٤٩، ٤/١١١ – ١١٢): «وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: ليس بشيء».

(١٢٦٩) قال ابن حجر: «علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جُدْعان التيمي، البصري، أصله حجازي، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جُدْعان، ينسب أبوه إلى جدّ جدّه، ضعيف» (تقريب التهذيب، ت: ٤٧٥٠، ١/٦٩٤).

(١٢٧٠) تفسير الطبري، ٧/٢٥٨. قال الطبري: «حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الأعمش، أن ابن مسعود قال لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ كبر ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه فقال النبي ﷺ: «أما سَمِعْتُمْ قَوْلَ لُقْمَان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»».

ضعيفة لورودها من قبل الأعمش المدلس[١٢٧١] ومعمر بن راشد الذي ضعف رواياته عن الأعمش[١٢٧٢] علماء الجرح والتعديل.

• **والرواية[١٢٧٣] التي نسبت إلى إبراهيم النخعي والتي فيها تفسير الظلم بالشرك** ضعيفة لورودها من قبل يحيى بن طلحة اليربوعي، فقد قال ابن حجر عنه: «لين الحديث»[١٢٧٤].

وهناك رواية أخرى جاءت عند الطبري[١٢٧٥] منسوبة إلى إبراهيم النخعي وهي ضعيفة لورودها من قبل سفيان بن وكيع بن الجراح[١٢٧٦].

• **والتفسير المنسوب[١٢٧٧] إلى عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة** تفسير ضعيف لوروده من قبل عنعنة أبي إسحاق عمرو بن عبدالله بن عبيد السبيعي الكوفي الـ«مكثر من التدليس»[١٢٧٨]، وهو يعدُّ من أفراد المرتبة الثالثة من المدلسين[١٢٧٩]. وقد ذكر ابن حجر حكم عنعنة المدلس من أفراد هذه المرتبة

(١٢٧١) انظر ص٢٥٧ من هذا البحث.

(١٢٧٢) انظر ص٣٣ من هذا البحث.

(١٢٧٣) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٦. قال الطبري: «حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

(١٢٧٤) تقريب التهذيب، ت: ٧٦٠٠، ٢/ ٣٠٦.

(١٢٧٥) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٨. قال الطبري: «حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسين، عن عليّ، عن زائدة، عن الحسن بن عبدالله، عن إبراهيم: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

(١٢٧٦) قال ابن حجر: «ضعيف». (تقريب التهذيب، ت: ٤٧٥٠، ١/ ٦٩٤).

(١٢٧٧) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٧. قال الطبري: «حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبدالرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

(١٢٧٨) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ت: ٥٧٥، ص٢٤٥.

(١٢٧٩) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٩١، ص١٠١.

بقوله: «الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقاً، ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي»[١٢٨٠].

• وجاء عند الطبري[١٢٨١] تفسير الظلم في هذه الآية بالشرك منسوباً إلى قتادة بن دعامة السدوسي وهذا لا يصح عنه لوروده من قبل سعيد بن بشير الضعيف[١٢٨٢].

• وأما التفسير[١٢٨٣] المنسوب إلى مجاهد فهو لا يثبت عنه لوروده من قبل عنعة ابن أبي نجيح المدلس[١٢٨٤]، وكذلك[١٢٨٥] لوروده من قبل محمد بن حميد الرازي[١٢٨٦].

• وأما تفسير السدي[١٢٨٧] للظلم هنا بالشرك فلا يقبل لضعف

(١٢٨٠) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ص٢٣.

(١٢٨١) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٨. قال الطبري: «حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: أي بشرك».

(١٢٨٢) تقريب التهذيب، ت: ٢٢٨٣، ١/ ٣٤٩.

(١٢٨٣) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٨. قال الطبري: «حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بعبادة الأوثان».

(١٢٨٤) انظر ص٤٩١ من هذا البحث.

(١٢٨٥) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٩. قال الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبدالرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: عبادة الأوثان».

(١٢٨٦) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١٢٨٧) تفسير الطبري، ٧/ ٢٥٨. قال الطبري: «حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

السدي(١٢٨٨) في علوم التفسير وكذلك لضعف تلميذه أسباط بن نصر الهمداني(١٢٨٩).

• وتفسير الظلم هنا بالشرك فقط، والمنسوب إلى ابن زيد، كما جاء عند الطبري(١٢٩٠)، فلا قيمة له في ميزان الأمة لوروده من قبل ابن زيد. وقد روى عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي عن عبدالرّحمٰن بن زيد بن أسلم، وأسامة بن زيد بن أسلم، وأسامة بن زيد الليثي، ولم يحدد ابن وهب من هو ابن زيد الذي نقل عنه هذه الرواية وإن كان الترجيح يذهب إلى عبدالرّحمٰن بن زيد. فمهما يكن من أمر فكل هؤلاء الثلاثة لا يحتج بأقوالهم(١٢٩١).

(١٢٨٨) انظر ص ٢٥٤ من هذا البحث.

(١٢٨٩) قال ابن حجر: «أسباط بن نصر الهمداني... قال حرب: قلت لأحمد: كيف حديثه؟ قال: ما أدري، وكأنه ضعفه. وقال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعفه وقال: أحاديثه عامته سقط، مقلوب الأسانيد. وقال النسائي: ليس بالقوي». (تهذيب التهذيب، ت: ٣٥٤، ١/١٩٢).

(١٢٩٠) تفسير الطبري، ٧/٢٥٨. قال الإمام الطبري: «حدثني يونس بن عبدالأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك».

(١٢٩١) ـ عبدالرّحمٰن بن زيد بن أسلم العدوي، قال ابن حجر في (تقريب التهذيب، ت: ٣٨٧٩، ١/ ٥٧٠): «ضعيف».

ـ أسامة بن زيد بن أسلم العدوي، قال ابن حجر في (تقريب التهذيب، ت: ٣١٥، ١/ ٧٥): «ضعيف من قبل حفظه».

ـ أسامة بن زيد الليثي، قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب، ت: ٣٥٠، ١/١٨٩ – ١٩٠): «قال أحمد: تركه القطان بآخرة. وقال الأثرم عن أحمد: ليس بشيء. وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: روى عن نافع أحاديث مناكير فقلت له: أراه حسن الحديث فقال: إن تدبرت حديثه فستعرف فيه النكرة. وقال ابن معين في رواية أبي بكر بن أبي خيثمة: كان يحيى بن سعيد يضعّفه. وقال أبو يعلى الموصلي عنه: ثقة، صالح. وقال عثمان الدارمي عنه: ليس به بأس. وقال الدوري وغيره عنه: ثقة. زاد غيره: حجّة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتجّ به. وقال النّسائي: ليس بالقوي». واختصر ابن حجر في (تقريب التهذيب، ت: ٣١٧، ١/٧٦) أقوال علماء الجرح في أسامة بن زيد الليثي بقوله: «صدوق، يَهم».

من كل ما سبق ذكره يتبيّن لنا أن كل الروايات التي حددت الظلم المذكور في آية سورة الأنعام بالشرك فقط روايات لا تقوم بها حجة.

فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] يبيّن لنا حال الذين تطهروا من كل أنواع الظلم.

وقول الله سبحانه تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٥، ٤٦].

يبيّن لنا حال الظالمين الذين قدموا إلى يوم القيامة، ولم تستثن هذه الآية ظلماً دون آخر.

- قال ابن كثير: «﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: دائم سرمدي أبدي لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: ليس له خلاص»(١٢٩٢).

- وقال الشيخ السعدي: «﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: في سوائه ووسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبداً، ولا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون»(١٢٩٣).

(١٢٩٢) تفسير ابن كثير، ٦/٢١٢.

(١٢٩٣) تفسير السعدي، ص٧٢٧، من تفسير الآية ٤٥ من سورة الشورى.

فكل الظالمين ـ والعياذ بالله ـ هذا هو مصيرهم مع تفاوت دركاتهم حسب مستويات مظالمهم، إذا قدموا يوم القيامة غير تائبين. فهم جميعاً في عذاب سرمدي أبدي وليس لهم ولي يشفع لهم وينقذهم مما هم فيه من النكال.

وحينما تغلب على الذهن فكرة العذاب المؤقت فإن المتحمسين لها يعملون على جعل هذه المعاني القرآنية تبعاً لأفكارهم، وهذا التوجه إنما يقوده حب الانتصار للأفكار المذهبية الموروثة والروايات الضعيفة التي أملت المعاني الخاطئة.

قال الرازي: «ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: دائم قال القاضي: وهذا يدل على أن الكافر والفاسق يدوم عذابهما والجواب: أن لفظ الظالم المطلق في القرآن مخصوص بالكفر قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والذي يؤكد هذا أنه تعالى قال بعده هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أن الأصنام التي كانوا يعبدونها لأجل أن تشفع لهم عند الله تعالى ما أتوا بتلك الشفاعة ومعلوم أن هذا لا يليق إلا بالكفار»(١٢٩٤).

ذهب الإمام الرازي إلى هذا القول على أسس ليس لها وزن عند دراسة آيات الله تعالى: ـ

ـ جعل موقفه السابق ورأيه المعارض لأقوال القاضي دليلاً تترجح به المعتقدات، وهذا توجه لا قيمة له في ميزان الأمة الإسلامية.

ـ ولم يلتفت الإمام الرازي هنا إلى تلك الآيات القرآنية التي وصفت أصحاب الكبائر من أفراد هذه الأمة بالظلم(١٢٩٥)، بل رجح معنى واحداً فقط ليتلاءم مع فكرته السابقة.

(١٢٩٤) تفسير الرازي، ٢٧/ ١٦٢.

(١٢٩٥) انظر: الآيات القرآنية في القسم الخامس من الفصل الثاني من هذا البحث.

- وجعل الإمام الرازي عدم شفاعة الأصنام للكافرين يوم القيامة إحدى المؤكدات لفكرة الشفاعة لأصحاب الكبائر من هذه الأمة. وهذا قول ينقضه القرآن نفســه، فلقد أكد لنا القرآن الكريم أن الكافرين في الدنيا لا يعترفون بحياة بعد الموت ولا ببعث ولا بجنة ولا بنار فضلاً عن أمنيتهم في شفاعة أصنامهم لهم يوم القيامة.

- والروايــة التي أخرجهــا الإمام الطبــري[١٢٩٦]، وابــن أبي حاتم[١٢٩٧]، وذكرها واحتج بها الشوكاني[١٢٩٨]، والألوســي[١٢٩٩]، والسيوطي[١٣٠٠]، وابن الجوزي[١٣٠١]، وابن عاشور[١٣٠٢]، والتي نســبت إلى النضر بن الحرث قوله: «سوف تشــفع لي اللات والعزّى»، هي رواية ضعيفة باطلة لورودها من قِبَل الحســين بن داود عن شــيخه حجاج بن محمــد[١٣٠٣]، ولورودهــا من قبل الحكم بن أبان العدني صاحب الأوهام[١٣٠٤]، وبســبب انقطاع ســندها بين عكرمة مولى ابن عباس والنضر بن الحرث.

(١٢٩٦) تفســير الطبري، ٢٧٩/٧. قال الإمام الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنــي حجاج، قال: قــال ابن جريج: أخبرنــي الحكم بن أبان عن عكرمــة، قال: قال النضر بن الحرث: سوف تشــفع لي اللات والعزّى فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤]. إلى قوله: ﴿ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾».

(١٢٩٧) تفسير ابن أبي حاتم، الرواية: ٧٦٧٥، المجلد ٣٩٨/٣، من تفسير الآية ٩٤ من سورة الأنعام.

(١٢٩٨) تفسير الشوكاني، ٢٠٠/٢.

(١٢٩٩) تفسير الألوسي، ٢١٢/٤، و٨٣/٦.

(١٣٠٠) الدر المنثور، ٥٩/٣.

(١٣٠١) تفسير ابن الجوزي، ٥٧/٢.

(١٣٠٢) تفسير ابن عاشور، ٤٥/١١.

(١٣٠٣) انظر ص٤٦١ من هذا البحث.

(١٣٠٤) تقريب التهذيــب، ت: ١٤٤٤، ٢٣٠/١. وقد ذكــرت في كتاب (الميزان القســط)، ص١٩٥ ـ ١٩٧، أقوال علماء الجرح والتعديل ورد الفقهاء لروايات جاءت من طريق الحكم بن أبان.

ـ وبيَّن لنا القرآن الكريم أن الذين يؤمنون بيوم الحشر عليهم بتقوى الله تعالى وعدم الركون إلى أمنية الشفاعة، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

قال الطبري: «﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ﴾ علماً منهم بأن ذلك كائن فهم مصدّقون بوعد الله ووعيده، عاملون بما يرضي الله، دائمون في السعي فيما ينقذهم في معادهم من عذاب الله. ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾ أي: ليس لهم من عذاب الله إن عذّبهم وليّ ينصرهم فيستنقذهم منه. ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم، فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه»(١٣٠٥).

ـ والتوجه الذي سار عليه الرازي هنا يناقض المقاييس التي يسير عليها تلقي العلوم في الإسلام، فقوله: «ومعلوم أن هذا لا يليق إلا بالكفار» يجعل الإنسان يتساءل: ـ

ـ كيف وصل إلى درجة العلم وكل الروايات التي استند عليها الرازي في إثبات (فكرة الخروج من النار) ضعيفة لا تقوم بها حجة؟!.

ـ وكيف وصلت (فكرة الخروج من النار) إلى درجة العلم وليس في كتاب الله تعالى آية صريحة تنص عليها؟. فقد قال الأستاذ المراغي: «فليس في القرآن الكريم نص قاطع في ثبوتها...»(١٣٠٦). وقال الأستاذ محمد رشيد

(١٣٠٥) تفسير الطبري، ٧/ ٢٠٠.

(١٣٠٦) تفسير المراغي، ١/ ٩٧ـ٩٨. وتتمة أقوال المراغي: «... ولكن جاء في السُّنَّة الصحيحة ما يؤيد وقوعها كقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فمن كذب بها لم ينلها»»، هذه الرواية التي أشار إليها الشيخ المراغي لا تقوم بها حجة لضعف طرقها كما تبيَّن في هذا البحث.

رضـا: «فليس في القرآن نص قطعي في وقوع الشفاعة ولكن ورد الحديث[١٣٠٧] بإثباتها...»[١٣٠٨].

من كل ما سبق بيانه ندرك أن الروايات التي حددت معنى (الظلم) بالشرك فقط لا تثبت في ميزان المنهج الإسلامي، وندرك كذلك أن (الظلم) يعم في معناه جميع المعاصي التي يقترفها الإنسان في مسيرته في هذه الحياة الدنيا.

فعلى الإنسان التطهر من كل المظالم قبل أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه قول الرسول ﷺ: «**الظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ**».

قال الصنعاني: «وعن ابن عُمَرَ ﵄ قال: قال رسولُ الله: «**الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يوْمَ القيامة**» متفق عليه. الحديث من أدلة تحريم الظلم وهو يشمل جميع أنواعه، سواء كان في نفس أو مال أو عرض، في حق مؤمن أو كافر أو فاسق»[١٣٠٩].

وقال سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى: «... فإن حصر الظلم في الإشراك بالله وهم ناشئ عما تشبعت به هذه النفوس من حب الجور والفساد، وقد أدى ذلك إلى انقلاب موازينها حتى رأت البطش بالناس وغمطهم حقوقهم وسلبهم كرامتهم الإنسانية لا ينطبق عليه وعيد الظلم، وكذلك انحراف الأخلاق، والخروج عن سواء الصراط في السلوك والمعاملات، وهذا مما أدى إلى الاستهانة بكبائر الإثم والفحشاء، على أن خير ما يبيّن مجملات القرآن نصوص القرآن التفصيلية، وكم فيها مما يدل

(١٣٠٧) الأحاديث التي جاء فيها ذكر الشفاعة لأهل الكبائر لا تقوم بها حجة، والحمد لله رب العالمين.

(١٣٠٨) تفسير المنار، ١/٣٠٧.

(١٣٠٩) سبل السلام، (كتاب الجامع، باب الترهيب من مساوىء الأخلاق)، ٤/ ٢٠٣٠.

قال الألوسي: «وهذه الآية كما ترى في حق الكفار، فلا تنافي القول بالشفاعة لعصاة المؤمنين في الخروج منها كما لا يخفى على من له أدنى إيمان. وقد أخرج مسلم وابن المنذر وابن مردويه عن جابر بن عبد الله «أن رسول الله ﷺ قال: **يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة**»، قال يزيد الفقير: فقلت لجابر: يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] قال: أتل أول الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٦] ألا إنهم الذين كفروا»[١٣٩١].

فالرواية التي أشار إليها الألوسي هنا قد ذكرناها في موضعها من هذا البحث[١٣٩٢].

وقال الألوسي بعد أن أشار إلى قصة ابن الأزرق مع ابن عباس: «ولسنا مضطرين لتصحيح هذه الرواية ولا وقف الله تعالى صحة العقيدة على صحتها، فكم لنا من حديث صحيح شاهد على حقيقة ما نقول»[١٣٩٣].

والمتتبع للروايات التي اعتمد عليها الألوسي وغيره في إثبات فكرة (خروج عصاة المسلمين) من النار يجدها ضعيفة، أو متناقضة، أو آحادية - إذا سُلم بسلامة أسانيدها -.

ولو طبق العلامة الألوسي المنهج المستقيم الذي أشار إليه في تفسيره على جميع الروايات التي احتج بها لوجد يده فارغة من كل دليل صحيح يشهد له.

(١٣٩١) تفسير الألوسي، ٣/ ٣٠٠.
(١٣٩٢) انظر ص٢٢٦ من هذا البحث.
(١٣٩٣) تفسير الألوسي، ٣/ ٣٠٠.

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

على أن الله سبحانه وتعالى قطع دابر كل جدل في هذا عندما بيّن من الخاسر ومن الرابح من عباده، وذلك عندما حكم على جميع الجنس الإنساني بالخسران؛ إلا من جمع منهم بين أربع خصال إذ قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] وهو مما يدل على خطورة المقام، وأن الفوز لا يدرك بالأماني وأن السعادة لا يتناولها الكسالى...

... هذا ومن تدبر دلالة الآية نفسها مستبصراً بمنهج اللسان العربي الذي نزل به القرآن، ومسترشداً بالقواعد الأصولية المجمع عليها في الاستدلال على معاني النصوص، يجدها بعيدة كل البعد عن ما تقتضيه تلكم الرواية من حصر الظلم في الشرك فإن كلمة (ظلم) فيها نكرة في سياق النفي تفيد العموم بلا خلاف، وإلا فماذا عسى أن يقال في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ أيقال: بجواز حمل المنفي في الآية من الولد والإلٰه المنكرين على غير العموم؟ كلا والله؛ لا يقول هذا من في نفسه ذرة من إيمان ولا بصيص من عقل، فإنه يؤدي إلى نقض التوحيد وجواز أن يكون الله متخذاً أولاداً لحمل المنفي في الآية من الولد والإلٰه على بعض الأولاد وبعض الآلهة دون بعض، ولو جاز ذلك لما كانت جملة (لا إلٰه إلا الله) توحيداً مع أنها توحيد بالإجماع...

... إن تسرُّب مثل هذه الأفكار إلى مجتمع ما يهدده بنسف صروح التقوى والاستقامة فيه، فماذا عسى أن تكون حالة مجتمع يقر في فكره ووجدانه أن الإيمان التقليدي العقيم إن سلم من شائبة الإشراك يكفي وحده

على أن الظلم لا ينحصر في الإشـراك، وإنما يصدق على ظلم العبد نفسـه بعصيانه وظلمه لغيره بسلبه حقه الشرعي»[١٣١٠].

وقال سماحته أيضاً في رده على من حصر الظلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الشرك وحده دون غيره من المعاصي: «ولعمر الحق إن تفسير الآية بذلك أخطر على الإسـلام من كل خطر، فإنه المعول الهدام لجميع أسسـه، المجتث لجميع فضائله، الملغي لجميع أدلته، إذ ليس معناه إلا أن من كان محسوباً على أهل الإيمان لا يضيره ما صنع ما لم يتلبس بشـيء من الشرك، ولو أضاع الصلاة والصيام ومنع الزكاة وعطل الحج، وانسـاق وراء شـهواته فلم يدع كبيرة إلا أتاها ولا رذيلة إلا اعتنقها ولا فريضـة إلا أهملها ولا حرمة إلا انتهكها، فما عليه أن لقي الله معطلاً لجميع شعائر الإسلام، ومهملاً لجميع واجبات الدين، ومرتكباً كل فحشـاء من زنا ولواط وقتل النفس المحرمة بغير حق؛ وعقوق الوالدين وقطع الأرحـام؛ وأكل الربا وأكل أموال اليتامـى ظلماً وأكل أموال سائر الناس؛ وتطفيف الموازين والمكاييل؛ وإطلاق اللسان في أعراض الناس غيبة ونميمة وقذفاً للمحصنات؛ فإنه إن لم يشـب إيمانه بشائبة الإشراك فهو من الذين لهم الأمن وهم مهتدون، اللّهُـمَّ إلا أن يدعي الباحث أن ما ذكرناه من الكبائـر معدود من جملة الإشـراك، ومـن فعله محكوم عليـه بأحكام المشـركين، وهو مما لم يقله إلا الخوارج الغالون، وعليـه فإنه يلزمه إما أن يكون على عقيدة الخوارج في تلكم الكبائـر، أو على عقيدة المرجئة الذين ألغوا الأعمال كلها من قاموس الإيمان؛ (وحسبي من أمرين أحلاهما مر)...

... بث مثل هـذا الفكر في المجتمـع هو دعوة صارخة إلى التشـبث بالأوهام الباطلة والأماني الفارغة التي قطع الله خيوطها الواهية بصارم قوله:

(١٣١٠) حكم البراءة من مرتكب الكبيرة، ص٢٤.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]

لقد ذكر كثير من القائلين بـ(فكرة خروج عصاة المسلمين من النار) هذه الآية الكريمة ضمن أدلتهم التي سطروها في إثبات قولهم. والناظر في الروايات التي ذكروها يجدها لا حجة فيها لأحد، ولقد اعترف بعدم صلاحية تلك الأقوال كثير من القائلين بـ(فكرة الخروج من النار) أنفسهم.

جاء عند المفسرين لقوله تعالى: ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ الروايات الآتية: ـ

- نقل كل من الرازي(١٣١٢)، وابن عطية(١٣١٣) عند تفسيرهم لهذه الآية: «... يروى أنه ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: إذاً لا أرضى وواحد من أمتي في النار».

- وجاء عند الطبراني في شعب الإيمان: «... رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة»(١٣١٤).

(١٣١٢) تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٠.

(١٣١٣) تفسير ابن عطية، ص١٩٨٦.

(١٣١٤) شعب الإيمان، الرواية: ١٤٤٥، ٢/ ١٦٤.

• وقال السيوطي: «وأخرج الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ قال: لا يرضى محمد، وأحد من أمته في النار»(١٣١٥).

• ونسب كل من الرازي(١٣١٦)، ونووي الجاوي(١٣١٧)، والقمي النيسابوري(١٣١٨) إلى الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «رضاء جدي أن لا يدخل النار موحد».

فمتن هذه الروايات من وساوس الشيطان وغروره، وشباك من حبائله التي لم يفتأ يضعها لاصطياد أفهام الناس حتى يتواكلوا على الأوهام الفارغة.

وقد تنبه العلامة ابن القيم لهذه المخالفات العقدية التي تحويها هذه الروايات، حيث قال: «وأما ما يغتر به الجهال، من أنه لا يرضى وواحد من أمته في النار، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار! فهذا من غرور الشيطان لهم، ولعبه بهم، فإنه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى، وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة، ثم يحد لرسوله حداً يشفع فيهم، ورسوله أعرف به وبحقه من أن يقول: لا أرضى أن يدخل أحداً من أمتي النار على أن يدعه فيها، بل ربه تبارك وتعالى يأذن له، فيشفع فيمن شاء الله أن يشفع فيه(١٣١٩)، ولا يشفع في غير من أذن له فيه ورضيه»(١٣٢٠).

(١٣١٥) الدر المنثور، ٦/ ٦١٠.
(١٣١٦) تفسير الرازي، ٣١/ ٢١٠.
(١٣١٧) مراح لبيد، ٢/ ٦٤٠.
(١٣١٨) تفسير غرائب القرآن، ٥١٧/٣٠.
(١٣١٩) إن كان يقصد بالشفاعة هنا لأجل إخراج عصاة المسلمين من النار، فإن هذا القول ليس له دليل يصح الاعتماد عليه كما هو موضح في هذا البحث، والحمد لله رب العالمين.
(١٣٢٠) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٨.

ونقل ابن الجوزي في كتـاب (تلبيس إبليـس) رد ابن عقيل على قول القائلين: «لا رضـي محمد ﷺ وفي النار من أمته أحـد»: «والدعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة، فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار. كيف وقد لعن في الخمر عشـرة، فدعوى أنه لا يرضـى بتعذيب الله ﷻ للفجـار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع»[١٣٢١].

أكتفي بهذه الأقوال التي قالها ابن القيم وابن الجوزي في حق متن هذه الروايات المنسوبة إلى السلف الصالح، فعلينا جميعاً الجد في العمل وعدم الركون إلى أوهام الشياطين فهي لا تغني شيئاً.

وقد بيّن ابن القيم وأبو السعود التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾.

- حيث قـال ابن القيم: «ثم وعـده بما تقر به عينه، وتفرح به نفسـه، وينشـرح به صدره، وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعـم ما يعطيه من القرآن، والهدى، والنصر، وكثرة الأتباع، ورفع ذكـره، وإعلاء كلمته، وما يعطيه بعد مماته، وما يعطيه في موقف القيامة، وما يعطيه في الجنة»[١٣٢٢].

- وقال أبو السـعود: «وقولُه تعالَـى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ عِدَةٌ كريمةٌ شـاملةٌ لمَا أعطـاهُ الله تعالَى في الدُّنيا من كمـالِ النفسِ وعلومِ الأولينَ والآخرينَ وظهورِ الأمرِ وإعلاءِ الدينِ بالفتوحِ الواقعةِ في عصرِه عليهِ الصلاةُ والسـلامُ وفي أيامِ خلفائِه الراشـدينَ وغيرِهم من الملوكِ الإسلاميةِ وفشُـوِّ الدعوةِ والإسـلامِ في مشـارقِ الأرضِ ومغاربِها ولمـا ادخرَ لهُ من الكراماتِ التي لا يعلمُها إلا الله تعالَى وقدْ أنبأ ابنَ عباسٍ ﵄ عن شَمَّةٍ منهَا

(١٣٢١) تلبيس إبليس، ص٣٠٧-٣٠٨.

(١٣٢٢) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٨.

حيثُ قالَ لَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّــلامُ: «فِي الجنةِ ألفُ قصــرٍ من لؤلؤٍ أبيضَ ترابُه المسكُ»[١٣٢٣].

فهذه الأقوال التــي نقلناها عن ابن القيم، وابن الجوزي، وأبي السـعود تعيننا على فهم الروايــة التي جاءت عند الإمام مســلم[١٣٢٤] «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَــاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَــلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ فِــي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآيَةَ. وَقَالَ عِيسَــى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى. فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَــلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَــاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُــولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ».

قال الإمام النووي عند شــرحه لهذه الرواية: «وهذا الحديث موافق لقول الله ﷻ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾»[١٣٢٥].

فالذين يرضى عنهم الرســول ﷺ هم الذين يتبعونــه في القول والعمل، وقد عبر المفســرون عن هذه الحقيقة عند تفســيرهم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

- قال البيضاوي: «فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته. ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

(١٣٢٣) تفسير أبي السعود، ٦/ ٤٤٠.

(١٣٢٤) صحيح مسلم، الرواية: ٢٠٢، ص١٤٣.

(١٣٢٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٣/ ٧٤.

﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ جـواب للأمر أي يـرضَ عنكم ويكشـف الحجب عـن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسـه، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه ﷺ...»[١٣٢٦].

• وقال الرازي: «... وبالجملة فـكل واحد من فرق العقلاء يدعي أنه يحب الله، ويطلب رضاه وطاعته فقال لرسـوله ﷺ: قـل إن كنتم صادقين فـي ادعـاء محبـة الله تعالى فكونـوا منقادين لأوامـره محترزين عـن مخالفتـه، وتقدير الكلام: أن من كان محبـاً لله تعالى لا بد وأن يكون في غايـة الحذر مما يوجب سـخطه، وإذا قامت الدلالـة القاطعة على نبوّة محمد ﷺ وجبت متابعته، فإن لم تحصل هـذه المتابعة دلّ ذلك على أن تلك المحبة ما حصلت... ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ والمراد من محبة الله تعالى له إعطاؤه الثواب، ومن غفـران ذنبه إزالة العقاب، وهـذا غاية ما يطلبـه كل عاقل، ثم قـال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: غفـور في الدنيا يسـتر علـى العبـد أنـواع المعاصي رحيـم في الآخـرة بفضله وكرمه»[١٣٢٧].

• وقال أبو السـعود: «... ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمـن يتحبّب إليه بطاعته ويتقرّب إليه باتباع نبيّه عليه الصلاة والسـلام فهو تذيـيلٌ مقررٌ لما قبله مع زيادة وعد الرحمةِ، ووضعُ الاسـمِ الجليل موضع الضمير للإشعار باستتباع وصفِ الألوهية للمغفرة والرحمة»[١٣٢٨].

• وقال ابن عاشـور: «ويدل على الحب المزعوم إذا لم يكن معه اتّباع

(١٣٢٦) تفسير البيضاوي، ١/١٥٦.

(١٣٢٧) تفسير الرازي، ٨/١٦ـ١٧.

(١٣٢٨) تفسير أبي السعود، ١/٣٥٥، من تفسير الآية ٣١ من سورة آل عمران.

الرســول فهو حبّ كاذب، لأنّ المحــب لمن يحبّ مطيــع، ولأنّ ارتكاب ما يكرهه المحبوب إغاضة له وتلبس بعدوّه...»[١٣٢٩].

• وقال الشــنقيطي: «يؤخذ من هــذه الآية الكريمــة أن علامة المحبة الصادقة لله ورســوله ﷺ هي اتباعه ﷺ، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر. إذ لو كان محباً له لأطاعــه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة»[١٣٣٠].

• وقال الشــعراوي: «إن الحق يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ هذه الآية تدل على ماذا؟ إنهم لا بد قد ادعوا أنهم يحبون الله، ولكنهم لم يتبعوا الله فيما جاء به رســول الله ﷺ، فكأنهــم جعلوا الحب لله شيئاً، واتباع التكليف شيئاً آخر، والله ســبحانه وتعالى له على خلقه إيجاد، وإمداد، وتلك نعمة، ولله على خلقه فضل التكليف... وبعد ذلك يقول الحق: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إن مســألة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ هــذه تتضمــن ما تســميه القوانين البشــرية بالأثر الرجعي، فمن لم يكن في باله هذا الأمر؛ وهو حب الله، واتباع الرســول ﷺ، فعليه أن يعرف أن عليه مســؤولية أن يبدأ في هذه المسألة فوراً ويتبع الرسول ﷺ وينفذ التكليف الإيماني، وسيغفر له الله ما قد سبق، وأي ذنوب يغفرها الله هنا؟ إنها الذنوب التي فر منها بعض العباد عن اتباع الرسول، فجاء الرسول ﷺ بالحكم فيها»[١٣٣١].

فطلب رضا الله سبحانه وتعالى مرهون بحب رسوله ﷺ والعمل بشرعه، وأما العمل بما يغضب الله ورسوله فلن يجر المرء إلا إلى لعنة الله وملائكته ورسله والمؤمنين.

(١٣٢٩) تفسير ابن عاشور، ٣/ ٨١.

(١٣٣٠) تفسير الشنقيطي، ١/ ٢١٧.

(١٣٣١) تفسير الشعراوي، ٣/ ١٤٢٨ – ١٤٣٢، من تفسير الآية ٣١ من سورة آل عمران.

روايات وأقوال في تفسير آيات من كتاب الله تعالى

﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون ١٠٧]

ومن الروايات التي احتج بها القائلون بـ(خروج عصاة المسلمين من النار) روايات ضعيفة ذُكرت عند تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾.

- ذكر الإمام الطبري[١٣٣٢] رواية ضعيفة منسوبة إلى عبدالله بن مسعود من طريق أبي الزعراء[١٣٣٣].

(١٣٣٢) تفسير الطبري، ١٨/٥٩، قال الإمام الطبري: «حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبدالرّحمٰن بن مَهْدِيّ، قال: ثنا سفيان، عن سَلَمة بن كُهَيل، قال: ثني أبو الزعراء، عن عبدالله، في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: فإذا أراد الله ألّا يُخرج منها، يعني من النار أحداً، غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا ربّ فيقول: من عرف أحداً فليخرجه قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحداً، فيقول: يا فلان يا فلان فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ فيقول: ﴿اخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ فإذا قالوا ذلك، انطبقت عليهم جهنم، فلا يخرج منها بشر».

ذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير (انظر: تفسير ابن كثير ٥/٤٣).

(١٣٣٣) انظر ص ٢٢٥ من هذا البحث.

• وذكر الطبراني[(١٣٣٤)] رواية ضعيفة منسوبة إلى حذيفة بن اليمان من طريق سعد أبي غيلان الشيباني[(١٣٣٥)]، وحماد بن أبي سليمان[(١٣٣٦)]، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة[(١٣٣٧)] الذي اتهمه عبدالله بن أحمد بن حنبل بالكذب وغيره بالوضع.

* * *

٢ . روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

قال الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ»[(١٣٣٨)].

(١٣٣٤) قال الطبراني (المعجم الكبير، الرواية: ٣٠٢٢، ٣/١٦٨): «حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا سعد أبو غيلان الشيباني عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن صلة بن زفر عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الأحمق في معيشته، والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه».

(١٣٣٥) قال ابن كثير: «هذا حديث غريب جداً وسعد هذا لا أعرفه». (تفسير ابن كثير، ٣/٢٢٩).

(١٣٣٦) انظر ص ٣١٥ من هذا البحث.

(١٣٣٧) قال الذهبي: «وثقه صالح جزرة. وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً، وهو على ما وصف لي عبدان لا بأس به. وأما عبدالله بن أحمد بن حنبل فقال: كذاب. وقال ابن خراش: كان يضع الحديث. وقال مطين: هو عصا موسى تلقف ما يأفكون. وقال الدارقطني: يقال إنه أخذ كتاب غير محدث» (ميزان الاعتدال، ت: ٧٩٣٤، ٣/٦٤٢).

(١٣٣٨) تفسير الطبري، ٧/١٦٨.

ثم ذكر الإمام الطبري[١٣٣٩] رواية منسوبة إلى سعيد بن جبير: «حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، عن سفيان بن زياد العصفري، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد، قال من فيها من المشركين: تعالوا نقول: لا إله إلّا الله، لعلنا نخرج مع هؤلاء قال: فلم يصدّقوا، قال: فحلفوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: فقال الله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾».

هـذه الرواية المنسوبة إلى سعيد بن جبير ضعيفة لورودها من قبل أبي معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي.

قال ابن حجر في التهذيب: «قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: أبو معاوية الضرير في غير حديث الأعمش مضطرب لا يحفظها حفظاً جيداً... وقال العجلي: كوفي، ثقة، وكان يرى الإرجاء، وكان ليّن القول فيه... وقال ابن خراش: صدوق، وهو في الأعمش ثقة، وفي غيره فيه اضطراب... وقال النسائي: ثقة في الأعمش»[١٣٤٠].

في هذه الرواية نجد أبا معاوية ينقل هذا القول المنسوب إلى سعيد بن جبير عن سفيان بن زياد العصفري، وحسب أقوال علماء الجرح فإن هذه الرواية مضطربة لا تصح نسبتها إلى سعيد بن جبير.

❃ ❃ ❃

٣ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾

[آل عمران: ١٩٢]

(١٣٣٩) تفسير الطبري، ١٦٨/٧.

(١٣٤٠) تهذيب التهذيب، ت: ٦٠٩٠، ١١٦/٩ – ١١٧.

ذكر الإمام الطبري قولين عند تفسيره لهذه الآية الكريمة:

- «اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته، قال: ولا يخزى مؤمن مصيره إلى الجنة وإن عذّب بالنار بعض العذاب»[١٣٤١].

- «وقال آخرون: معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها، فقد أخزي بالعذاب»[١٣٤٢].

ثم أورد الإمام الطبري روايات[١٣٤٣] تذكر هذا المعنى، والناظر فيها يجدها

(١٣٤١) تفسير الطبري، ٤/ ٢١١.

(١٣٤٢) تفسير الطبري، ٤/ ٢١١.

(١٣٤٣) الروايات التي ذكرها الإمام الطبري هي (تفسير الطبري، ٤/ ٢١١):-

١ ـ حدثني أبو حفص الجبيري ومحمد بن بشار، قال: أخبرنا المؤمل، أخبرنا أبو هلال، عن قتادة، عن أنس، في قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ قال: من تُخلد.

٢ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن رجل، عن ابن المسيب: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ قال: هي خاصة لمن لا يخرج منها.

٣ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا قبيصة بن مروان، عن الأشعث الحملي، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو؟ قال: نعم حق. قال: قلت: يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ و﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾؟ قال: فقال لي: إنك والله لا تستطيع على شيء، إن للنار أهلاً لا يخرجون منها كما قال الله. قال: قلت: يا أبا سعيد: فيمن دخلوا ثم خرجوا؟ قال: كانوا أصابوا ذنوباً في الدنيا، فأخذهم الله بها فأدخلهم بها، ثم أخرجهم بما يعلم في قلوبهم من الإيمان والتصديق به.

٤ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ قال: هو من يخلد فيها.

٥ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا الحرث بن مسلم، عن يحيى بن عمرو بن دينار، قال: قدم علينا جابر بن عبدالله في عمرة، فانتهيت إليه أنا وعطاء، فقلت: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾؟ قال: وما إخزاؤه حين أحرقه بالنار، وإن دون ذلك لخزياً.

لا تقوم عليها دعوى ولا حجة. فقد جاءت تلك الروايات من قبل أبي هلال محمد بن سليم الراسبي البصري الضعيف[١٣٤٤]، ومن طريق عنعنة قتادة المدلس[١٣٤٥]، ومن طريق الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق[١٣٤٦]، ومن طريق رجل مجهول لم يسم في الرواية، ومن طريق المثنى بن إبراهيم الآملي الذي لم أجد له ترجمة في كتب الرجال، ومن طريق الحسين بن داود[١٣٤٧] (المعروف بسنيد بن داود) المصيصي الذي ضَعَّفَ روايتَه عن شيخه حجاج بن محمد عن ابن جريج علماءُ الجرح والتعديل، ومن طريق الحرث بن مسلم ويحيى بن عمرو بن دينار اللذين لم يذكرا في كتب التراجم التي بين يدي.

فالآية صريحة ظاهرة أن من يدخل النار لا نصير له وقد أخزاه الله، ولم تميز بين الداخلين. وهذه عقيدة سجَّلها القرآن الكريم على ألسنة أولي الألباب المؤمنين المتضرعين لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم في الليل والنهار.

فعلى المسلم نبذ كل قول ضعيف عارضه القرآن الكريم وجاءت سُنَّة المصطفى ﷺ الصحيحة بضده.

و(فكرة خروج أهل الكبائر من النار) التي ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة جاءت من قبل روايات ضعيفة لا حجة فيها أبداً: ـ

- قال أبو حيان الأندلسي: «وقال جابر بن عبد الله وغيره: كل من دخل النار فهو مخزي وإن خرج منها، وإنّ في دون ذلك لخزياً، واختاره ابن جريج وأبو سليمان الدمشقي»[١٣٤٨].

(١٣٤٤) انظر ص٣٥٢ هامش ١١٢١ من هذا البحث.

(١٣٤٥) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٩٢، ص١٠٢.

(١٣٤٦) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

(١٣٤٧) انظر ص٤٦١ من هذا البحث.

(١٣٤٨) تفسير أبي حيان الأندلسي، ١٤٧/٣.

وقال أيضاً: «﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ هذه استجارة واستعاذة. أي: فلا تفعل بنا ذلك، ولا تجعلنا ممن يعمل بعملها. ومعنى أخزيته: فضحته... وقال أنس وسعيد، وقتادة، ومقاتل، وابن جريج، وغيرهم: هي إشارة إلى من يخلد في النار، أما من يخرج منها بالشفاعة والإيمان فليس بمخزي»[(١٣٤٩)].

• واختتم الإمام الطبري تفسيره لهذه الآية بقوله: «وأولى القولين بالصواب عندي قول جابر: إن من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إياها، وإن أخرج منها. وذلك أن الخزي إنما هو هتك ستر المخزي وفضيحته، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه، فقد فضحه بعقابه إياه، وذلك هو الخزي»[(١٣٥٠)].

فالروايات التي عُول عليها هنا، في ذكر خروج عصاة المسلمين من النار، هي روايات باطلة ضعيفة لا تقوم بها حجة كما تبيَّن. وقد جَرْت تلك الروايات القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر إلى ذكر أقوال متناقضة.

فقد قال أبو حيان الأندلسي: «أما من يخرج منها بالشفاعة والإيمان فليس بمخزي»، ورجح الإمام الطبري القول: «إن من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إياها، وإن أخرج منها».

ولم تقف إملاءات تلك الروايات الضعيفة عند هذا الحد بل وصلت إلى درجة صار عندها ترتيب حروف الكلمات القرآنية لعبة تُشَكل حسب الأفكار والميول، فقد قال القرطبي: «وقال قتادة: تدخِل مقلوب تخلد، ولا نقول كما قال أهل حروراء»[(١٣٥١)].

(١٣٤٩) تفسير أبي حيان الأندلسي، ٣/ ١٤٧.
(١٣٥٠) تفسير الطبري، ٤/ ٢١١.
(١٣٥١) تفسير القرطبي، ٤/ ٢٠١.

من كل ما سبق يتضح لنا أن القضية ليست قضية المنهج الذي يعترف به الجميع ويُحتكم إليه في إظهار الحق ورد الباطل، بل صارت قضية المسلمين ـ ويا للأسف ـ تنازع وتدافع وتراشق بالتهم ولو استدعى هذا الأمر الركون إلى الروايات الضعيفة، والتفوُّه بالآراء المتناقضة، وقلب حروف الكلمات لأجل الانتصار للأفكار والآراء الضعيفة.

* * *

٤ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: ـ

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٥،٦٦]

في هاتين الآيتين الكريمتين يذكر الله سبحانه وتعالى دعاء عباده في أن يصرف عنهم عذاب جهنم.

وقد جاء في وصف جهنم أنها سيئة القرار وسيئة المقام، وجاء في وصف عذابها بأنه ﴿كَانَ غَرَامًا﴾.

قال ابن عاشور[١٣٥٢] في شرحه لمعاني كلمات هاتين الآيتين: ـ

«والغرام: الهلاك المُلِحّ الدائِم، وغلب إطلاقه على الشر المستمر».

«والمستقَرّ: مكان الاستقرار. والاستقرار: قوة القرار».

«والمقام: اسم مكان الإقامة».

(١٣٥٢) تفسير ابن عاشور، ١٩/٩١.

فمن هذه المعانـــي لهذه الكلمات القرآنية التي جاءت على لســان عباد الرحمن نعرف أن عذاب جهنم دائم وملح، ولـــم يُخصص هذا العذاب لفئة دون فئة ممن دخل فيه، والعياذ بالله تعالى.

فابن عاشور بعد أن ذكر المدلولات اللغوية التي ترشد إلى كون عذاب جهنم دائماً وملحاً، أخذ في اســتثناء عصاة المسلمين معتمداً في ذلك على روايات لا تقوم بها حجة جاءت عند تفسير هاتين الآيتين وفي مواضع أخرى في كتب الحديث والتفسير.

فقد قال ابن عاشور: «أي: ساءت موضعاً لمن يســتقر فيها بدون إقامة مثل عصاة أهل الأديــان ولمن يقيم فيها من المكذبين للرســل المبعوثين إليهم»[١٣٥٣].

والإمام الرازي عند تفســيره لهاتين الآيتين يترجــم بأبلغ عبارة تناقض الأفهام مع مدلولات كلمات هذه الآية البليغة، حيث قال في تفسيره: «فقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ إشــارة إلى كونه مضرة خالصة عن شــوائب النفع، وقوله: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ إشــارة إلى كونها دائمة، ولا شك في المغايرة، أما الفرق بين المستقر والمقام فيحتمل أن يكون المستقر للعصاة من أهــل الإيمان فإنهم يســتقرون في النار ولا يقيمــون فيها، وأما الإقامة فللكفار»[١٣٥٤].

فبعد قوله: «إشارة إلى كونها دائمة»، تراجع عن هذا التعريف بعبارة ليس فيها يقين حيث قال: «فيحتمل أن يكون المســتقر للعصــاة من أهل الإيمان فإنهم يستقرون في النار ولا يقيمون فيها».

(١٣٥٣) تفسير ابن عاشور، ٩١/١٩.
(١٣٥٤) تفسير الرازي، ١٠٢/٢٤.

والإمام الطبري قد أثرت عليه (فكرة الخروج من النار) وخصص معنى العذاب الدائم في حق الكفار مستنداً في ذلك على روايات ضعيفة أوردها في تفسيره، فقد قال: «وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يقول: إن عذاب جهنم كان غراماً ملحّاً دائماً لازماً غير مفارق من عذّب به من الكفار، ومهلكاً له»[١٣٥٥].

فتخصيص العذاب الدائم للكفار فقط إنما هو مبني على روايات ضعيفة ذكرها الإمام الطبري وغيره عند تفسير هذه الآية وغيرها كما سيتضح في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

- رواية منسوبة إلى محمد بن كعب:

قال الإمام الطبري[١٣٥٦]: «حدثني عليّ بن الحسن اللاني، قال: أخبرنا المعافى بن عمران الموصلي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ قال: إن الله سأل الكفار عن نعمه، فلم يردّوها إليه، فأغرمهم، فأدخلهم النار».

هذه الرواية ضعيفة وذلك بسبب موسى بن عبيدة الربذي، فقد قال ابن حجر: «ضعيف»[١٣٥٧].

- رواية منسوبة إلى أنس بن مالك من طريق أبي ظلال البصري الضعيف:

قال أبو يعلى: «حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا سلام بن مسكين حدثنا أبو ظلال عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن عبداً في جهنم لينادي

(١٣٥٥) تفسير الطبري، ١٩/٣٥.
(١٣٥٦) تفسير الطبري، ١٩/٣٦.
(١٣٥٧) تقريب التهذيب، ت: ٧٠١٥، ٢/٢٢٦.

ألف سنة: يا حنان يا منان قال: فيقول الله: يا جبريل ائت عبدي قال: فينطلق جبريل فيرى أهل النار منكبّين على وجوههم قال: فيرجع فيقول: يا رب، لم أره قال: فيقول الله: فإنه في مكان كذا وكذا قال: فيأتيه، فيجيء ربه فيقول الله له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل قال: فيقول: ردوا عبدي فيقول: يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني فيقول: دعوا عبدي»».

أخرج هذه الرواية أبو يعلى(١٣٥٨)، والإمام أحمد(١٣٥٩)، والبغوي(١٣٦٠)، والبيهقي(١٣٦١).

وذكرها واحتج بها ابن كثير(١٣٦٢)، والقرطبي(١٣٦٣).

هذه الرواية ضعيفة بسبب هلال بن أبي هلال، أبي ظلال البصري، فقد قال ابن حجر عنه في التهذيب: «قال معاوية بن صالح عن ابن معين: أبو ظلال اسمه هلال ليس بشيء. وقال الدوري عن ابن معين: أبو ظلال هو هلال القسلمي ضعيف، ليس بشيء. وقال البخاري: مقارب الحديث. وقال الآجري: سألت أبا داود عنه فلم يرضه وغمزه. وقال النسائي: ضعيف. وقال مرة: ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات... وقال البخاري: أبو ظلال عنده مناكير. وقال يعقوب بن سفيان: لين الحديث. وقال أبو الفتح الأزدي: ضعيف. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم.

(١٣٥٨) مسند أبي يعلى، الرواية: ٤٢١٣.

(١٣٥٩) مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٣٤٤٤.

(١٣٦٠) تفسير البغوي، ٣/ ١٧١، من تفسير الآية ٧١ من سورة مريم.

(١٣٦١) شعب الإيمان، الرواية: ٣٢٠، ١/ ٣٩٢. والأسماء والصفات، ١١٨/١.

(١٣٦٢) تفسير ابن كثير، ٥/ ١٦٤ – ١٦٥.

(١٣٦٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ٤٥٦/٢.

وقال النسائي في الكنى: ثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا مروان، ثنا أبو ظلال هلال القسملي وليس بشيء»[١٣٦٤].

فهاتان الآيتان تصفان العذاب بأنه دائم، وتصفان جهنم بأنها ذات قرار ومقام سيئ، وجاء هذا الوصف على لسان عباد الرّحمٰن، ولم يذكروا في استعاذتهم تمييز عصاة المسلمين عن غيرهم من سكان الجحيم.

والذين تحدثوا عن العذاب المؤقت لعصاة المسلمين فحجتهم روايات ضعيفة لا يصح الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله تعالى.

فعلى المسلم اتباع خطوات عباد الرّحمٰن وترك روايات الضعفاء، والمدلسين، والمتروكين.

* * *

٥ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: ـ

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]

القرآن الكريم خاطب العرب بما يجري على ألسنتهم من عبارات، وقد فهموا من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أنهم مقبلون على أمر شديد إذا هم أعرضوا عن الذكر الذي يعرضه عليهم الرسول ﷺ ويخبرهم بمصيرهم في نار جهنم.

قال الإمام الطبري: «وقال آخرون: قيل ذلك، لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة، قالوا: لا هو حيّ، ولا هو ميت، فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم»[١٣٦٥].

(١٣٦٤) تهذيب التهذيب، ت: ٧٦٦٦، ١١/ ٧٤ـ٧٥.

(١٣٦٥) تفسير الطبري، ٣٠/ ١٥٥.

والمتتبع لأقوال بعض المفسرين لهذه الآية الكريمة يجدهم يذكرون أقوالاً لا صلة لها بما تتحدث عنه هذه الآية، فقد ذكروا أن عصاة المسلمين يموتون في نار جهنم قبل إخراجهم منها، وهذه الفكرة لم تتعرض لها هذه الآية الكريمة.

قال القرطبي: «وقد مضى في «النساء» وغيرها حديث أبي سعيد الخُدْريّ، وأن الموحدين من المؤمنين إذا دخلوا جهنم - وهي النار الصغرى على قول الفراء - احترقوا فيها وماتوا؛ إلى أن يُشْفَع فيهم. خرّجه مسلم. وقيل: أهل الشقاء متفاوتون في شقائهم، هذا الوعيد للأشقى، وإن كانَ ثمَّ شقِي لا يبلغ هذه المرتبة»[١٣٦٦].

وقال الألوسي: «واعلم أن عدم الموت في النار على ما صرح به غير واحد مخصوص بالكفرة وأما عصاة المؤمنين الذين يدخلونها فيموتون فيها، واستدل لذلك بما أخرجه مسلم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ»[١٣٦٧].

فعدم الخروج عن مدلول هذه الآية هو المسلك الذي ينبغي لكل دارس الالتزام به حتى يكون له حظٌّ وافرٌ من أنوار القرآن الكريم، ولا أحد يستطيع أن يستخلص من معنى هذه الآية فكرة خروج عصاة المسلمين من النار.

* * *

٦. روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: -

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢١-٢٣]

(١٣٦٦) تفسير القرطبي، ٢٠/١٦.

(١٣٦٧) تفسير الألوسي، ١٥/٣٢٠.

ليس في هاتين الآيتين أي استثناء من العذاب الدائم في نار جهنم، فكان ينبغي للذين ذهبوا إلى (فكرة خروج العصاة من النار) أن يلتزموا بالسياق الذي تتحدث عنه هذه الآيات ويلتزموا كذلك بالمدلولات اللغوية لكلمات كتاب الله تعالى، ويلتزموا أيضاً بالمنهج الإسلامي الصائب في تقييم الروايات.

- قال الطبري: «ورُوي عن خالد بن معدان في هذه الآية، أنها في أهل القِبلة»[١٣٦٨]. والناظر في تلك الرواية التي نسبت إلى خالد بن معدان يجدها ضعيفة لا تقوم بها حجة.

قال الطبري[١٣٦٩]: «حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عامر بن جشب، عن خالد بن معدان في قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة».

وذكر هذه الرواية ابن كثير[١٣٧٠]، والسيوطي[١٣٧١].

هذا القول المنسوب إلى خالد بن معدان لا حجة فيه ولم يثبت عنه وذلك بسبب معاوية بن صالح صاحب الأوهام[١٣٧٢]، وكذلك بسبب عبدالله بن صالح بن محمد أبي صالح الجهني المصري الذي قال عنه ابن حجر في التقريب: «صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة»[١٣٧٣].

(١٣٦٨) تفسير الطبري، ١٢/٣٠.

(١٣٦٩) تفسير الطبري، ١٢/٣٠.

(١٣٧٠) تفسير ابن كثير، ١٩٩/٧.

(١٣٧١) الدر المنثور، ٥٠٣/٦.

(١٣٧٢) تقريب التهذيب، ت: ٦٧٨٦، ١٩٦/٢.

(١٣٧٣) تقريب التهذيب، ت: ٣٣٩٩، ٥٠١/١.

• وجاءت رواية أخرى عند البزار منسوبة إلى ابن عمر:

قال البزار[١٣٧٤]: «حدثنا محمد بن مرداس: نا أبو المعلى سليمان بن مسلم قال: سألت سليمان التيمي: هل يخرج من النار أحد؟ فقال: حدثني نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً» قال: «والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً مما تعدون»».

وذكر هذه الرواية واحتج بها القرطبي[١٣٧٥]، وابن كثير[١٣٧٦]، والسيوطي[١٣٧٧].

هذه الرواية ضعيفة وذلك لورودها من قِبَل سليمان بن مسلم أبو المعلى الخزاعي البصري.

قال العقيلي: «مجهول، عن سليمان التيمي عن نافع ولا يتابع على حديثه»[١٣٧٨].

وقال ابن حجر: «قال ابن حبّان: لا تحل الرواية عنه إلّا على سبيل الاعتبار»[١٣٧٩].

والمتتبع لأقوال المفسرين القائلين بخروج عصاة المسلمين من النار يجدها متناقضة: ـ

(١٣٧٤) مسند البزار، الرواية: ٥٩٨٠.

(١٣٧٥) تفسير القرطبي، ١١٧/١٩، وجاء عند القرطبي زيادة على هذه الرواية التي ذكرها البزار: «... فلا يتكلنَّ أحدكم على أنه يخرج من النار». وجاءت هذه الزيادة أيضاً عند السيوطي (الدر المنثور، ٥٠٢/٦).

(١٣٧٦) تفسير ابن كثير، ١٩٩/٧.

(١٣٧٧) الدر المنثور، ٥٠٢/٦.

(١٣٧٨) ضعفاء العقيلي، ت: ٦٣٠، ١٤٠/٢.

(١٣٧٩) لسان الميزان، ت: ٣٩٣٦، ١٢٥/٣.

ففي الوقت الذي فسروا فيه الأحقاب بالـ«كناية عن التأبيد؛ أي: يمكثون فيها أبداً»(١٣٨٠)، نجدهم يحملون «الآية على العُصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب»(١٣٨١).

وقال ابن عاشور: «هذا وأن المسلمين المستخفّين بحقوق الله، أو المعتدين على الناس بغير حق، واحتقاراً لا لمجرد غلبة الشهوة لهم حظ من هذا الوعيد بمقدار اقترابهم من حال أهل الكفر...

وليس فيه دلالة على أن لهذا اللبث نهاية حتى يُحتاج إلى دعوى نسخ ذلك بآيات الخلود وهو وهم لأن الأخبار لا تنسخ، أو يحتاج إلى جعل الآية لعصاة المؤمنين، فإن ذلك ليس من شأن القرآن المكي الأول إذ قد كان المؤمنون أيامئذ صالحين مخلصين مجدّين في أعمالهم»(١٣٨٢).

* * *

٧ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]

(١٣٨٠) تفسير القرطبي، ١١٦/١٩.

(١٣٨١) تفسير القرطبي، ١١٦/١٩. ومما قاله القرطبي هنا: «قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أي: ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، فكلما مضى حُقُب جاء حُقُب... وذكر الأحقاب لأن الحُقُب كان أبعد شيء عندهم، فتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونها، وهي كناية عن التأبيد؛ أي: يمكثون فيها أبداً... وهذا الخلود في حق المشركين. ويمكن حمل الآية على العُصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب...».

(١٣٨٢) تفسير ابن عاشور، ٣٣/٣٠.

قال الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية: «لهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم، ولا ينتقل أبداً»[١٣٨٣].

فينبغي لنا ونحن نـدرس آيات الكتاب الحكيم الالتزام بالسـياق الذي تكونه الآيات من غير إضافة أفكار لا صلة لها بالسياق القرآني.

فمن خلال السـياق نعرف أن الكفار يريدون الخروج من النار ولكن قد حكم الله تعالى عليهم بالبقاء في ذلك العذاب المقيم.

وباختصار: إن هذه الآية ليس فيها وعـد لأحد بالخروج من النار، وهذا القول ينبغي لنا عدم تجاوزه عند دراستنا لهذه الآية الكريمة.

وقد سُـطرت روايات، عند تفسـير هذه الآية الكريمة، فيها ذكر خروج أناس من النار:

- نقل الطبري[١٣٨٤] في تفسـيره رواية منسوبة إلى عكرمة وهي ضعيفة لورودها من قبل الحكم بن أبان العدني صاحب الأوهام[١٣٨٥].

(١٣٨٣) تفسير الطبري، ٦/ ٢٢٨.

(١٣٨٤) تفسـير الطبري، ٧/ ١٥٥ – ١٥٦ قـال الإمام الطبـري: «حدثنا ابن عبدالأعلـى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: وأخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة حسبته أسنده، قال: إذا فرغ الله ﷻ مـن القضاء بين خلقه، أخرج كتاباً من تحت العرش فيه: «إن رحمتي سـبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين» قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلاً أهل الجنة، ولا أعلمـه إلا قال: «مثلاً»، وأما مثل فلا أشـكّ مكتوباً ها هنا، وأشـار الحكم إلى نحره، عتقاء الله. فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبدالله، فإن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ قال: ويلك أولئك أهلها الذين هم أهلها».
وذكر هذه الرواية الضعيفة واحتج بها ابن كثير (تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨).

(١٣٨٥) تقريب التهذيب، ت: ١٤٤٤، ١/ ٢٣٠. وقد ذكرت في كتاب (الميزان القسـط)، ص، ١٩٥ ـ ١٩٧، أقوال علماء الجـرح والتعديل ورد الفقهاء لروايـات جاءت من طريق الحكم بن أبان.

قصة ابن الأزرق مع ابن عباس رضي الله عنهما:

جاء عند المفسرين قصة نافع بن الأزرق الخارجي في حواره مع ابن عباس حول هذه الآية الكريمة، والناظر في تلك القصة يجدها باطلة لا قيمة لها.

قال الإمام الطبري[١٣٨٦]: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوّي، عن عكرمة، أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: يا أعمى البصر، أعمى القلب، تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾، فقال ابن عباس: ويحك، اقرأ ما فوقها هذه للكفار».

واحتج بهذه الرواية وذكرها الألوسي[١٣٨٧]، والشوكاني[١٣٨٨].

هذه الرواية ضعيفة بسبب ورودها من قبل محمد بن حميد الرازي الضعيف[١٣٨٩]، والحسين بن واقد المروزي.

الحسين بن واقد، أبو علي المروزي:

العقيلي: «... حدثنا أحمد بن أصرم بن خزيمة، قال: سمعت أحمد بن حنبل، وقيل له في حديث أيوب بن نافع، عن ابن عمر عن النبي ﷺ في الملبَّقة فأنكره أبو عبدالله، وقال: من روى هذا؟ قيل له: الحسين بن واقد، فقال بيده، وحرك رأسه، كأنه لم يرضه. حدثني الخضر بن داود، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال ذكر أبو عبدالله حسين بن واقد فقال: وأحاديث حسين ما أرى أي شيء هي ونفض يده»[١٣٩٠].

(١٣٨٦) تفسير الطبري، ٦/٢٢٨.

(١٣٨٧) تفسير الألوسي، ٣/ ٣٠٠.

(١٣٨٨) تفسير الشوكاني، ٢/ ٥٦.

(١٣٨٩) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١٣٩٠) ضعفاء العقيلي، ت: ٣٠٠، ١/ ٢٥١.

لأن يكون معقد الهداية ومناط الأمان يوم القيامة؟ ألا تتصورون أيها الشيخ أن مثل هذا التصور داع إلى انهماك النفس الأمارة بالسوء في جميع رغباتها واسترسالها من غير قيد ولا شرط في نزواتها؟ وكيف تأمنون على أفلاذ أكبادكم وثمرات أفئدتكم لو سرى هذا المعتقد في نفوسهم؟ أرأيتم كيف تكون حالة شاب أعزب وهو في ميعة الشباب تتأجج في نفسه شهوة الجنس الجامحة، فتهيج كل خلية في جسمه مع اعتقاده أنه إن لم يقارف شركاً فهو من الذين لهم الأمن وهم مهتدون، أيصدّه صادّ عن مقارفة الفحشاء والتمرغ في وحل الرذيلة؟ ومثل ذلك سعار شهوة المال الباعث إلى أكل الربا والسرقة والخيانة والغش وأنواع الحيل، أترى يحجز من ابتلى بذلك شيء عن إطفاء سعاره بالاسترسال وراء رغبته؟ كلا، وكذلك غريزة الانتقام التي تدفع على القتل والكيد وسائر غرائز النفس السائقة إلى ضروب الجرائم وصنوف الفحشاء والمنكر، هل يمكن أن تكفكف النفس عنها عند سريان هذا المعقتد؟ أو لا ترون ـ أيها الشيخ ـ أن الترياق النافع والعلاج الحاسم لهذه الأدواء هو عقيدة أهل الحق والاستقامة التي استقاها السلف الصالح من منابع القرآن الكريم والسُّنَّة الصافية والمحافظة عليها من غير تفريط في جزئية من جزئياتها؟»(١٣١١).

(١٣١١) من جواب لسماحة الشيخ بمكتب الإفتاء.

فمن أقواله التي كتبها في تفسيره حول إثبات العقائد: ـ

- «وههنا أمور: الأول: أنه يقال للنصارى: ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواتراً أو آحاداً فإن زعموا أنه آحاد لم تتم بذلك حجة ولم يثبت العلم إذ الآحاد لم يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض لهم ذلك فكيف يحتج بقولهم في القطعيات؟»[١٣٩٤].

- «وأجيب عن متمسك الأولين: الأول: بأن تلك الأحاديث أخبار آحاد فلا تعارض الآيات القطعية كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]»[١٣٩٥].

- «﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم، وفي الآية دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد بمعزل من الاهتداء ولا تصلح متمسكاً لنفي القياس والعمل بخبر الآحاد لأن ذلك في الفروع وهي مخصوصة بالأصول لما قام من الأدلة على تخصيصها وإن عم ظاهرها»[١٣٩٦].

- «وفي شرح المواقف أن اختلاف الصحابة في بعض سور القرآن مروي بالآحاد المفيدة للظن ومجموع القرآن منقول بالتواتر المفيد لليقين الذي يضمحل الظن في مقابلته فتلك الآحاد مما لا يلتفت إليه»[١٣٩٧].

(١٣٩٤) تفسير الألوسي، ٢/١٧٣.

(١٣٩٥) تفسير الألوسي، ٢/٢٩١.

(١٣٩٦) تفسير الألوسي، ٦/١٤٧.

(١٣٩٧) تفسير الألوسي، ١٥/٥١٧.

فهذه النصوص التي سطرها الألوســي في تفسيره تبرهن أن ما ذكره من أقوال عند تفسيره لهذه الآية حول خروج عصاة المسلمين من النار هي أفكار لا تتفق مع المنهج الذي يدعو إليه، وكفى بهذا حجة على خطأ ما قاله.

خاتمة الفصل الثاني

نلخص هذا الفصل في النقاط الآتية: ـ

ـ في هــذا الفصل من هذا البحــث عرضنا روايات عديــدة جاءت عند تفســير آيات كثيرة عدها أصحاب (فكرة الخروج من النار) من دلائلهم في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر وإخراج عصاة المسلمين من النار. وبعد عرض تلك الروايات على منهاج الأمة الإسلامية عرفنا عدم صلاحية تلك الروايات في إثبات (فكرة الخروج من النار).

ـ والروايات الصحيحة تثبت المقام المحمود وهو شــفاعة الرســول ﷺ لأهل موقف يوم القيامة عامة ليريحهم من شــدة ذلــك اليوم، ولفتح أبواب الجنان لأهل الجنة خاصة.

ـ ومن مشاهد يوم القيامة: حشر الخلائق كلهم في موقف واحد تشتد فيه الأهوال عليهم، وهناك تتميز الخلائق وتتصدع الجموع. فيذهب بأهل الجنة إلى الجنة ويســاق أهل النار إلــى النار والعياذ بالله. وليس من مشــاهد يوم القيامة مرور الأتقياء على الصراط فــوق جهنم، ولا إخراج العصاة منها بعد دخولهم فيها.

ـ والملاحظة التي يدركها كل قــارئ أن المناهج التي نص عليها علماء الأمة في تقييم الروايات والأفكار لم يطبقها القائلون بالشفاعة لأهل الكبائر

عند عرضهم للروايات التي احتجوا بها في إثبات ما ذهبوا إليه، وإن كانوا هم أنفسهم من ساهم في تأصيل علوم الجرح والتعديل وقواعد علم الحديث. والمدافعون عن (فكرة الخروج من النار) قد جرتهم الروايات الضعيفة إلى تجاهل المعاني اللغوية التي ترشد إليها كلمات آيات الله تعالى، ودفعتهم إلى تأويل المعاني الظاهرة لآيات الله تعالى وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، وهذا مسلك ترفضه مناهج الأمة في تقييم الروايات وتأسيس العقائد.

ـ وعقيدة خلود عصاة المسلمين في النار مصدرها القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الصحيحة وهي داعية إلى ضبط النفوس بمنهاج الشرع، وداعية إلى السعي لطلب المغفرة والتوبة من الله تعالى؛ وأما فكرة الخروج من النار فإنها يهودية المصدر وهي لا تغرس المهابة من وعيد الله في النفوس المتعدية لحدود الله تعالى.

ـ ولقد تبيَّن ضعف التفسير الذي حمل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] على العصاة ومرتكبي الكبائر، لأن سياق الآيات لا يشير لهذا المعنى، ولأن جميع الروايات الواردة عن السلف بهذا المعنى ضعيفة لا تقوم بها حجة. والآيات الكريمة هي تسجيل لمراتب أهل الجنة العاملين في مضمار الدعوة إلى الله، ودائماً وأبداً يستقل المخلصون أعمالهم أمام ضخامة الوظيفة التي باعوا نفوسهم لأجلها.

ـ والروايات التي حددت الظلم بالشرك فقط روايات أبطلها منهاج الأمة الإسلامية الذي لا يحابي أحداً. ولقد بيَّن العلماء أيضاً أن مدلول الظلم يشمل كل معانيه ولا يختصر على معنى الشرك فقط.

ولقد عرفنا في الفصلين السابقين أن أصحاب كبائر الذنوب الذين أتوا

يوم القيامة من غير توبة نصوح فإنهم لن يجدوا لهم شفيعاً، والروايات التي وعدتهم بالشفاعة وبالتجاوز عن ذنوبهم روايات لا قيمة لها في ميزان الأمة العـادل. وعرفنا كذلك أن كل من اسـتوجب النار لا محالة داخلها حسـب الحكم الإلٰهي العادل الذي لا يحابي أحداً من البشر.

وفـي الفصل الثالث من هـذا البحث نعرض إن شـاء الله تعالى أقوالاً وروايات جاءت عند تفسـير آيات من كتاب الله تعالى ذكرها القائلون بخلود أصحاب الكبائر في النار. والله تعالى الموفق إلى كل خير.

الفصل الثالث

قراءات منهجية في تفسير
آيات قرآنية ذكرها القائلون
بخلود أصحاب الكبائر في النار

تمهيد

ففي الفصلين السابقين نقلنا روايات عديدة جاءت عند القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين، وبعد عرض تلك الروايات والأقوال على منهج الأمة الإسلامية ـ الذي لا يعترف بالمذهبية ولا يركن إلى التحزب الفكري المجرد من كل دليل قوي ـ عرفنا أنه لا وزن ولا قيمة لتلك الروايات، وليست بأهل لكي يعتد بها في تأسيس عقيدة إسلامية.

وفي هذا الفصل نقرأ قراءة منهجية ما كتبه العلماء عند تفسيرهم للآيات القرآنية الكريمة التي جاء فيها الوعيد لمن عصى الله سبحانه وتعالى.

ونعرض كتاباتهم التي سطروها عند تفسيرهم لقوله تعالى: ـ

❖ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۞ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣١، ١٣٢].

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٣].

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [النساء: ١٤].

﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠].

﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۞ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ

مِّنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٣-١٩].

وجاء هذا الفصل في خمسة أقسام وخاتمة.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۞ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣١، ١٣٢].

فهذه الآيات الكريمة فيها حكم الله تعالى على الذين يأكلون الربا. ولكن حينما تغلب فكرة العذاب المؤقت والأقوال الموروثة، فإن دلالات هذه الآيات الكريمة تصبح في أوساط الناس عرضة للاحتمالات المتناقضة.

- قال أبو حيان الأندلسي: «فإن كانت في الكفار فالخلود خلود تأبيد، أو في مسلم عاص فخلوده دوام مكثه لا التأبيد»[١٣٩٨].

(١٣٩٨) تفسير أبي حيان الأندلسي، ٢/ ٣٤٩.

• وقال الشوكاني: «وعلى التقدير الأوّل يكون الخلود مستعاراً على معنى المبالغة، كما تقول العرب: ملك خالد، أي: طويل البقاء، والمصير إلى هذا التأويل واجب للأحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار»[١٣٩٩].

• وسوّغ الإمام الرازي هذه الأقوال التي قالها أبو حيان الأندلسي والشوكاني بقوله: «وذلك أن مذهبنا أن صاحب الكبيرة إذا كان مؤمناً بالله ورسوله يجوز في حقه أن يعفو الله عنه، ويجوز أن يعاقبه الله وأمره في البابين موكل إلى الله، ثم بتقدير أن يعاقبه الله فإنه لا يخلد في النار بل يخرجه منها، والله تعالى بيّن صحة هذا المذهب في هذه الآيات بقوله ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ على جواز العفو في حق صاحب الكبيرة على ما بيناه»[١٤٠٠].

فجميع الروايات التي أشار إليها الشوكاني لا حجة فيها، والرأي الذي ذهب إليه الرازي هنا رأي أُسس على الضعيف من الأدلة كما تبيَّن وسيتبيَّن لنا في هذا البحث.

وقال ابن عطية: «والآية كلها في الكفار المربين نزلت، ولهم قيل: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ ولا يقال ذلك لمؤمن عاص ولكن يأخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية»[١٤٠١].

ويعرض علينا الإمام الرازي رأياً آخراً، حيث قال: «... فثبت أن هذه الآية لا تليق بالكافر ولا بالمؤمن المطيع، فلم يبق إلا أن يكون مختصاً بمن أقر بحرمة الربا ثم أكل الربا فههنا أمره لله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وهو

(١٣٩٩) تفسير الشوكاني، ١/ ٥٠٠، من تفسير الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.
(١٤٠٠) تفسير الرازي، ٧/ ٩٤.
(١٤٠١) تفسير ابن عطية، ص٢٥٣ - ٢٥٤، من تفسير الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

كقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فيكـون ذلك دليلاً ظاهـراً على صحـة قولنـا أن العفو من الله مرجو»(١٤٠٢).

وهذا الـرأي الذي طرحه الإمام الرازي هنا أتى عليه من أساسـه، حيث تراجع عن كون الآية في حق المرابين من المسـلمين إلى القول أن الآية في حق الكافر، حيث قـال: «أما قوله: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فالمعنى: ومن عاد إلى استحلال الربا حتى يصير كافراً»(١٤٠٣).

وقال الشيـخ السـعدي: «﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى تعاطي الربـا ولم تنفعه الموعظة، بـل أصرَّ على ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ اختلف العلمـاء رحمهم الله في نصـوص الوعيد التي ظاهرهـا تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال: هذه الأمور التي رتـب الله عليها الخلود فـي النار موجبات ومقتضيـات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار»(١٤٠٤).

(١٤٠٢) تفسير الرازي، ٧/ ٩٤.

(١٤٠٣) تفسير الرازي، ٧/ ٩٤.

(١٤٠٤) تفسير السعدي، ص ١٠٠ - ١٠١، من تفسير الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.
وجاء في نسخة عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية والتي حققها محمد زهري النجار (ج ١/ ٣٣٨ - ٣٣٩): «﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ بعـد بيـان الله وتذكيـره وتوعـده لأكل الربا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فـي هـذا أن الربـا موجب لدخـول النار والخلود فيها، وذلك لشناعته، ما لم يمنع من الخلود مانع الإيمان.
وهذا من جملة الأحكام، التي تتوقف على وجود شـروطها، وانتفاء موانعها. وليس فيها حجة للخـوارج، كغيرها من آيات الوعيد. فالواجـب أن تصدق جميع نصوص =

من أقوال الشيخ السعدي نلاحظ الآتي: -

- «اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله».

هذا الاختلاف الذي أشار إليه الشيخ السعدي ليس له أي اعتبار مع وضوح دلائل نصوص الوعيد الظاهرة بتخليد أهل الكبائر.

والاستثناء الذي أشار إليه الشيخ السعدي بقوله: «وقد علم بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار» لم يذكره القرآن الكريم، ولم يأت في رواية صحيحة تقوم بها دعوى، بل هو من الأفكار الموروثة التي أملتها التوجهات المذهبية.

- ودعوة الشيخ السعدي إلى تعلم وتصديق جميع نصوص الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة من بعد رسولها الكريم ﷺ، هي دعوة لها وزنها وينبغي لجميع المسلمين الأخذ بها وتطبيقها في جميع مناشط حياتهم.

وأي دعوة لم تحظ بالتطبيق العملي في الحياة فلا تنفع قائلها ولا سامعها، والمطبق للدعوة الكريمة التي سطرها الشيخ السعدي هنا يجد الكتاب العزيز ينفي (فكرة الخروج من النار) ويثبت العذاب الأليم الخالد لكل صاحب كبيرة دخل النار من غير استثناء.

= الكتاب والسُّنَّة، فيؤمن العبد، بما تواترت به النصوص، من خروج من في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من الإيمان، من النار. ومن استحقاق هذه الموبقات لدخول النار، إن لم يتب منها». وقد نقل هذا التفسير أيضاً عبدالرّحمٰن بن معلا في ص٩١٢ من النسخة التي نشرتها دار ابن حزم.

ويجد المطبق للمنهج الإسلامي في تقييم الروايات أنه ليس هناك رواية سليمة ـ ولو واحدة ـ يصح سندها ومتنها تثبت ما قاله القائلون بـ(فكرة الخروج من نار جهنم) كما هو موضح في صفحات هذا الكتاب.

والله جلّ وعلا توعد المسلمين المرابين بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

قال الذهبي: «فهذا وعيد عظيم بالخلود في النار كما ترى لمن عاد إلى الربا بعد الموعظة، فلا حول ولا قوة إلا بالله»(١٤٠٥).

وقال ابن كثير: «وهذا تهديد ووعيد أكيد، لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار»(١٤٠٦).

فهذه الحرب التي أعلنها الله تعالى تخمد وطيسها توبة نصوح يقدمها المرابي قبل فوات الأوان.

وأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين باجتناب ما يوصلهم إلى النار، حيث قال لهم: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣١، ١٣٢]، ولم يعد العصاة بالخروج من النار التي أعدها للكافرين.

(١٤٠٥) كتاب الكبائر وتبيين المحارم، ص٥٩. تنبيه مهم: العبارة التي قالها الحافظ الذهبي هنا لا توجد في الطبعات الأخرى المنتشرة والتي ظهرت باسم (الكبائر). والسبب في ذلك أن تلك الطبعات ليست الأصل الذي ألفه الحافظ الذهبي، ولكنها منسوبة إليه. وللمزيد من المعرفة حول مخطوطات وطبعات كتاب الكبائر ارجع إلى كلمة محي الدين مستو المحقق لهذه الطبعة التي رجعنا إليها في هذا البحث.

(١٤٠٦) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٨٧.

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واتقوا أيها المؤمنون النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهيي إياكم عنه التي أعددتها لمن كفر بي، فتدخلوا مداخلهم بعد إيمانكم بي بخلافكم أمري، وترككم طاعتي»[١٤٠٧].

وقال حقي البروسوي: «قال القاشاني: ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربا حيث أتي بلعل في فلاح من اتقاه واجتنبه لأن تعليق إمكان الفلاح ورجاءه بالاجتناب منه يستلزم امتناع الفلاح لهم إذا لم يجتنبوه ويتقوه مع إيمانهم. ثم أوعد عليه بالنار التي أعدت للكافرين مع كونهم مؤمنين فما أعظمها من مصيبة توجب عقاب الكفار للمؤمنين وما أشده من تغليظ عليه ثم أمد التغليظ بالأمر بطاعة الله ورسوله تعريضاً بأن آكل الربا منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين بطاعة الله ورسوله إشعاراً بأنه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فهو يوجب اليأس من رحمته للمؤمنين لامتناعها لهم معه فانظر كيف درج التغليظ في التهديد حتى ألحقه بالكفار في الجزاء والعقاب انتهى بعبارته...

وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلاة... والعمل السوء ينزع به الإيمان عند الموت فيستحق به صاحبه الخلود في النار كالكفار نعوذ بالله من ذلك. وروى أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر ما ينزع الإيمان لأجل الذنوب من العبد عند الموت وأسرعها نزعاً للإيمان ظلم العباد فاتق أيها المؤمن من الله ولا تظلم عباد الله بأخذ أموالهم من أيديهم بغير حق فإنه حوب كبير عصمنا الله وإياكم من سوء الحال»[١٤٠٨].

(١٤٠٧) تفسير الطبري، ٤/ ٩٠.

(١٤٠٨) تفسير روح البيان، ٢/ ٩٣ – ٩٤.

وقال السيد عبدالحسين دستغيب: «ولأن المفاسد العظيمة الدنيوية والأخروية لآكل الربا أكبر من الذنوب الأخرى للآكل وللمجتمع فقد شدد القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام على هذا الذنب كثيراً واعتبروه من الذنوب الكبيرة، فإذا ما أصرَّ آكل الربا على عمله ولم يندم على هذا الفعل الشنيع ولم يقبل بالحكم الإلٰهي كان نصيبه الخلود في جهنم ولا وسيلة أمامه للنجاة...»[١٤٠٩].

وقال الشيخ السعدي: «﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بترك ما يوجب دخولها، من الكفر والمعاصي، على اختلاف درجاتها. فإن المعاصي كلها ـ وخصوصاً المعاصي الكبار ـ تجر إلى الكفر، بل هي من خصال الكفر، الذي أعد الله النار لأهله»[١٤١٠].

من هذه الآيات الكريمة يعتقد المسلم أن آكل الربا ـ والعياذ بالله ـ خصيم لله وللرسول في حرب لا تضع أوزارها إلا إذا رجع المرابي عن عصيانه، وأن دخول النار هو عقوبة من أكل الربا، وليس في هذه الآيات ولا في غيرها ذكر للخروج من النار وجميع الروايات التي جاء فيها خروج عصاة المسلمين من جهنم لا حجة فيها بسبب ضعف أسانيدها ومتونها.

وبيّن الله جلّ وعلا لمن تكون الدار الآخرة حيث قال سبحانه: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص ٨٣].

(١٤٠٩) الذنوب الكبيرة، ١/١٥٦.

(١٤١٠) تفسير السعدي، ص١٣١، من تفسير الآية ١٣١ من سورة آل عمران.

- قال الشيخ السعدي: «﴿وَلَا فَسَادًا﴾ وهذا شامل لجميع المعاصي»[(١٤١١)].

- وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبّراً عن الحقّ في الأرض وتجبراً عنه ولا فساداً. يقول: ولا ظلم الناس بغير حقّ، وعملاً بمعاصي الله فيها... وقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والجنة للمتقين، وهم الذين اتقوا معاصي الله، وأدّوا فرائضه»[(١٤١٢)].

فالذين اتقوا معاصي الله تعالى ولم يسعوا بالفساد في الأرض جعل الله لهم الجنة، والذين أفسدوا في الأرض بالمعاصي ولم تطهرهم توبة نصوح فقد بيَّن الله جلَّ وعلا مآلهم في النار ولم يعدهم بدخول الجنان.

هذا هو الحكم الإلٰهي الذي جاء في القرآن الكريم وفي سُنَّة الرسول العظيم ﷺ، ولم يخالف هذا الحكم إلا روايات لم يحفل بها منهاج الأمة المستقيم.

(١٤١١) تفسير السعدي، ص٥٩٥، من تفسير الآية ٨٣ من سورة القصص.

(١٤١٢) تفسير الطبري، ٢٠/١٢٢ – ١٢٣.

قراءة في تفسير قوله تعالى

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

هذه الآية الكريمة تعرض على المسلمين حكم الله تعالى في الآخرة في حق من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب إذا لم يتب من فعلته الشنعاء ويؤدي ما عليه من حقوق.

ولو التزم المسلمون بدلالات كلمات هذه الآية الكريمة لأراحوا أنفسهم من عناء الجدل العقيم الذي تواصوا بحمله عبر القرون الماضية.

ولو أنهم التزموا بمناهج الأمة في مسألة تلقي العلوم لما ضاعت قرون من حياة هذه الأمة في حوار حول قضية قد بين الله فيها حكمه الذي لا يرد.

ولو أنهم طبقوا علومهم في حياتهم لما تربعت أقوال الضعفاء والمتروكين والكذابين على موائد علومهم ومعارفهم.

ولو أنهم اتبعوا دلالات القرآن الواضحة والثابت الصحيح من الروايات لما صار القرآن الكريم والسُّنَّة الطاهرة من توابع الأفكار الموروثة التي لا أصل لها ولا أساس.

لقد سرح في أوساط القائلين بـ(خروج عصاة المسلمين من النار) كل هزيل وضعيف من أقوال أناس حكمت الأمة الإسلامية بعدم أهليتهم لنقل العلوم.

• قال البيضاوي عند تفسير قوله تعالى: «﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾... والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ ونحوه وهو عندنا إما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره... فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم»[١٤١٣].

• وقال ابن عاشور: «وليس المراد من يفعل كل واحدة مما ذكر يلقَ آثاماً لأن لُقِيَّ الآثام بيّن هنا بمضاعفة العذاب والخلودِ فيه. **وقد نهضتْ أدلةٌ متظافرة من الكتاب والسُّنَّة على أن ما عدا الكفر من المعاصي لا يوجب الخلود، مما يقتضي تأويلَ ظواهر الآية**»[١٤١٤].

ـ فالبيضاوي يرى أن الجمهور حكموا بالخلود في النار على من لم يتب من جريمة القتل، ومع هذا نجده لا يأخذ بأقوالهم ويقول بلا حجة ولا برهان: «فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم».

فكل الدلائل التي أشار إليها البيضاوي هنا ليس فيها حجة لأحد كما هو موضح في صفحات هذا الكتاب.

ـ وابن عاشور يقر بأن ظاهر الآية يحكم بالخلود على مرتكب هذه الكبيرة، ومع هذا نجده يدعو إلى تأويلها لتتوافق مع أدلة ليست ظاهرة المعنى في ما ذهب إليه كما سيظهر لنا في هذا البحث.

(١٤١٣) تفسير البيضاوي، ١/ ٢٣١.

(١٤١٤) تفسير ابن عاشور، ١٩/ ٩٣ – ٩٤.

فأي شيء بقي للمسلم إذا ترك الظاهر الجلي من الأدلة؟.

وكيف يروق للمسلمين الدعوة إلى تأويل الظاهر من الأدلة لأجل أن تلتئم مع أقوال لم ينزل الله بها من سلطان؟!.

فعدم الالتزام بدلالات كلمات آيات الله تعالى، وعدم الالتزام بعلوم الأمة، وعدم تطبيق أحكام العلوم في حق الضعفاء من الرواة أفرز في الأوساط المتحاورة ثلاث قضايا لا أصل لها وقد أشغلت العقول بما لا فائدة منه.

- قضية تخصيص الخلود في جهنم لغير أصحاب الكبائر من المسلمين.

- وقضية المدى الزمني لكلمة الخلود[١٤١٥] خاصة إذا تحدثت عن عصاة المسلمين.

- وقضية إخلاف وعيد عصاة المسلمين[١٤١٦].

قضية تخصيص الخلود في جهنم لغير أصحاب الكبائر من المسلمين:

إن المتتبع لأقوال المفسرين وشراح الأحاديث عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة، يجد تلك الأقوال لا تخرج عن ثلاثة عناصر ذكرها الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية.

١ - «فجزاؤه جهنم إن جازاه»[١٤١٧].

٢ - «ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلًّا قتله، فجزاؤه جهنم خالداً فيها»[١٤١٨].

(١٤١٥) انظر القسم الثالث من هذا الفصل.

(١٤١٦) انظر ص ١٤٤ وما بعدها من هذا البحث

(١٤١٧) تفسير الطبري، ٥/٢١٧.

(١٤١٨) تفسير الطبري، ٥/٢١٧.

٣ ـ «إذا دخل الرجل في الإسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمناً متعمداً فلا توبة له»[١٤١٩].

* * *

العنصر الأول: مناقشة قول القائل: «فجزاؤه جهنم إن جازاه»:

جاءت روايات تحدد هذا المعنى، وعند النظر في تلك الروايات يستنتج القارئ ضعفها ويتبيَّن له عدم حجيتها في تفسير آيات الله البينات.

- قال الإمام الطبري: «حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز في قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ قال: هو جزاؤه، وإن شاء تجاوز عنه».

أخرج هذه الرواية، التي نقلها سليمان التيمي عن أبي مجلز، الإمام الطبري[١٤٢٠]، وأبو داود[١٤٢١]، والبيهقي[١٤٢٢]، وابن أبي شيبة[١٤٢٣]، وقاسم بن سلام[١٤٢٤].

(١٤١٩) تفسير الطبري، ٥/٢١٩.

(١٤٢٠) تفسير الطبري، ٥/٢١٧. وجاء عند الطبري رواية أخرى: «حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبدالله، قال: ثنا شعبة، عن يسار، عن أبي صالح: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ قال: جزاؤه جهنم إن جازاه» (تفسير الطبري، ٥/٢١٧).
لم أعثر ليسار الراوي عن أبي صالح مجرح أو معدل.

(١٤٢١) سنن أبي داود، الرواية: ٤٢٧٦، ص ٦٧٠.

(١٤٢٢) سنن البيهقي الكبرى، الرواية: ١٦١٣١، ١٢/٧.

(١٤٢٣) مصنف ابن أبي شيبة، الرواية: ٢٣٤٩٠، ٦/٤٠٠.

(١٤٢٤) الناسخ والمنسوخ، باب توبة القتل ونسخ اللين فيها، الرواية: ٤١٠.

هذه الرواية لا يؤسس عليها معتقد ولا تقوم بها حجة وذلك لكونها من مراسيل أبي مجلز ولكونها جاءت من طريق عنعنة سليمان التيمي المدلس[١٤٢٥].

- **وجاء عند الطبراني رواية منسوبة إلى أبي هريرة من طريق محمد بن جامع العطار.**

قال الطبراني: «حدثنا مسبح بن حاتم العكلي البصري ثنا محمد بن جامع العطار نا العلاء بن ميمون العنبري نا حجاج بن الأسود عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ قال: إن جازاه».

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن محمد بن سيرين إلا الحجاج بن الأسود ولا رواه عن الحجاج إلا العلاء بن ميمون تفرد به محمد بن جامع».

أخرج هذه الرواية الطبراني في الأوسط[١٤٢٦]، واللالكائي[١٤٢٧].

هذه الرواية المنسوبة إلى أبي هريرة ضعيفة لا حجة فيها وذلك بسبب محمد بن جامع العطار.

فقد قال الذهبي: «قال ابن عدي: لا يتابع على أحاديثه. وضعفه أبو يعلى. وقال أبو حاتم: كتبت عنه، وهو ضعيف الحديث»[١٤٢٨].

وكذلك بسبب العلاء بن ميمون العنبري، فقد قال العقيلي عند ذكره لهذه الرواية: «لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به...»[١٤٢٩].

(١٤٢٥) تهذيب التهذيب، ت: ٢٦٧٠، ٤/ ١٨٣. قال ابن حجر: «قال يحيى بن معين: كان يدلس».

(١٤٢٦) المعجم الأوسط، الرواية: ٨٦٠٦، ٦/ ٢٣٠.

(١٤٢٧) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، الرواية: ١٩٦٢، المجلد ٢/ ١١٦.

(١٤٢٨) ميزان الاعتدال، ت: ٧٣٠٢، ٣/ ٤٩٨.

(١٤٢٩) ضعفاء العقيلي، ت: ١٣٧٧، ٣/ ٣٤٦.

وقال ابن كثير بعد أن أشار إلى هذه الرواية: «فأما الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، وقد رواه ابن مردويه بإسناده مرفوعاً من طريق محمد بن جامع العطار عن العلاء بن ميمون العنبري، عن حجاج الأسود، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً، ولكن لا يصح»[١٤٣٠].

- **وجاء عند قاسم بن سلام في كتاب (الناسخ والمنسوخ) رواية منسوبة إلى ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود.**

أخبرنا علي قال: حدثنا أبو عبيد قال: «حدثنا مروان بن معاوية، عن العلاء بن المسيب، عن عاصم بن أبي النجود، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: هي جزاؤه فإن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[١٤٣١].

ذكر هذه الرواية واحتج بها كل من ابن عطية[١٤٣٢]، والخازن[١٤٣٣]، والسيوطي[١٤٣٤]، وبدر الدين العيني[١٤٣٥]، والنووي[١٤٣٦]، وأبو حيان الأندلسي[١٤٣٧].

(١٤٣٠) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٦١.

(١٤٣١) الناسخ والمنسوخ، باب توبة القتل ونسخ اللين فيها، الرواية: ٤١٠.

(١٤٣٢) تفسير ابن عطية، ص٤٦٧، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١٤٣٣) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١٤٣٤) الدر المنثور، ٢/ ٣٥٢.

(١٤٣٥) عمدة القاري، ١/ ٣٣٥. قال بدر الدين العيني: «﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ معناه: هذا جزاؤه، وليس بلازم أن يجازى».

(١٤٣٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٧/ ٨٦. قال النووي: «ولا يلزم من كونه يستحق أن يجازى بعقوبة مخصوصة أن يتحتم ذلك الجزاء، وليس في الآية إخبار بأنه يخلد في جهنم، وإنما فيها أنها جزاؤه. أي: يستحق أن يجازى بذلك».
هذا ما قاله الإمام النووي والآية صريحة بالخلود حيث قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

(١٤٣٧) تفسير أبي حيان الأندلسي، ٣/ ٢٨٠. قال أبو حيان الأندلسي في حواره مع =

هذه الرواية المنسوبة إلى ابن عباس لا تقوم بها حجة لوجود عاصم بن أبي النجود في سندها. قال ابن حجر: «قال ابن سعد: كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه. وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: كان رجلاً صالحاً، قارئاً للقرآن، وأهل الكوفة يختارون قراءته، وأنا اختارها، وكان خيراً، ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في ثبت الحديث... وقال ابن معين: لا بأس به... وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب وهو ثقة... وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن خراش: في حديثه نكرة. وقال العقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال الدارقطني: في حفظه شيء»(١٤٣٨).

فعاصم بن أبي النجود وإن كان ثقة في نفسه إلا أنه موصوف بسوء الحفظ. وليس هناك ما يثبت سماع عاصم من ابن عباس.

وقد تكلم أبو عبيد قاسم بن سلام على هذه الرواية المنسوبة إلى ابن عباس وغيرها مما جاء في معناها، حيث قال: «والذي عندنا في هذا أنه ليس مما يحتج بمثله عندما ذكرنا من الآثار، لا نعلمه يعني عاصما سمع من ابن عباس، ولا رآه ومع هذا إن لفظ آخر الآية لا يدل على ذلك في مذهب العربية، والله أعلم بما أراد من أجل أنه لم يقل: جزاؤه جهنم وأن يغضب الله

= الزمخشري: «... وقوله: وإنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة. فنقول له: وأين ثبت هذا؟.

وإنما يستدلون بعمومات تحتمل التخصيص، كاستدلالهم بقوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية، وقد خصصها ابن عباس بالمستحل ذلك، وهو كافر، وقوله: قال: فجزاؤه إن جازاه الله. وقال: الخلود يراد به المكث الطويل لا الديمومة، لا إلى نهاية، وكلام العرب شاهد بذلك».

قال أبو حيان الأندلسي هذا القول بعد أن اعتمد على روايات ضعيفة، ولو أنه طبق المنهج الصائب في الأخذ والرد لما سطر مثل هذه الأفكار في تفسيره.

(١٤٣٨) تهذيب التهذيب، ت: ٣١٥٨، ٥/ ٣٦-٣٧.

عليه ويلعنه، ولكنه جعله حتماً واقعاً، فقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾»[١٤٣٩].

وهذا الـرأي المبني على روايـات ضعيفة أخذ به الإمـام الطبري عند عرض قوله حول معنى هذه الآية الكريمة حيث قال: «وأولى القول في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه إنْ جزاه جهنم خالداً فيهـا، ولكنه يعفـو أو يتفضل على أهـل الإيمان به وبرسـوله، فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه عزّ ذكره إمـا أن يعفو بفضله فلا يدخله النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته لما سلف من وعده عباده المؤمنيـن بقولـه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]»[١٤٤٠].

* * *

العنصـر الثانـي: مناقشـة قـول القائـل: «ومن يقتـل مؤمنـاً متعمداً مستحلاً قتله، فجزاؤه جهنم خالداً فيها»:

قال الإمام الطبري: «وقـال آخرون: عُني بذلك رجل بعينه كان أسـلم، فارتدّ عن إسـلامه وقتل رجلاً مؤمناً؛ قالوا: فمعنى الآيـة: ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلًّا قتله، فجزاؤه جهنم خالداً فيها»[١٤٤١].

واعتمد كثير من المفسرين وشـراح الأحاديث على روايات جاءت بهذا المعنى الذي أشار إليه الإمام الطبري واعتبروا هذه الآية خاصة بمن ارتد عن

(١٤٣٩) الناسخ والمنسوخ، باب توبة القتل ونسخ اللين فيها، الرواية: ٤١٠.

(١٤٤٠) تفسير الطبري، ٥/ ٢٢١.

(١٤٤١) تفسير الطبري، ٥/ ٢١٧.

الإسـلام وقتل النفس المسـلمة. وبالرجوع إلى تلك الروايات ندرك ضعف هذا القول وبطلان مدلوله.

قصة مقيس بن ضبابة:

- **جاءت قصة مقيس بن ضبابة منسـوبة إلى عكرمة مولى ابن عباس من طريق عنعنة ابن جريج ومن طريق الحسين بن داود المصيصي.**

قال الطبري: «حدثنا القاسـم، قال: ثنا الحسـين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمـة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخـاً لمقيس بن ضبابة، فأعطاه النبيّ ﷺ الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. قال ابن جريج وقال غيره: ضرب النبيّ ﷺ ديته على بني النجار، ثم بعث مِقْيَساً وبعث معه رجلاً من بني فهر في حاجة للنبيّ ﷺ، فاحتمل مقيـس الفهري وكان أيِّداً، فضرب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين، ثم أُلفي يتغنى:

قَتَلْـتُ بِـهِ فِهْـراً وَحَمَّلْـتُ عَقْلَهُ سَـرَاةَ بني النَّجَّـار أرْبَـابِ فارعِ

فقال النبيّ ﷺ: «**أظُنُّهُ قَدْ أحْدَثَ حَدَثاً، أمَا وَاللهِ لَئِنْ كانَ فَعَلَ لا أُؤَمِّنُهُ فِي حِلٍّ وَلا حَرَمٍ، وَلا سِـلْمٍ وَلا حَرْبٍ**» فقتل يوم الفتح؛ قـال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًـا مُتَعَمِّدًا﴾... الآية»[١٤٤٢].

هذه القصة التي رواها الإمـام الطبري ضعيفة لورودهـا من قبل عنعنة ابن جريج عن عكرمة.

قال ابن حجر: «وقـال الدارقطني: تجنب تدليـس ابن جريج فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح»[١٤٤٣].

(١٤٤٢) تفسير الطبري، ٥/٢١٧.

(١٤٤٣) تهذيب التهذيب، ت: ٤٣٤٥، ٦/٣٥٥.

وكذلك بسبب الحسـين بن داود (المعروف بسنيد بن داود) المصيصي الذي ضعف علماء الجرح والتعديل روايته عن شيخه حجاج بن محمد عن ابن جريج.

قال ابن حجر في التهذيب: «قال عبدالله بن أحمد عن أبيه: رأيت سنيداً عند حجاج بن محمَّد وهو يسـمع منـه كتاب «الجامـع» لابن جريـج، أُخبرتُ عن الزهـري، وأُخبرتُ عن صفوان بن سـليم وغيـر ذلك. قال: فجعل سـنيد يقول لحجاج: يا أبا محمد: قل ابن جريـج عن الزهري، وابن جريـج عن صفوان بن سـليم قال: فكان يقول له هكذا. قال: ولم يحمده أبـي فيمـا رآه يصنع بحجاج وذمه على ذلك. قـال أبـي: وبعض تلك الأحاديث التي كان يرسـلها ابن جريج أحاديـث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالي عن مـن أخذها. وحكى الخلال عن الأثرم نحو ذلك ثم قال الخـلال: وروي أن حجاجاً كان هذا منه في وقت تغيره، ويرى أن أحاديث الناس عن حجاج صحاح إلا ما روى سـنيد. وقال أبو داود: لم يكن بذلك. وقال ابن أبـي حاتم عن أبـيه: ضعيف. وقال النسائي: ليس بثقة»[١٤٤٤].

وقال ابن حجر عنه في التقريب: «ضعيف مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يُلَقِّن حجاجَ بن محمد شيخَه»[١٤٤٥].

- **وجاء عند البيهقي في دلائل النبوة رواية ضعيفة فيها قصة مقيس بن ضبابة.**

قال البيهقي[١٤٤٦]: «وأخبرنا أبو عبدالله الحافـظ، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قـال: حدثنا أبو زرعة عبدالرّحمٰن بن عمرو الدمشـقي،

(١٤٤٤) تهذيب التهذيب، ت: ٢٧٣٩، ٢٢١/٤.
(١٤٤٥) تقريب التهذيب، ت: ٢٦٥٤، ٣٩٧/١.
(١٤٤٦) دلائل النبوة، ٦٠/٥ – ٦١.

قال: حدثنا الحسن بن بشــر الكوفي، قال: حدثنا الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال:...».

هذه الرواية مــن هذه الطريق لا حجة فيها لورودهــا من قبل الحكم بن عبد الملك القرشي البصري.

قال ابن حجر: «قال الدوري عن ابن معين: ضعيف، لـيس بثقة، ولـيس بشــيء. وقال ابن الـجنـيد وغيره عن يحيـى: ضعيــف الحديث، وكذا قال ابن خراش. وقال أبو حاتم: مضطرب الـحديث، وليس بقوي. وقال أبو داود: منكر الـحديث. وقال النسائي: لـيس بالقوي»[١٤٤٧].

- **وجاءت قصة مقيس بن ضبابة عند الواحدي بسند آخر لا يفرح به.**

قال الواحدي[١٤٤٨]: «وقال الكلبي عــن أبي صالح عن ابن عباس: ... ثم ذكر القصة.

هــذه الرواية من هذه الطريق لا قيمة لها وليســت ممــا يفرح به وذلك لورودها من قبل محمد بن الســائب بن بشر الكلبي الذي قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: «النسابة المفسر، متهم بالكذب»[١٤٤٩].

وكذلك لورودها من قبل أبي صالح باذام مولى أم هانئ.

فقد قال ابن حجر عنــه في تهذيب التهذيب: «ونقــل ابن الـجوزي عن الأزدي أنه قال: كذّاب. وقال الـجوزجانـي: كان يقال له ذو رأي غير مـحمود. وقال أبو أحمد الـحاكم: لـيس بـالقوي عندهم. وقال ابن حبـان: يحدّث عن ابن عبـاس ولـم يسمع منه»[١٤٥٠].

(١٤٤٧) تهذيب التهذيب، ت: ١٢٥٦، ٢/ ٣٨٧ – ٣٨٨.

(١٤٤٨) أسباب النزول، ١/ ١٠٤.

(١٤٤٩) تقريب التهذيب، ت: ٥٩٢٠، ٢/ ٧٨.

(١٤٥٠) تهذيب التهذيب، ت: ٦٨٤، ١/ ٣٧٩_ ٣٨٠.

وذكــر قصة مقيس بــن ضبابــة الضعيفة كل مــن البغــوي(١٤٥١)، وابن عطيــة(١٤٥٢)، والخــازن(١٤٥٣)، والقمي النيســابوري(١٤٥٤)، والســيوطي(١٤٥٥)، والبيضاوي(١٤٥٦) وغيرهم واعتمدوا عليها لأجل الوصول إلى التفسير الخاطئ في أن الآية خاصة بكافر استحل قتل مسلم.

وليســت قصة مقيس بن ضبابة بصحيحة حتى تذكر عند تفســير القرآن الكريم فضلاً عن أن تخصص بها آيات الله تعالى البينات.

ومن المؤســف أن نجــد الإمام القرطبــي يقول في تفســيره لهذه الآية الكريمة: «وأن هذه الآية مخصوصة، ودليل التخصيص آيات وأخبار»(١٤٥٧).

وبعــد أن ذكر قصة مقيس قــال القرطبي: «... وإذا ثبت هــذا بنقل أهل التفسير وعلماء الدّين فلا ينبغي أن يحمل على المسلمين»(١٤٥٨).

فالقول بأن هذه الآية نزلت في مرتد عن الإســلام وأنها تليق بالمستحل لدماء المســلمين فقط هو قول ضعيف. فالآية الكريمة فيها الوعيد الشــديد

(١٤٥١) تفسير البغوي، ١/ ٣٧٠. قال البغوي: «وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتــكاب الكبائر، لأن الآية نزلــت في قاتلٍ هو كافر، وهــو مقيس بن صبابة، وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مُســتحلًا لقتله بســبب إيمانه، ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار».

(١٤٥٢) تفسير ابن عطية، ص٤٦٨، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١٤٥٣) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١٤٥٤) تفسير غرائب القرآن، ٥/ ٤٧٥، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١٤٥٥) الدر المنثور، ٢/ ٣٤٩.

(١٤٥٦) تفسير البيضاوي، ١/ ٢٣١.

(١٤٥٧) تفســير القرطبي، ٥/ ٢١٤. الآيات الكريمــة التي ذكرها الله تعالى فــي كتابه العزيز صريحة بنفاذ العقاب على مســتحقيه إلا إذا تابوا. وأما الأخبار فليس فيها أي حجة لقول القرطبي هنا.

(١٤٥٨) تفسير القرطبي، ٥/ ٢١٤.

لكل من أقدم على سفك الدم الحرام من غير تمييز بين قاتل وآخر إلا إذا تاب وأناب.

* * *

العنصر الثالث: مناقشة قول القائل: «إذا دخل الرجل في الإسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمناً متعمداً فلا توبة له»:

أورد الإمام الطبري وغيره روايات عن ابن عباس ذكر فيها عدم قبول توبة المسلم إذا قتل مسلماً متعمداً. وهذا الرأي المنسوب إلى الصحابي ابن عباس لم تأخذ به الأمة الإسلامية، بل أولته التأويل الصحيح الموافق للثابت من الأدلة المنصوص عليها في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

قال الإمام الطبري: «حدثنا أبو كريب، قال: ثنا طلق بن غنام، عن زائدة، عن منصور، قال: حدثني سعيد بن جبير، أو حُدثت عن سعيد بن جبير، أن عبدالرَّحمٰن بن أبزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾.... إلى آخر الآية، والتي في الفرقان: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨] .. إلى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٩]، قال ابن عباس: إذا دخل الرجل في الإسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمناً متعمداً فلا توبة له. وأما التي في الفرقان، فإنها لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة: فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرّم الله بغير الحقّ وأتينا الفواحش، فما ينفعنا الإسلام؟ قال: فنزلت ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [الفرقان: ٧٠].. الآية...».

أخرج هـذه الرواية ونحوها الإمـام الطبري[١٤٥٩]، والإمام مسـلم[١٤٦٠]، والإمام البخاري[١٤٦١].

• قال بدر الدين العيني: «وأجمع المسـلمون علـى صحة توبة القاتل عمداً وكيف لا تصح توبته وتصح توبة الكافر وتوبة من ارتد عن الإسلام ثم قتل المؤمن عمداً ثم رجع إلى الإسلام؟»[١٤٦٢].

وقال في موضع آخـر: «فإن قيل: كيف قال ابن عبـاس لا توبة للقاتل، وقال الله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١] وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبـة: ١٠٤] وأجمع الأئمة على وجوب التوبة. أجيب: بأن ذلك محمول فيه على الاقتداء بسُـنَّة الله في التغليظ والتشـديد، وإلَّا فكل ذنب قابل للتوبة، وناهيك بمحو الشرك دليلاً»[١٤٦٣].

• وقال البغوي: «والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السُّنَّة: أن قاتل المسـلم عمداً توبتـه مقبولة لقوله تعالـى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [طـه: ٨٢] وقـال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النسـاء: ٤٨ و١١٦] ومـا رُوي عـن ابن عباس ﵄ فهو تشـديد ومبالغة في الزجر عن القتل، كما رُوي عن سـفيان بن عُيينة أنه قال: إنْ لم يَقْتُلْ يُقال له: لا توبةَ لك، وإنْ قَتَلَ ثم جاء يُقال: لك توبة»[١٤٦٤].

(١٤٥٩) تفسير الطبري، ٥/٢١٩.

(١٤٦٠) صحيح مسلم، الرواية: ٣٠٢٣، ص١٢٥٨-١٢٥٩.

(١٤٦١) صحيح البخاري، الرواية: ٣٨٥٥، ص٦٨١.

(١٤٦٢) عمدة القاري، ١٨/٢٤٥.

(١٤٦٣) عمدة القاري، ١٩/١٣٦.

(١٤٦٤) تفسير البغوي، ١/٣٧٠.

- وقال الخازن: «وقيل إن قاتل المؤمن عمداً عدواناً إذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ولأن الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وإذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل أولى والله أعلم»[١٤٦٥].

- وقال الشوكاني في (نيل الأوطار): «(فإن قلت) فعلام تحمل حديث أبي هريرة وحديث معاوية المذكورين في أول الباب؟ فإن الأول يقضي بأن القاتل أو المعين على القتل يلقى الله مكتوباً بين عينيه الإياس من الرحمة. والثاني يقضي بأن ذنب القتل لا يغفره الله. قلت: هما محمولان على عدم صدور التوبة من القاتل، والدليل على هذا التأويل ما في الباب من الأدلة القاضية بالقبول عموماً وخصوصاً، ولو لم يكن من ذلك إلّا حديث الرجل القاتل للمائة الذي تنازعت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وحديث عبادة بن الصامت المذكور قبله، فإنهما يلجئان إلى المصير إلى ذلك التأويل، ولا سيما مع ما قدمنا من تأخر تاريخ حديث عبادة ومع كون الحديثين في الصحيحين، بخلاف حديث أبي هريرة ومعاوية، وأيضاً في حديث معاوية[١٤٦٦] نفسه ما يرشد إلى هذا التأويل، فإنه جعل الرجل القاتل

(١٤٦٥) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١٤٦٦) حديث معاوية المشار إليه هنا، هو: قال النسائي: «أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى عَنْ ثَوْرٍ عَنْ أَبِي عَوْنٍ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ الله قال: سَمِعْتُهُ يَخْطُبُ وَيَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «كُلُّ ذنبٍ عَسى اللهَ أنْ يغفِرَه إلّا الرجُلُ يقتُلُ المُؤمن مُتعمِّداً أو الرجُل يموتُ كافِراً». أخرج هذه الرواية النسائي (سنن النسائي الكبرى، الرواية: ٣٤٤٦، ٢/ ٢٨٤)، والحاكم (المستدرك على الصحيحين، الرواية ٨٠٣١، ٤/ ٣٩١، والرواية ٨٠٣٢، ٤/ ٣٩١)، وأبو داود (سنن أبي داود، الرواية: ٤٢٧٠، ص ٦٦٩)، الطبراني (مسند الشاميين، الرواية: ٤٩٩، والرواية: ١٣١٨. والمعجم الكبير، الرواية: ٨٥٨، =

عمداً مقترناً بالرجل الذي يموت كافراً، ولا شك أن الذي يموت كافراً مصراً على ذنبه غير تائب منه من المخلدين في النار، فيستفاد من هذا التقييد أن التوبة تمحو ذنب الكفر، فيكون ذلك القرين ـ الذي هو القتل ـ أولى بقبولها»[١٤٦٧].

فالمكانة العالية التي يتبوأها الإمام ابن عباس ﵄ تجعلنا نقرّ بأن هذه الرواية المنسوبة إليه ليست على حسب ظاهرها، فكيف يغفل ابن عباس عن مشروعية التوبة وشروطها وهو بحر العلوم وحبر هذه الأمة؟.

وكيف لا يعرف ابن عباس ما علم من الدين بالضرورة؟!.

وقد بيَّن مجاهد، وهو من أخص تلامذة ابن عباس، ما يرشد إليه قول أستاذه في هذه الرواية حيث قال كما رواه الإمام البخاري[١٤٦٨]: «إلَّا من نَدم».

والمتتبع لأقوال القائلين بخروج عصاة المسلمين من النار يجد التضارب الواضح بين أقوالهم؛ فما أتى به البعض رده الآخر وانتقده ولم يحفل به. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المناهج الإسلامية العادلة لم يؤخذ بها في الوصول إلى القول الصحيح عند تفسير هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات.

قال الإمام الرازي وهو يرد على الواحدي الذي قال: «الأول: إجماع المفسرين على أن الآية نزلت في كافر قتل مؤمناً... والثاني: أن قوله:

= ١٩/ ٣٦٥. والمعجم الأوسط، الرواية: ٥١٣٥، ٤/ ٣٩، والرواية: ٩٢٢٨، ٦/ ٤٠٧)، والإمام أحمد (مسند الإمام أحمد، الرواية: ١٧٠٣١).

فهذه الرواية تثبت العقوبة الدائمة في الآخرة لأصحاب الكبائر إن لم يتوبوا قبل الممات.

(١٤٦٧) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ص١٤٣٨ - ١٤٣٩.

(١٤٦٨) صحيح البخاري، الرواية: ٣٨٥٥، ص٦٨١.

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ معناه الاستقبال؛ أي: أنه سيجزى بجهنم، وهذا وعيد قال: وخلف الوعيد كرم، وعندنا أنه يجوز أن يخلف الله وعيد المؤمنين»[١٤٦٩].

وبعد أن ذكر هذه الأقوال أخذ الإمام الرازي بدحضها حيث قال: «وأقول: أما الوجه الأول فضعيف، وذلك لأنه ثبت في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فاذا ثبت أن اللفظ الدال على الاستغراق حاصل، فنزوله[١٤٧٠] في حق الكفار لا يقدح في ذلك العموم، فيسقط هذا الكلام بالكلية، ثم نقول: كما أن عموم اللفظ يقتضي كونه عاماً في كل قاتل موصوف بالصفة المذكورة، فكذا هٰهنا وجه آخر يمنع من تخصيص هذه الآية بالكافر، وبيانه من وجوه: ـ

الأول: أنه تعالى أمر المؤمنين بالمجاهدة مع الكفار ثم علمهم ما يحتاجون اليه عند اشتغالهم بالجهاد، فابتدأ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢] فذكر في هذه الآية ثلاث كفارات: كفارة قتل المسلم في دار الإسلام، وكفارة قتل المسلم عند سكونه مع أهل الحرب، وكفارة قتل المسلم عند سكونه مع أهل الذمة وأهل العهد، ثم ذكر عقيبه حكم قتل العمد مقروناً بالوعيد، فلما كان بيان حكم قتل الخطأ بياناً لحكم اختص بالمسلمين كان بيان حكم القتل العمد الذي هو كالضد لقتل الخطأ، وجب أن يكون أيضاً مختصّاً بالمؤمنين، فإن لم يختص بهم فلا أقل من دخولهم فيه.

الثاني: أنه تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾

(١٤٦٩) تفسير الرازي، ١٠/ ٢١٠.

(١٤٧٠) لم تثبت الروايات التي خصصت نزول هذه الآية في حق كافر، كما تبيّن أعلاه.

[النســاء: ٩٤] وأجمع المفســرون على أن هذه الآيات إنما نزلت في حق جماعة من المســلمين لقوا قوماً فأســلموا فقتلوهــم وزعموا أنهم إنما أســلموا من الخوف، وعلى هذا التقدير: فهذه الآية وردت في نهي المؤمنين عن قتل الذين يظهرون الإيمان؛ وهذا أيضا يقتضي أن يكون قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ نازلاً في نهي المؤمنين عن قتل المؤمنين حتى يحصل التناســب، فثبــت بما ذكرنا أن ما قبل هــذه الآية وما بعدها يمنع مــن كونها مخصوصة بالكفار... فثبت بما ذكرنا أن هذا الوجه الذي ارتضاه الواحدي ليس بشيء.

وأما الوجه الثاني: من الوجهين اللذين اختارهما فهو في غاية الفساد لأن الوعيد قسم من أقسام الخبر، فاذا جوز على الله الخلف فيه فقد جوز الكذب على الله، وهذا خطأ عظيم، بل يقرب من أن يكون كفراً، فإن العقلاء أجمعوا على أنه تعالى منزه عن الكذب، ولأنــه إذا جوز الكذب على الله في الوعيد لأجل ما قال: إن الخلف فــي الوعيد كرم، فلم لا يجوز الخلف في القصص والأخبار لغرض المصلحة، ومعلوم أن فتح هذا الباب يفضي إلى الطعن في القرآن وكل الشريعة فثبت أن كل واحد من هذين الوجهين ليس بشيء»(١٤٧١).

فهذه الأقوال التي ســطرها الإمام الرازي هنا هــي الناطقة بالحق لأنها مبنيّة على الثابت الصحيح من الأدلة ولأنها سارت على منهاج الإسلام في دراســة العقائد. وكم هي أمنيتنا في أن نرى الإمام الــرازي وقد رفع معالم ما بناه هنا في الأماكن الأخرى من تفسيره وعند مناظراته في موضوع مصير عصاة المسلمين يوم القيامة.

ولم يكن ابن عاشــور أقل حدة من الإمام الــرازي في رده على بعض المفسرين، حيث قال: «وأقول: هذا مقام قد اضطربت فيه كلمات المفسّرين

(١٤٧١) تفسير الرازي، ١٠/ ٢١٠ـ٢١١.

كما علمت، وملاكه أنّ ما ذكره الله هنا في وعيد قاتل النفس قد تجاوز فيه الحدّ المألوف من الإغلاظ، فرأى بعض السلف أنّ ذلك موجب لحمل الوعيد في الآية على ظاهره، دون تأويل، لشدّة تأكيده تأكيداً يمنع من حمل الخلود على المجاز، فيُثبت للقاتل الخلودَ حقيقة، بخلاف بقية آي الوعيد، وكأنّ هذا المعنى هو الذي جعلهم يخوضون في اعتبار هذه الآية محكمةً أو منسوخة، لأنّهم لم يجدوا مَلْجأ آخرَ يأوُون إليه في حملها على ما حُملت عليه آيات الوعيد: من محامِل التأويل، أو الجمعِ بين المتعارضات، فآووا إلى دَعوى نسخ نصّها بقوله تعالى في سورة الفرقان (٦٨، ٦٩): ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ لأنّ قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ إمّا أن يراد به مجموع الذنوب المذكورة، فإذا كان فاعل مجموعها تنفعه التوبة ففاعل بعضها وهو القتل عمداً أجدر، وإمّا أن يراد فاعل واحدة منها فالقتل عمداً مما عُدَّ معها. ولذا قال ابن عباس لسعيد بن جبير: إنّ آية النساء آخر آية نزلت وما نسخها شيء. **ومن العجب أن يقال كلام مثل هذا، ثم أن يُطال وتتناقله الناس وتمرّ عليه القرون، في حين لا تعارض بين هذه الآية التي هي وعيد لقاتل النفس وبين آيات قبول التوبة.** وذهب فريق إلى الجواب بأنّها نُسخت بآية: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، بناء على أنّ عموم ﴿مَن يَشَآءُ﴾ نَسَخ خصوصَ القتل.

وذهب فريق إلى الجواب بأنّ الآية نزلت في مِقْيَسِ بن صُبابة، وهو كافر ـ فالخلود لأجل الكفر، وهو جواب مبني على غلط لأنّ لفظ الآية عامّ إذ هو بصيغة الشرط فتعيّن أنّ «من» شرطية وهي من صيغ العموم فلا تحمل على شخص معيّن؛ إلّا عند من يرى أنّ سبب العامّ يخصّصه بسببه لا غيرُ، وهذا لا ينبغي الالتفات إليه.

وهذه كلّها ملاجىء لا حاجة إليها، لأنّ آيات التوبة ناهضة مجمع عليها متظاهرة ظواهرها، حتّى بلغت حدّ النصّ المقطوع به، فيحمل عليها آيات وعيد الذنوب كلّها حتّى الكفر. على أنّ تأكيد الوعيد في الآية إنّما يرفع احتمال المجاز في كونه وعيداً لا في تعيين المتوعّد به وهو الخلود. إذ المؤكّدات هنا مختلفة المعاني فلا يصحّ أن يعتبر أحدها مؤكّداً لمدلول الآخر بل إنّما أكّدت الغرض. وهو الوعيد، لا أنواعه. **وهذا هو الجواب القاطع لهاته الحيرة. وهو الذي يتعيّن اللجأ إليه، والتعويل عليه**»(١٤٧٢).

فشدة رد ابن عاشور هنا لم تسعفه في التغلب على جاذبية (فكرة خروج عصاة المسلمين من النار) التي يعتقدها من غير دليل، فمع حماسه الشديد على إظهار المعنى الواضح الجلي الذي بينته هذه الآية الكريمة إلا أنه جعلها دالة على جانب منها دون جانب آخر.

فقد اعتبر ابن عاشور في آخر كلامه هنا أن هذه الآية مؤكدة للوعيد دون الخلود في الوعيد وهذا قول ترده الآية نفسها.

فمن أين أتى الاستثناء؟، والآية صريحة أن قاتل النفس بغير حق مصيره الخلود في نار جهنم ولم تخصص حكماً دون حكم ولا فاعلاً دون آخر.

وهذه الفكرة التي عرضها ابن عاشور هنا لم يحفل بها الإمام الرازي، حيث قال: «وحكى القفال في تفسيره وجهاً آخر، هو الجواب وقال: الآية تدل على أن جزاء القتل العمد هو ما ذكر، لكن ليس فيها أنه تعالى يوصل هذا الجزاء إليه أم لا، وقد يقول الرجل لعبده: جزاؤك أن أفعل بك كذا وكذا، إلا أني لا أفعله، **وهذا الجواب أيضاً ضعيف لأنه ثبت بهذه الآية أن جزاء القتل العمد هو ما ذكر، وثبت بسائر الآيات أنه تعالى يوصل الجزاء إلى**

(١٤٧٢) تفسير ابن عاشور، ٤/ ٢٢٤.

المستحقين. قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧] وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] بل إنه تعالى ذكر في هذه الآية ما يدل على أنه يوصل إليهم هذا الجزاء وهو قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فإن بيان أن هذا جزاؤه حصل بقوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] فلو كان قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ إخباراً عن الاستحقاق كان تكراراً، فلو حملناه على الإخبار عن أنه تعالى سيفعل لم يلزم التكرار، فكان ذلك أولى»[١٤٧٣].

فحينما يبتعد القارئ لكتاب الله تعالى عن كل موروث فكري مبني على روايات لا تُثبت معتقداً، وحينما يعتقد القارئ أن كتاب الله تعالى يفسر بعضه بعضاً فلا بد له أن يصل إلى الحقيقة التي لا خلاف فيها.

فكل ما عرض من أقوال حول تفسير هذه الآية الكريمة يختصره الإمام القرطبي بقوله: «ثم إن الجمع بين آية «الفرقان» وهذه الآية ممكن فلا نسخ ولا تعارض، وذلك أن يحمل مطلق آية «النساء» على مُقَيَّد آية «الفرقان» فيكون معناه: فجزاؤه كذا إلا من تاب؛ لا سيما وقد اتحد الموجِب وهو القتل والموجَب وهو التواعد بالعقاب»[١٤٧٤].

ويختصرها كذلك الشوكاني بقوله: «وقد جاءت هذه الآية بتغليظ عقوبة القاتل عمداً، فجمع الله له فيها بين كون جهنم جزاء له، أي: يستحقها بسبب هذا الذنب، وبين كونه خالداً فيها، وبين غضب الله عليه، ولعنته له، وإعداده

(١٤٧٣) تفسير الرازي، ١٠/ ٢١١.

(١٤٧٤) تفسير القرطبي، ٥/ ٢١٤.

له عذاباً عظيماً. وليس وراء هذا التشديد تشديد، ولا مثل هذا الوعيد وعيد»[١٤٧٥].

وبعد هذه الوقفات مع كتب التفسير والحديث لم يبق لنا إلا تفسيراً واحداً ذكره الإمام الطبري، حيث قال: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن يقتل مؤمناً عامداً قتله، مريداً إتلاف نفسه، ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ يقول: فثوابه من قتله إياه جهنم، يعني: عذاب جهنم، ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ يعني: باقياً فيها. والهاء والألف في قوله: «فيها» من ذكر جهنم. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يقول: وغضب الله عليه بقتله إياه متعمداً، ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ يقول: وأبعده من رحمته وأخزاه وأعدّ له عذاباً عظيماً، وذلك ما لا يعلم قدر مبلغه سواه تعالى ذكره»[١٤٧٦].

وهذا التفسير الذي ذكره الإمام الطبري هنا في حق قاتل النفس التي حرم الله قد اعتمد أيضاً على آيات سورة الفرقان، فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فأصحاب هذه الكبائر قد توعدهم الله تعالى بقوله: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

وقد قال الإمام الطبري أيضاً: «وقوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان...»[١٤٧٧].

هذا هو التفسير الصحيح لهذه الآيات: «وقد حاولوا التخلص مما دل عليه هذا النص بضروب من التأويلات التي أنكر فيها بعضهم على بعض، ولم

(١٤٧٥) تفسير الشوكاني، ١/ ٧٩٢، من تفسير الآية ٩٣ من سورة النساء.
(١٤٧٦) تفسير الطبري، ٥/ ٢١٥.
(١٤٧٧) تفسير الطبري، ١٩/ ٤٥.

يتفقوا منها على شيء»[١٤٧٨]، ولا ينبغي لنا الالتفات إلى غيره من التفاسير لكونها جاءت من قبل رجال أسقط رواياتهم منهج الأمة العادل كما تبيَّن.

الرواية التي فيها قصة إسلام وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه:

قال الطبراني[١٤٧٩]: «حدثنا أحمد بن علي الأبار ثنا إسحاق بن الأركون ثنا أبين بن سفيان عن عطاء عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه: يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً وأنا قد صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة فأنزل الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فقال وحشي: يا محمد هذا شرط شديد إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فقال وحشي: يا محمد أرى بعد مشيئة فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا فأنزل الله عز وجل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] قال وحشي: هذا، فجاء فأسلم فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشي قال: هي للمسلمين عامة».

قال ابن الجوزي: «وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر، وهو بعيد الصحّة، والمحفوظ في إسلامه غير هذا، وأنه قَدِم مع رسل الطائف فأسلم من غير اشتراط»[١٤٨٠].

(١٤٧٨) الحق الدامغ، ص٢١٣.

(١٤٧٩) المعجم الكبير، الرواية: ١١٤٨٠، ١١/١٩٧.

(١٤٨٠) تفسير ابن الجوزي، ٣/٣٢٩.

وذكر هذه الروايــة واحتج بها أبو حيان الأندلســي[١٤٨١]، والرازي[١٤٨٢]، والبروسوي[١٤٨٣]، والبغوي[١٤٨٤]، والخازن[١٤٨٥]، والثعلبي[١٤٨٦].

وهذه الرواية من حيث الســند لا تثبت وذلك لورودها من قبل أبين بن سفيان المقدسي.

قال ابن حجر: «ضعيف... وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: ضعيف له مناكير»[١٤٨٧].

فحينما تصفو النفوس من شــوائب الأفكار الضعيفة الموروثة والأحكام الباطلة فإنها تجد ضالتهــا في آيات كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النســاء: ٩٣]، غالب على كل قول؛ فهو المهيمــن ولا يحد ظاهر معناه ما جاء من أفكار البشر ونقولاتهم ورواياتهم الضعيفة.

فأصحاب كبيرة القتل مآلهم الخلود في جهنــم، وليس بعد هذا الحكم الإلٰهي من معقِّــب. فليحذر الناس من ارتكاب الكبائــر وليحذر المروِّجون للأفكار الضعيفة من معارضة نصوص الآيات الظاهرة الواضحة الجلية.

(١٤٨١) تفسير أبي حيان الأندلسي، ٦/ ٤٧١.

(١٤٨٢) تفسير الرازي، ١٠/ ١١٣.

(١٤٨٣) تفسير روح البيان، ٢/ ٢١٩.

(١٤٨٤) تفسير البغوي، ٤/ ٧٢، من تفسير الآية ٥٣ من ســورة الزمر. وانظر كذلك ١/ ٣٤٩، من تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

(١٤٨٥) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٥٣ من سورة الزمر، ومن تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

(١٤٨٦) تفسير الثعلبي، من تفسير الآية ٥٣ من سورة الزمر، ومن تفسير الآية ٦٨ من سورة الفرقان.

(١٤٨٧) لسان الميزان، ت: ٣٩٩، ١/ ١٣٣.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

في هاتين الآيتين الكريمتين بيان من الله تعالى أن من يعصيه ويتعدى حدوده فإن مصيره إلى النار ويكون فيها خالداً أبداً.

وليس في هاتين الآيتين ما يخصص معناهما في قوم دون قوم، فكل من يعصي الله تعالى ويتعدى حدوده ويأتي يوم القيامة وهو متلبس بما يدخله النار ـ والعياذ بالله ـ فعقوبته «دوام البقاء في دار لا يخرج منها»[١٤٨٨]، تحقيقاً للمعنى اللغوي الذي جاءت به كلمة (الخلد) الواردة في هذين النصين الكريمين من كتاب الله سبحانه وتعالى.

وأما تحديد العصيان ـ الموجب دوام البقاء في النار ـ هنا بـ(الكفر المخرج من الملة) فقط فليس عليه من دليل، والذين ذهبوا إلى هذا

(١٤٨٨) لسان العرب، ٤/١٧١.

التخصيص فحجتهم الفكرة القائلة بعدم خلود عصاة المسلمين في النار[١٤٨٩] المبنية على روايات لا تقوم بها حجة.

معنى الخلود كما جاء في كتب اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: «(خلد) الخاء واللام والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثبات والملازَمة، فيقال: خَلَدَ: أقام، وَأخلَدَ أيضاً»[١٤٩٠].

وجاء في قاموس المحيط: «الخُلْدُ، بالضم: البَقاءُ، والدوامُ»[١٤٩١].

(١٤٨٩) ومن الأقوال التي خصصت العصيان هنا بالكفر فقط:-
قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يريد الكفر بدليل الخلود المذكور» (تفسير ابن عطية، ص١٩١٠، من تفسير الآية ٢٣ من سورة الجن).
وقال ابن عطية أيضاً: «والخلود في هذه الآية على الإطلاق والتأبيد في المشركين، ومستعار بمعنى الطول في العصاة، وإن علم انقطاعه كما يقال: ملك خالد، ويدعى للملك بالخلد». (تفسير ابن عطية، ص١٠٥-١٠٦، من تفسير الآية ٨١ من سورة البقرة).
وقال أبو حيان الأندلسي: «﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي بالشرك والكفر، ويدل عليه قوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾» (تفسير أبي حيان الأندلسي، ج٨/ ص٣٤٧).
وقال الثعالبي: «وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يريدُ: بالكفر، بدليلِ تأبِيدِ الخلود «(تفسير الثعالبي، ٣/ ٤١١).
وقال القرطبي: «وقوله ﴿أَبَدًا﴾ دليل على أن العصيان هنا هو الشرك. وقيل: هو المعاصي غير الشرك، ويكون معنى ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ إلا أن أعفو أو تلحقهم شفاعة، ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو» (تفسير القرطبي، ١٩/ ١٨).
وقال القرطبي أيضاً: «والعصيان إن أُريد به الكفر فالخلود على بابه، وإن أُريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدّة ما. كما تقول: خلّد الله ملكه» (تفسير القرطبي، ٥/ ٥٤).

(١٤٩٠) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٠٧.

(١٤٩١) القاموس المحيط، فصل الخاء، كلمة: (خلد).

وجاء في مختار الصحاح: «خلد خ ل د: الخُلْدُ دوام البقاء»[١٤٩٢].

وجاء في الصحاح للجواهري: «خلد: الخُلْدُ: دوامُ البقاء. تقول: خَلَد الرجلُ يخلُدُ خُلُودًا، وأخلَدَه الله وخلَّدَه تخليدًا»[١٤٩٣].

وقال الشيخ الشعراوي في تفسيره: «وكلمة (الخلود) تفيد المكث طويلاً؛ مكوثاً له ابتداء ولا نهاية له؛ وإذا أبّد فهو تأكيد للخلود»[١٤٩٤].

فكون تعريف (الخُلْد) في كتب اللغة العربية بـ«دوام البقاء» فيه رد للفكرة التي حملت معنى الخلد (بطول المكث لا بدوام البقاء).

وما تفسير (الخلود) في الآخرة بـ(طول المكث)، الذي يؤول إلى منتهى، إلا إملاءات (فكرة الخروج من النار) الباطلة التي لا أصل لها في مصادر العقيدة عند المسلمين، والتي اعتمدت على روايات أبطلها منهج الأمة الإسلامية كما تبيَّن وسيتبيَّن في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وما جاء في وصف بعض المخلوقات في هذه الدنيا بالخلود هو من باب التشبيه والمجاز وليس من باب الحقيقة التي تعبر عن معناها كلمة (الخلد) وقد ذكر هذا القول علماء اللغة.

فقد قال الزبيدي: «(وخَلَدَ) يَخْلُدُ (خُلُوداً) بالضّمّ: (دام)، وبَقِيَ، وأَقام.

(و) خَلَدَ يَخْلِد، من حَدّ ضَرَب، (خلْداً)، بفتح فسكون، (وخُلُوداً)، كقُعُود: (أَبْطَأَ عنه الشَّيْبُ وقد أَسَنّ) كأَنما خُلِقَ ليَخْلُد. وفي التهذيب: ويقال

(١٤٩٢) مختار الصحاح، باب الخاء، كلمة: (خلد).

(١٤٩٣) الصحاح للجوهري، باب الدال، كلمة (خلد).

(١٤٩٤) تفسير الشعراوي، ١١/ ٦٦٨٢، من تفسير الآية ١٠٧ من سورة هود.

للرّجلِ إذا بَقِيَ سَوادُ رأسِه ولِحْيتِه، على الكِبَرِ، إنه لمُخْلِدٌ. ويقال للرّجل، إذا لم تَسقُط أَسنانُه من الهرَمِ: إنه لمُخْلِدٌ. وهو مَجازٌ: وزاد في الأساس: وقيل: هو بفتح اللام، كأَن الله أَخْلَده عليها»(١٤٩٥).

وجاء في لسان العرب: «الخُلْد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها. خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْداً وخُلوداً: بقي وأَقام. ودار الخُلد: الآخرة لبقاء أهلها فيها... والمُخلِد من الرجال: الذي أَسن ولم يَشِب كأَنه مُخَلَّد لذلك، وخَلَدَ يَخلِد ويَخْلُدُ خَلْداً وخُلوداً: أَبطأَ عنه الشيب كأَنما خلق لِيَخْلُد»(١٤٩٦).

وقال القرطبي في تفسيره: «والخلود: البقاء؛ ومنه جَنّة الخُلْد. وقد تستعمل مجازاً فيما يطول؛ ومنه قولهم في الدعاء: خَلّد الله مُلْكه؛ أي: طوّله. قال زُهَيْر:

ألَا لا أرى على الحوادث باقيَا ... ولا خالداً إلا الجبالَ الرواسيَا

وأما الذي في الآية فهو أبديّ حقيقةً»(١٤٩٧).

ولقد حُكّمت (فكرة الخروج من النار) من قبل قائليها في هذا الموضع فجاءت الأقوال باستثناءات لم يؤيدها كتاب الله تعالى ولا سُنّة رسوله الكريم ﷺ.

والأصل في التفسير هو الأخذ بما دلت عليه معاني كلمات آيات كتاب الله تعالى، وعلى المقطوع به من كلام رسول الله ﷺ، وعلى مدلولات اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

(١٤٩٥) تاج العروس، فصل الخاء المعجمة مع الدال المهملة، كلمة (خلد).

(١٤٩٦) لسان العرب، ٤/ ١٧١.

(١٤٩٧) تفسير القرطبي، ١/ ١٦٧.

وقد أشار جلال الدين السيوطي إلى هذا المنهج حيث قال: «واعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد.

والأول: إما أن يرد عن النبي ﷺ، أو الصحابة، أو رؤوس التابعين: فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني: ينظر في تفسير الصحابي: فإن فسره من حيث اللغة: فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم»[١٤٩٨].

وقال السيوطي أيضاً: «وأما ما لم يرد فيه نقل: فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق»[١٤٩٩].

وفي اللحظات التي يبتعد فيها الكاتب عن الموروثات الفكرية ويربط أقواله بالأصل الأصيل الذي ينبغي اتباعه، فإن قلمه ـ لا محالة ـ سيسجل الحق الذي يدعو إليه القرآن والسُّنَّة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. قال الإمام الرازي: «وأما الآخرة فهي عذاب شديد دائم أو رضوان الله على سبيل الدوام، ولا شك أن ذلك عظيم»[١٥٠٠].

(١٤٩٨) شروط المفسر وآدابه، ص٦٢.

(١٤٩٩) شروط المفسر وآدابه، ص٦٣.

(١٥٠٠) تفسير الرازي، ٢٩/٢٢٥، من تفسير الآية ٢٠ من سورة الحديد.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠].

﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۢ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

فالمعنى الذي جاءت به هذه الآيات الكريمة يحدده الفهم الصحيح لمفردات الكلمات التي اختارها الله سبحانه وتعالى في هذه المواضع من كتابه العزيز.

ففي هذه الآيات يربط الله سبحانه وتعالى بين (الخلود في النار) وبين (اكتساب السيئة).

ولقد تبيَّن لنا سابقاً، نقلاً من كتب اللغة، أن المعنى اللغوي لكلمة (الخلود) هو: «دوام البقاء في دار لا يخرج منها»[١٥٠١]، ومن هذا نعرف أن الذين تتحدث عنهم هذه الآيات هم أهل لأن يكونوا خالدين في نار جهنم والعياذ بالله تعالى.

ولقد جاء عند القائلين بـ(العذاب المؤقت) في حق عصاة المسلمين ـ في بعض كتاباتهم ـ تفسير (السيئة) هنا بالشرك والكفر فقط، واعتمدوا في ذلك على روايات ضعيفة أسقطها منهج الأمة الإسلامية، كما سيتبيَّن لنا جميعاً.

- قال الإمام الطبري: «ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ في نار جهنم»[١٥٠٢].

- وقال ابن الجوزي: «والسيئة هاهنا: الشرك في قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي وائل، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل»[١٥٠٣].

- وقال القرطبي بعد أن ذكر أسماء من نسب إليهم هذا التفسير: «وهو إجماع من أهل التأويل في أن الحسنة لا إله إلا الله، وأن السيئة الشرك في هذه الآية»[١٥٠٤].

(١٥٠١) لسان العرب، ١٧١/٤.

(١٥٠٢) تفسير الطبري، ٢٢/٢٠.

(١٥٠٣) تفسير ابن الجوزي، ٨٣/١.

(١٥٠٤) تفسير القرطبي، ١٦٢/١٣، من تفسير الآية ٩٠ من سورة النمل.

• وقال الألوسي: «﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: لا تميلوا إليهم أدنى ميل، والمراد بهم المشركون كما روى ذلك ابن جرير. وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﭭ، وفسّر الميل بميل القلب إليهم بالمحبة»(١٥٠٥).

• وقال ابن عاشور: «و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هم المشركون. وهذه الآية أصل في سدّ ذرائع الفساد المحقّقة أو المظنونة»(١٥٠٦).

فهذه الأقوال التي سطرها الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي، والألوسي، وابن عاشور ناشئة عن اعتماد روايات ضعيفة نُسبت إلى الصحابة والتابعين. وناشئة كذلك عن فكرة موروثة صعب على معتقديها التخلص منها حتى ولو ترادفت على بطلانها آيات الله تعالى، فقد قال الخازن وهو يعبر عن هذا المسلك الذي سلكه ومن وافقه في الرأي: «السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة، والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس: هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل: أحاطت به أي: أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السُّنَّة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية، بالكفر والشرك لقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فإن الخلود في النار هو للكفار والمشركين»(١٥٠٧).

وقال الطبرسي عند ذكره للمصدر الذي اعتمده في ترجيح ما ذهب إليه من قول حول (فكرة الخروج من النار): «اختلف في السيئة: فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم: السيئة هٰهنا الشرك. وقال الحسن: هي الكبيرة الموجبة للنار. وقال السدّي: هي الذنوب التي أوعد الله عليها النار. والقول

(١٥٠٥) تفسير الألوسي، ٦/٣٤٧.

(١٥٠٦) تفسير ابن عاشور، ١١/٣٤١، من تفسير الآية ١١٣ من سورة هود.

(١٥٠٧) تفسير الخازن، من تفسير الآية ٨١ من سورة البقرة.

الأول يوافـق مذهبنا؛ لأن ما عدا الشـرك لا يسـتحق به الخلـود في النار عندنا»[١٥٠٨].

وقال الشوكاني معبراً عن نفس الفكرة التي قالها الخازن والطبرسي: «ثم أوضح سبحانه أن مجرد كسب السـيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطة به. قيل: هي الشرك، وقيل: الكبيرة، وتفسيرها بالشرك أولى؛ لما ثبت[١٥٠٩] في السُـنَّة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار، ويؤيـد ذلك كونهـا نازلـة فـي اليهـود، وإن كان الاعتبار بعمـوم اللفظ لا بخصوص السبب»[١٥١٠].

وفي نفس المسير عَـبَـر الألوسي ـ كما عبر الشوكاني والخازن والطبرسي ـ علـى قناطر الروايات الضعيفـة والأفكار المذهبية الموروثة لينشـر (فكرة الخروج من النار) ولو على حساب الدلائل الواضحة الظاهرة لآيات الله تعالى البينات، حيث قال: «... وأجيب بأن المراد بالسيئة الإشراك كما روي تفسيرها به عن أكثر سـلف الأمة فلا يدخل المؤمن العاصي فيمن جاء بالسـيئة ولو سلم دخوله بناءاً على القول بعموم السـيئة فلا نسلم أن في الآية دلالة على خلوده في النار وكون الكب في النار بالنسـبة إلـى الكافر على وجه الخلود لا يقتضي أن يكون بالنسبة إليه كذلك فكثيراً ما يحكم على جماعة بأمر كلي ويكون الثابت لبعضهم نوعاً وللبعض الآخر نوعاً آخر منه وهذا مما لا ريب فيه، ثم إن الآية مـن باب الوعيد فيجـري فيها على تقديـر دخول المؤمن العاصي في عموم من ما قاله الأشاعرة في آيات الوعيد فافهم وتأمل»[١٥١١].

(١٥٠٨) تفسير الطبرسي، ٢٠٢/١، من تفسير الآية ٨١ من سورة البقرة.

(١٥٠٩) هذه الروايات التي أشار إليها الشوكاني هنا لم تثبت في ميزان الأمة الإسلامية.

(١٥١٠) تفسير الشوكاني، ٢٢١/١، من تفسير الآية ٨١ من سورة البقرة.

(١٥١١) تفسير الألوسي، ٢٤٧/١٠.

من هذه النصوص التي نقلناها عن الخازن، والطبرسي، والشوكاني، والألوسي ندرك أن الخلاف بين المسلمين حول قضية الشفاعة والخروج من النار سببها التحزب إلى الإملاءات المذهبية، وروايات ضعيفة صار لها القياد في توجيه الأفكار على حساب الحق الذي نطق به القرآن الكريم وجاءت به سُنَّة المصطفى ﷺ.

وحينما تختلط ـ عند التطبيق ـ الأفكار الموروثة التي لا أصل لها بالمعاني الظاهرة الجلية لآيات الله تعالى، فإن المرء سيعيش في عالم تتجاذبه فيه قوة الحق وسيطرة الأماني والضعيف من الأقوال.

فهذه القلقلة(١٥١٢) نشاهدها جلية في كتابات من اعتمد الأفكار الموروثة الباطلة عند دراسة وفهم معاني آيات الله تعالى، فقد نقل القرطبي هذا التذبذب عند تحديد معاني الكلمات وعند بيان عاقبة العصاة بقوله: «... قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] السوء في هذه الآية، «والأنعام» ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤] يعمّ الكفر والمعاصي؛ فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته... وأما الكفار يموتون على كفرهم فلا توبة لهم في الآخرة، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨] وهو الخلود. وإن كانت الإشارة بقوله إلى الجميع فهو في جهة العصاة عذاب لا خلود معه؛ وهذا على أن السيئات ما دون الكفر؛ أي: ليست التوبة لمن عمل دون الكفر من السيئات ثم تاب عند الموت، ولا لمن مات كافراً فتاب يوم القيامة. وقد قيل: إن السيئات هنا الكفر، فيكون المعنى وليست التوبة للكفار الذين يتوبون عند الموت، ولا للذين يموتون وهم كفار»(١٥١٣).

(١٥١٢) جاء في كتاب العين (ج ٣/ ١٥٢٠): «والقَلْقَلَةُ والتَّقَلْقُلُ: قِلَّةُ الثُّبوتِ في المكان».

(١٥١٣) تفسير القرطبي، ٥/ ٦١ – ٦٢.

فهذا التذبذب في بيان معنى (السـيئات) أساسه غلبة (فكرة الخروج من النار)، وإلا فالآية صريحة في أن المصرّين على الذنوب والكفار لهم عذاب أليم، ولم تبشر هذه الآية العصاة بالشفاعة أو الخروج من النار.

فبسبب الروايات الضعيفة المنسوبة إلى السلف الصالح اتجه الناس إلى التفسير الباطل. وبسبب جعل الآراء المذهبية الموروثة هي المقياس صارت معانـي آيـات الله تعالى تابعـة وخاضعة لميـول الناس ورغباتهـم. فهذان الاتجاهان لا يقرّهما منهج الأمة الإسـلامية الذي ينادي بتطبيقه المسـلمون من كل مذاهبهم.

فعلينا أن نكون تبعاً لكلام الله تعالى، وأن نبذل الجهد في تطبيق مناهجنا عند دراسة الأقوال التي نسبت إلى الرسول ﷺ وإلى الصحابة والتابعين.

قال سماحة الشـيخ أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله تعالى: «لأن أمثال هذه القضايا لا يجوز أن يسـتند فيها إلا إلى ما بينه الله سـبحانه فيما أوحاه إلى رسله، لأنها قضايا سمعية بحتة فلا حكم فيها للعقول...»[١٥١٤].

وقال الإمام الرازي: «أن كل ما جاز وجوده وعدمه عقلاً لم يجز المصير إلى الإثبات أو إلى النفي إلا بدليل سمعي»[١٥١٥].

وقال العلامة ابن تيمية: «وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسـوله على وفق مذهبه، إن لم يتبيَّن من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله، وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله ﷺ، ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم»[١٥١٦].

(١٥١٤) جواهر التفسير، ٣/ ٥٠٥.

(١٥١٥) تفسير الرازي، ٣/ ١٣٨، من تفسير الآية ٨٠ من سورة البقرة.

(١٥١٦) الإيمان، ص٣٢.

وقـــال ابن الجوزي: «ولو ســمعت عــن أحدهم ما لا يوافــق الأصول الصحيحة فقل: هذا مــن الراوي، لأنه قد ثبت عن ذلــك الإمام أنه لا يقول بشـــيء من رأيه. فلو قدرنا صحته عنه فإنه لا يقلد في الأصول ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما. فهــذا أصل يجب البنــاء عليه فــلا يُهَوِّلَنَّكَ ذِكْــرُ مُعَظَّمٍ في النفوس. وكان المقصود من شـــرح هذا أن ديننا سليم، وإنما أدخل أقوام فيه ما تأذينا به»[١٥١٧].

وقال ابن الجوزي أيضاً: «وإنما ينبغي اتباع الصواب ولا ينظر إلى أسماء المعظمين في النفوس. فإنا نقول: قال أبو حنيفة ثم يخالفه الشــافعي، وإنما ينبغي أن يتبع الدليل»[١٥١٨].

الروايات التي جاء فيها تفسير (السيئة) بـ(الشرك) فقط:

الرواية[١٥١٩] **المنســوبة إلى الصحابي ابن عبــاس** رضي الله عنهما، والتي جاء فيها تفسير كسب السيئة بالكفر فقط، ضعيفة لورودها من قِبَل محمد بن حميد بن حيان التميمي الــرازي الضعيــف[١٥٢٠]، ومــن قِبَل محمد بــن أبي محمد الأنصاري المجهول[١٥٢١].

(١٥١٧) صيد الخاطر، ص١٠٢.

(١٥١٨) صيد الخاطر، ص٤٣٠.

(١٥١٩) تفســير الطبري، ١/ ٣٨٤. قــال الإمام الطبــري: «حدثنا مـحمد بن حميــد، قال: ثنا سلـمة، قال: حدثنـي مـحمد بن إسحاق، قال: حدثنـي مـحمد بن أبـي مـحمد، عن ســعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عبـــاس: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي من عمل مثل أعمالكم وكفر بـمثـل ما كفرتـم به حتـى يحيط كفره بـما له من حسنة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾...».
وذكر هذه الرواية واحتج بها ابن كثير (تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٨).

(١٥٢٠) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١٥٢١) تقريب التهذيب، ت: ٦٢٩٥، ٢/ ١٣٠.

• وجاء من طريق محمد بن حميد ومحمد بن أبي محمد رواية[١٥٢٢] ضعيفة منسوبة إلى ابن عباس وفيها تفسير ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بـ«يحيط كفره بما له من حسنة».

• وجاء عند الطبري رواية[١٥٢٣] أخرى منسوبة إلى ابن عباس وفيها تفسير (السيئة) بـ(الشرك) وهي ضعيفة لورودها من قبل عبد الحميد بن عبد الرّحمٰن الحِمّاني أبي يحيى الكوفي.

قال عنه ابن حجر في التهذيب: «وقال أبو داود: كان داعية في الإرجاء. وقال النسائي: ليس بقوي. وقال في موضع آخر: ثقة. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال ابن عدي: هو وابنه ممن يكتب حديثه... وقال ابن سعد، وأحمد: كان ضعيفاً. وقال العجلي: كوفي، ضعيف الحديث، مرجىء. وقال البرقي: قال ابن معين: كان ثقة ولكنه ضعيف العقل»[١٥٢٤].

وقال عنه ابن حجر في التقريب: «صدوق يخطىء ورمي بالإرجاء»[١٥٢٥].

(١٥٢٢) تفسير الطبري، ٣٨٦/١. قال الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: أخبرني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: يحيط كفره بما له من حسنة».

(١٥٢٣) تفسير الطبري، ٢٢/٢٠. قال الطبري: «حدثنا موسى بن عبد الرّحمٰن المسروقي، قال: ثنا أبو يحيى الحماني، عن النضر بن عربيّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] قال: من جاء بلا إلٰه إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾، قال: بالشرك».

(١٥٢٤) تهذيب التهذيب، ت: ٣٩٠٤، ١٠٩/٦ – ١١٠.

(١٥٢٥) تقريب التهذيب، ت: ٣٧٨٣، ٥٥٦/١.

• وجاء عند قاسم بن سلام[١٥٢٦] رواية منسوبة إلى ابن عباس وفيها تفسير السيئة بالشرك، وتلك الرواية ضعيفة لورودها من قبل أبي عمر النضر بن عبد الرّحمٰن الخزاز المتروك[١٥٢٧].

• وجاء عند الطبري[١٥٢٨] رواية أخرى منسوبة إلى ابن عباس وفيها تفسير السيئة بالشرك، وهي ضعيفة لورودها من قِبَل علي بن أبي طلحة[١٥٢٩]، ومعاوية بن صالح[١٥٣٠]، وأبي صالح عبد الله بن صالح الجهني[١٥٣١].

• وجاء عند الطبري[١٥٣٢] رواية أخرى منسوبة إلى ابن عباس وهي ضعيفة لورودها من قبل عطية العوفي وأحفاده الضعفاء[١٥٣٣].

(١٥٢٦) قال القاسم بن سلام: «أخبرنا علي قال: حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا محمد بن ربيعة، عن النضر أبي عمر الجزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] قال: «هم أهل الشرك». (الناسخ والمنسوخ، باب التوبة عند الموت ونسخ التشديد فيها بالسعة والرخصة، الرواية: ٣٩٢)».

(١٥٢٧) تقريب التهذيب، ت: ٧١٧٠، ٢/٢٤٦.

(١٥٢٨) تفسير الطبري، ٢٠/٢٢. قال الطبري: «حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يقول: من جاء بلا إله إلا الله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وهو الشرك».

(١٥٢٩) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١٥٣٠) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١٥٣١) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١٥٣٢) تفسير الطبري، ٢٠/٢٢. قال الطبري: «حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: بالشرك».

(١٥٣٣) انظر ص٢٤١ من هذا البحث.

• وجاء عند الطبري رواية(١٥٣٤) منسوبة إلى ابن عباس وفيها تفسير (الظلم) بـ(الشرك) وهي ضعيفة لورودها من قبل علي بن أبي طلحة(١٥٣٥)، ومعاوية بن صالح(١٥٣٦)، وأبي صالح عبد الله بن صالح الجهني(١٥٣٧).

• وجاء عند الطبري(١٥٣٨) رواية منسوبة إلى أبي هريرة ﷺ وفيها تفسير (السيئة) بـ(الشرك). وتلك الرواية لا تؤسس فكراً لورودها من قبل يحيى ابن أيوب بن أبي زرعة البجلي، المختلف فيه.

قال ابن حجر: «قال الدوري عن ابن معين: ليس به بأس... وقال الآجري: ثقة... وقال العقيلي: قال ابن معين: هو ضعيف. وقال البرقي عن ابن معين: ضعيف. وقال مرة: صالح»(١٥٣٩).

ومهما يكن من حال، فهذه الرواية المنسوبة إلى أبي هريرة ليس فيها تخصيص السيئة هنا بالشرك فقط، بل ترشد إلى أن (الشرك) أحد المعاني

(١٥٣٤) تفسير الطبري، ١٢/١٢٧. قال الطبري: «حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يعني: الركون إلى الشرك...».

(١٥٣٥) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١٥٣٦) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١٥٣٧) انظر ص٤٣ من هذا البحث.

(١٥٣٨) تفسير الطبري، ٢٠/٢٢. قال الإمام الطبري: «حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثني الفضل بن دكين، قال: ثنا يحيى بن أيوب البجلي، قال: سمعت أبا زرعة، قال: قال أبو هُريرة، قال يحيى: أحسبه عن النبيّ ﷺ قال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] قال: وَهِيَ لا إلَـهَ إلّا اللهُ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ قال: وهِيَ الشِّرْكُ»». وجاءت هذه الرواية أيضاً في مسند إسحاق بن راهويه (ج ١/١١٧، ١/٢٠٨).

(١٥٣٩) تهذيب التهذيب، ت: ٧٨٣٢، ١١/١٦٤.

التي تشـــملها هذه الكلمة. والذي يؤيد هذا القول هو الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة: «قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «قَالَ الله ﷻ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَـيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَـيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَـنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَـنَةً. فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْـرا»»[١٥٤٠]، إذ السـيئة هنا لا تعني الشرك ولكنها تعني ما دونه من الذنوب التي قد يقترفها الإنسان في حياته.

- **وتفسير[١٥٤١] السيئة هنا بالشـرك والمنسوب إلى مجاهد لا يثبت عنه وذلـك لوروده من قبـل عنعنة ابن أبي نجيح المدلـس، وقد ذكره ابن حجـر ضمـن الطبقـة الثالثـة من المدلسـين[١٥٤٢] الذيـن لا تقبل عنعنتهـم.**

وقال عنه في تهذيب التهذيب: «وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: قال يحيـى بن سعيد: لم يسمع ابن أبـي نجيح التفسير من مجاهد. قال ابن حبان: ابن أبـي نجيح نظير ابن جريج في كتاب القاسم بن أبـي بزة عن مجاهد في التفسـير، رويا عـن مجاهد من غير سـماع... وذكـره النسـائي فيمن كان يدلس»[١٥٤٣].

(١٥٤٠) صحيح مسلم، الرواية: ١٢٨، ص١٠٦.

(١٥٤١) تفسير الطبري، ١/ ٣٨٤. قال الطبري: «حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركاً».
وقـال الطبري في التفسـير أيضـاً (٢٠/ ٢٢): «حدثني محمد بن عمـرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسـى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسـن، قـال: ثنا ورقاء جميعاً، عـن ابن أبـي نجيـح، عن مجاهـد، قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قـال: كلمة الإخلاص ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك».

(١٥٤٢) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ت: ٧٧، ص ٩٠.

(١٥٤٣) تهذيب التهذيب، ت: ٣٧٨٦، ٦/ ٥٠ - ٥١.

• والتفسير[١٥٤٤] المنســوب إلى عطاء بن السائب ليس له قيمة لضعف رواية ابن جريج عن عطاء[١٥٤٥] الذي اختلط في آخر عمره.

• والتفسير[١٥٤٦] المنسوب إلى عكرمة ضعيف لوروده من قِبَل حفص بن عمر العدني الضعيف[١٥٤٧]، والحكم بن أبان العدني صاحب الأوهام[١٥٤٨].

• والتفسير[١٥٤٩] المنسوب إلى إبراهيم النخعي والذي فيه تفسير السيئة بالشرك فقط لم يثبت عنه، وذلك بسبب محمد بن حميد الرازي[١٥٥٠].

• والتفسير[١٥٥١] المنسوب إلى أبي وائل لا حجة فيه وذلك لوروده من قبل عاصم بن أبي النجود السيئ الحفظ[١٥٥٢].

(١٥٤٤) تفسير الطبري، ١/ ٣٨٥. قال الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ قال: الشرك».

(١٥٤٥) انظر ص٤٢ من هذا البحث.

(١٥٤٦) تفسير الطبري، ٢٠/ ٢٣. قال الطبري: «حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: ثنا حفص بن عمر العدني، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: السيئة: الشرك. قال الحكم: قال عكرمة: كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك».

(١٥٤٧) تقريب التهذيب، ت: ١٤٢٦، ١/ ٢٢٨.

(١٥٤٨) تقريب التهذيب، ت: ١٤٤٤، ١/ ٢٣٠. وقد ذكرت في كتاب (الميزان القسط)، ص، ١٩٥ ـ ١٩٧، أقوال علماء الجرح والتعديل في الحكم بن أبان ورد الفقهاء لروايات جاءت من طريقه.

(١٥٤٩) تفسير الطبري، ٢٠/ ٢٢. قال الإمام الطبري: «حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن أبي المحجل، عن أبي معشر، عن إبراهيم، قال: كان يحلف ما يستثني، أن ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك».

(١٥٥٠) انظر ص٢٤٧ من هذا البحث.

(١٥٥١) تفسير الطبري، ١/ ٣٨٤. قال الطبري: «حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، قال: حدثني عاصم، عن أبي وائل ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ قال: الشرك بالله».

(١٥٥٢) انظر ص٤٥٨ من هذا البحث.

- والتفسير المنسوب إلى الضحاك[١٥٥٣] والحسن البصري[١٥٥٤] لا حجة فيه وذلك لوروده من قبل الحسين بن داود، المعروف بسنيد بن داود[١٥٥٥].

- والتفسير[١٥٥٦] المنسوب إلى محمد بن كعب لا يصح عنه وذلك لوروده من قبل جابر بن نوح الحماني[١٥٥٧] وموسى بن عبيدة الربذي[١٥٥٨] الضعيفين.

- والتفسير[١٥٥٩] المنسوب إلى قتادة ضعيف ولا يصح عنه لوروده من قبل سعيد بن بشير[١٥٦٠] الضعيف.

(١٥٥٣) تفسير الطبري، ٢٠/ ٢٣. قال الطبري: «حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعني: الشرك».

(١٥٥٤) تفسير الطبري، ٢٠/ ٢٣. قال الطبري: «حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الحسن ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: يقول: الشرك».

(١٥٥٥) انظر ص ٤٦١ من هذا البحث.

(١٥٥٦) تفسير الطبري، ٢٠/ ٢٣. قال الطبري: «حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا موسى بن عُبيدة، عن محمد بن كعب ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ قال: الشرك».

(١٥٥٧) تقريب التهذيب، ت: ٨٧٨، ١/ ١٥٣.

(١٥٥٨) تقريب التهذيب، ت: ٧٠١٥، ٢/ ٢٢٦.

(١٥٥٩) تفسير الطبري، ٢٠/ ٢٣. قال الطبري: «حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: الإخلاص ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: الشرك».
وقال الطبري في تفسيره أيضاً: (١/ ٣٨٥): «حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال: أما السيئة فالشرك».

(١٥٦٠) تقريب التهذيب، ت: ٢٢٨٣، ١/ ٣٤٩.

وجاء عند الطبري[١٥٦١] رواية منسوبة إلى قتادة وفيها تفسير (الظلم) بـ(الشرك) وهي ضعيفة لورودها من قبل سعيد بن بشير الضعيف[١٥٦٢].

• **والتفسير[١٥٦٣] المنسوب إلى ابن زيد ليس بحجة لضعف ابن زيد[١٥٦٤] في الرواية.**

وجاءت رواية منسوبة إلى ابن زيد عند الطبري[١٥٦٥]، في تفسير الآية ١١٣ من سورة هود، وفيها تفسير (الظلم) بـ(الشرك)، وهي ضعيفة بسبب ابن زيد.

• **والتفسير[١٥٦٦] المنسوب إلى الربيع بن أنس ضعيف بسبب أبي جعفر عيسى بن أبي عيسى السيئ الحفظ[١٥٦٧].**

(١٥٦١) تفسير الطبري، ١٢/١٢٧. قال الطبري: «حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ يقول: لا تلحقوا بالشرك، وهو الذي خرجتم منه».

(١٥٦٢) تقريب التهذيب، ت: ٢٢٨٣، ١/٣٤٩.

(١٥٦٣) تفسير الطبري، ٢٠/٢٣. قال الطبري: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ قال: السيئة: الشرك الكفر».

(١٥٦٤) انظر ص٣٩٩ من هذا البحث.

(١٥٦٥) تفسير الطبري، ١٢/١٢٧. قال الطبري: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ قال: الركون: الإدهان. وقرأ: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩] قال: تركن إليهم، ولا تنكر عليهم الذي قالوا، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله. قال: وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الإسلام، أما أهل الذنوب من أهل الإسلام فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم، ما ينبغي لأحد أن يصالح على شيء من معاصي الله، ولا يركن إليه فيها».

(١٥٦٦) تفسير الطبري، ١/٣٨٥. قال الطبري: «حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ يعني: الشرك».

(١٥٦٧) تقريب التهذيب، ت: ٨٠٤٩، ٢/٣٧٦.

تلكم هي الروايات التي اعتمد عليها في تحديد معنى (السيئة)، و(الخطيئة)، و(الظلم) بـ(الكفر) وبـ(الشرك) فقط، وهي روايات ضعيفة أبطلها منهاج الأمة الإسلامية.

وببطلان جميع الروايات التي استند عليها في تخصيص السيئة والخطيئة والظلم بالكفر وبالشرك فقط، تتهاوى (فكرة الخروج من النار)، وتعلو المعاني الظاهرة البيِّنة لكتاب الله تعالى التي حكمت على أصحاب السيئات والخطايا والظلم ـ إن لم يتوبوا إلى الله تعالى قبل مماتهم ـ بكب وجوههم في النار وبالخلود فيها وبعدم وجود وليّ ينصرهم من دون الله تعالى.

ومنهج الأمة الإسلامية هو وحده الذي أثبت القول الموافق للحق والصواب من الأقوال المسطرة في كتب علماء المسلمين.

من أقوال علماء الإسلام في تفسير كلمة (السيئة) وكلمة (الظلم):

ومن الاحترام اللازم أن نطبق دعوة علماء الأمة الإسلامية الصادقة في تقييم الروايات والأقوال الواردة في كتب الأوائل، وأن نذكر كذلك أقوالهم الصائبة عند تفسيرهم لكلمة (السيئة) ولكلمة (الظلم) حسب ما أوردوه في مواضع كثيرة من كتبهم.

فحينما طبقنا المنهج الذي يدعو إليه علماء المسلمين عرفنا أن الروايات ـ التي أُعتمد عليها في تحديد معنى كلمة (السيئة) و(الظلم) بالشرك فقط ـ، روايات ضعيفة وإن استند عليها العلماء أنفسهم كما تبيَّن.

وحينما يتجرد الإنسان من الموروثات الفكرية المتساقطة، ويبعد فكره عن الساقط والضعيف من الروايات، ويدرس قضاياه معتمداً على آيات الله تعالى وما صح من الروايات، فإنه سيصل ـ بإذن الله تعالى ـ

إلى الحق من غير تكلف كما سننقله عن العلماء أنفسهم في السطور الآتية: ـ

من أقوال الإمام الطبري:

• «... وكذلك كل فاعل فعلاً يستوجب به العقوبة من الله تعالى، فهو ظالم لنفسه بإيجابه العقوبة لها من الله تعالى...»(١٥٦٨).

• «يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ اجتمعت عليه فمات عليها قبل الإنابة والتوبة منها... فتأويل الآية إذاً: من أشرك بالله واقترف ذنوباً جمة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبداً»(١٥٦٩).

• «وأما تأويل قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] فإنه يعني به: فتكونا من المتعدّين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه. وإنما عنى بذلك أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدّى حدودي وعصى أمري واستحلّ محارمي لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله وليّ المتقين. وأصل الظلم في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه»(١٥٧٠).

• «... معنيّ بالظلم في هذا الموضع، كلّ معصية لله، وذلك أن الله عمّ بقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ [الحج: ٢٥] ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له»(١٥٧١).

(١٥٦٨) تفسير الطبري، ١/ ٢٨٥، من تفسير الآية ٥٤ من سورة البقرة.

(١٥٦٩) تفسير الطبري، ١/ ٣٨٦.

(١٥٧٠) تفسير الطبري، ١/ ٢٣٤.

(١٥٧١) تفسير الطبري، ١٧/ ١٤٢.

من أقوال ابن عاشور:

- «وكذلك قوله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠]، أي غلبت سيئاتهم وغطت على حسناتهم أو تمحضوا للسيئات بأن كانوا غير مؤمنين أو كانوا من المؤمنين أهل الجرائم والشقاء. وبين أهل هاتين الحالتين أصناف كثيرة في درجات الثواب ودركات العقاب»[١٥٧٢].
- «وظلم النفس شاع إطلاقه في القرآن على الشرك والكفر، وأطلق أيضاً على ارتكاب المعاصي»[١٥٧٣].
- «والظلم هو الشيء الذي لا يحقّ فعله ولا تَرضى به النفوس السليمة والشرائعُ، واشتهر إطلاق ظلم النفس في القرآن على الكفر وعلى المعصية»[١٥٧٤].
- «وهذه الآية وإن كانت واردة في شأن المشركين المؤذين للمؤمنين فهي تشير إلى تحذير المسلمين من مشابهتهم في اقتراف السيئات استخفافاً بوعيد الله عليها لأنهم في ذلك يأخذون بشيء من مشابهة حسبان الانفلات، وإن كان المؤمن لا يظن ذلك ولكنه ينزل منزلة من يظنه لإعراضه عن الوعيد حين يقترف السيئة»[١٥٧٥].
- «والتقوى الشرعية هي امتثال الأوامر واجتناب المنهيات من الكبائر وعدم الاسترسال على الصغائر ظاهراً وباطناً أي اتقاء ما جعل الله الاقتحام فيه موجباً غضبه وعقابه، فالكبائر كلها متوعد فاعلها بالعقاب دون اللمم»[١٥٧٦].

(١٥٧٢) تفسير ابن عاشور، ج١٩/ ص٣٢٢، من تفسير الآية ٩٠ من سورة النمل.

(١٥٧٣) تفسير ابن عاشور، ج٤/ ص٢٥٠، من تفسير الآية ١١٠ من سورة النساء.

(١٥٧٤) تفسير ابن عاشور، ج٤/ ص٢٣١، من تفسير الآية ٩٧ من سورة النساء.

(١٥٧٥) تفسير ابن عاشور، ج٢٠/ ص١٣٣، من تفسير الآية ٤ من سورة العنكبوت.

(١٥٧٦) تفسير ابن عاشور، ج١/ ص٢٢٣، من تفسير الآية ٢ من سورة البقرة.

من أقوال ابن عطية:

- «و(السيئة) التي في هذه الآية هي الكفر والمعاصي ممن حتم الله تبارك وتعالى عليه من أهل المشيئة بدخول النار»(١٥٧٧).

- «والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي...»(١٥٧٨).

- «وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه»(١٥٧٩).

- «﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ هنا عامة في اتقاء الشرك واتقاء المعاصي بدليل أن اللفظة إنما جاءت في مدح لهم، فلا وجه لقصرها على اتقاء الشرك وحده، وأيضاً فالمتقي العائذ قد يمسه طائف من الشيطان إذ ليست العصمة إلا للأنبياء عليهم السلام»(١٥٨٠).

- «... وتعم السيئات ها هنا الكفر والمعاصي، فمثل سيئة الكفر التخليد في النار، ومثل سيئة المعاصي مصروف إلى مشيئة(١٥٨١) الله تبارك وتعالى»(١٥٨٢).

من أقوال الشيخ السعدي:

- «﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ اسم جنس، يشمل كل سيئة»(١٥٨٣).

(١٥٧٧) تفسير ابن عطية، ص١٤٣١، من تفسير الآية ٩٠ من سورة النمل.
(١٥٧٨) تفسير ابن عطية، ص٤١٣، من تفسير الآية ١٧ من سورة النساء.
(١٥٧٩) تفسير ابن عطية، ص١٣٠٧، من تفسير الآية ٢٥ من سورة الحج.
(١٥٨٠) تفسير ابن عطية، ص٧٧١، من تفسير الآية ٢٠١ من سورة الأعراف.
(١٥٨١) أرجو مراجعة معنى المشيئة في القسم الرابع من الفصل الأول من هذا البحث.
(١٥٨٢) تفسير ابن عطية، ص٩٠٦، من تفسير الآية ٢٧ من سورة يونس.
(١٥٨٣) تفسير السعدي، ص٥٨١، من تفسير الآية ٩٠ من سورة النمل.

• «واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي الصغيرة والكبيرة... وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك، فما دونه»[١٥٨٤].

• «وقال هنا: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨] أي: المعاصي فيما دون الكفر»[١٥٨٥].

• «﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٣] من شرك، وكبائر، وصغائر»[١٥٨٦].

من أقوال الإمام ابن كثير:

• «وقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] أي: من لقي الله مسيئاً لا حسنة له، أو قد رجحت سيئاته على حسناته كلٌّ بحسبه، ولهذا قال تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]»[١٥٨٧].

من أقوال الشوكاني:

• «والمراد بالسوء: القبيح الذي يسوء به ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠] بفعل معصية من المعاصي، أو ذنب من الذنوب التي لا تتعدى إلى غيره»[١٥٨٨].

• «والمراد هنا ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] لأنفسهم بالمعصية»[١٥٨٩].

• «﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: ٢٧] هذا الفريق الثاني من أهل الدعوة... والمراد بالسيئة: إما الشرك، أو المعاصي التي ليست

(١٥٨٤) تفسير السعدي، ص ١٨٠، من تفسير الآية ١١٠ من سورة النساء.
(١٥٨٥) تفسير السعدي، ص ١٥٣، من تفسير الآية ١٨ من سورة النساء.
(١٥٨٦) تفسير السعدي، ص ٢٨٢، من تفسير الآية ١٥٣ من سورة الأعراف.
(١٥٨٧) تفسير ابن كثير، ٥/ ٢٦١.
(١٥٨٨) تفسير الشوكاني، ١/ ٨١٤، من تفسير الآية ١١٠ من سورة النساء.
(١٥٨٩) تفسير الشوكاني، ١/ ١٦٤، من تفسير الآية ٣٥ من سورة البقرة.

بشرك، وهي ما يتلبس به العصاة من المعاصي... ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ﴾ [يونس: ٢٧] أي: لا يعصمهم أحد كائناً من كان من سخط الله وعذابه، أو ما لهم من جهة الله ومن عنـده من يعصمهم كما يكون للمؤمنيـن، والأوّل أولى... ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفـون بهذه الصفـات الذميمة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] وإطـلاق الخلود هنا مقيد بما تواتر[١٥٩٠] في السُّـنَّة من خروج عصاة الموحدين»[١٥٩١].

من أقوال القرطبي:

- «والفاحشة تطلق على كل معصية»[١٥٩٢].
- «... السوء في هذه الآية، «والأنعام» ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤] يعـمّ الكفر والمعاصي؛ فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته»[١٥٩٣].
- «وهذا الإلحـاد والظلم يجمـع المعاصي من الكفر إلـى الصغائر؛ فلعظم حرمة المكان توعّد الله تعالى على نية السيئة فيه»[١٥٩٤].
- «قولـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [يونـس: ٢٧] أي: عملـوا المعاصـي. وقيـل: الشـرك... ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عـذاب الله. ﴿مِنۡ عَاصِمٍ﴾ أي: مانع يمنعهم منه...»[١٥٩٥].

(١٥٩٠) هذا ادعاء ليس له ما يثبته.

(١٥٩١) تفسير الشوكاني، ٢/٦١٦ – ٦١٧، من تفسير الآية ٢٧ من سورة يونس.

(١٥٩٢) تفسير القرطبي، ٤/١٣٥، من تفسير الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(١٥٩٣) تفسير القرطبي، ٥/٦١، من تفسير الآية ١٧ من سورة النساء.

(١٥٩٤) تفسير القرطبي، ١٢/٢٥، من تفسير الآية ٢٥ من سورة الحج.

(١٥٩٥) تفسير القرطبي، ٨/٢١٢، من تفسير الآية ٢٧ من سورة يونس.

من أقوال أبي السعود:

• «والمرادُ بالسوء المعصيةُ صغيرةً كانت أو كبيرة»[١٥٩٦].

من أقوال القمي النيسابوري:

• «وقوله ﴿سَيِّئَةً﴾ يتناول جميع المعاصي صغرت أو كبرت، فضم إليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به ليختص بالكبيرة... والكبيرة تستر الطاعات، ومن جهة أن الكبيرة تحبط الطاعات وتستولي عليها إحاطة العدو بالإنسان بحيث لا يتمكن الإنسان من الخلاص عنهم»[١٥٩٧].

من أقوال الخازن:

• «﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النساء: ١٧] يعني الذنوب والمعاصي سميت سوءاً لسوء عاقبتها إذا لم يتب منها»[١٥٩٨].

من أقوال عامر سعيد الزيباري:

• «﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] والسوء يشمل الكبيرة والصغيرة وكل ما دون الشرك»[١٥٩٩].

من أقوال الألوسي:

• «وتفسير الإلحاد بما ذكر هو الظاهر فيشمل سائر الآثام لأن حاصل معناه الميل عن الحق إلى الباطل وهو محقق في جميع الآثام، وكذا المراد بالظلم عند جمع وجمعهما على هذا للتأكيد، وقيل: المراد

(١٥٩٦) تفسير أبي السعود، ١١٢/٢، من تفسير الآية ١٧ من سورة النساء.

(١٥٩٧) تفسير غرائب القرآن، ٣١٩/١ - ٣٢٠، من تفسير الآية ٨١ من سورة البقرة.

(١٥٩٨) تفسير الخازن، من تفسير الآية ١٧ من سورة النساء.

(١٥٩٩) تنبيه العاصي إلى ترك المعاصي، ص٨٨.

بذلك الشــرك ولم يرتضه ابن أبــي مليكة، فقد أخرج عبد بن حميد أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ إلخ فقال: ما كنا نشك أنها الذنوب حتى جاء أعلاج من أهل البصرة إلى أعلاج من أهل الكوفة فزعموا أنها الشرك»(١٦٠٠).

• «﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أيُّ ســيئة كانت لعمــوم المغفرة ولأنه لا داعي للتخصيص»(١٦٠١).

* * *

أقوال الإمام الطبري بين الدعوة والتطبيق:

وحينمــا نقرأ تفســير الإمام الطبــري لقوله تعالــى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ونعرض رواياته على الميزان العادل الذي رسمته الأمة الإسلامية لنفسها، والذي نادى به الإمام الطبري نفســه في مواضع عديدة من تفسيره، فإننا ندرك عــدم تقيد الإمام الطبــري بالمنهج الذي دعى إلــى تطبيقه عند دراسته لموضوع مصير عصاة المسلمين يوم القيامة.

قال الإمام الطبري: «وإنــما قلنا: إن السيئة التــي ذكر الله جلّ ثناؤه أن من كســبها، وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النــار الــمخـلدين فـيها فـي هذا الـموضع، إنـما عنى الله بها بعض الســيئات دون بعــض، **وإن كان ظاهرها فـي التلاوة عامّاً**، لأن الله قضى علـى أهلها بـالـخـلود فـي النار، والـخـلود فـي النار لأهــل الكفر بـــالله دون أهل الإيـمـــان به لتظاهــر الأخبـار عن

(١٦٠٠) تفسير الألوسي، ٩/ ١٣٤.

(١٦٠١) تفسير الألوسي، ٥/ ٦٦، من تفسير الآية ١٥٣ من سورة الأعراف.

رســـول الله ﷺ بأن أهل الإيـمان لا يخـلدون فـيها، وأن الـخـلود فـي النار لأهل الكفر بـالله دون أهل الإيـمان به»[١٦٠٢].

من هذه الأقــوال التي سطرها الإمام الطبـري هنا نـلاحظ الآتـي: ـ

أولاً: هذا القول الذي ســطره الإمام الطبري هنا يعارضه التطبيق العملي لمنهج تقييم الروايات، فلقد تبيَّن ضعف جميع الروايات التي فسرت (السيئة) بـ(الشرك) فقط، وبهذا تبقى الآية الكريمة على ظاهرها من غير تخصيص.

قال سماحة الشيخ الخليلي حفظه الله تعالى: «وكثير من هذه الأمة راقت لهم ـ مع الأســف الشــديد ـ هذه العقيدة التي ســرت إليهم مــن الأفكار اليهودية[١٦٠٣] البحتــة، فأخذوا يؤولــون الآيات الوعيدية تأويــلًا بعيداً عن مدلولها البيِّن، ويحرفون معانيها حتى تتفق مع معتقداتهم المخالفة للنصوص الجلية، فحصروا السيئة هنا في الشرك مع فقدان أيّ قرينة شرعية أو وضعية تقيد إطلاقها إلا ما توهموه مــن أن قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ يدل على ما ذهبوا إليه، والحقيقة عكس ما قالوه كما سيأتيكم بيانه»[١٦٠٤].

وقد تنبَّه لهذه الحقيقة ـ التي صدعت بها آيات الله تعالى والتي تبخرت أمامها أقوال الضعفاء الزائفة ـ العلامة الألوسي حيث قال: «... وقد يفسر بما

(١٦٠٢) تفسير الطبري، ١/ ٣٨٥.

(١٦٠٣) قال عبد الله حجاج عند استشــهاده بما في التوراة المحرفة: «وجاء في أسفار الأنبياء عن صفة النبي ﷺ مثل ما جاء في توراة موســى عنه. وأزاد النبي أشعياء في أوصافه: ((وشفع في المذنبين)) وذلك في الأصحاح الثالث والخمسين.
وقال مفسرو التوراة: إن هذا النبي سيشــفع في المذنبين من أتباعه، إذا دخلوا جهنم.
وقد طبق النصارى نبوءة أشــعياء هذه على عيســى عليه السلام وقالوا: إنه الذي سيشفع في المذنبين» (إنكار الشفاعة، ص ٤٥).

(١٦٠٤) جواهر التفسير، ٣/ ٥٠٨ – ٥٠٩.

هو أعم من ذلك كما يفسر ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمن وجد منه ما يسمى ظلماً مطلقاً وفي التفسير الثاني[١٦٠٥] ـ وما أصعبه على النـــاس اليوم بل في غالب الأعصار من تفسير ـ ذهب أكثر المفسرين، قالوا: وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الافضاء إلى مساس الناس النار فما ظنك بمن يميـــل إلى الراســخين فـــي الظلـــم كل الميـــل، ويتهالك على مصاحبتهـــم ومنادمتهـــم، ويتعـــب قلبه وقالبه فـــي إدخال الســـرور عليهم، ويســـتنهض الرجل والخيل في جلب المنافع إليهـــم، ويبتهج بالتزي بزيهم والمشاركة لهم في غيهم. ويمد عينيه إلى ما متعوا به من زهرة الدنيا الفانية. ويغبطهم بمـــا أوتوا من القطـــوف الدانية غافلاً عن حقيقـــة ذلك ذاهلاً عن منتهى ما هنالك! وينبغي أن يعـــدّ مثل ذلك من الذين ظلموا لا من الراكنين إليهم بناءاً على ما روي أن رجلاً قال لسفيان: إني أخيط للظلمة فهل أعدّ من أعوانهم؟، فقال له: لا أنت منهم والذي يبيعك الإبرة من أعوانهم»[١٦٠٦].

وقد قال حقي البروســـوي[١٦٠٧] كلاماً شـــبيهاً لهذا الكلام الذي ســـطره الألوسي هنا، وكله دعوة إلى الفرار عن الظالمين وأعوانهم.

ثانيـــاً: وهذا القول الذي ذكـــره الإمام الطبري هنا لا يقـــره منهجه الذي صرح به في مواضع عديدة من تفسيره، حيث قال: ـ

- «فمن ادّعى فـــي التنزيـــل ما لـــيس فـــي ظاهـــره كلف البرهان علـــى دعواه من الوجه الذي يجب التسلـــيم له»[١٦٠٨].

(١٦٠٥) التفســـير الأول الذي ذكره الألوســـي هو تفسير الظلم بالشـــرك فقط، كما يتضح من تفسيره لهذه الآية.

(١٦٠٦) تفسير الألوسي، ٦/ ٣٤٧ – ٣٤٨.

(١٦٠٧) تفسير روح البيان، ٤/ ١٩٥ – ١٩٦.

(١٦٠٨) تفسير الطبري، ٧/ ٦٢، من تفسير الآية ٩٥ من سورة المائدة.

• وقال أيضاً: «وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب ولا خبر لرسول الله ﷺ ولا إجماع من الأمة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه»[١٦٠٩].

• وقال الإمام الطبري مبيناً سبب عدم ذكره لرواية جاءت منسوبة إلى ابن عباس: «... وهذا قول يُذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده...»[١٦١٠].

فهذه الأقوال التي نقلناها عن الإمام الطبري هنا تكررت كثيراً في تفسيره، ولكنه لم يطبقها على الروايات التي سطرها عند إثباته لـ(فكرة خروج عصاة المسلمين من النار)، فقد وجدنا في تفسيره روايات ضعيفة السند منسوبة إلى الرسول ﷺ وإلى ابن عباس وغيره من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولم يردها الإمام الطبري بل أخذ بها في تخصيص آيات الله تعالى الظاهرة البيّنة.

وقد أدرك هذه الملاحظة على تفسير الإمام الطبري الدكتور محمد حسين الذهبي، حيث قال: «ثم إن ابن جرير، وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف، لأنه كان يرى ـ كما هو مقرر في أصول الحديث ـ أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغه من العدالة أو الجرح، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة، ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحياناً موقف الناقد البصير، فيعدل من يعدل من رجال الإسناد، ويجرح من يجرح منهم، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها، ويصرح برأيه فيها بما يناسبها...»[١٦١١].

(١٦٠٩) تفسير الطبري، ٧/٤٣، من تفسير الآية ٩٥ من سورة المائدة.

(١٦١٠) تفسير الطبري، ٢٣/٢١٢، من تفسير الآية ٢٤ من سورة الزمر.

(١٦١١) التفسير والمفسرون، ١/١٨٦، ومن أقوال الدكتور محمد حسين الذهبي أيضاً: «وإذا =

ثالثاً: الإنسـان في عقائده وسـلوكياته بين مقلد وباحث عن الصواب؛ فالمقلد المتبع لأقوال الناس من غير دليل ثابت هـو بمعزل عن البراهين، وأما الباحث عن الأدلة والمطبق لها في ميادين العقيدة والحياة فهو صاحب الحق الظاهر.

• قال الإمام الرازي في تفسـيره لقولـه تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾: «وهذا من أعظم الدلائل على فسـاد التقليد وأنه لا بد من الحجة والاستدلال»[١٦١٢].

• وقال الإمام الـرازي أيضاً: «... ثم قـال تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وهذا القيد يدل على أن الشـهادة باللسان فقط لا تفيد البتة، واحتج القائلون بأن إيمان المقلد لا ينفع البتة، فقالوا: بيّـن الله تعالى أن الشهادة لا تنفع إلا إذا حصل معها العلم، والعلم عبارة عن اليقين الذي لو شكك صاحبه فيه لم يتشـكك، وهذا لم يحصل إلا عند الدليل، فثبت أن إيمـان المقلد لا ينفع البتة...»[١٦١٣].

• وقـال القرطبـي: «... وأن التقليد لا يغنـي مع عـدم العلم بصحة المقالة...»[١٦١٤].

= كان ابن جرير يتعقب كثيراً من هـذه الروايات بالنقد، فتفسـيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشـامل، احتياج كثير من كتب التفسير التي اشتملت على الموضوع والقصص الإسـرائيلي، على أن ابن جرير ـ كما قدمنا ـ قد ذكر لنا السند بتمامه في كل رواية يرويها، وبذلك يكون قد خرج من العهدة، وعلينا نحن أن ننظر في السـند ونتفقد الروايات». (التفسير والمفسرون، ١/١٨٨).

(١٦١٢) تفسير الرازي، ٢٤/٢٣٧، من تفسير الآية ٥٠ من سورة القصص.

(١٦١٣) تفسير الرازي، ٢٧/٢٠٥ – ٢٠٦، من تفسير الآية ٨٦ من سورة الزخرف.

(١٦١٤) تفسير القرطبي، ١٦/٨٢، من تفسير الآية ٨٦ من سورة الزخرف.

• وقال الإمام ابن كثير: «والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال: إنه هو على الحق، سمع قوله بمجرد ذلك، حتى يكون له من الله برهان»[١٦١٥].

وخلاصة القول:

لقد بين لنا منهج الإسلام ضعف جميع الروايات التي قالت بخروج عصاة المسلمين من نار جهنم.

وقال علماء المسلمين إنه لا علم ولا يقين بدون حجة واضحة.

والقول بخروج عصاة المسلمين من نار جهنم هو ضرب من التقليد الذي لا أصل له في كتاب الله تعالى ولا في سُنَّة رسوله ﷺ.

ولقد تبيَّن لنا أن (السيئة) تشمل المعاصي الكبار، والروايات التي خصصتها بالشرك والكفر فقط روايات ضعيفة.

فعلينا اتباع الأدلة الصحيحة وترك التقليد المبني على الضعيف من الأقوال. وعلى المتلبسين بالسيئات من أفراد هذه الأمة الرجوع إلى الله قبل نزول الحكم الإلهي الذي جاءت به آيات الله تعالى البينات.

(١٦١٥) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٩٧.

روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾

[الإنفطار: ١٣ - ١٩]

معنى كلمة: ﴿ٱلْفُجَّارَ﴾ حسب ما جاء في كتب اللغة:

جاء في لسان العرب: «وفَجَرَ الإنسانُ يَفْجُرُ فَجْراً و فُجوراً: انْبَعَثَ في المعاصي... الفُجَّار: جمع فاجرٍ وهو المُنْبَعِث في المعاصي والمحارم... وفَجَرَ الرجلُ بالمرأة يَفْجُر فُجوراً: زنا. وفَجَرت المرأَة: زنت. ورجل فاجرٌ من قوم فُجَّارٍ و فَجَرَةٍ، وفَجورٌ من قوم فُجُرٍ... وقوله ﷻ: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾؛ أي: يقول سوف أتوب؛ ويقال: يُكْثِرُ الذنوبَ ويؤخّر التوبة، وقيل: معناه أنه يسوّف بالتوبة ويقدم الأعمال السيّئة؛ قال: ويجوز، والله أعلم، ليكْفُر بما قدّامه من البعث... والكاذب فاجرٌ، والمكذب فاجرٌ، والكافر فاجرٌ لميلهم عن الصدق والقصد»(١٦١٦).

وجاء في القاموس المحيط: «والفَجْرُ: الانبعاثُ في المَعاصِي والزِّنى... وفَجَرَ: فَسَقَ، وكَذَبَ، وكَذَّبَ، وعَصَى، وخالَفَ»(١٦١٧).

(١٦١٦) لسان العرب، ١٠/١٨٨ – ١٨٩.

(١٦١٧) القاموس المحيط، ٢/١٨٩ – ١٩٠.

وجاء في تــاج العــروس: «(و) أَصل (الفَجْر) الشَّــقُّ، ثمّ اسْــتُعْمِلَ في (الانْبعاثِ في المَعَاصِي) والمَحَارِمِ (والزِّنَى) ورُكُوب كُلِّ أَمرٍ قَبِيح منْ يَمِين كاذبَة أَو كَذِب، (كالفُجُور فيهما)... (و) فَجَــرَ فُجُورًا، (عَصَى وخالَفَ)، وبه فَسَّــرَ ثعلب قَوْلَهم في الدُّعاءِ: «ونَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ» فَقَال: مَن يَعْصيكَ وَمَنْ يُخَالِفُكَ»[١٦١٨].

إذاً فالفجور ـ حســب ما جاء في كتب اللغة العربية ـ هو: الانبعاث في المعاصي وارتكاب الفواحش العظام التي توعد الله عليها في الآخرة بالعذاب الأليم.

قال الشيخ السعدي في تفسيره: «﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الذين قصروا في حقوق الله وحقوق عباده الذين فجرت قلوبهم ففجــرت أعمالهم ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ أي: عذاب أليم في دار الدنيا، ودار البرزخ، وفي دار القرار. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ ويعذبون بها أشــد العذاب ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء علــى الأعمال. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾، أي: بل هم ملازمون لها لا يخرجون منها»[١٦١٩].

فكل الذين فجرت أعمالهم فقد حكم الله عليهم في هذه الآيات الكريمة بالعذاب في نار لا يغيبون عنهــا. وليس في هذه الآيات ولا في غيرها حكم بالعذاب المؤقت في حق قوم دون قوم.

وأما الذين حملــوا هذه الآيات على المشــركين فقــط فحجتهم (فكرة الخروج من النار) التي لا أســاس لها إلا تصورات عقليــة قاصرة متناقضة، وتوجهات مذهبية لم تهذبها الآيــات الكريمة ولا روايات صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

(١٦١٨) تاج العروس، فصل الفاء مع الراء، كلمة: (فجر)

(١٦١٩) تفسير السعدي، ص ٨٧٤، من تفسير الآيات ١٤ - ١٦ من سورة الإنفطار.

فالحكم بالخلود في النار، أو الخروج منها، لا يُرد إلى عقول البشر في إثباته أو نفيه؛ فالناس تبع لما جاء به القرآن الكريم وما صح من الأحاديث النبوية.

قال ابن عاشور: «والمراد بـ﴿ٱلْفُجَّارَ﴾ هنا: المشركون، لأنهم الذين لا يغيبون عن النار طرفة عين وذلك هو الخلود، ونحن أهل السُّنَّة لا نعتقد الخلود في النار لغير الكافر. فأما عصاة المؤمنين فلا يخلدون في النار وإلا لبطلت فائدة الإيمان»(١٦٢٠).

كنا نتمنى من العلامة ابن عاشور أن يرتقي بطرحه عند هذا الموضع إلى مستوى يليق بمكانته العلمية بحيث يعرض على أفراد هذه الأمة دلالات الكلمات القرآنية من مصادرها، ويبيِّن الأسس التي تبنى عليها التصورات التي تستقر عليها عقائد المسلمين.

وما قاله ابن عاشور هنا إنما هو حمل لمعاني الآيات لتتوافق مع أفكار لم يثبتها القرآن ولم تأت بها سُنَّة متواترة عن المصطفى ﷺ، وإن كثرت الدعاوى التي لا أصل لها.

فما دليل ابن عاشور في حمله معنى ﴿ٱلْفُجَّارَ﴾ على أهل الشرك فقط؟.

فكان على ابن عاشور توجيه الأفكار إلى الأخذ بما صرح به القرآن الكريم، لا أن يجعل أفكار الناس مخصصة لأحكام الله تعالى.

وكان على ابن عاشور تطبيق أصول التفسير التي اختصرها العلامة الشوكاني بقوله: «... واشدد يديك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية، فهو قرآن عربيّ كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله ﷺ

(١٦٢٠) تفسير ابن عاشور، ١٦٢/٣٠، من تفسير الآية ١٤ من سورة الانفطار.

فلا تلتفت إلى غيره، وإذا جاء نهر الله بطل نهــر معقل، وكذلك ما جاء عن الصحابة ﭫ، فإنهم من جملة العرب، ومن أهل اللغة وممن جمع إلى اللغة العربية العلم بالاصطلاحات الشرعية، ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فســروه به في لغة العرب، فعليك أن تضم إلى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأســرارها، فخذ هذه كلية تنتفع بها، وقــد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يرشدك إلى هذا»[١٦٢١].

فهذه الكلمات التي ســطرها العلامة الشــوكاني لم تجــد لها حظاً من التطبيق عند جميع من قال بالعذاب المؤقت.

فعلى (الفجار) ممن انتســب لهذه الأمة عدم الركــون إلى أقوال الناس التي جاء القرآن بضدها، وعليهم الأخذ بما قالــه الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١٦٢١) تفسير الشوكاني، ٤/٤٠٧ – ٤٠٨.

خاتمة الفصل الثالث

نلخص ما جاء في هذا الفصل في النقاط الآتية: ـ

ـ لقد ذُكر في هذا الفصل آيات قرآنية كريمة فيها الوعيد بالعذاب الشديد الخالد الثابت الملازم لمن فجر وعصى الله تعالى.

ـ ودلالات الآيات القرآنية الواضحة في وعيد أصحاب الكبائر لم يأخذ بظاهرها أصحاب فكرة الشفاعة لأهل الكبائر، فقد قاموا بتقييد معانيها بروايات ضعيفة أبطلها منهج الأمة الصائب.

ـ ولقد لعبت التوجهات المذهبية عند القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر دوراً في ترجيح ما ذهبوا إليه على حساب مدلولات الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة.

ـ والمنهج الإسلامي المتبع في تقييم الروايات يرد كل ما خالف ظاهر القرآن الكريم وظاهر سُنَّة النبي ﷺ.

ـ ومن أسس المنهج الإسلامي في فهم معاني كتاب الله تعالى هو البحث في أسانيد ومتون الروايات المنسوبة إلى رسول الله ﷺ والمنسوبة إلى سلف هذه الأمة من الصحابة ﵃، مع السعي إلى معرفة معاني

«مفـردات الألفاظ مـن لغة العـرب ومدلولاتها واسـتعمالها بحسـب السياق»[١٦٢٢].

ـ «وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه، إن لم يتبيَّن من كلام الله ورسوله ما يدل على مراد الله ورسوله، وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله ﷺ، ليس قول الله ورسوله تابعا لأقوالهم»[١٦٢٣].

ـ ومعنـى (السـيئة) و(الخطيئة) و(الظلم) يشـمل كل معصيـة يرتكبها الإنسـان في جنب الله تعالـى. والأقوال والروايات التي فسـرت (السـيئة) و(الظلم) و(الخطيئة) بـ(الشـرك) و(الكفر) فقط هي أقوال وروايات ضعيفة أسقطها منهاج الأمة الإسلامية.

ـ وعلماء المسلمين حينما طبقوا المنهاج الصائب في دراساتهم صرحوا بأوضح عبارة أن معنى (السيئة) و(الخطيئة) و(الظلم) يشمل جميع المعاصي.

(١٦٢٢) شروط المفسر وآدابه، ص٦٣.

(١٦٢٣) الإيمان، ص٣٢.

خاتمة البحث

في خاتمة هذا البحث نختصر الدعوة إلى تطبيق مناهج الأمة الإسلامية، وما تم عرضــه من أقوال حول روايات الشــفاعة في الفصــول الماضية في النقاط الآتية: ـ

هذه الأمة الكريمة جعلها الله تعالى أمة وســطاً تقاس بها أحوال الأمم الســابقة واللاحقة. فالأمم لا تنال حضاراتهــا إلا إذا كان لها حظ وافر مما دعت إليه أمة الإسلام من مبادئ وقيم.

- لقد ســبقت هذه الأمة بمادئها ونظرتها المســتقيمة عن الآخرة والدنيا كل الأمــم، فقد جاء في كتــاب الله تعالى بيان واضــح أن المرء مؤاخذ بما يعمله ولن يجد له ولياً ولا نصيراً إن هو تعدى حدود الله تعالى، فقد قال الله في محكم كتابه مخاطباً أفراد هذه الأمة: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

- وبســبب المســؤولية العظمى التي يتحملها الإنســان المسلم في هذا الوجود وجــب عليه أن يكون قرآناً يمشــي على وجــه الأرض، ذاكراً دائماً مصيره الأخروي وهو يســعى في هذه الدنيا، وقارعاً أبــواب التوبة والإنابة

والرجوع إلى الله إذا ما نزغه الشيطان في لحظة من لحظات الضعف الإنساني.

ـ حكم الله تعالى في الآخرة لا يتغير لتعدد أفكار البشر في هذه الدنيا، فلن يكون هناك حكم خاص لمن قال بالشفاعة لأهل الكبائر، ولن يكون هناك حكم خاص آخر لمن قال بعدم الشفاعة لمن أتى يوم القيامة بذنوب تدخله النار والعياذ بالله تعالى. فالقانون الإلٰهي سوف يطبَّق على الجميع يوم القيامة، فالمعيار هو الإيمان الصادق والعمل الصالح والتوبة النصوح. فما على البشر إلا الرجوع إلى مصادر العقيدة الإسلامية التي لا تخطئ لأخذ التصور الصحيح منها عن الآخرة وأحوالها.

ـ وطريق الإنسان في عبوره إلى الآخرة ينقسم إلى طريقين بعد الخروج من القبور وبعد الحساب الأخروي: ـ

ـ طريق إلى الجنة الدائمة الخالدة، وسيسلكها الأنبياء والرسل وكل من سار على نهجهم.

ـ وطريق إلى نار جهنم الخالدة، وسيسلكها كل من تعدى حدود الله تعالى وجاء يوم القيامة بذنوب يدخل بسببها من أبواب الجحيم.

ـ والقول بأن من أصحاب الكبائر من المسلمين قد لا يدخلون نار جهنم، وإذا دخلوا فيها سيخرجون منها بعد حين من الوقت، هو قول لم يأت في كتاب الله تعالى، ولم يأت في رواية صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ، وكل الروايات التي روَّجت للشفاعة لأهل الكبائر في أوساط المسلمين ردها منهج الإسلام القوي العادل ولم يحفل بها.

ـ والذين قالوا بالشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة أوّلوا ظاهر القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة بروايات ضعيفة وتصورات عقلية.

- والأدلة التي نطقت بخلود أصحــاب الكبائر في النار دلالاتها واضحة جلية قوية لأنها آيات قرآنيــة، وأحاديث صحيحة يقرها منهج الأمة في تقييم الروايات.

- لقد حدَّد علماء الأمة الإســلامية المناهج التي ينبغي للمسلمين التقيد بها، ولخصها أحدهم بقوله: «مبنى الإســلام على الوحــي والنقل الصحيح لا على الرأي والعقل فما جاءنا من أمر ونهي عن الله تعالى ورسوله ﷺ من خلال السُّنَّة الصحيحة وجب علينا أن نلبي مســرعين بدون تلكؤ أو تراجع فعلاً وتركاً... ولذا كان الســلف - رحمهم الله - يدورون مع النصوص حيث دارت ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر»[١٦٢٤]. فهذه المبادئ التي أشــير إليها هنا لم يطبقها القائلون بالشفاعة لأهل الكبائر كما تبيّن لنا في فصول هذا البحث، والذين قالوا بعدم الشفاعة لأصحاب الذنوب يوم القيامة قد أخذوا بهذه الأسس في دراساتهم وكتاباتهم.

- ولقــد تبيَّن بعد العرض على منهج الإســلام أن «روايات الخروج من النار معارضة لنصوص القــرآن، وروايات الخلود فيهــا متفقة معها، ويتعين المصير في مثل هذه الحالة إلى ما اتفق مع القرآن لا إلى ما خالفه»[١٦٢٥].

- ولقد تبيَّن بعد عرض الروايات على منهاج الأمة أن القائلين بالشفاعة لأهل الكبائر لــم يتقيدوا بالمنهج الــذي وصفه أحدهم بقولــه: «من منهج التفسير الصحيح السليم من الانحراف والخطأ والذي عليه السلف الصالح - رحمهم الله - طرح الأحاديث الضعيفة والموضوعة وعدم الاعتماد عليها في تفســير كلام الله ﷻ... والحديــث الضعيــف، والموضــوع يعــود أصلهما

(١٦٢٤) الفرار من النار، ص١٦٦.

(١٦٢٥) الحق الدامغ، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

ومنشأهما إلى الشك والضعف والجهل والكذب فلا يجوز الأخذ بهما في تفسير القرآن الكريم، ولأنه من أول مصادر الدين فلا يوضع أساس الدين على حديث ضعيف غير ثابت فضلاً عن أن يبنى على حديث موضوع يعلم كذبه وافتراءه»(١٦٢٦).

ـ ومن شأن فكرة الخروج من النار والشفاعة لأهل الكبائر جر أفراد هذه الأمة إلى الشر بارتكاب الفواحش التي حرمها الله تعالى، وما هذا الانحطاط الذي يدب في أوساط المسلمين إلا من إفرازات هذه الفكرة اليهودية المنشأ. والذين يتساءلون عن الخلل وأسباب الانحطاط والضياع الذي تعيشه أمتنا

(١٦٢٦) أسباب الخطأ في التفسير، ١/ ١٢٤. ومما قاله الدكتور طاهر محمود حول المنهج الذي لم يتقيد به هو، بل ألقى به خلف ظهره: «والاعتماد على الأحاديث غير الصحيحة من الأخبار الضعيفة والموضوعة في التفسير ينقص شأن السُنّة ومنزلتها المرموقة، كما يكدر هذا صفاء مصادر التفسير، ويلوث التفسير بشيء من الشك والضعف والتحرج والتردد في قبوله، وقد يؤدي هذا الأمر إلى الانصراف عن الأحاديث الصحيحة، كما يتخذه بعض الناس من أصحاب الأفهام السطحية وذوي العقول السقيمة، سلماً للوصول إلى إنكار السُنّة الصحيحة. فمن واجبات المفسر أن يحذر من إيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة ويقتصر على ما صح عن رسول الله ﷺ». (أسباب الخطأ في التفسير، ١/ ١٣٦).
وقوله أيضاً: «... فوجود الحديث أو الكلام التفسيري في كتاب من كتب التفسير لا يغنيك عن الاجتهاد والبحث عن الوصول إلى المراد الصحيح والمعنى المقصود من الآية، بل يجب الاجتهاد في معرفة الصحيح من سقيمه، والسليم من عليله، والخالص من شوبه، كما يلزم التيقن والتثبت في تقبل الأخبار والوقائع الواردة في كتب التفسير بالميزان العلمي الرصين...». (أسباب الخطأ في التفسير، ٢/ ٥٩٥).
فالدكتور طاهر محمود ترك هذا المنهج بعد أن عرفه، وأقبل يفتري ويكذب على المتبعين والمطبقين لهذه المناهج وينسب إليهم الأباطيل، ومما قاله من أكاذيب ضد الإباضية: «... وراحوا يكفرون أهل الإسلام ويستبيحون دماءهم وأموالهم بهذا التعصب العاري من الحجة والبرهان». (أسباب الخطأ في التفسير، ٢/ ٦٥١). فحسبنا الله ونعم الوكيل، فحسبنا الله ونعم الوكيل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

اليوم عليهم الإدراك أن السـبب وراء هذه المفاسـد كلها هو القول المنتشر: «فالعصاة الذين سيشـفع فيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويخرجهم من النار، هم أصحاب كبار الذنوب كالقتل، والزنا، واللواط، والشـرب، والسرقة، وأكل مال اليتيم، والتعامل بالربا، والدياثة، والسـحر، والقذف، والحكم بغير ما أنزل الله، والكذب، وهجران المسلم، والغيبة، والنميمة، والكهانة، والعرافة، والمكس، وأمثال هذه القاذورات العظيمة، فأصحاب ذلك هم المخرجون من النار بشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وغيره من الشفعاء»(١٦٢٧).

فعلى المصلحين من أبناء هذه الأمة الطاهرة محاربة هذه الأقوال الباطلة ودعوة المسـلمين كافة إلى عدم التعلق بأماني الشفاعة الكاذبة التي لا أصل لها في ميزان الإسلام.

فكيف يكـون الإصلاح مع هـذه الذنوب التـي تهدم الأفـراد والأمم والشعوب؟!.

ـ ومن شـأن عقيدة خلود أصحاب الذنوب الكبيرة في النار ـ إذا طبقها أصحابها حق التطبيـق ـ أن تخرج معتقدها من ظلمـات المعاصي إلى نور الطاعات، وأن تصنع منه كياناً طاهراً من دنس الذنوب، ووقافاً عند حدود الله تعالى، لأن مصدرها آيات بينـات من كتاب الله تعالى وروايات صحيحة من سُنّة المصطفى ﷺ.

وأخيراً أقول لأفراد هذه الأمة الإسـلامية إن رسالتنا لا تقف عند القول والتمدح بما كتبه السلف الصالح بل علينا بالعلم والتعليم والتطبيق.

وآخر دعوانـا أن الحمـد لله ربِّ العالمين، والسـلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١٦٢٧) الشفاعة وأنواعها في السُنّة المطهرة، ص٤٧.

المراجـــع

١ ـ أثر الذنــوب في هدم الأمم والشــعوب محمد محمــود الصواف، دار الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٧، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢ ـ الآحاد والمثاني الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، علق عليه الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م.

٣ ـ أســباب الخطأ في التفســير الدكتور طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤ ـ أســباب النزول أبو الحســن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار التقوى. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٥ ـ أسماء الله الحسنى الشــيخ محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٦ ـ الأسماء والصفات للبيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر، ١٩٩٧م. ضمن منشــورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، طبق النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٣م في بلدة كلكتا.

٨ ـ أصول منهج النقد عند أهل الحديث عصام أحمد البشير، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٩ ـ إعادة صياغة الأمة (الحلقة الأولى) سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، إعداد خالد بن مبارك الوهيبي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط ـ سلطنة عمان، ط١.

١٠ ـ الاعتقاد للبيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار اليمامة، ٢٠٠٢م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١١ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٢ ـ إنكار الشفاعة (محاولة جديدة للطعن في السُنَّة والتهجم على العلماء وتكفير المسلمين وتخليد مرتكب الكبيرة في النار) جمع ودراسة وتحقيق: عبدالله حجاج، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٣ ـ الإيمان العلامة ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠١هـ.

١٤ ـ أين الخلل؟ الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة (ناشرون)، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٥ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن حجر أحمد محمد شاكر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٦ ـ البعـث (ابـن أبـي داود) أبو بكر عبد الله بن سـليمان بن الأشـعث السجسـتاني، دار الكتب العلميـة، بيروت ـ لبنـان، ١٩٨٧م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٧ ـ تاج العروس أحمد بن عبداللطيف الشـرجي الزبيدي اليمني الحنفي شـهاب الدين أبو العباس. ضمن منشـورات المرجـع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٨ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٩ ـ التاريخ الكبير أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٢٠ ـ تاريخ بغداد أبو بكر أحمد بـن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيـروت ـ لبنان، ١٩٩٧م. ضمن منشـورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٢١ ـ التبيان في أقسـام القرآن شـمس الدين أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، صححه وعلق عليه طه يوسف شـاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٢ ـ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي الإمام الحافظ أبو العلى محمد بن عبد الرّحمٰن بـن عبد الرّحيـم المباركفـوري، ضبطـه وراجع أصوله

وصححه عبدالرّحمٰن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٣ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد خلف يونس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤ ـ الترغيب والترهيب زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، مكتبة الإرشاد.

٢٥ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٦ ـ تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري والأستاذ محمد أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٧ ـ تفسير ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تصحيح لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٣م.

٢٨ ـ تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) الشيخ عبدالرّحمٰن بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٩ ـ تفسير الثعلبي أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٣٠ ـ تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٣١ ـ تفسير السعدي (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) عبدالرّحمٰن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرّحمٰن من معلا اللويحق، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. (ملاحظة: لقد أخذت أقوال الشيخ السعدي من هذه النسخة، فأرجو ملاحظة هذا عند طلب الرجوع إلى المرجع).

٣٢ ـ تفسير السعدي (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) عبدالرّحمٰن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، عالم الكتب ومكتبة النهضة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٣ ـ تفسير السمرقندي (المسمى بحر العلوم) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود والدكتور زكريا عبدالمجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٤ ـ تفسير الشعراوي الشيخ محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٣٥ ـ تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبدالرّحمٰن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦ ـ تفسير الطباطبائي (الميزان في تفسير القرآن) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٧ ـ تفسير الطبرسي(مجمع البيان في تفسير القرآن) أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣٨ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٩ ـ تفسير المراغي الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، خرج آياته وأحاديثه باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٠ ـ تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) الإمام محمد رشيد رضا، دار الفكر ودار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط٢.

٤١ ـ تفسير النسفي الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد من محمود النسفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٢ ـ تفسير روح البيان الإمام إسماعيل حقي البروسوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٦م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٤٤ ـ التفسـير والمفسـرون الدكتور محمد حسـين الذهبي، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٥ ـ تقريب التهذيب الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطـا، دار الكتب العلمية، بيـروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٦ ـ التقييـد والإيضاح شـرح مقدمـة ابن الصـلاح الحافظ زيـن الدين عبدالرحيم بن الحسـين العراقي، تحقيق: عبدالرّحمٰن محمد عثمان، دار الفكر العربي.

٤٧ ـ تلبيس ابليس الحافـظ الإمام جمـال الدين أبو الفـرج عبدالرّحمٰن ابن الجوزي البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٨ ـ التمهيـد لما فـي الموطأ مـن المعاني والأسـانيد المحـدث الإمام يوسـف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر المالكـي القرطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربـي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٩ ـ تنبيه العاصي إلى تـرك المعاصي الدكتور عامر سـعيد الزيباري، دار ابن حزم للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٠ ـ تهذيب الآثار أبو جعفر الطبري، خرج أحاديثه محمود محمد شـاكر، مطبعة المدني ـ المؤسسة السعودية بمصر.

٥١ ـ تهذيب التهذيـب أبو الفضـل أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني،

تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٢ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٣ ـ التوبة أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: عبدالله حجاج، مكتبة التراث الإسلامية، القاهرة ـ مصر.

٥٤ ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْديّ بن عبدالله العلائي الدمشقي، عالم الكتب، ١٩٨٦م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٥٥ ـ الجامع الصحيح (مسند الإمام الربيع بن حبيب) الإمام الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، أعد فهارسه سعود بن عبدالله الوهيبي، مكتبة مسقط، مسقط ـ سلطنة عمان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٦ ـ جمهرة اللغة محمد بن دريد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٥م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٥٧ ـ جوابات الإمام السالمي الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تنسيق ومراجعة الدكتور عبدالستار أبو غدة، مطابع النهضة، مسقط ـ سلطنة عمان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٨ ـ جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الاستقامة، مسقط ـ سلطنة عُمان.

٥٩ ـ حاشـــية ابن القيم على ســـنن أبي داود ابن قيم الجوزيـــة، مطبوع في حاشية عون المعبود، ضبط وتحقيق: عبدالرّحمٰن محمد عثمان، الناشر المكتبة السلفية، ط٣، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٦٠ ـ حسن الظن بالله أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، دار طيبة، ١٩٨٨م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٦١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إســـحاق الأصبهاني، دار الكتـــب العلمية، بيروت ـ لبنـــان، ٢٠٠٢م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٦٢ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور جلال الدين عبدالرّحمٰن بن أبي بكر السيوطي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٣ ـ دلائل النبوة أبو بكر أحمد بن الحســـين البيهقـــي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليـــه الدكتور عبدالمعطي قلعجي، منشـــورات محمد علي بيضون، دار الكتـــب العلمية، بيروت ـ لبنـــان، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٤ ـ دليـــل الفالحين لطرق ريـــاض الصالحين محمد بن عـــلان الصديقي، تحقيق: عصـــام الدين الصبابطي، دار الحديـــث، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٥ ـ الديباج على صحيـــح مســـلم بن الحجـــاج عبدالرّحمٰن بن أبي بكر الســـيوطي، حقق أصله وعلق عليه أبو إســـحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشـــر والتوزيع، الخبر ـ المملكة العربية الســـعودية، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٦ ـ الذنوب الكبيرة السـيد عبدالحسـين دسـتغيب، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٧ ـ الروح ابن قيم الجوزية، اعتنى به وعلق عليه هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦٨ ـ ريـاض الصالحين الإمـام أبو زكريا يحيى بن شـرف النـووي، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٦٩ ـ الزهد الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٧٠ ـ سبل السلام شـرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكَحلاني الصنعاني، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٥م. ضمن منشـورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٧١ ـ السُّـنَّة الإمام أبو بكر أحمد بـن عمرو بن أبي عاصـم، حققه وخرج أحاديثه أ. د باسـم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٢ ـ سـنن ابن ماجه الحافظ أبو عبـدالله محمد بن يزيـد القزويني، ضبط النصوص أحمد شـمس الدين، منشـورات محمد علـي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧٣ ـ سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث السجتاني، تحقيق: محمد عبدالعزيـز الخالدي، منشـورات محمـد علي بيضـون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٧٤ ـ سنن البيهقي الكبرى أبو بكر بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر، بيروت ـ لبنـــان، ١٩٩٦م. ضمن منشـــورات المرجـــع الأكبر للتراث الإسلامي.

٧٥ ـ ســـنن الترمذي الإمام المحدث أبو عيســـى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ضبط وتصحيح خالد عبدالغني محفوظ، منشـــورات محمد علي بيضون، دار الكتـــب العلمية، بيروت ـ لبنـــان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧٦ ـ ســـنن الدارمي الإمام أبو محمد عبدالله بـــن عبدالرّحمٰن الدارمي، دار إحياء السُنَّة النبوية، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٧٧ ـ سنن النسائي الكبرى الإمام أبو عبدالرّحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٧٨ ـ ســـير أعلام النبلاء الإمام شـــمس الدين محمد بـــن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شـــعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٧٩ ـ السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان تحقيق وشرح: الأستاذة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشـــف، وزارة التراث والثقافة بســـلطنة عمان، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٨٠ ـ شرح أســـماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُـــنَّة سعيد بن علي بن وهف القحطانـــي، راجعه الشـــيخ عبدالله بن عبدالرّحمٰـــن الجبرين، منشـــورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميـــة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٨١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨٢ ـ شرح الجامع الصحيح (مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي) الإمام نور الدين السالمي، تصحيح وتعليق عز الدين التنوخي، مكتبة الإستقامة، مسقط ـ سلطنة عمان.

٨٣ ـ شرح الكبائر الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صلاح الدين محمود السعيد، دار الغد الجديد، المنصورة ـ مصر، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٨٤ ـ شروط المفسر وآدابه الحافظ جلال الدين عبد الرّحمٰن السيوطي، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٥ ـ شعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٠م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٨٦ ـ الشفاعة الأخروية (دراسة عقائدية) سلطان بن محمد بن زهران الحراصي، مطابع النهضة، مسقط ـ سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٨٧ ـ الشفاعة بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها السيد كمال الحيدري، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨٨ ـ الشفاعة محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين

الدكتور مصطفى محمود، دار أخبار اليوم، جمهورية مصر العربية.

٨٩ ـ الشفاعة وأنواعها في السُّنَّة المطهرة أبو الفتاح عبد الله عبد القادر التليدي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٩٠ ـ الصحاح الجوهري (تاج اللغة وصحاح العربية) أبو العباس الجوهري. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٩١ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩٢ ـ صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٩٣ ـ صحيح مسلم الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٩٤ ـ صيد الخاطر الإمام الحافظ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد علي وشريف عبد الله، دار ابن الهيثم، القاهرة ـ مصر، ط ١، ٢٠٠٥م.

٩٥ ـ ضعفاء العقيلي (كتاب الضعفاء الكبير) أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٩٦ ـ الضعفاء والمتروكين للنسائي الإمام أحمد بن شعيب النسائي، دراسة وتحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، ضمن المجموع في الضعفاء والمتروكين، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٧ ـ طبقات المحدثين بأصفهان أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٩م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

٩٨ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين العلامة ابن القيم الجوزية، تحقيق: الدكتور وهبة الزحيلي، خرج أحاديثه أسامة حسن عبد المجيد، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٩٩ ـ طلعة الشمس (شرح شمس الأصول) الإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحقيق: عمر حسن القيام، مكتبة الإمام السالمي، ولاية بدية ـ سلطنة عمان، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٠ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، ضبط وتصحيح عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١٠١ ـ الغيث المدرار والسر العَمَّار فيما يتعلق بالنبي المختار المكتوب على صناديق النار، جرأة وجسارة من الفجار أعداء الله ورسوله الكفار أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: الدكتور محمد عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء ـ المملكة المغربية، دار ابن حزم بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٠٢ ـ فتح الباري بشـرح صحيح البخاري الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني، تحقيق: الشـيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٠٣ ـ الفرار مـن النار أبو أحمـد عبدالمنجي السـيد أميـن، مكتبة عباد الرّحمٰن ومكتبة العلوم والحكم، مصر، ٢٠٠٦م.

١٠٤ ـ الفصل فـي الملـل والأهـواء والنحل الإمـام ابن حـزم الظاهري الأندلسي، مكتبة السلام العالمية.

١٠٥ ـ الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثاني الهجري الدكتور مسـلم بن سـالم بن علي الوهيبي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب ـ سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٠٦ ـ في ظلال القرآن سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١٠، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٠٧ ـ فيض القدير شـرح الجامع الصغير زين الدين محمـد عبدالرؤوف المناوي القاهري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٤م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٠٨ ـ القاموس المحيط الفيروزابادي الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٩ ـ قـراءة وضوابـط في فهـم الحديث النبـوي الأسـتاذ الدكتور وهبـة الزحيلي، دار المكتبي، دمشـق ـ سـوريا، ط٢، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

١١٠ ـ القول الأسـمى في شـرح أسـماء الله الحسنى الشـيخ علي أحمد

عبد العال الطهطاوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١١ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٣م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١١٢ ـ الكامل في ضعفاء الرجال الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٣ ـ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٦، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٤ ـ كتاب الجرح والتعديل الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرّحمٰن بن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ط١، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

١١٥ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، حققه أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١١٦ ـ كتاب العين الخليل أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح الأستاذ أسعد الطيب، الناشر انتشارات اسوه (التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية).

١١٧ ـ كتاب الكبائر وتبيين المحارم الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبـي، تحقيق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير (دمشق وبيروت) ومكتبة دار التراث (المدينة المنورة)، ط٤، ١٩٩٨م. نسخة مصورة من هذا الكتاب موجودة في مكتبة المصطفى الإلكترونية في الشبكة العالمية للمعلومات.

١١٨ ـ كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٩ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر، ط١، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

١٢٠ ـ لسان العرب ابن منظور، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢١ ـ لسان الميزان الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٤م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٢٣ ـ مجموع الفتاوى أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق:

مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٢٤ ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، دار العاصمة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ النشرة الثالثة ١٤١٢م.

١٢٥ ـ المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.

١٢٦ ـ مختار الصحاح الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٢٧ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، مكتبة الرشد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٢٨ ـ مراح لبيد لكشف معاني القرآن المجيد الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي، ضبط وتصحيح محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٩ ـ المرجع الأكبر للتراث الإسلامي الإصدار الثالث، إنتاج العريس للكمبيوتر، صنع في المملكة العربية السعودية.

١٣٠ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الشيخ علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٣١ ـ المستـــدرك على الصحيحين أبو عبدالله محمد بن عبــدالله الحاكم النيســابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطــا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣٢ ـ مسند ابن الجعدي أبو الحسن علي بن الجعد الجوهري، دار الكتب العلميــة، بيروت ـ لبنــان، ١٩٩٦م. ضمن منشــورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٣٣ ـ مســند أبي يعلــى أبو يعلــى أحمد بن علي بــن المثنــى التميمي الموصلــي، دار الكتــب العلمية، بيــروت ـ لبنــان، ١٩٩٨م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٣٤ ـ مســند إســحاق بن راهويه إســحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمــي المروزي، أبو يعقــوب بن راهويه، مكتبة الإيمــان، المدينة المنورة، ١٩٩٠م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٣٥ ـ مســند الإمام أحمد بن حنبل الإمام أحمد بن حنبــل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٣٦ ـ مســند البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالــق العتكي البزار، مكتبة العلوم والحكم. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٣٧ ـ مســند الحارث أبو الحســن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٣٨ ـ مســند الحميدي أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي الأســدي، دار الكتب العلمية، بيــروت ـ لبنان، ١٩٨٨م. ضمن منشــورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٣٩ ـ مسند الشاميين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٤٠ ـ مسند الشهاب محمد بن سلامة الشهاب القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٤١ ـ مسند الطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٤٢ ـ مسند عبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد) أبو محمد عبد بن حميد، تحقيق: السيد صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٣ ـ مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٤م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٤٤ ـ مصنف عبدالرزاق أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٤٥ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٣م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٤٦ ـ معارج الأمال على مدارج الكمــال بنظم مختصر الخصال الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، مكتبة الإمام السالمي، ولاية بدية ـ سلطنة عمان، ط١، ٢٠٠٨م.

١٤٧ ـ المعجم الأوســط الإمام الحافظ أبو القاســم ســليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، تحقيق: محمد حســن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الفكر للطباعة والنشــر والتوزيع، عمان ـ الأردن، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤٨ ـ المعجم الصغير أبو القاســم ســليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤٩ ـ المعجم الكبير (للطبراني) أبو القاســم ســليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانــي، مطبعة الزهــراء الحديثة. ضمن منشــورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٥٠ ـ معجم مقاييس اللغة أبو الحســين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

١٥١ ـ معرفة الصحابة أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إســحاق بن موســى بن مهران الأصبهانــي، دار الكتب العلمية، بيــروت ـ لبنان، ٢٠٠٢م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٥٢ ـ المفردات في غريب القرآن الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني. ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥٣ ـ مقدمة ابن خلدون عبد الرّحمٰن بن خلدون، ضبط المتن الأستاذ خليل شحاته، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٤ ـ المنتقى لابن الجارود (المنتقى من السُّنن المسندة عن رسول الله ﷺ) الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن الجارود، علق عليه عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٥ ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج الإمام محيي الدين النووي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥٦ ـ منهج نقد المتن في تصحيح الروايات وتضعيفها، علي حسن مطر الهاشمي، دار البحار، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

١٥٧ ـ موطأ الإمام مالك الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبَحي الحِميَري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨م. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٥٨ ـ ميزان الاعتدال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥٩ ـ الميزان القسط (المنهج والتطبيق في دراسة ونقد روايات رؤية الله سبحانه وتعالى) علي بن محمد بن عامر الحجري، مكتبة الغبيراء، ولاية بهلا ـ سلطنة عمان.

١٦٠ ـ الناسخ والمنسوخ القاسـم بن سلام. ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٦١ ـ نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار الإمام محمد بن علي بن محمد الشـوكاني، دار ابن حزم للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٢ ـ الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك بـن عبدالله الصَّفَدي، ضمن منشورات المرجع الأكبر للتراث الإسلامي.

١٦٣ ـ ولله الأسـماء الحسـنى فادعوه بها أحمـد عبدالجـواد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

١٦٤ ـ اليوم الآخر (٢ ـ القيامة الكبرى) الدكتور عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح للنشـر والتوزيع ـ بيـروت، ودار النفائس للنشـر والتوزيع ـ الكويت، ط٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

الفهـــرس

المقدمة ٥

الفصل الأول: قراءات في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

تمهيد ٢٣

القسم الأول : رواية: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)

في ميزان الإسلام ٣١

رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك ٣٢

رواية منسوبة إلى الصحابي جابر بن عبد الله ٣٩

رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عباس ٤١

رواية منسوبة إلى الصحابي أبي الدرداء ٤٣

رواية منسوبة إلى الصحابية أم سلمة ٤٤

رواية منسوبة إلى الصحابي أبي موسى الأشعري ٤٥

رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عمر ٤٦
رواية منسوبة إلى الصحابية أسماء بنت عميس ٤٩
أقوال حول الرواية التي فيها: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ٥٠
رواية: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) عذر أهل الفساد ٦٠
آيات قرآنية تبيّن مصير العصاة في الآخرة ٧١
رواياتٌ تُثبت أن الإنسان مؤاخذ بأعماله ٨٦

القسم الثاني: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾، و﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، و﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، و﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ ١٠٢
ما مدى حجية مفهوم المخالفة؟ ١٠٣
الروايات التي احتج بها ابن عطية وغيره ١٠٦
رواية منسوبة إلى أنس بن مالك ١١٠

القسم الثالث: روايات أُستعين بها في تأييد فكرة الشفاعة لأهل الكبائر ١١٢
الرواية التي فيها: (الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله) ١١٢
رواية منسوبة إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ١١٣

رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه ١١٤
رواية منسوبة إلى الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه ١١٥
رواية منسوبة إلى الصحابي أبي هريرة رضي الله عنه ١١٦
رواية منسوبة إلى الحسن أو قتادة أو كليهما ١١٧
الرواية التي فيها: (من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه
في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجب النار) ١١٨
الرواية التي فيها: (الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع
إليهم المعروف في الدنيا) ١٢٠
الرواية التي فيها: (وإن الرجل ليجر إلى النار... فيقول أرسلوا عبدي) ١٢١
الرواية التي فيها: «قالَ: يا رَبِّ فَإِنّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ:
فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ» ١٢٢
الرواية التي جاء فيها: (... إن لي ابن أخ لا ينتهي عن حرام) ١٢٤
الرواية التي جاء فيها: (... من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب
غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً) ١٢٥
الرواية التي فيها: (... دَعَوْتُ الله يَوْمَ عَرَفَةَ أَنْ يَغْفِرَ لأُمَّتِـي ذُنُوبَها،
فأجابَنِـي أنْ قَدْ غَفَرْتُ...) ١٢٧
الرواية التي فيها: (أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ
في الآخِرَةِ)........................ ١٢٩
الرواية التي فيها: (... دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول:
هذا فكاكك من النار...) ١٣٣

الرواية التي جاء فيها: (... قام رجل فقال: والشرك يا نبيّ الله...) ١٣٨
الرواية التي فيها: (... ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار) ١٤٠
فكرة إخلاف الله وعيده في الميزان ١٤٤
القسم الرابع: المغفرة والمشيئة الإلٰهيّة ١٥٠
العنصر الأول: أسباب المغفرة كما جاء في حكم الله تعالى ١٥١
بيان العلماء لهذا الحكم الإلٰهي ١٥٢
أنبياء الله تعالى عليهم السلام أخذوا بأسباب المغفرة ١٦١
في حكم الله تعالى: المغفرة لمن آمن وخشي وعمل الصالحات ١٦٣
السُّنَّة النبوية دعوة إلى فعل الصالحات لأجل نيل المغفرة ١٦٦
العنصر الثاني: علماء الأمة الإسلامية يدعون إلى الأخذ بأسباب المغفرة ١٧٣
من أقوال أحمد عبدالجواد ١٧٦
من أقوال أحمد بن شعبان بن أحمد ١٧٧
من أقوال الشيخ علي أحمد عبدالعال الطهطاوي ١٧٧
من أقوال الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ١٧٩
من أقوال الإمام الطبري ١٨٠
من أقوال الإمام القرطبي ١٨٦
من أقوال الإمام ابن كثير ١٨٧
من أقوال ابن عاشور ١٩٠

من أقوال أبي السعود ١٩٢
من أقوال الألوسي ١٩٣
من أقوال الطبرسي ١٩٥
من أقوال حقي البروسوي ١٩٥
من أقوال الشيخ السعدي ١٩٦
العنصر الثالث: ذنوب غفرها الله تعالى وتجاوز عنها ٢٠٤
خاتمة الفصل الأول ٢٠٩

الفصل الثاني

قراءات منهجية في أدلة القائلين

بخروج عصاة المسلمين من نار جهنم

تمهيد ٢١٥
القسم الأول: قراءة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ ٢١٨
روايات تثبت معنى (المقام المحمود) بالشفاعة لأهل الموقف عامة، وفتح أبواب الجنة لأهل الجنة خاصة ٢١٩
روايات تفسر (المقام المحمود) بالشفاعة لعصاة المسلمين وإخراجهم من النار ٢٢٤

القسم الثاني: قراءة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ٢٣٣

العنصر الأول: روايات ذكرها القائلون بـ (خروج العصاة من النار) ٢٣٦

روايات منسوبة إلى ابن عباس ٢٣٧

رواية فيها قصة نافع بن الأزرق مع ابن عباس ٢٤٠

رواية منسوبة إلى ابن عباس ٢٤١

رواية منسوبة إلى ابن عباس ٢٤٣

رأي منسوب إلى خالد بن معدان ٢٤٣

رواية منسوبة إلى أبي خالد ٢٤٤

رأي منسوب إلى كعب الأحبار ٢٤٤

قول منسوب إلى أبي ميسرة، وعبدالله بن رواحة، والحسن البصري ٢٤٦

رأي منسوب إلى ابن مسعود رضي الله عنه ٢٥١

رواية أخرى منسوبة إلى عبدالله بن مسعود ٢٥٢

رواية أخرى منسوبة إلى عبدالله بن مسعود ٢٥٣

رواية منسوبة إلى جابر بن عبدالله ٢٥٤

قول منسوب إلى قتادة بن دعامة ٢٥٥

رواية حفصة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ ٢٥٦

رواية ذُكر فيها تحلة القسم بمعنى الورود ٢٥٩

العنصر الثاني: فكرة العبور على الصراط وسقوط العصاة

في النار ثم إخراجهم منها ٢٦٦

العنصر الثالث: من مشاهد يوم القيامة كما جاء في كلمات
هذه الآيات ٢٦٨
المعنى اللغوي للكلمات الواردة في هذه الآيات الكريمة ٢٦٩
المعنى اللغوي لكلمة (ورد) ٢٧٠
المعنى اللغوي لكلمة ﴿نُنَجِّي﴾ ٢٧١
المعنى اللغوي لكلمة ﴿وَّنَذَرُ﴾ ٢٧٢
عندما يطبق المنهج الصائب ٢٧٤
العنصر الرابع: الرواية التي جاء فيها: (فيأتيهم الله تبارك وتعالى
في صورة غير صورته التي يعرفون) ٢٧٩
١ ـ الرواية المنسوبة إلى أبي هريرة ﷺ ٢٨٠
٢ ـ الرواية المنسوبة إلى أبي سعيد الخدري ﷺ ٢٨٥
العنصر الخامس: رواية الشفاعة العظمى يوم القيامة
(ليس الإخراج من نار جهنم، بل من حرارة يوم الموقف) ٢٩٣
العنصر السادس: الرواية التي فيها: (يخرُج قوم منَ النار بعدما مسَّهُم
منها سَفعٌ، فيدخُلون الجنة، فيُسمِّيهم أهلُ الجنة: الجهنميين) ٣٠٩
رواية منسوبة إلى الصحابي أنس بن مالك ٣٠٩
رواية منسوبة إلى الصحابي عمران بن حصين ٣١٣
رواية منسوبة إلى حذيفة بن اليمان ٣١٤
رواية منسوبة إلى عبد الله بن مسعود ٣١٦

رواية منسوبة إلى المغيرة بن شعبة ٣١٧
رواية منسوبة إلى الصحابي عبدالله بن عمرو ٣١٨
رواية منسوبة إلى الصحابي جابر بن عبدالله ٣١٩
رواية منسوبة إلى الصحابي أبي سعيد الخدري ٣٢٠
العنصر السابع: الرواية التي جاء فيها: (وَلكِنْ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ
بِذُنُوبِهِمْ (أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً) ٣٢٤
١ ـ مناقشة ما جاء في الرواية: فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً» ٣٢٥
حكم الروايات التي تخالف القرآن الكريم ٣٢٧
٢ ـ أنواع عقوبات أهل الكبائر ٣٣٢

القسم الثالث: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ ٣٣٧

القسم الرابع: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ ٣٤٩
الروايات التي ذكرها الإمام الطبري عند تفسير الآيات ١٠٦ - ١٠٨
من سورة هود ٣٥١
أقوال بعض المفسرين حول الآيات ١٠٦ - ١٠٨ من سورة هود ٣٥٨

القسم الخامس: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ ٣٦١

الروايات الواردة في تفسير الآيات ٣٢ - ٣٥ من سورة فاطر ٣٦٣

أنواع (ظلم النفس) كما جاء في القرآن الكريم ٣٦٦

صفة (ظلم النفس) في آيات تتحدث عن الكفرة الذين وقفوا أمام الدعوة الإلٰهية ٣٦٦

صفة (ظلم النفس) في سياق تحذير المسلمين من تعدي حدود الله تعالى ٣٦٨

الـ(ظالم لنفسه) الذي ذكره الله تعالى في سورة فاطر ٣٧٣

القسم السادس: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾، و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾، و﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ٣٨١

الروايات التي حملت معنى (الظلم) بـ(الشرك) فقط ٣٨٦

الرواية المنسوبة إلى مقام النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ٣٨٧

الرواية المنسوبة إلى أبي بكر الصديق ﷺ ٣٩٣

الرواية المنسوبة إلى أُبي بن كعب ﷺ ٣٩٤

الرواية المنسوبة إلى سلمان الفارسي ﷺ ٣٩٥

والرواية المنسوبة إلى حذيفة ﷺ ٣٩٥

الروايات المنسوبة إلى ابن عباس ﷺ ٣٩٦

الرواية المنسوبة إلى ابن مسعود ﷺ ٣٩٦

الرواية المنسوبة إلى إبراهيم النخعي ٣٩٧

التفسير المنسوب إلى عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة ٣٩٧

التفسير المنسوب إلى قتادة بن دعامة السدوسي ٣٩٨

التفسير المنسوب إلى مجاهد ٣٩٨

التفسير المنسوب إلى السدي للظلم ٣٩٨

التفسير المنسوب إلى ابن زيد ٣٩٩

القسم السابع: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ ٤٠٨

القسم الثامن: روايات وأقوال في تفسير آيات من كتاب الله تعالى ٤١٤

١ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ ٤١٤

٢ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ ٤١٥

٣ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ٤١٦

٤ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ٤٢٠

٥ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ٤٢٤

٦ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ ٤٢٥

٧ ـ روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٤٢٨

قصة ابن الأزرق مع ابن عباس رضي الله عنهما ٤٣٠

خاتمة الفصل الثاني ٤٣٥

الفصل الثالث

قراءات منهجية في تفسير آيات قرآنية ذكرها القائلون بخلود أصحاب الكبائر في النار

تمهيد ٤٤١

القسم الأول: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ

ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، و﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾، و﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٤٤٤

القسم الثاني: قراءة في تفسير قوله تعالى:
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ٤٥٢

قضية تخصيص الخلود في جهنم لغير أصحاب الكبائر من المسلمين ٤٥٤

العنصر الأول: مناقشة قول القائل: «فجزاؤه جهنم إن جازاه» ٤٥٥

العنصر الثاني: مناقشة قول القائل: «ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلًا قتله، فجزاؤه جهنم خالداً فيها» ٤٥٩

قصة مقيس بن ضبابة ٤٦٠

العنصر الثالث: مناقشة قول القائل: «إذا دخل الرجل في الإسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمناً متعمداً فلا توبة له» ٤٦٤

الرواية التي فيها قصة إسلام وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ٤٧٤

القسم الثالث: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، و﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ٤٧٦

معنى الخلود كما جاء في كتب اللغة ٤٧٧

القسم الرابع: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، و﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، و﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، و﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۞ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾، و﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٤٨١

الروايات التي جاء فيها تفسير (السيئة) بـ(الشرك) فقط ٤٨٧
رواية المنسوبة إلى الصحابي ابن عباس ﭭ ٤٨٧
رواية منسوبة إلى أبي هريرة ﭬ ٤٩٠
التفسير المنسوب إلى مجاهد ٤٩١
التفسير المنسوب إلى عطاء بن السائب ٤٩٢
التفسير المنسوب إلى عكرمة ٤٩٢
لتفسير المنسوب إلى إبراهيم النخعي ٤٩٢
التفسير المنسوب إلى أبي وائل ٤٩٢
التفسير المنسوب إلى الضحاك والحسن البصري ٤٩٣
التفسير المنسوب إلى محمد بن كعب ٤٩٣
التفسير المنسوب إلى قتادة ٤٩٣
التفسير المنسوب إلى ابن زيد ٤٩٤
التفسير المنسوب إلى الربيع بن أنس ٤٩٤
من أقوال علماء الإسلام في تفسير كلمة (السيئة) وكلمة (الظلم) ٤٩٥
من أقوال الإمام الطبري ٤٩٦
من أقوال ابن عاشور ٤٩٧
من أقوال ابن عطية ٤٩٨
من أقوال الشيخ السعدي ٤٩٨
من أقوال الإمام ابن كثير ٤٩٩

من أقوال الشوكاني ٤٩٩
من أقوال القرطبي ٥٠٠
من أقوال أبي السعود ٥٠١
من أقوال القمي النيسابوري ٥٠١
من أقوال الخازن ٥٠١
من أقوال عامر سعيد الزيباري ٥٠١
من أقوال الألوسي ٥٠١
أقوال الإمام الطبري بين الدعوة والتطبيق ٥٠٢
القسم الخامس: روايات وأقوال في تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ ٥٠٨
معنى كلمة: ﴿ٱلْفُجَّارَ﴾ حسب ما جاء في كتب اللغة ٥٠٨
خاتمة الفصل الثالث ٥١٣
خاتمة البحث ٥١٥
المراجع ٥٢١
الفهرس ٥٤٥